طبع بأمر من صاحب الجلالة أمير المؤمنين الملك محمد السادس نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

التعريف
بمن ذكر في الموطأ من النساء والرجال

تأليف:
أبي عبد الله، ابن الحذاء

دراسة وتحقيق:
الدكتور محمد عز الدين المعيار الإدريسي

الجزء الأول

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى اله وصحبه أجمعين.

وبعد، فإن شخصية إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله شخصية فذة ذاع صيتها في العالم وسارت بها الركبان في غابر الأزمان وطبقت شهرتها الآفاق وغدت مقصد العلماء، وعمدة الفقهاء وكعبة الحكماء، تشد الرحال إلى إمام الأئمة ونجمهم الدري من الشرق والغرب للاغتراف من بحر علومه ومن معينه الذي لاينضب، وعذبه الصافي الذي لاتكدره الدلاء لسعة علمه وانتشار اثاره، وكيف لا، وهو الوعاء الجامع لاراء الصحابة الفضلاء واجتهادات الجهابذة الخلفاء، واستنباطات الأئمة الفقهاء، وبذلك جاء مؤلفه الموطأ حافلا بالعلوم، مما جعل الناس يزدحمون على بابه وكثر الآخذون عنه الذي تلقوا مؤلفاته ونقولها شرقا وغربا، مما جعل هذه الشخصية الفريدة يسطع نورها ويلمع نجمها ويرتفع شأنها بين الأعلام في أقطار العالم الإسلامي وانتهى إليه الإفتاء (لا يفتى ومالك بالمدينة).

لقد تصدى الإمام مالك للإقراء والتدريس والإفتاء وهو نجم بين الأئمة والعلماء ينزل النصوص الشرعية موقع النوازل والحوادث والأقضية وعزز ذلك بأقوال أهل المدينة من صحابة وتابعين ومن جاء بعدهم من الفقهاء والصلحاء فأصبح الموطأ بذلك كتاب فقه إلى جانب كونه كتاب حديث الشيء الذي جعله محل إعجاب وإكبار شرقا وغربا فكثر أتباعه في

الغرب أكثر منه في الشرق فتصدوا لدراسته وتمحيصه رواية ودراية أغوار رجالاته حيث ظهرت مؤلفات علماء الغرب الإسلامي إسهاما في نشر مذهب الإمام مالك والتعريف بمؤلفه الموطأ فألفوا حوله إما طلبا للتوضيح وتقريبا للفهم أو تيسيرا للاستنباط وإما اختصارا بغية تسهيل الحفظ والاختصار.

فكان ممن أدلى بدلوه في هذا المضمار الحافظ ابن عبد البر النمري الأندلسي حيث ألف كتابه المشهور «التمهيد لمافي الموطأ من المعاني والأسانيد» مساهمة منه في شرح كتاب مالك وتبيان رجاله ولقد سبق للوزارة أن قامت بطبع هذا الكتاب كاملا إغناء للمكتبة الإسلامية.

وأما أبو عبد الله محمد بن الحذاء الأندلسي الذي تولى مهمة التعريف برجال الموطأ، حيث بين أهمية دراسة السند في تراثنا الإسلامي باعتباره من الدين ووسمت هذه الأمة بأمة السند، كما تناول الكتاب الطرق التي وصل بها كتاب الموطأ إلى الغرب الإسلامي من غير إغفال لأهمية دراسة علم الرجال في هذا القطر من العالم الإسلامي.

وقد شاء الله تعالى أن يكون من نصيب الأستاذ محمد عز الدين المعيار الإدريسي وهو باحث متمكن بذل جهدا كبيرا للقيام بهذا العمل مشكورا عليه فأخرج هذا المؤلف إلى حيز الوجود ونفض عنه غبار النسيان فتقدم به كدراسة لنيل أطروحته الجامعية، فأفاد فيها وأجاد، حيث قدم للكتاب بدراسة مستفيضة، وحققه تحقيقا مدققا، مما جعله ينضاف إلى سلسلة خدمة السنة النبوية، وخطوة في إثراء المكتبة الإسلامية.

والوزارة إذ تبارك هذه الخطوة في دعم الثقافة الإسلامية كعادتها في إحياء مثل هذا اللون من التراث، وتقريبه إلى كل المهتمين والباحثين، ورفع رصيدها الثمين، وبناء صرح التراث الإسلامي الرصين، يسعدها أن تقوم بطبع هذا الكتاب وإخراجه إلى حيز الوجود لينضاف إلى عملها الرائد في هذا المجال من طبع المصنفات العلمية الجادة خصوصا أن هذا العمل –

رحمه الله – يتصل بكتاب الموطأ الذي يعد المرجع الأصل والأم في مذهب الإمام مالك الذي جمع الله به شمل الأمة المغربية.

كما يسعد الوزارة أن تتوجه إلى الله العلي القدير أن يجعل ثواب طبع هذا الكتاب والاستفادة منه حسنة من حسنات أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعز الله أمره وأن يكتبه في سجل أعماله الصالحة وماثره الخالدة وأن يديم عليه عزه ونصره، ويحقق مسعاه لما فيه خير الوطن والدين وصالح أمر الإسلام والمسلمين ويقر عينه بصنوه صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، وسائر أفراد الأسرة العلوية الشريفة إنه سبحانه سميع مجيب. وإنه نعم المولى ونعم النصير.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، رب المشرق والمغرب وما بينهما، سبحانه لا إله إلا هو، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، إمام المتقين، السراج المنير، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطاهرين الطيبين، الذين ضربوا أروع الأمثال، في التشبث بمنهج الحق المتعال، وعلى التابعين، ومن سار على نهجهم القويم، إلى يوم الدين.

أما بعد، فيأتي هذا العمل مساهمة متواضعة، في تشييد صرح الدراسات الحديثية بالغرب الإسلامي، الذي كان للعلماء خريجي دار الحديث الحسنية، فضل إعادة بنائه، ورفع قواعده، من أمثال الأساتذة الأفاضل: د. محمد يسف، د. محمد الراوندي، د. إبراهيم بن الصديق، د. معمر نوري، د. أحمد لبزار رحمه الله، وغيرهم من الرواد الذين اهتموا بهذا الحقل العظيم، من حقول ثقافتنا الإسلامية الخالدة، ووجهوا إليه، وأعانوا على البحث فيه...

إن هذه الأطروحة، التي أشرف بتقديمها إلى دار الحديث الحسنية، تجمع بين التأليف والتحقيق، فهي تتناول بالدراسة علم الرجال بالغرب الإسلامي، من لدن الفتح إلى أواخر القرن الخامس الهجري، مع كتابة سيرة أحد أعلام المحدثين بالغرب الإسلامي، والمؤلفين في الرجال، كما تتناول دراسة وتحقيق كتاب «التعريف بمن ذكر في موطا مالك ابن أنس من النساء والرجال» لأبي عبد الله محمد بن يحيى ابن الحذاء الأندلسي (ت416هـ)، المشار إليه قبله، وهي أنواع مختلفة من البحث العلمي كما هو معروف.

وإذا كان هناك من يرى أن التحقيق أيسر من الإنشاء، أو أقل قيمة منه، فلأنه لم يكابد مشقته، ولم يذق طعمه، وإلا فإن هذا المجال، أكثر دقة، وأصعب تناولا، وأثقل مسؤولية، والحرية فيه مقيدة، والإبداع عسير، لكن الثمار طيبة والنتائج مرضية، بل إن ممارسته في الجامعات، ذات الطابع الثقافي الإسلامي، أصبحت ضرورة، طالما نادى بها العلماء، فمنذ نصف قرن دعا إلى ذلك على سبيل المثال شيخ المحققين العرب، عبد السلام هارون، وذلك بتكليف طلبة الدراسات العليا، أن يقوم كل واحد منهم، بتحقيق مخطوط يمت بصلة إلى موضوع الرسالة، التي يتقدم بها، متمنيا «أن يأتي اليوم الذي يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لابد من أدائها».(1)

والتأليف – أيضا – له شروطه وحاجياته، وفي مقدمتها المادة الجيدة، المستقاة من مصادر محققة موثقة، ثم السير بالبحث إلى الأمام، والوصول إلى نتائج جديدة لم يسبق إليها.

قال الشاعر :

ألا فاعلمن أن التآليف سبعة
لكل لبيب في النصيحة خالص

فشرح لإغلاق وتصحيح مخطيء
وإبداع حبر مقدم غير ناكص

وترتيب منثور وجمع مفرق
وتقصير تطويل وتتميم ناقص(2)

---

1) عبد السلام محمد هارون : تحقيق النصوص ونشرها : 6.

2) أحمد المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض : 3/35.

وقال أبو عبد الله ابن عرفة معلقا على قوله ﷺ :

«أو علم ينتفع به» : إنما تدخل التواليف في ذلك، إذا اشتملت على فائدة زائدة، وإلا فذلك تخسير للكاغد.(3)

وقد اختار الله تعالى لهذا العمل، الجمع بين الحسنيين، والخوض في المجالين، فكان علم الرجال موضوعه، والغرب الإسلامي آفقه، وأبو عبد الله ابن الحذاء مثال المصنف المغربي في الرجال، وكتابه «التعريف بمن ذكر في الموطأ من النساء والرجال» النص المحقق، والمصنف الأنموذج في علم الرجال بالغرب الإسلامي.

ووراء هذا الاختيار، عدة أسباب واعتبارات من أهمها :

1) الانتماء الإقليمي إلى الغرب الإسلامي، بكل ما له من خصوصيات، وأهل كل بلد أدرى به، وهم المسؤولون قبل غيرهم، عن تراثه ورجاله.

2) إتمام مسيرة البحث في الثقافة الإسلامية بالغرب الإسلامي، فبعد دراسة وتحقيق كتاب «نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه» لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد ابن عبد الحق الخزرجي القرطبي، المتوفى بفاس سنة 582هـ، جاءت هذه الأطروحة، لتجعلني أنتقل من مجال علوم القرآن، بكل قدسيته وجلاله، إلى مجال علوم الحديث بكل اعتباره ونضارته، وبذلك اكتملت الدائرة، ولله الحمد.

3) من المصادفات، التي لم تخطر على البال من قبل، ولا تم التخطيط لها، أنه في الوقت الذي كنت في طور البحث، عن موضوع لأطروحتي، تخلت الأستاذة الفاضلة، نعيمة بنيس، عن فكرة تحقيق كتاب «التعريف» لابن الحذاء، وتقديمه لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية

---

3) نفسه : 3/33.

العليا بدار الحديث الحسنية، بعد أن تأكدت أن هذا العمل، أكبر من ذلك، عندها اتصلت بأستاذي، العلامة الدكتور محمد الراوندي، في شأن الكتاب وتحقيقه، فوافق مشكورا على ذلك.

وعندما هيأت التقرير، وبعد اطلاع الأستاذ المشرف عليه، اتصلت بالسيد مدير دار الحديث الحسنية، فضيلة الدكتور محمد فاروق النبهان، قصد تسجيل الموضوع، فلم ألق منه أي اعتراض عليه، لكن وجدت لديه اقتراحا ملحا، بأن أضيف إلى جانب الدراسة والتحقيق، بحثا موسعا عن علم الرجال بالغرب الإسلامي، الشيء الذي لم يكن بوسعي إلا أن أقبله، وكان فيه خير كثير.

وبعد موافقة الأستاذ المشرف، على هذه الإضافة وتزكيته لها، تم تسجيل الأطروحة تحت عنوان: «علم الرجال بالغرب الإسلامي – ابن الحذاء وتحقيق كتابه في رجال الموطأ».

أما الصعوبات والعراقيل التي اعترضتني، وأنا أجمع شتات هذا العمل، فكثيرة، منها ما هو خاص، وهذا لا حاجة إلى ذكره، ومنها ما هو عام، يشترك فيه أكثر الباحثين، في مجال التراث العربي الإسلامي على وجه الخصوص.

إن أولى هذه الصعوبات، تفرق مادة علم الرجال بالغرب الإسلامي، بين ثنايا الكتب، مع قلة الدراسات في هذا الباب، فالمادة ما تزال خاما، واستخراجها من مناجمها، ثم نفض الغبار عنها وصقلها، قبل وضعها في منظومة البحث، تحتاج إلى صبر وأناة، في طريق وعر، لم يمر منه غير أفراد قلائل، وعلى رقعة مترامية الأطراف، وفترة زمنية طويلة وغنية في الوقت ذاته.

وثاني الصعوبات، هي كيفية الحصول في بلادنا على نسخة من مخطوط، وما يتبع ذلك، من تكاليف مادية باهظة، تتمثل في تكلفة

التصوير نفسه، وما يسبقه من تردد على الخزانة العامة بالرباط، لمواعد تتأخر في أكثر الأحيان، إما بسبب أعطاب في الآلات، أو نفاذ مواد تحتاج إليها، وغير ذلك.

وثالثة الأثافي، عدم وجود كفاءات مهنية ممتازة بين أكثر من يتولون اليوم، طباعة الرسائل والأطروحات، على الرغم من تقدم الوسائل والدراسات في هذا الباب.

إن الباحث، خصوصا عندما يكون البحث كبيرا ومركبا، وهو أمر طبيعي في مثل عملنا هذا، يحتاج إلى تحقيق عمله مرتين: الأولى قبل تقديمه إلى الطبع، والثانية بعد الانتهاء من طبعه، مع ما في التحقيق الأول من متعة واستفادة، وما في الثاني من مشقة زائدة.

أما عن تقسيم هذه الأطروحة، فقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمها إلى قسمين كبيرين: قسم للبحث والدراسة وآخر للتحقيق.

القسم الأول

خصصته لجانبي البحث والدراسة وعنونته ب «علم الرجال بالغرب الإسلامي، ابن الحذاء وكتابه في رجال الموطأ» وجعلته في مدخل وثلاثة أبواب.

تناولت في المدخل علم الرجال، فعرفت به لغة واصطلاحا، وحددت مكانته بين علوم الحديث، ثم تحدثت عن نشأته وتطوره، وأهمية الإسناد في هذه الأمة التي خصها الله به دون غيرها.

الباب الأول

«علم الرجال بالغرب الإسلامي»

ويأتي في تمهيد وثلاثة فصول.

تعرضت في التمهيد لمصطلح «الغرب الإسلامي»، ولمسيرة الفتح في هذه البلاد، الشيء الذي لم أجد منه محيصا في موضوع متشعب كهذا، ثم تناولت في **الفصل الأول**، أهم عوامل دخول الحديث إلى الغرب الإسلامي، وحصرت ذلك في ثلاث قنوات أساسية، هي: المذاهب الفقهية، الرحلة، الكتب، كما تطرقت لدواعي ظهور علم الرجال، التي اختزلتها في الأهواء والبدع والكذب والوضع، وقدمت من كل ذلك نماذج مختلفة.

وفي **الفصل الثاني** من هذا الباب، تناولت مراحل تطور علم الرجال بالغرب الإسلامي، وهي :

1) **مرحلة الظهور** : وترجع في إرهاصاتها الأولى، إلى عهد عقبة بن نافع الفهري، ثم تبرز بشكل فعلي أوائل القرن الثالث الهجري، على يد عبد الملك بن حبيب بالأندلس وسحنون بن سعيد بافريقية.

2) **مرحلة الانتشار** : تناولت فيها القفزة الجريئة، التي عرفتها الدراسات الحديثية في هذا العصر، على يد الحافظين: بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح في الأندلس، وعلى يد محمد ابن سحنون في افريقية. مما كانت له أحمد الآثار، على علم الرجال إلى حد ما.

3) **مرحلة الازدهار** : وتبدأ مع نهاية القرن الثالث الهجري، وبداية الرابع، وتستمر خلال القرن الخامس، وما بعده مما هو خارج عن الحدود التي حددناها لهذا البحث.

وتمتاز هذه المرحلة بالمستوى الرفيع الذي وصلت إليه الدراسات الحديثية، والاهتمام الذي حظي به علم الرجال من قبل علماء كبار كما سيأتي...

الفصل الثالث : **التكلم في الرجال والتأليف فيهم** :

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : التكلم في الرجال، تناولت فيه – بإيجاز – أصناف المتكلمين في الرجال، وموقع المغاربة من ذلك، خصوصا من حيث التعنت، والتساهل، والاعتدال، ثم قدمت قائمة بأسماء المتكلمين في الرجال من علماء الغرب الإسلامي، فيما وقفت عليه.

المبحث الثاني : التصنيف في علم الرجال بالغرب الإسلامي، تحدثت فيه عن بعض الملامح العامة، للتأليف في علم الرجال بهذه البلاد، كالتبويب وفق الطبقات، ووفق حروف المعجم، والتقسيم إلى بلديين وغرباء.

المبحث الثالث : أهم مصنفات علم الرجال بالغرب الإسلامي، قدمت فيه عددا من المؤلفات في علم الرجال بالغرب الإسلامي، منذ أوائل القرن الثالث الهجري، إلى نهاية القرن الخامس، وعرفت خلال ذلك ببعض هذه الكتب، كما قدمت جملة من النقول عنها.

الباب الثاني

«أبو عبد الله ابن الحذاء»

ويأتي في تمهيد وثلاثة فصول.

تعرضت في التمهيد لعصر ابن الحذاء، بعد أن تحدثت عن أهم مصادر ومراجع ترجمته.

الفصل الأول : حياته وتحته :

- **المبحث الأول** : «هويته» تناولت فيه :

مولده وبلده، اسمه وكنيته، نسبه وشهرته، أصوله وفروعه...

- **المبحث الثاني** : دراسته وعلاقته بالسلطان :

تعرضت فيه لبداية طلبه، وسنه آنذاك، وزمن رحلته وأماكنها، وزملائه فيها، كما تعرضت من جهة أخرى، لعلاقته بالسلطان، ومشاركته في بيعة هشام المؤيد بالله، وما تلا ذلك من حضور له في عدة مواقع ومواقف.

- **المبحث الثالث** : وظائفه ومكانته العلمية :

ذكرت فيه الوظائف التي تقلدها : القضاء، والشورى، والوثائق السلطانية، ثم الأماكن التي استقضي فيها، والزمن الذي كان فيها، وغير ذلك.

ثم تحدثت، عن ثقافته المتنوعة، وثناء العلماء عليه، وأخيرا عن وفاته ومدفنه.

الفصل الثاني : شيوخه ومروياته :

المبحث الأول : شيوخه بالأندلس.

المبحث الثاني : شيوخه بالشرق، وختمته بشيوخ يحتمل أخذه عنهم، دون الجزم بذلك.

المبحث الثالث : مرويات أبي عبد الله ابن الحذاء، وما حمل إلى الأندلس من علم، اعتمدت في ذلك جملة من المصادر، التي اهتمت بالموضوع، فذكرت مروياته في علوم القرآن، وعلوم الحديث، والزهد، والرقائق وما يتصل بذلك، وكتب اللغات والشروحات وما يتصل بذلك من نوعه.

الفصل الثالث : **تلامذته وآثاره** :

المبحث الأول : تلاميذه ومدرسته، وفيه إشارة إلى الجهات التي درس فيها، والمواد التي درس، ثم قدمت تراجم من وقفت على أسمائهم منهم.

المبحث الثاني : آثاره وتنقسم إلى :

1) مؤلفاته.
2) نقول عنه.

الباب الثالث

«التعريف بمن ذكر
في موطأ مالك بن أنس من النساء والرجال»

ويأتي في ثلاثة فصول.

تناولت في الفصل الأول منها، كتاب الموطأ للإمام مالك من حيث موضوعه، وأهم رواياته، ثم رجاله وعددهم وانتقاء مالك لهم وغير ذلك، وختمته بمبحث عن التأليف في رجال الموطأ...

وتعرضت في الفصل الثاني لكتاب «التعريف» لابن الحذاء من حيث اسمه، ونسبته إلى مؤلفه، وروايته عنه، وزمن تأليفه وغير ذلك، كما قدمت ملخصا مركزا عن محتوياته، ومصادره وشخصية مؤلفه من خلاله، والمآخذ التي أخذت عليه، وأثره فيمن جاء بعده.

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن النسخ المعتمدة في تحقيق هذا الكتاب، والتي تمثل في النهاية فئات تتضامن، لتكون بمثابة نسخة واحدة، ثم ذكرت خطة العمل في التحقيق، وقدمت نماذج من نسخ الكتاب المخطوطة.

القسم الثاني

عنوانه «تحقيق كتاب : التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من الرجال والنساء».

ويمثل القسم الأكبر من هذا العمل، وقد بذلت فيه، كل ما في وسعي من أجل إخراجه على صورة، تقرب من أصله الذي ألفه عليه، أبو عبد الله محمد ابن الحذاء رحمه الله.

وفي الختام لا يفوتني، أن أتقدم بجزيل الشكر، وفائق الاحترام، وعظيم التقدير، إلى الأستاذ المشرف فضيلة الدكتور محمد الراوندي، الذي تفضل مشكورا فرعى هذا البحث برحابة صدر، وطلاقة وجه، مع الإخلاص في التوجيه والنصيحة، والحرص على مواكبة العمل في كل أطواره، شأنه في ذلك شأن العلماء العاملين المخلصين لرسالتهم النبيلة، فجزاه الله خيرا.

كما أتوجه إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، على إنجاز هذه الأطروحة، التي لا أدعي فيها استيعابا ولا كمالا، وإنما هي اجتهادات، قد أصيب فيها وقد أخطيء، وحسبي في كلا الحالين، أني أخلصت في عملي، ولم أرد به غير وجه الله وساهمت في إثراء موضوع كبير، ينتظر من الباحثين الكثير.

أسأل الله التوفيق والسداد ﴿ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾.

محمد عز الدين المعيار الإدريسي

القسم الأول

علم الرجال بالغرب الإسلامي

ابن الحذاء وكتابه في رجال الموطأ

مدخل إلى علم الرجال :

من أجل فهم علم الرجال، وسبر أغواره، هو في حاجة ماسة إلى دراسة علمية دقيقة وشاملة، لا تتناوله في جزئياته فحسب، التي نال الكثير منها حظه من العناية، وإنما في منظومته الكاملة، التي لم تحظ – فيما أعلم – بما يلزم من الدراسة والبحث.

إنه يستدعي إقامة تصور كامل وشامل لعلم الرجال، في بعده التراثي المتحصل من جهود السابقين، من أئمة علماء الحديث، وفي واقعه الراهن المعيش، ثم في بعده المستقبلي القادم، وما ينتظر الباحثين في هذا المضمار، من أعمال جسام، تحفظ الحديث وتصونه، وتبرز العلاقة بين مختلف أنواع علم الرجال.

إن من القضايا الكبرى، المطروحة على الباحثين في مجال علم الرجال، تصحيح الأسانيد العارية من التصحيح، وتناول الرواة المسكوت عنهم بالنقد، ورفع الوهم الذي يحيط ببعض الرواة، ورفع الجهالة عمن يمكن رفعها عنه منهم، وغير ذلك، مما أصبح التغلب عليه ممكنا، بواسطة نظم المعلومات المعاصرة.(1) وحسب هذا البحث – هنا – أن يلامس بعض النقط المتعلقة بتعريف هذا العلم، وذلك على النحو التالي:

أولا : المعنى اللغوي والاصطلاحي لعلم الرجال :

يتركب هذا المصطلح من كلمتين هما : «علم» و«رجال»، ولبيان معناهما مستقلين ومضافين يساق هذا التعريف :

أ – العلم : يأتي تناوله – باختصار – من ثلاثة جوانب :

1 – معناه لغة واصطلاحا :

---

1) أنظر : د. كمال الدين عبد الغني شرابي : أسانيد الحديث النبوي في ضوء نظم المعلومات المعاصرة: 1/12 وما بعدها (دار المعرفة الجامعية مصر: 1995).

العلم في اللغة اليقين، وهو معرفة الشيء على ما هو به،(2) أو هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع.(3)

ويختلف مدلوله في الاصطلاح، باختلاف حقوله، ومن ثم اختلف العلماء من أصوليين ومتكلمين ومناطقة وغيرهم في تعريفه، بل قال بعضهم إنه مستغن عن التعريف.(4)

والأصل في حقيقة العلم أنه الإدراك عن دليل، ويطلق على المعلوم، وعلى الملكة عرفا أو اصطلاحا أو مجازا مشهورا.(5)

والمقصود بالعلم – هنا – كما قال أحد الباحثين المعاصرين، «مجموعة الأصول العامة أو القواعد الكلية لهذا النوع، أو الحقل من المعرفة الذي نحن بصدد دراسته».(6)

2 – الفرق بين «العلم» و«المعرفة» :

جاء العلم بمعنى المعرفة، كما جاءت بمعناه، ضمن كل منهما معنى الآخر لاشتراكهما في كونهما مسبوقين بالجهل.(7)

وبين أبو هلال العسكري الفرق بين العلم والمعرفة، فقال: إن المعرفة أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصلا عما سواه، والعلم يكون مجملا ومفصلا.(8)

---

2) أنظر الفروق اللغوية : لأبي هلال العسكري: 63 / مفردات الراغب: 343 – تحقيق: محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – بيروت – لبنان.

3) شريف الجرجاني : التعريفات : 160 مكتبة لبنان – بيروت ط: 1978م.

4) نفسه : 161.

5) محمد علي التهانوي : كتاب كشاف اصطلاحات الفنون: 2/1 دار صادر. بيروت.

6) د. عبد الهادي الفضلي : أصول علم الرجال : 9 – دار النصر بيروت ط 1 1414هـ / 1994م.

7) أحمد بن علي الفيومي : كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : 2/47.

8) أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية : 62 – تحقيق : حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان: 1401هـ / 1981م.

وفي المقابسات للتوحيدي : إن المعرفة أخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية، في حين أن العلم أخص بالمعقولات، والمعاني الكلية.(9)

3 – الخبر عند المحدثين، وما يفيده من علم :

اشتهر عند المحدثين أن الخبر مرادف للحديث، وقيل : الحديث ما جاء عن النبيﷺ، والخبر ما جاء عن غيره، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة النبوية: «محدث» ولمن يشتغل بالتواريخ وما يتعلق بها: إخباري،(10) وقيل: بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر، وليس كل خبر حديثا، والتعبير – هنا – بالخبر أشمل، فهو باعتبار وصوله إلينا كما قال ابن حجر.(11)

والخبر قسمان : متواتر وآحاد، ويفيدان نوعين من العلم: ضروري مفيد بلا استدلال، لكثرة ناقليه، واستحالة تواطئهم على الكذب والخطأ، وهو المتواتر.

أما الثاني، فنظري مفيد لليقين لكن بالاستدلال، ويعرف بالعلم الظني، لاحتماله الصدق وغيره، لكن ترجح فيه جانب الصدق بالبرهان والدليل، بواسطة تعديل حملته وتزكيتهم، وهو خبر الآحاد، وهو مجال علم الرجال.(12)

ب – «**الرجال**» :

1 – **في اللغة** : يدل معظم باب مادة (ر، ج، ل) على العضو الذي يمشي به الماشي من أصل الفخذ إلى القدم، وهي الرجل – بكسر الراء – وتجمع

---

9) أبو حيان التوحيدي : المقابسات : 272 طبعة السندوبي القاهرة 1929.

10) ابن حجر العسقلاني : شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر : 3 – دار الطباعة المحمدية بالأزهر – القاهرة.

11) نفسه : 3 – 4.

12) نفسه : 4 – وانظر في اختلاف العلماء في خبر الواحد العدل، هل يوجب العلم والعمل جميعا، أم يوجب العمل دون العلم: التمهيد لابن عبد البر: 1/2 – 3, 7 – 8.

على أرجل، ثم تشذ عن ذلك كلمات منها: «رجل» – بفتح الراء –(13) ويجمع على رجال، وجمع الجمع رجالات(14) وجع في القلة على رجلة – بفتح الراء – على وزن فعلة استغناء به عن أرجال.(15)

والرجل مختص بالذكر من الناس(16) قال تعالى: ﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾(17) واختلفوا متى يقال للذكر الآدمي رجل؟ إلى أقوال منها:

* إذا احتلم وشب،(18) وقال الأزهري : تقول : هذا رجل كامل، وهذا رجل أي فوق الغلام،(19) وفي التعريفات: الرجل هو ذكر من بني آدم جاوز حد الصغر بالبلوغ، فهو الغلام،(20) وكل رجل تكلم ومشى على رجلين فهو رجل.(21)

* ومنها : إذا بلغ خمسة أشبار فهو رجل.(22)

---

13) أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة 2/492 – 493 تحقيق: عبد السلام هارون – دار إحياء الكتب العربية القاهرة – ط 1: 1369هـ.

14) إسماعيل ابن حماد الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية: 4/1705 (مادة «رجل») تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت: لبنان ط (1404هـ / 1969م).

15) ابن سيدة المرسي : المخصص 1/37 دار الفكر – بيروت / لسان العرب: 11/266 (مادة: رجل دار صادر – بيروت 1375هـ / 1956م.

16) تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح): 4/1706 – الراغب الأصبهاني: المفردات: 189 / تاج العروس لمرتضى الزبيدي: 07 / 335.

17) الأنعام : الآية 9.

18) المخصص 1 / 37 – القاموس المحيط : 3 / 381 مادة رجل – مؤسسة فن الطباعة – مصر –.

19) الأزهري : تهذيب اللغة : 11 / 29 تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم الدار المصرية للتأليف والترجمة – مطابع سجل العرب – القاهرة.

20) التعريفات : 109.

21) تاج العروس : 7 / 335.

22) الكليات لأبي البقاء الكفوي : 180.

* ومنها : قد يقال له ذلك ساعة تمرط به أمه.(23)

والمرء : الرجل، فإن لم يكن بالألف واللام، فيقال له : امرؤ وامر آن، والجمع رجال من غير لفظه، والأنثى امرأة وتجمع على نساء ونسوة من غير لفظها.

والفرق بين الرجل والمرء، أن الأول يفيد القوة على الأعمال، ولهذا يقال في مدح الإنسان: إنه رجل، والمرء يفيد أنه أدب النفس، ولهذا يقال: المروءة أدب مخصوص.(24)

والرجل في كلام العرب من أهل اليمن، كثير الجماع.(25)

وقد يقال للمرأة : الرجلة، إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها، كما في الحديث: «لعن رسول اللهﷺ الرجلة من النساء»،(26) وقد يقال لها ذلك مقابل الرجل، قال الشاعر:

كـــل رجـــل ظـــل مـــغـــتـــبـــطـــا
غير جيران بـــــنـــــي جـــــبـــــلـــــة
خـــرقـــوا جـــيب فـــتـــاتـــهـــم
لم يـــبـــالـــوا حـــرمـــة الـــرجـــلـــة(27)

وحكى ابن الأعرابي أن أبا زيد الكلابي، قال في حديث له مع امرأته: فتهايج الرجلان، يعني نفسه وامرآته، كأنه آراد فتهايج الرجل والرجلة فغلب المذكر.(28)

---

23) المخصص : 1/37 – القاموس المحيط : 3 / 385.

24) الفروق اللغوية : 229.

25) تهذيب اللغة : 11 / 35 – مرتضى الزبيدي : تاج العروس : 7 / 335 منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان.

26) أبو داوود : السنن : 2 / 381 كتاب اللباس باب لباس النساء.

27) الصحاح : 4 / 1706 وفيه مزقوا بدل خرقوا – المخصص 1 / 37 – لسان العرب.

28) لسان العرب : 11 / 266 (مادة رجل).

وقد يكون الرجل صفة تعني الشدة والكمال، وقد وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها بأنها رجلة الرأي.(29)

2 – **في الاصطلاح** :

أ – في اصطلاح الفقهاء : يطلق الرجل عند الفقهاء على الذكر من بني آدم، بغض النظر عن سنه، أو قدرته على إتيان النساء ونحو ذلك، فيدخل فيه كل ذكر إنسي، حتى الصبي والخصي،(30) كما في آية المواريث، الواردة باسم الرجل والذكر.

قال تعالى : ﴿**يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾،(31) وقال: ﴿**وإن كان رجل يورث كلالة**﴾.(32)

ويحنث من قال : «والله لا أكلم رجلا لو كلم صبيا أو خصيا»،(33) وقال التهانوي: إن الرجل «في اصطلاح الفقهاء، يطلق على الذكر الذي بإزائه أنثى من أحد الثقلين»،(34) قال الله تعالى: ﴿**وإنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن**﴾.(35)

---

29) الصحاح : 4 / 1706 – لسان العرب : 11 / 266 (مادة رجل).

30) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون : 2 / 583 أبو البقاء : الكليات : 480.

31) النساء الآية 11.

32) النساء : الآية : 12.

33) أبو البقاء الكفوي : الكليات 480 – تحقيق : عدنان درويش / محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت ط 1: 1412هـ / 1992.

34) التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون : 2 / 583 – وقد أورد ابن حجر وغيره أسماء عدد من الجن الذين قيل إنهم صحابة. أنظر : الإصابة : (1 / 6–7) وغيرها.

35) الجن، الآية : 6.

ومن نفى إطلاق رجل على الجني قال : إن التعبير برجال من قبيل المشاكلة، التي هي التعبير، عن معنى بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته على حد :

قالو ا : اقترح شيئا نجد لك طبخه
قلت : اطبخوا لي جبة وقميصا.(36)

ب – **في اصطلاح المحدثين :**

يقصد بالرجال عند أهل الحديث، رواته ذكورا وإناثا، إما من باب التغليب، أو لقلة عدد الرواة من النساء بالقياس إلى عدد الرجال.

والنساء كالرجال في الرواية، يقول ابن عبد البر : «إن خبر الواحد النساء فيه والرجال سواء، وإنما المراعاة في ذلك، الحفظ، والاتقان، والصلاح، وهذا لا خلاف فيه بين أهل الاثر».(37)

بل إن الراويات من النساء مستورات أو ثقات، يقول الذهبي: «ما علمت في النساء من اتهمت ولا من تركوها».(38)

وقد عرف المتأخرون علم الرجال بمثل قول بعضهم : «هو علم يقوم على ما به تعرف أحوال رواة الحديث من حيث كونهم رواة للحديث»،(39) والراوي عند المحدثين: ناقل الحديث بالإسناد.(40)

ويعبر أهل الحديث عن هذا العلم، تارة «بعلم الرجال»، وأخرى «بمعرفة الرجال» والظاهر أن علم الرجال عام، تندرج تحته كل الأنواع

---

36) أنظر حاشية «أبو عشرين» على البناني على السلم : 1 / 84 – 85 ط 1 – المطبعة الجديدة بطالعة فاس – المغرب.

37) التمهيد : 1 / 319.

38) ميزان الاعتدال : 4 / 605.

39) د. محمد أديب صالح : لمحات في أصول الحديث : – المكتب الإسلامي – دمشق ط : 2 : 1393هـ.

40) كشاف اصطلاحات الفنون : 1/27.

المتعلقة بالرجال – كما سيأتي – في حين تدل «معرفة الرجال» على زبدة هذا العلم، وشطره الثاني، المتمثل أساسا في الجرح والتعديل، ويستأنس لهذا بما سبقت الإشارة إليه، من فرق لغوي دقيق، بين العلم والمعرفة، وبما ألف من مؤلفات في علم الرجال، حرص أصحابها على أن تحمل عبارة معرفة الرجال، كبعض مؤلفات ابن معين وابن المديني وابن حنبل وغيرهم، في مقابل كتب تواريخ المحدثين وأسمائهم.

يقول ابن الصلاح عند كلامه على معرفة آداب طالب الحديث: وليقدم العناية بالصحيحين (...) ومن كتب معرفة الرجال، وتواريخ المحدثين، ومن أفضلها تاريخ البخاري الكبير، وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم.(41)

ثانيا : ضبط مفهوم علم الرجال، وتحديد مكانته بين علوم الحديث :

أ – **ضبط المصطلح** : يعرض هذا البحث – هنا – لمجموعة من العناوين المتقاربة، المرتبطة أساسا بعلم الرجال، الدالة عليه، كما وردت في بعض الكتب المتخصصة، في التعريف بالعلوم الإسلامية وتصانيفها.

1 – «علم أسماء الرجال» يعني رجال الأحاديث.(42)

2 – «علم رجال الأحاديث» قال فيه سبط ابن شامة العلامة في وصف علم التاريخ وذم من عابه وشانه: وقد ألف العلماء في ذلك تصانيف كثيرة، لكن قد اقتصر كثير منهم على ذكر الحوادث من غير تعرض لذكر الوفيات (...).

---

41) مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح : 432 – 333 تحقيق : الدكتورة عائشة عبد الرحمان (بنت الشاطئ: ط2: دار المعارف مصر الجديد ط 2: 1409هـ – 1989م.

42) حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : 1 / 87 – مكتبة المثنى بغداد طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة استانبول: 1941 / صديق بن حسن القنوجي: أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: 2/ 61 دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

ومنهم من كتب في الوفيات مجردا عن الحوادث (...) وهذا وإن كان أهم النوعين، فالفائدة إنما تتم بالجمع بين الفنين، وقد جمع بينهما جماعة من الحفاظ.(43)

3 – «علم رواة الحديث» هو «علم أسماء الرجال» (...) وهذا العلم من فروع التواريخ من وجه، لأنه يبحث عن وفياتهم وأوطانهم وتعديلهم وجرحهم وغير ذلك،(44) ويسمى كذلك «علم أحوال رواة الأحاديث».(45)

4 – «علم طبقات المحدثين» من فروع التواريخ أيضا.(46)

5 – «علم الجرح والتعديل، هو علم يبحث فيه، عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة. وهذا العلم حسب تعبير حاجي خليفة: من فروع علم رجال الأحاديث ولم يذكره أحد من أصحاب الموضوعات مع أنه فرع عظيم».(47)

إن هذه العناوين – كما هو واضح – تدور حول علم واحد هو «علم الرجال» «فعلم أسماء الرجال» هو «علم رجال الأحاديث» و«علم الجرح والتعديل» من فروعه وهو أيضا «علم رواة الحديث» وهو من فروع علم التواريخ ومثله «علم طبقات المحدثين».

ومفهوم التاريخ عند المحدثين، وثيق الصلة بعلم الرجال.

يقول السخاوي في سياق تعريفه بالتاريخ – الذي هو فن من فنون الحديث النبوي: «وفي الاصطلاح: التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة، وصحة وعقل وبدن، ورحلة وحج وحفظ

---

43) أبجد العلوم : 2/297.

44) نفسه : 2/306.

45) أحمد ابن مصطفى الشهير بطاش كبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: 2/344 – دار الكتب العملية – بيروت لبنان.

46) أبجد العلوم 2 / 363 / مفتاح السعادة : 1 / 261.

47) كشف الظنون : 1 / 582.

وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا، مما مرجعه الفحص عن أحوالهم، في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة».(48)

بل لعل هذا التعريف أقرب إلى علم الرجال منه إلى علم التاريخ، وقد لاحظ ابن الصلاح قبل عصر السخاوي بأكثر من قرنين، أن تواريخ المحدثين مشتملة على ذكر الوفيات، ولذلك ونحوه سميت تواريخ، وأما ما فيها من الجرح والتعديل ونحوهما، فلا يناسب هذا الاسم والله أعلم».(49)

ب – مكانة علم الرجال بين علوم الحديث :

يشتمل علم الحديث على أنواع كثيرة، قال عنها الحازمي في كتاب «العجالة» إنها تبلغ مائة، كل نوع منها علم مستقل، لو أنفق الطالب فيه عمره لما أدرك نهايته».(50)

واختصر علي بن المديني الأمر فقال: التفقه في علم الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم يعني علم الحديث.(51)

وقال ابن حزم الظاهري: إن علم الحديث ينقسم إلى معرفة متونه ومعرفة رواته،(52) ذلك أن الحديث سند ومتن، فالسند هو الطريق الموصل إلى المتن، المؤكد لصحة فحواه، ويعنى بالراوي أما المتن فهو ما انتهى إليه

48) شمس الدين محمد السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ: 7 دار الكتاب العربي – بيروت طبعة مصورة عن نسخة أحمد باشا تيمور – عن نشره القدسي. 1399 – 1979.

49) مقدمة ابن الصلاح : 644.

50) ابن حجر العسقلاني : النكث على الكتاب ابن الصلاح: 38 – تحقيق : مسعود عبد الحميد السعدني / محمد فارس – دار الكتب العلمية بيروت ط: 1 – 1414هـ – 1994م.

51) أنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج المزي: 1 / 166 – تحقيق د. بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة – ط: 1403هـ – 1983م.

52) رسائل ابن حزم : 4 / 78 – 79 : تحقيق : د. احسان عباس – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ط 1: 1401هـ – 1980م.

السند من الكلام، وهي ألفاظ الحديث التي تتقوى بها المعاني، ويعنى بالمروي.(53)

ولتوضيح مكانة علم الرجال بين علوم الحديث، عمد هذا البحث إلى تتبع عدة نماذج من تقسيمات هذه العلوم أو الأنواع على الأصح، من قبل عدد من المؤلفين في الموضوع قديما وحديثا.

إن من بين خمسة وستين نوعا من علوم الحديث في مقدمة ابن الصلاح، يوجد نحو النصف منها، يتعلق بعلم الرجال بشكل محرر، دون غيرها من الأنواع المشتركة بين الأسانيد والمتون.

وفيما يلي هذه الأنواع التي من شأن عرضها، إبراز مجالات علم الرجال: معرفة الصحابة / معرفة التابعين / معرفة الأكابر والرواة عن الأصاغر / صفة من تقبل روايته ومن ترد روايته / المدبج وما عداه من رواة الأقران بعضهم عن بعض / معرفة الإخوة والأخوات من العلماء والرواة / معرفة رواية الأباء عن الأبناء / معرفة رواية الأبناء عن الأباء / معرفة من اشترك في الرواية عنه راويان متقدم ومتأخر / معرفة المفردات والأحاد من الأسماء والألقاب والكنى / معرفة الأسماء والكنى / معرفة كنى المعروفين بالأسماء والأنساب / معرفة المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب / معرفة المنسوبين إلى غير آبائهم / النسب التي على خلاف ظاهرها / المبهمات / تواريخ الرواة / الثقات والضعفاء / من خلط في آخر عمره من الثقات / طبقات الرواة والعلماء / معرفة أوطان الرواة وبلدانهم».

إنها ثمانية وعشرون نوعا من أصل خمسة وستين، وهو رقم قابل للزيادة: كما قال ابن الصلاح: «وليس بآخر الممكن في ذلك، فإنه قابل

53) أنظر : قواعد في علوم الحديث لظفر أحمد العثماني التهانوي: 26 تح: عبد الفتاح أبو غدة دار السلام – بيروت ط6: القاهرة: 1417هـ – 1996.

للتنويع إلى مالا يحصى، إذ لا تنحصر أحوال الرواة وصفاتهم وأحوال متون الحديث وصفاتها».(54)

وقد فاته ذكر أنواع أخرى استدركت عليه منها فيما يتعلق بالرجال:

معرفة اتباع التابعين / رواية الصحابة بعضهم عن بعض / ما رواه الصحابة عن التابعين عن الصحابة / معرفة من وافقت كنيته اسم أبيه وعكسه / معرفة من وافقته كنية زوجه / معرفة من وافق اسم شيخه اسم أبيه / معرفة من اتفق اسمه واسم أبيه وجده / معرفة من اتفق اسمه واسم شيخه وشيخ شيخه / معرفة من اتفق اسمه وكنيته / معرفة من وافق اسمه نسبه / معرفة الأسماء التي يشترك فيها الرجال والنساء / معرفة من لم يرو إلا حديثا واحدا / معرفة من آسند عنه من الصحابة الذين ماتوا في حياة النبيﷺ / معرفة الحفاظ وذكر جماعة من الأمصار لهم حفظ وفقه وبيان ما اختص به كل منهم من ناحية العلم.(55)

لكن هذا التنويع، لم يرض بعض العلماء كابن كثير، الذي قال عن تقسيم ابن الصلاح: «هذا تنويع الشيخ أبي عمرو وترتيبه رحمه الله (...) وفي هذا كله نظر، بل في بسطه هذه الأنواع إلى هذا العدد نظر، إذ يمكن إدماج بعضها في بعض وكان اليق مما ذكره».(56)

وعلى الرغم من وجاهة هذا الرأي، فإن ابن كثير ظل حبيس تقسيم ابن الصلاح لم يستطع تجاوزه، ولا إدماج بعض الأنواع في بعض كما رأى.

---

54) مقدمة ابن الصلاح : 150.

55) محاسن الاصطلاح : 150 – النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر : 38 تدريب الرواي في شرح النووي لجلال الدين السيوطي (في أنواع كثيرة) دار إحياء السنة النبوية ط2: 1399هـ – 1979م بيروت لبنان.

56) أجمد محمد شاكر : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير: 20 دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ط: 1370 – 1951م.

ولا شك أن تقليص عدد أنواع علوم الحديث، ممكن بإدماج بعضها في بعض، حسب المحور الذي تدور حوله، وهو اتجاه له ما يعضده من شواهد الماضي والحاضر، من ذلك ما ذهب إليه الحافظ أبو شامة (ت665هـ) من أن علوم الحديث في عصره ثلاثة، بغض النظر عن رأيه في أولى هذه العلوم بالاهتمام.

أشرفها حفظ متونه ومعرفة غريبها وفقهها، والثاني: حفظ أسانيده ومعرفة رجالها وتمييز صحيحها من سقيمها، والثالث: جمعه وكتابته وتطريقه وطلب العلو فيه والرحلة إلى البلدان.(57)

ومن ذلك تقسيم أبي الفيض الفارسي (ت873هـ) علوم الحديث إلى أربعة أقسام: المتن أقسامه وأنواعه / السند / تحمل الحديث وطرق نقله وضبطه وما يتعلق به / أسماء الرجال وطبقات العلماء، وما يتصل بذلك، وهو أكبر الأقسام الأربعة، وأكثرها أنواعا.(58)

ومن التقسيمات المعاصرة تقسيم الدكتور نور الدين عتر في كتابه: «منهج النقد في علوم الحديث» الذي يقول الدكتور أبو شهبة في تقريظه: «إن المؤلف الفاضل قد ابتكر في تقسيم وتنويع» علوم الحديث «أو» أصول الحديث «فصاغه صياغة جديدة، في نظرية علمية كاملة، تبرز كمال هذا العلم ودقته، وتجعل الأنواع المتعلقة بكل جانب من الحديث مجتمعة في باب خاص، فجعل ما يتعلق بالمتن من أنواع علوم الحديث، أو قواعد الحديث على حدة، وما يتعلق بالأسانيد على حدة، وما يجمع بين الأسانيد والمتون على حدة».(59)

---

57) ابن حجر : النكث : 35 – 36. – السيوطي : تدريب الراوي 1 / 44.

58) أبو الفيض محمد بن علي الفارسي جواهر الأصول في علم حديث الرسول: تحقيق صلاح محمد محمد عويضة ط 1 دار الكتب العلمية بيروت لبنان 1413 – 1992.

59) د. نور الدين عتر : منهج النقد في علوم الحديث : 7 – 8 – دار الفكر – دمشق سورية ط3: 1412هـ 1992م.

وهذه النتيجة، هي عين ما توصل إليه الدكتور إبراهيم بن الصديق، الذي ارجع أنواع علوم الحديث، إلى ثلاثة علوم أصول هي:

علم المروي أو المتون، علم الراوي أو الرجال، علم الرواية والأسانيد،(60) دون أن يتعارض ذلك مع التوسع، في أي نوع من الأنواع الداخلة تحت هذه الأقسام، مع العلم أن المصنفات المستقلة القائمة الذات في هذا المجال، أكثر من أن تحصى في مثل هذا الموجز.

على ضوء ما تقدم وغيره، يمكن القول بأن علم الرجال تدخل تحته عدة فروع أو أنواع، ترجع في مجملها إلى فرعين اثنين هما:

1 – أسماء الرجال أو تواريخهم وأسماؤهم وما يتعلق بذلك.(61)

2 – الجرح والتعديل أو «ميزان الرجال» وما يتصل بذلك.

ثالثا : نشأة علم الرجال وتطوره.

إلى الصحابة رضي الله عنهم، يرجع الفضل في الحفاظ على الحديث النبوي، ونقله إلى من بعدهم، وهم جميعا عدول بنصوص الكتاب والسنة، وإجماع من يعتد به الإجماع من الأمة.(62)

وقد تصدى العلماء – بكل صرامة – لكل من حاول غمز أو قدح أصحاب رسول الله ﷺ، معتبرين التنقيص من أحدهم مروقا وزندقة، الغاية منها الطعن في الكتاب والسنة.(63)

---

60) د. إبراهيم بن الصديق: علم علل الحديث من خلال كتاب بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام لابن القطان: 36/1 – طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب – مطبعة فضالة: 1415هـ – 1995م.

61) أنظر : دائرة المعارف الإسلامية : 335/7 ترجمة مجموعة من الأساتذة مراجعة وزارة المعارف العمومية / أصول الحديث وعلومه ومصطلحه: الدكتور محمد عجاج الخطيب: 253 دار الفكر ط2 – 1391هـ – 1971م.

62) مقدمة ابن الصلاح : 490 – 491.

63) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي : كتاب الكفاية في علم الرواية : 93 وما بعدها =

وزعم بعض المستشرقين أن الثقة ببعض الصحابة، لم تكن من الأمور المسلمة لدى الجميع في أول الأمر، ولهذا نجد حسب ادعائهم – أن الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس.(64)

وسار على هذا المذهب بعض الكتاب الإسلاميين بشكل أكثر جرأة على السنة والصحابة، كأحمد أمين في ضحى الإسلام،(65) وأبي رية في «أضواء على السنة(66) المحمدية»(67) وغيرهما.

نعم، لقد هال الناس كثرة ما يرويه أبو هريرة، عن النبيﷺ، لكنهم لم يكذبوه أو يطعنوا في روايته، وقد بين أبو هريرة نفسه سبب إكثاره فقال:(68)

«يقولون : إن أبا هريرة قد أكثر، والله الموعد، ويقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يتحدثون مثل أحاديثه وسأخبركم عن ذلك:

إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أرضهم، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول اللهﷺ، على

= (تحقيق : عبد الحليم محمد عبد الحليم / عبد الرحمان حسن محمود – مطبعة السعادة – مصر ط: 1: 1972. ويفضل بعض الباحثين المعاصرين، التنزه عن مناقشة المستشرقين والخوارج، والشيعة في مواقفهم من الصحابة، الا في أضيق نطاق (أنظر: علم الرجال نشأته وتطوره للدكتور محمد بن مطر الزهراني: 11/12 دار الهجرة للنشر والتوزيع – الرياض السعودية. ط1: 1417هـ – 1996م.

64) أنظر دائرة المعارف الإسلامية 7 / 335 – 336.

65) أنظر ضحى الإسلام. لأحمد أمين 2/123 – 133 – دار الفكر – بيروت الطبعة: 8: 1974م.

66) وانظر : «أبو هريرة» ل : ع. الجسين شرف الدين مطبعة البيان نشر الملتقى. ط:4 (1999م).

67) أنظر أضواء على السنة المحمدية أو دفاع عن الحديث لمحمود أبورية – القاهرة مطبعة دار التأليف، 1377هـ

68) صحيح مسلم 1/1940 (44) كتاب فضائل الصحابة (35) باب فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه ح 158 / وانظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 116.

ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، ولقد قال الرسولﷺ يوما: «أيكم يبسط ثوبه، فيأخذ من حديثي هذا، ثم يجمعه إلى صدره، فإنه لم ينس شيئا سمعه» فبسطت بردة علي حتى فرغ من حديثه، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثني به، ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا أبدا ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى**﴾،(69) إلى آخر الآيتين.

وعلى الرغم من تنزيه الصحابة، عن الكذب عن رسول اللهﷺ، وأنهم لم يكونوا يكذب بعضهم بعضا، كما قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «ما كل ما نحدثكم به عن رسول الله سمعناه منه، ولكن كان يحدث بعضنا بعضا، ولا يتهم بعضنا بعضا»(70) – فإنهم مع ذلك كانوا يسألون بعضهم عن رواياتهم إذا اقتضى الأمر ذلك، ويطلبون من الراوي الدليل على الحديث الذي يرويه عن رسول اللهﷺ، لا اتهاما لهم، ولكن تحريا وتثبتا، كما قال عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري في حديث الاستئذان(71) وبعد أن شهد له أبو سعيد الخدري:

«أما إني لم أتهمك، ولكني أردت ألا يتجرأ الناس على الحديث عن رسول اللهﷺ».(72)

وقبل عمر احتاط أبو بكر في رواية الحديث، كما جاء في حديث إرث الجدة، عندما قال له المغيرة بن شعبة: سمعت رسول اللهﷺ، يعطيها السدس، فقال أبو بكر : سمع ذلك معك أحد؟ فقام محمد بن

---

69) البقرة : الآية : 159 – 160.

70) تاريخ رواة الحديث : لأبي بكر أحمد بن زهير بن أبي خيثمة : الورقة 50 ظ مخطوط خزانة القرويين بفاس السفر الثالث رقم التسجيل 244.

71) الموطأ : 2/964 ك الاستئذان ب 1 ح 3 – رواية يحيى بن يحيى الليثي تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية القاهرة.

72) صحيح مسلم : 3 / 1694 (38) كتاب الآدب (7) باب الاستئذان ح 33 – 37.

مسلمة فقال: سمعت رسول اللهﷺ يعطيها السدس، فأنفذ ذلك لها أبو بكر».(73)

وبعد عمر، وأبي بكر، كان علي ابن أبي طالب إذا فاته عن رسول اللهﷺ حديث، ثم سمعه من غيره يحلف المحدث الذي يحدث به».(74)

وعندما اندلعت الفتنة في المجتمع الإسلامي، عقب استشهاد الخليفة الراشد الثالث عثمان ابن عفان، وما نتج عن ذلك من تحزبات، وجدت فئة من الناس، لم تتورع عن ركوب كل السبل لدعم موقفها السياسي أو المذهبي، مع هذه الجهة أو تلك، مما تنبه له العلماء، فبدأ الاحتياط في قبول الحديث.

روى مسلم في صحيحه عن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول اللهﷺ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه فقال: يا ابن عباس، مالي أراك لا تسمع لحديثي، أحدثك عن رسول اللهﷺ ولا تسمع، فقال ابن عباس: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول اللهﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس الا ما نعرف».(75)

وروى ابن عبد البر القصة بشكل آخر، وفي آخرها: «فقال له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول اللهﷺ، إذ لم يكن يكذب عليه، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه».(76)

---

73) الموطأ : 2/513 ك 27 ب 8 ح 4، وانظر : معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: 52 – منشورات المكتب التجاري – بيروت – لبنان.

74) أحمد ابن محمد ابن حنبل : المسند 1/21 – 22 مسند أبي بكر الصديق ح 2 (تحقيق: أحمد محمد شاكر: مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة: 1410هـ / 1990 / تاريخ ابن أبي خيثمة الورقة 50.

75) صحيح مسلم :1/13 المقدمة (4) باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها.

76) التمهيد : 1 / 43 – 44.

ثم عقب ابن عبد البر على ذلك بقوله: «وفي هذا الحديث دليل على أن الكذب على النبيﷺ، قد كان أحس به ابن عباس في عصره».(77)

وقد نسب الروافض إلى علي كرم الله وجهه أمورا لا تصح عنه، وأحدثوا بعده أشياء باطلة «حتى قال رجل من أصحاب علي: قاتلهم الله أي علم أفسدوا»،(78) ووصل الأمر بالمختار الثقفي إلى درجة أن يعطي الرجل الألف دينار، والألفين، على أن يروي له في تقوية أمره حديثا.(79)

أمام هذا الخطر الذي بات يحدق بالحديث النبوي، من قبل جهات مختلفة، كان لابد من وضع حد لعبث العابثين، وتفنيد أكاذيب الوضاعيين، وعن ذلك يقول ابن سيرين بصريح العبارة: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا سموا لنا رجالكم، فينظر أهل السنة، فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم».(80)

وكلام ابن سيرين - هذا واضح أنه يتعلق بالفترة التي تلت تلك المواجهة، بين طائفتين عظيمتين من المسلمين، عقب استشهاد عثمان رضي الله عنه، والتي إذا أطلقت الفتنة لم يقصد غيرها.(81)

وذهب بعض المستشرقين إلى أن المسلمين، لم يهتموا بالإسناد لحفظ الحديث إلا في زمن متأخر، عن عصر النبيﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، يقول مؤلفو «معجم العالم الإسلامي»: «لم يراع في جمع الحديث أول الأمر

---

77) نفسه : 1 / 44.

78) صحيح مسلم : 14/1 المقدمة (4) باب النهي عن الرواية عن الضعفاء إلخ.

79) ابن رجب الحنبلي : شرح علل الترميذي : 356/1 تحقيق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد مكتبة المنار الزرقاء الأردن ط 1: 1407هـ / 1987م.

80) صحيح مسلم : 15/1 المقدمة (5) باب بيان أن الإسناد من الدين إلخ.

81) أنظر : قواعد في علوم الحديث للتهانوي : 128 (تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة - دار السلام - بيروت: ط 6 في القاهرة: 1417هـ / 1996م.

الاهتمام بأشخاص الذين ينقل عنهم الحديث، بل ثمة أحاديث رويت دون إسناد إطلاقا، ولكن مع بداية القرن الثامن الميلادي، وضعت القواعد التي تضبط الأحاديث متنا وإسنادا، وفي الوقت ذاته وضعت معايير يدرس من خلالها أشخاص من يتعلق بهم الإسناد، وقد نتج عن ذلك فن أدبي غزير يعنى بالتعريف بأشخاص الرواة للحديث...».(82)

وحدد يوسف هورفتس زمن نشأة الإسناد في الثلث الأخير من القرن الهجري الأول، وأنه تأسس في جيل ابن شهاب الزهري،(83) وقريب من ذلك ما ذهب إليه، روبنسون الذي قال: إن المقصود بالفتنة في كلام ابن سيرين، ما كان من اقتتال بين عبد الله بن الزبير، وبين الأمويين مستندا في ذلك إلى إطلاق الإمام مالك، كلمة الفتنة على حركة ابن الزبير، في الحديث التالي:(84)

«مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر، أنه قال حين خرج إلى مكة معتمرا في الفتنة: إن صددت عن البيت، صنعنا كما صنعنا مع رسول اللهﷺ، أهل بعمرة عام الحديبية».(85)

---

82) كلوس كريزر – فار برديم – هانس جورج مالر : معجم العالم الإسلامي 239 – 240 ترجمة: د. ح كتورة – المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت: 1411هـ / 1991م.

83) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي : 6/2 ترجمة : محمود فهمي حجازي طبعة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية. الرياض السعودية: 1403هـ / 1983م.

84) د. سياسي سالم الحاج : الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية: 591/2 – منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي: ط 1: 1991م.

85) الموطأ : 1 / 360 – ك 20 ب 31 ح 98 – تكرر ذكر الفتنة مرة أخرى في الموطأ : 885/2 ك 45 ب 2 ح 3: عن مالك عن قطن بن وهب بن عمير بن الأجدع، أن يحنس مولى الزبير بن العوام، أخبره أنه كان جالسا عند عبد الله بن عمر في الفتنة فأتته مولاة له تسلم عليه» إلخ. قال الزرقاني في شرحه على الموطأ: 220/4: أي في الفتنة التي وقعت زمن يزيد بن معاوية.

ويضيف روبنسون، قائلا بأن هذا التفسير، يتناسب مع سن ابن سيرين المولود عام (33هـ)، مما يجعله عند حدوث فتنة ابن الزبير في حدود سنة (72هـ) بسن تمكنه من الكلام بوعي ومعرفة. لما يحدث في هذه الفترة.(86)

وأنكر «شاخت» أن يكون الإسناد قد بدأ قبل القرن الهجري الثاني، رافضا قبول نسبة قول ابن سيرين إليه: معتبرا ذلك موضوعا عليه، مستدلا بكون ابن سيرين، توفي عام (110هـ)، بينما هاجت الفتنة سنة (126هـ)، يريد فتنة مقتل الوليد بن يزيد الأموي.(87)

وخلاصة القول: إن غاية هؤلاء وأضرابهم من هذا التأخير، الوصول إلى أن الإسناد، لم يظهر إلا بعد زمن غير يسير من وفاة الرسولﷺ، وأن المحدثين اختلقوا، معظم الأسانيد الموجودة، في كتب السنة، في القرنين الثاني والثالث، كما صرح بذلك غير واحد منهم، مثل «جولدزيهر» و«كايتاني» وغيرهما.(88)

ودون التوغل في عرض تفاصيل هذه المواقف المغرضة، التي تصدى لها عدد من العلماء والباحثين بما يلزم من النقد، تجدر الإشارة إلى أن الاهتمام بالرجال، ازداد بعد استشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه للأسباب المشار إليها من قبل وما في معناها، الشيء الذي كان لابد معه، أن يعنى العلماء بالإسناد، وأن يهتموا بالرجال.(89)

86) الظاهرة الاستشراقية : 2/593.

87) نفسه : 2/590.

88) نفسه : 2 / 598 – 591.

89) اعتنى المسلمون بالإسناد منذ وقت مبكر، عناية لا نظير لها في ملة من الملل، معتبرين ذلك من الدين مرددين مثل قول ابن سيرين: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم» وقول ابن المبارك: «الإسناد من الدين ولو لا الإسناد لقال من شاء ما شاء» صحيح مسلم: 1/14 المقدمة (5) باب بيان أن الإسناد من الدين.=

والفتنة في كلام ابن سيرين، لا تعني غير هذا، لأن قول التابعي: كانوا يفعلون كذا، وكانوا يفعلون كذا، ولا يرون بذلك بأسا – ومثله كلام ابن سيرين هنا – الظاهر إضافته إلى الصحابة إلا أن يقوم دليل على غير ذلك.(90)

هكذا اتجهت همة العلماء – من كبار التابعين وأتباعهم ومن سار على منوالهم – إلى علم الحديث، متصدين لمختلف الروايات بالنقد والتمحيص، متتبعين كل واحد من رجال الأسانيد، بما يلزم من التجرد والضبط قبل أن يقبلوا روايته أو يردوها.

وكان القرن الثالث الهجري، العصر الذهبي لخدمة الحديث النبوي، وفيه تم استقرار الأسانيد بظهور الكتب الستة واستمر الاهتمام بالأسانيد، لم ينقطع في عصر من العصور إلى اليوم.(91)

= وتحدث أبو محمد بن حزم عن فضل الإسناد، فبين أنه مما خص الله به الأمة الإسلامية دون سائر الملل، وذلك مع الاتصال ...إلخ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: 82/2 – 84 – مطبعة صبيح وأولاده – القاهرة – د. ت.

90) أنظر : قواعد في علوم الحديث للتهانوي : 28.

91) د. كمال الدين عبد الغني المرسي شرابي : أسانيد الحديث النبوي في ضوء نظم المعلومات المعاصرة : 36/1 – 41 دار المعرفة الجامعية: 1995.

الباب الأول

علم الرجال بالغرب الإسلامي

تمهيد :

يبدو أن الحديث عن علم الرجال بالغرب الإسلامي، يقتضي التوطئة له بأمرين هما :

1 – تحديد مفهوم «الغرب الإسلامي» وذلك لما لتحديد المصطلح من أهمية كبرى، في ضبط مجال البحث.

2 – رصد مسيرة الفتح الإسلامي للأقطار المغربية، وكيف انتشر الإسلام واللغة العربية فيها.

أولا : مصطلح «الغرب الإسلامي» :

مر مدلول «الغرب» أو «المغرب» بالنسبة للعالم الإسلامي – عبر تاريخه الطويل – بعدة استعمالات، تضيق حينا وتتسع أحيانا.

كان في بداية الإسلام يطلق، فيراد به كل ما كان غرب المدينة النبوية، وبذلك فسرت لفظة، «الغرب» أو «المغرب»، في بعض الأحاديث النبوية، كقولهﷺ: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».(1)

قال أحمد ابن حنبل : أهل الغرب أهل الشام».(2)

وبالمقابل كان يطلق «الشرق» أو «المشرق»، فيقصد به كل ما كان شرق المدينة النبوية، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر قال: قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال النبيﷺ: «إن من البيان لسحرا».(3)

قال ابن تيمية : إن هذه لغة أهل المدينة في ذاك الزمان، كانوا يسمون أهل نجد والعراق، أهل المشرق، ويسمون أهل الشام، أهل المغرب، لأن

---

1) صحيح مسلم : 3/1525 (33) كتاب الامارة (53) باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» ح 177 (المسلسل: 1925).

2) أحمد بن تيمية : فتاوي ابن تيمية: 27/41 طبعة مكتبة المعارف – الرباط المغرب.

3) صحيح البخاري : 7/178 (76) كتاب الطب (51) باب من البيان سحرا.

التغريب والتشريق، من الأمور النسبية، فكل مكان له غرب وشرق، والنبيﷺ، تكلم بذلك في المدينة النبوية، فما تغرب عنها فهو غربه، وما تشرق عنها فهو شرقه.(4)

وكانوا يقولون عن الأوزاعي : إنه أمام أهل المغرب – قبل الإمام مالك – ويقولون عن سفيان الثوري ونحوه: إنه أمام أهل المشرق.(5)

وفي اختلاف المشرق والمغرب، بحسب الموقع، الذي يكون فيه المتحدث يقول قدامة بن جعفر:

«إذا قيل الشرق أو الغرب، أو الشمال أو الجنوب، كانت هذه الأسماء جميعا، تقال بالإضافة إلى شيء بعينه، فإن مصر مثلا ونحن نعدها من أعمال المغرب، مشرق لمن هو في بلاد الأندلس، وكذا خراسان مشرق لنا، ومغرب لأهل الصين، وكذلك سائر النواحي، لابد لها من قصبة يشار منها إلى نواحيها»،(6) وهذا أمر واقع حتى داخل بلاد الغرب نفسها، إذ نجد بعض المؤرخين المغاربة والأندلسيين يعدون القيروان من المشرق، ففي حين يقول مشرقي كابن القاسم: «إن يكن أحد سعد بهذه الكتب فسحنون المغربي»،(7) وحين يقول قيرواني كأحمد بن المسمى في رثاء عيسى بن مسكين:

الآن مات بأرض المغرب الأدب

وأصبح مقرونا به العطب(8)

---

4) فتاوي ابن تيمية : 27/41 – 42.

5) نفسه 4/446.

6) قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة : 159 تح: د. محمد حسين الزبيدي: ط بغداد سنة 1981م.

7) عبد الله بن محمد المالكي : كتاب رياض النفوس 1/351 تحقيق : بشير البكوش دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان: 1401هـ = 1981م.

8) القاضي عياض : ترتيب المدارك : 4/351 – طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب – مطبعة فضالة – المغرب: 1390 = 1970م.

نجد أندلسيا كابن الفرضي يقول عن محمد بن وضاح الصدفي: «ورحل إلى المشرق، فروى بالقيروان تفسير القرآن ليحيى بن سلام،(9) كما نجد أندلسيا آخر هو ابن بشكوال يقول في ترجمة مروان بن علي الأسدي القطان: «ورحل إلى المشرق وأخذ عن أبي الحسن القابسي...»(10) كما يقول في ترجمة صاحبنا أبي عبد الله بن الحذاء: إنه رحل إلى المشرق فحج» و... «ولقي بالقيروان أبا محمد بن أبي زيد الفقيه».(11)

كما نجد مغربيا هو القاضي عياض، يقول في ترجمة عامر بن معاوية ابن لودان: «روى عن عبد الملك بن حبيب وغيره ثم رحل إلى المشرق فسمع من سحنون...».(12)

وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل، تركتها مخافة التطويل، وكان في الإمكان اقتصار هذا البحث – اعتمادا على مؤرخي تلك العهود – على الغرب بالمعنى المذكور، دون إدخال القيروان وما وراءها من جهة الشرق، لولا أن مدلول الغرب أو المغرب أوسع من ذلك، لأنه إذا اعتبرت الشام غربا، فمن باب أولى اعتبار كل ما يغرب عنها كذلك، لأنها أصل المغرب، وهم فتحوا سائر المغرب كمصر والقيروان والأندلس وغير ذلك.(13)

---

9) أبو الوليد عبد الله ابن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: 32/2 تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني – مكتبة الخانجي – مطبعة المدني القاهرة مصر ط 2: 1408 – 1988م.

10) أبو القاسم ابن بشكوال : الصلة : 616/2 ع 1349 طبعة تراثنا – المكتبة الأندلسية (4) الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

11) نفسه : 506/2.

12) ترتيب المدارك : 449/4.

13) انظر فتاوي ابن تيمية : 532/28 – وقد أطلق الدكتور محمود إسماعيل: «المغرب الإسلامي في كتابه: الخوارج في المغرب الإسلامي، ثم بين المقصود به وهي أقطاره: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، واستعمل الدكتور محمد يسف مصطلح» الغرب الإسلامي «بالمعنى المذكور قبله وفي ذلك يقول: وقفت في هذا البحث الذي جعلت الغرب الإسلامي بمعناه العام ومدلوله الشامل لأجزائه وأقطاره وأمصاره أفقا له ومجالا: «المصنفات المغربية في السيرة النبوية ومصنفوها» 10/1.

وقد قسم العباسيون مملكتهم إلى شطرين :

أ – المغرب ويشمل الشام وإفريقية وما يليها غربا.

ب – المشرق ويشمل بلاد فارس وما يليها شرقا.

وعهد المهدي لولده الرشيد، بولاية المغرب كله من الأنبار إلى إفريقية، كما عهد هارون بعد ذلك إلى ولديه الأمين والمأمون، وفق نفس التقسيم حيث أصبحت هناك جهتان: شرقية وغربية، انطلاقا من عاصمة العباسيين بغداد(14) ودون الدخول فيما دار حول مصطلح «الغرب» أو «المغرب» من اختلاف بين الجغرافيين والمؤرخين، لأنه ليس من هدف هذا البحث، فإن المقصود بلفظ المغرب في عرف أهله كما قال الناصري: هو تلك الناحية من الأرض الممتدة من أقصى حدود ليبيا شرقا إلى سواحل المغرب الأقصى غربا ويدخل فيها الأندلس وحتى صقيلة، وكل ما كان شرق هذا المغرب الكبير، فهو مشرق إلى أعماق آسيا».(15) ويبدأ الشرق من برقة وما خلفها.

وشاع في العصر الحديث، استعمال مصطلح «الغرب الإسلامي» للدلالة على الجناح الغربي من العالم الإسلامي، ويشمل أقطار المغرب الكبير والأندلس.(16)

ويدافع ليفي بروفنصال عن هذا المصطلح، مبرزا وضوحه، حتى بالنسبة لمتواضعي الثقافة، مسفها في الوقت ذاته مقولة خصوم هذا المصطلح، الذين يرون أن شمال إفريقيا وإسبانيا، كليهما، لا يشكلان في

---

14) انظر : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية – الدولة العباسية : للشيخ محمد الخضري: 102, 112, 117 ط 5 – مطبعة الاستقامة بالقاهرة: 1364هـ – 1945م.

15) أحمد بن خالد الناصري : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى: 1/71 ط – الدار البيضاء: 1954م – وانظر جذوة الاقتباس لابن القاضي المكناسي: 1/11.

16) انظر : ليفي بروفنصال : الحضارة العربية في إسبانيا : 9 (ترجمة د. الطاهر أحمد مكي ط 3 – دار المعارف القاهر 1414هـ – 1994م.

النهاية غير امتدادت بعيدة، وظلال شاحبة لمشرق الإسلام، أو بعبارة أخرى سوى امتداد هزيل، وانحطاط سياسي عميق، لعصر الإسلام الذهبي في المشرق، موضحا الدور العظيم الذي قامت به هذه الأقطار، في تطوير العالم الأوربي، ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي.(17)

وقد ارتبط تاريخ أقاليم الغرب الإسلامي ببعضه ارتباطا قويا، إلى درجة يتعذر معها الفصل بينها، وإذا كانت العلاقات السياسية، قد اتسمت في فترات من التاريخ بالتوتر والاضطراب، فقد كانت العلاقات الثقافية – خاصة – حية نابضة، دون غياب خصوصيات كل إقليم على حدة.(18)

لقد كانت بلاد الغرب الإسلامي، كما جاء على لسان أبي الحسن بن محمد بن أحمد ابن الربيب التميمي القيرواني، في رسالة إلى أبي المغيرة عبد الوهاب بن أحمد ابن عبد الرحمان ابن حزم: «إنه ليس بيننا وبينكم غير روحة راكب، أو رحلة قارب لو نفث من بلدكم مصدور، لأسمع من بلدنا في القبور، فضلا عمن في الدور والقصور».(19)

ثانيا : مسيرة الفتح الإسلامي ببلاد الغرب الإسلامي وانتشار الإسلام واللغة فيها

تأخر التفكير في فتح بلاد الغرب الإسلامي إلى أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب، حين استأذنه والي مصر عمرو بن العاص في ذلك سنة 22هـ، بعد أن وصل إلى برقة، وهي الحد الفاصل بين بلاد المغرب وبلاد المشرق، فنهاه بقوله: «لا، إن إفريقية غادرة مغدورة» وفي رواية «لا إنها

17) نفسه : 9 – 13.

18) انظر : د. محمود إسماعيل : الأغالبة : 97 – 45 – مكتبة وراقة الجامعة – فاس – المغرب ط 2: 1978م.

19) أحمد المقري : نفح الطيب مع غصن الأندلس الرطيب : 3/158 تحقيق د. أحسان عباس: دار صادر – بيروت: (1388هـ – 1968).

ليست إفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت».(20) وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان، فتحت إفريقية على يد عبد الله بن أبي سرح سنة 27هـ.(21)

ثم توالت الفتوح بعد ذلك، فتم فتح بلاد المغرب الأقصى على يد عقبة بن نافع الفهري، ومن جاء بعده، إلى أن تم إخضاع كل بلاد المغرب على عهد حسان بن النعمان، ثم موسى بن نصير، الذي فتحت على عهده الأندلس، بقيادة طارق بن زياد سنة 92هـ.(22)

وظل الوالي التابع للخلافة في المشرق، يقيم بالقيروان إلى أن انفصلت الأندلس، أولا عن بغداد على يد الأمويين سنة 138هـ،(23) ثم المغرب الأقصى على يد الأدارسة سنة 172هـ،(24) ثم المغرب الأدنى على يد الأغالبة سنة 184هـ،(25) كما أسس المدراريون دولتهم بإقليم تافيلالت سنة 140هـ والرستميون بالمغرب الأوسط سنة 160هـ.(26)

وعلى الرغم من طول مدة فتوح بلدان الغرب الإسلامي، التي استغرقت في مجموعها نحو ستين عاما، فإن مسيرة انتشار الإسلام – مع ذلك – لم تسر جنبا إلى جنب مع الفتح، بل كانت بطيئة إلى حد ما، وهو أمر طبيعي،

---

20) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب : 200 – تحقيق : د. علي محمد عمر – مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد مصر: ط: 1415هـ – 1995م.

21) نفسه : 215 – طبقات علماء إفريقية وتونس: 72.

22) فتوح مصر والمغرب : 220 – 239 – تاريخ إفريقية والمغرب : 7 – 45.

23) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب : 28 – 29 (تحقيق : محمد سعيد العريان / محمد العربي العلمي – دار الكتاب – الدار البيضاء ط : 7 (1978م).

24) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس : 16/1 (تحقيق: محمد الهاشمي الفيلالي) المطبعة الوطنية – الرباط – المغرب : 1355هـ – 1936م.

25) إبراهيم بن القاسم الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب : 176 (تحقيق د. عبد الله العلي الزيدان / د. عز الدين عمر موسى – دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان: ط 1 (1990).

26) سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا : 81 – الأغالبة للدكتور محمود إسماعيل : 17.

ينسجم مع المبدأ الإسلامي الواضح «لا إكراه في الدين»(27) فلابد من الاقتناع التام بالإسلام دون أي ضغط خارجي.

ويذكر بعض المؤرخين، أن أهل المغرب تطلعوا إلى الدين الجديد، منذ وقت مبكر، وقبل وصول الفاتحين إلى بلادهم، أو اتساع رقعة الإسلام فيها، كما أقبل عليه كثير منهم، منذ أوائل الفتح الإسلامي لأقطارهم، مما يدعم القول بأن الإسلام انتشر بإقبال الناس عليه، لا تحت الإكراه وحد السيف.(28)

قال صالح بن عبد الحليم (ق 8هـ) في كتاب الأنساب له : «سمعت أبي رحمة الله عليه مرارا يقول: ذهب رجال من أهل المغرب حتى وصلوا إلى النبيﷺ، فآمنوا به».(29)

ونقل الزياني (ت 1249هـ) في الترجمانة الكبرى، أن أول من أدخل الإسلام إلى المغرب رجال رقراقة السبعة من المصامدة، وقيل: كانوا اثنى عشر رجلا، اجتمعوا مع النبيﷺ، وكلمهم باللسان البربري.(30)

وأقوى ما يستدل به في هذا السياق، حديث مسلم في الصحيح، عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال: «كنا مع رسول اللهﷺ في غزوة، قال: فأتى النبيﷺ، قوم من قبل المغرب، عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمة، فإنهم لقيام ورسول اللهﷺ قاعد، قال: فقالت لي نفسي: ائتهم

---

27) البقرة : 256 / وانظر : تاريخ العبر لابن خلدون : المجلد 220/6.

28) انظر : بلاد المغرب في القرن الأول الهجري. للدكتور صابر محمد دياب حسين: 125 مكتبة السلام العالمية – دار الجيل للطباعة – الفجالة – مصر – 1404هـ – 1984م.

29) صالح بن عبد الحليم : كتاب الأنساب : 73 (ضمن ثلاثة نصوص عربية في البربر في الغرب الإسلامي) تحقيق: محمد يعلي – المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي – مدريد 1996م.

30) أبو القاسم الزياني : الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا: 80 تحقيق: عبد الكريم الفيلالي – نشر وزارة الأنباء بالمغرب: 1387هـ – 1967م.

فقم بينهم وبينه لا يغتالونه، قال: ثم قلت: لعله نجي معهم، فأتيتهم، فقمت بينهم وبينه، قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي: قال «تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله» ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله «قال: فقال نافع: يا جابر، لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم».(31) وراوي الحديث هو نافع بن عتبة بن أبي وقاص، أسلم يوم فتح مكة(32) وكان فتحها في السنة الثامنة للهجرة، ولم يغز بعدهاﷺ، إلا ثلاث غزوات: حنين والطائف وتبوك.

وفي تبوك وفدت على رسول اللهﷺ، الوفود(33) قال ابن عبد الحليم: «سمعنا من جملة كثيرة من أخبار الناس وغيرهم، أن كتاب النبيﷺ ورد إلى أهل المغرب فاجتمعوا عليه بموضع شاكر برباط شاكر ببلاد رجراجة، وهي الموضع المجتمع فيه أواخر شهر رمضان على واد تانسيفت، فلما قرأوا الكتاب أراد كل واحد أن يحمله إلى بلده فتشاحنوا في ذلك وتنازعوا، حتى اتفقوا أن يدفنوه في ذلك الموضع في ذلك الوقت في كل عام، فيرغبون إلى الله تعالى في قضاء حوائجهم،(.) وذكر أيضا أن واسمين الرجراجي وصل إلى النبيﷺ وآمن به، وحمل من عنده الكتاب، وجمع عليه المصامدة بموضعه، وكان ذلك الموضع إذ ذاك، موضع رجراجة، ثم بعد ذلك سكن فيه غيرهم».(34)

وذهب الزياني إلى أن الصحيح في حق رجال رجراج، أنهم لم يجتمعوا برسول اللهﷺ، وإنما أسلموا على يد عمر بن الخطاب، وعلمهم دينهم

---

31) صحيح مسلم : 2225/4 – (52) كتاب الفتن واشراط الساعة (12) باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال ح 38 – وانظر كتاب الأنساب لابن عبد الحليم: 69 – 70.

32) ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب : 1490/4 ع2591 – تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل – بيروت – ط 1: 1412هـ – 1992.

33) انظر : السيرة النبوية لأبي الفداء ابن كثير : 76/4 وما بعدها.

34) كتاب الأنساب لابن عبد الحليم : 71.

وتوجهوا إلى مغربهم، ولما بلغوا أقوامهم، منهم من أسلم، ومنهم من أبى وذلك عام ثمانية عشر من الهجرة.(35)

لكن هذا لا ينفي وصول بعض المغاربة إلى النبيﷺ بناء على حديث مسلم المذكور قبله دون الاطمئنان إلى معرفتهم بأشخاصهم، وإن كان بعض العلماء من الأصوليين، لا يعتبرون مثل هؤلاء صحابة كقول ابن الصباغ في كتاب «العدة في أصول الفقه»: الصحابي، هو الذي لقي النبيﷺ، وأقام عنده واتبعه، فأما من وفد عليه وانصرف عنه، من غير مصاحبة ومتابعة فلا ينصرف إليه هذا الاسم».(36)

أما ما ذكره المؤرخون، من وصول عدد من المغاربة إلى عمر، وعثمان رضي الله عنهما، فغير مستبعد، من ذلك:

قال أبو زكريا في تاريخه : بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين قدم عليه قوم من البربر «لواتة» أرسلهم إليه عمرو بن العاص، وأرسل معهم ترجمانا يترجم كلامهم إن سألهم عمر عن شيء، فقال لهم عمر: مالكم محلقوا الرؤوس واللحي؟ فقالوا: شعر نبت على الكفر، فأحببنا أن نبدل شعرا في الإسلام...(37)

وقال ابن عبد الحليم وصاحب كتاب مفاخر البربر : إنهم من المغرب الأقصى، وكان عددهم حسب الأول: اثنى عشر(38) وحسب الثاني: ستة.(39)

---

35) الترجمانة الكبرى : 80.

36) العراقي : التقييد والإيضاح «شرح مقدمة ابن الصلاح : 297 تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان – المكتبة السلفية بالمدينة النبوية – ط 1: 1389 – 1969م.

37) أبو زكريا يحيى بن أبي بكر : كتاب سير الأئمة وأخبارهم (تاريخ أبي زكرياء): 50 – 51 تحقيق إسماعيل العربي – دار الغرب الإسلامي – بيروت لبنان: ط2: 1402هـ – 1982م.

38) ابن عبد الحليم : كتاب الأنساب : 74.

39) مؤلف مجهول : كتاب مفاخر البربر : 273 (ضمن ثلاثة نصوص عربية عن البربر).

وذكر ابن عبد الحليم، أن جماعة من أهل المغرب، وصلوا إلى عثمان بن عفان في خلافته، منهم رجل من أهل تونس، يعرف بأبي عمران، أدرك عثمان فروى عنه.(40)

وفي البيان المغرب، أن زناتة كانت تقوم بدعوة الأمويين، لما تقدم من هجرة جدهم خزر ابن صيفي بن صولات بن وزمار المغراوي، وإسلامه على يد عثمان ابن عفان رضي الله عنه.(41)

وذكر ابن خلدون في تاريخه، أن وزمار بن صقلان جد بني خزر وهو يومئذ أمير مغراوة وسائر زناتة، وقع في أسر المسلمين، فرفعوه إلى عثمان بن عفان، فأسلم على يده ومن عليه وأطلقه.(42)

ويذكر التادلي في «التشوف» في إثبات أحوال الأولياء أن: منها سفرهم في كل رمضان إلى رباط شاكر، الذي ذكر أنه من أصحاب عقبة بن نافع الفهري وأنه مات هناك، وأن يعلى بن مصلين الرجراجي بناه، وكان يقاتل كفار برغواطة وغزاهم، وأن طلله الباقي هناك إلى الآن والله أعلم.(43)

وهذا الرباط يوجد بالمكان المعروف اليوم «بسيدي شيكر» في الطريق الرابط بين شيشاوة، ودائرة الشماعية، التابعة لإقليم آسفي. وكان شاكر المذكور من أصحاب عقبة تركه هناك ليعلم الناس الدين، فكانوا

---

40) كتاب الأنساب لابن عبد الحليم : 77.

41) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: 352/1 دار الثقافة – بيروت لبنان.

42) عبد الرحمان ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من تاريخ العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: 215/6 منشورات الكتاب اللبناني – بيروت 1959م.

43) يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات : التشوف إلى رجال التصوف: 52 – تحقيق : د. أحمد التوفيق – مطبوعات كلية الآداب – الرباط : 1984م.

يجتمعون إليه في ذلك الموضع، ليتعلموا منه فلما مات، أخذ أهل العلم والدين والصلاح، الاجتماع هناك للعلم والوعظ والتذكرة والوصية على الخير.(44)

وينقل ابن عبد الحليم، عن علي بن عمر التميمي، (كان حيا بمدينة أبدة بالأندلس سنة 402هـ) أنه جاء رجل من البربر إلى المدينة النبوية، فوجد النبيﷺ، قد لحق بالرفيق الأعلى، فاستأذن على السيدة فاطمة بنت رسول اللهﷺ، فقالت: من أنت؟ فقال لها رجل بربري من أهل المغرب، ففرحت به وأكرمته وأرسلت له هدية...(45)

ومهما يكن فأن انتشار الإسلام، واكب دخول العرب المسلمين بلاد المغرب، وكان لعقبة ابن نافع فضل كبير في هذا الاتجاه، فقد أسس مدينة القيروان، وبنى بها مسجده الذي يعد أب مساجد الجناح الغربي للعالم الإسلامي وأول مركز لنشر الإسلام وحضارته بين سكان هذه البلاد.

وكان عقبة عندما وصل السوس الأدنى وانتهى إلى تارودانت، تلقاه البربر في عدة عظيمة، وكانوا ليس لهم دين، ولم يدخلوا النصرانية، ياكلون الميتة ويشربون الدم من الأنعام، وهم أمثال البهائم يكفرون بالله ولا يعرفونه.(46)

ويذكر المؤرخون أن عقبة نزل على أغمات، وكان فيها نصارى البربر، ففتحها ونزل على مدينة نفيس، وبنى مسجده هناك، كما بنى مساجد أخرى، في درعة ووادي سوس.(47)

---

44) كتاب الأنساب لابن عبد الحليم : 71 – 72.

45) نفسه : 75 – 76.

46) أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب : 14 – تحقيق د. عبد الله العلي الريدان / د. عز الدين عمر موسى – دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان ط 1: 1990م.

47) كتاب الأنساب لابن عبد الحليم : 88.

وواصل الولاة الذين جاءوا بعد عقبة، سياسته في نشر الإسلام، وتعليم الناس أمور دينهم، كما عملوا على التقريب والمؤاخاة بين العرب والبربر مثل ما فعل حسان بن النعمان، وتقوى الاتجاه إلى بناء المساجد، في سائر جهات بلاد الغرب الإسلامي، وفي هذا الصدد يذكر ابن عذاري، أن موسى بن نصير، بنى سنة 85هـ مسجد أغمات هيلانة(48) الذي عمل له منبر في نفس السنة وكتب عليه.(49)

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز تحقق إسلام سكان هذه البلاد، باستثناء فئات قليلة من المسيحيين ليست ذات بال.(50)

وارتبط بانتشار الإسلام، انتشار اللغة العربية، وذلك منذ بداية الإسلام في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي، وهو شيء طبيعي لأن الداخلين إلى الإسلام لابد وأن يسعوا إلى تعلم لغته لمعرفة مبادئه وأحكامه.

والمسلمون الفاتحون من جهتهم، كانوا يعلمون أن نشر العربية وتعليمها خير ما ينتشر به الإسلام، فكانوا إلى جانب استعمال اللغة العربية في خطبهم في الجمع والأعياد، والحروب(51) والدواوين.(52) قد لجأوا إلى تعليم القرآن ولغته، بواسطة معلمين أكفاء، خصوصا بعد تنبههم إلى أن حاجز

---

48) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : 1/38 – 39.

49) كتاب الأنساب لابن عبد الحليم : 95.

50) انظر : تاريخ إفريقية والمغرب : 62 / رياض النفوس 1/116.

51) أخرج ابن عبد الحكم في كتابه «فتوح مصر والمغرب» عن عبد الله بن ربيعة، قال: صلى عبد الله بن سعد للناس بإفريقية المغرب، فلما صلى ركعتين سمع جلبة في المسجد، فأرعبهم ذلك، وظنوا أنه العدو، فقطع الصلاة، فلما لم ير شيئا، خطب الناس وقال: إن هذه الصلاة اختصرت، وأمر مؤذنه فأقام الصلاة ثم أعادها» فتوح مصر والمغرب: 291 / وانظر: رياض النفوس: 1/67.

52) تذكر المصادر أن حسان بن النعمان، عندما كان واليا للمغرب، دون الدواوين، انظر فتوح مصر والمغرب: 229/ تاريخ إفريقية والمغرب: 34 – رياض النفوس: 1/56 – البيان المغرب: 1/29.

اللغة وجهل البربر بحقيقة الفتح الإسلامي، كان وراء مقاومتهم لجيوش الفاتحين لأنهم كانوا يعتقدون، أن الأمر يتعلق بغزو مادي لا أقل ولا أكثر، الشيء الذي لم تخفه الكاهنة عندما قالت لقومها:

«إن العرب، إنما يطلبون من إفريقية المدائن والذهب والفضة، ونحن إنما نطلب منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلا خراب إفريقية، حتى ييأسوا منها ويقل طمعهم فيها».(53)

قال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم : «كانت إفريقية، من طرابلس إلى طنجة ظلا في قرى متصلة».(54)

وقد اقتضت الظروف، إنشاء أماكن للتعليم، منذ دخول الرعيل الأول من الفاتحين، الذين كان بعضهم مصحوبا بأهله.

ذكر أبو العرب، أن عبد الله بن عمر بن الخطاب، كان – لما غزا مع معاوية بن حديج – مصحوبا بأم ولد له، فولدت له صبية، ماتت بعد ولادتها، فدفنها في مقبرة قريش في باب سليم.(55)

وحكى غياث بن أبي شبيب، قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله ﷺ، يمر علينا، ونحن غلمة بالقيروان، فيسلم علينا في الكتاب، وعليه عمامة، قد أرخاها من خلفه.(56) وكان دخول سفيان بن وهب إلى إفريقية، خلال سنة 78هـ، في خلافة عبد الملك بن مروان.(57)

واتجه الخلفاء والولاة في هذا العصر، إلى تعيين عدد من كبار الفقهاء، لتعليم الناس الدين واللغة، فحسان بن النعمان، يعهد إلى ثلاثة عشر فقيها

---

53) تاريخ إفريقية والمغرب : 30 وانظر : كتاب الأنساب لابن عبد الحليم: 93.

54) نفسه : 31.

55) أبو العرب التميمي : طبقات علماء إفريقية وتونس : 78 (تحقيق: على الشابي / نعيم حسن اليافي – الدار التونسية للنشر – تونس (1985م).

56) المالكي : كتاب رياض النفوس : 1/91.

57) نفسه : 1 / 90 – 91.

من كبار التابعين، بتعليم المسلمين من عرب وبربر القرآن، وأصول الإسلام، واللغة العربية(58) وموسى بن نصير، عندما استعمل طارق بن زياد على طنجة، تركه بها في سبعة وعشرين رجلا من العرب، واثنى عشر ألف فارس من البربر، وأمر السبعة والعشرين المذكورين، أن يعلموا البربر القرآن، وأن يفقهوهم في الدين.(59)

وبعث عمر بن عبد العزيز – في خلافته – إلى المغرب عشرة من كبار الفقهاء من التابعين، لتعليم المغاربة، أصول الإسلام وفروعه، وتعليمهم اللغة العربية وقد ذكر أبو العرب والمالكي وغيرهما أسماءهم(60) وهم كالآتي:

1 – أبو عبد الرحمن الحبلي، واسمه عبد الله بن يزيد المعافري، يعد في المصريين، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

2 – أبو مسعود سعد بن مسعود التجيبي.

3 – إسماعيل بن عبيد الأنصاري.

4 – أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي، سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

5 – موهب بن حي المعافري.

6 – حيان بن أبي جبلة القرشي.

7 – أبو تمامة بكر بن سوادة الجذامي.

8 – أبو سعيد جعتل بن هاعان بن عمير بن اليثوب.

9 – أبو عبد الحميد إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر القرشي المخزومي، مولى لهم.

10 – طلق بن جابان، ويقال ابن جعبان الفارسي.

---

58) كتاب الأنساب لابن عبد الحليم (ضمن ثلاثة نصوص عربية عن البربر : 95).

59) تاريخ إفريقية والمغرب : 40, تاريخ العبر لابن خلدون : 6/220. وانظر: الأنساب لابن عبد الحليم: 97.

60) طبقات علماء إفريقية وتونس : 85 – 87 – رياض النفوس: 1/99 – 117.

الفصل الأول

عوامل دخول الحديث إلى بلاد الغرب الإسلامي
ودواعي ظهور علم الرجال

المبحث الأول :

عوامل دخول الحديث إلى بلاد الغرب الإسلامي :

يمكن القول بأن الحديث النبوي، دخل إلى بلاد الغرب الإسلامي مع الصحابة، والتابعين، فقد كان أكثر جيش عبد الله بن أبي سرح من الصحابة،(1) وكان في جيش عقبة ابن نافع الفهري خمسة وعشرون صحابيا.(2)

ثم توالى دخول الصحابة إلى بلاد الغرب، بشكل أقل في المراحل الموالية، وكان نصيب إفريقية من ذلك في المقام الأول، ووصل منهم إلى المغرب الأقصى عدد غير يسير،(3) في حين لم يدخل الأندلس منهم سوى المنيذر الإفريقي، على خلاف في صحبته.(4)

كان من بين هؤلاء الصحابة جميعا، محدثون كبار منهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن العباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وهم من علماء الصحابة، ومن المكثرين لرواية الحديث، كما كان إلى جانبهم عبد الله بن الزبير،(5) وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن أبي سرح، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، وسلمة بن الأكوع وبسر بن أرطأة(6) وغيرهم.

---

1) انظر فتوح مصر والمغرب : 352 – طبقات علماء افريقية وتونس : 70.

2) طبقات علماء افريقية وتونس 78 – رياض النفوس : 10/1.

3) انظر : الاستقصاء : 85/1 – 90.

4) انظر : الاستيعاب لابن عبد البر: 1485/4 ع2571 – تحقيق علي محمد البجاوي – دار الجيل – بيروت ط1: 1412 – 1992م – التكملة لابن الابار: 274/1 ع731 تحقيق العطار – الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي: 380/2/8. نفح الطيب للمقري: 5/3 – 6.

5) هناك غزوة شارك فيها هؤلاء الصحابة والتابعون، تسمى غزوة العبادلة انظر رياض النفوس: 16/1.

6) قال أبو العرب : جعل له – مسندا – غير واحد من المحدثين – طبقات علماء افريقية وتونس: 76.

أما التابعون الذين دخلوا بلاد الغرب، فعددهم كبير، ذكرت كتب الرجال بالغرب الإسلامي، أسماء عدد منهم،(7) وكانت مهمة بعضهم بالإضافة إلى الجهاد، تعليم الدين واللغة العربية كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وكان من بين هؤلاء جميعا محدثون، كالمغيرة ابن أبي بردة، خرج له مالك في الموطأ والترمذي في جامعه،(8) وكحبان بن أبي جبلة(9) وغيرهما لكن على الرغم، من دخول الصحابة والتابعين، إلى بلاد الغرب الإسلامي، فإنه لم يتيسر ظهور أي لون من النشاط الحديثي في السنوات الأولى التي تلت الفتح، لأسباب تقدم ذكر بعضها،(10) كتأخر انتشار الإسلام واللغة العربية، وانشغال الفاتحين بالجهاد، ومنها بعد المسافة بين بلاد الغرب الإسلامي، ومراكز جمع الرواية والسنن في المشرق، والاقتصار في أول الأمر على تعليم القرآن فقط، وغير ذلك(11) ثم لم يلبث أن دخل الحديث إلى بلاد الغرب الإسلامي،(12) عبر ثلاث قنوات أساسية هي:

---

7) انظر المعجب : 26 – نفح الطيب 10/3, 12 وفيه إشارة إلى كتاب لابن بشكوال سماه «التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين».

8) انظر : الذيل والتكملة : 8/2/376. وله ترجمة في التاريخ الكبير: 4/1/323 الجرح والتعديل 4/1/219 – التعريف لابن الحذاء: 2/202 ع206.

9) طبقات علماء افريقية وتونس: 20 – تاريخ علماء الأندلس : 1/146, وله ترجمة في الجرح والتعديل: 1/2/248 – رياض النفوس: 1/111.

10) انظر الصفحة : 29 من تمهيد هذا الباب.

11) انظر : المدرسة المغربية في الجرح والتعديل للدكتور إبراهيم بن الصديق: 31.

12) ظهر ببلاد الغرب الإسلامي محدثون كبار، منهم في افريقية وتونس: خالد بن عمران التجيبي (ت125هـ) وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم (ت161هـ) وعباس بن الوليد الفارسي (ت218هـ)، وموسى بن معاوية الصمادحي (ت225هـ).

وكان في الأندلس : أمثال معاوية بن صالح الحمصي (ت158هـ)، قال ابن وضاح: حدثني يحيى بن يحيى قال: «أول من دخل الأندلس بالحديث معاوية بن صالح الحمصي» وهو من رجال مسلم – ومن تلامذته بالأندلس داود جعفر الصغير القرطبي، كان صاحب حديث كتب عنه مطرف بن قيس نحوا من 3000 حديث أو أكثر (انظر: تاريخ علماء الأندلس: 1/169. =

أ – المذاهب الفقهية :

كان المغاربة في صدر الإسلام، على مذهب جمهور السلف من الأئمة.(13) وربما بعثوا إلى المشرق، من يسأل لهم عن بعض القضايا التي تعترضهم في حياتهم اليومية، قبل ظهور المذاهب الفقهية.

عن خالد بن أبي عمران، أنه أتى القاسم وسالما (من الفقهاء السبعة) بمسائل من المغرب، فذهب يسألهما، فأبيا أن يجيباه، فقال لهما خالد: «إنا بموضع جفاء في هذا المغرب، وإنهم حملوني هذه المسائل، وقالوا لي، إنك تقدم على المدينة، وبها أبناء أصحاب النبيﷺ، فسلهم لنا، وأنكما ان لم

=ومن رجال الحديث بالأندلس في هذه الحقبة كذلك: صعصعة بن سلام (ت201) والغازي ابن قيس القرطبي (ت199هـ) وكلاهما من أوائل من ادخل الحديث إلى الأندلس، – انظر: أخبار الفقهاء والمحدثين: 291. ومنهم يحيى بن مضر القيسي القرطبي شامي الأصل (ت189هـ) روى عنه مالك عن سفيان الثوري (أن الطلح المنضود) هو الموز – قال ابن الابار: وفيه لأهل الأندلس فخر تليد وذكر يصحبه تخليد التكملة: 10/1 تحقيق العطار.

ومنهم حبيب بن الوليد دحون توفي بعد 200هـ وام ولده عابدة المدنية، تروي عشرة آلاف حديث، ومحمد ابن عيسى الأعشى القرطبي (ت221هـ) روى عن وكيع بن الجراح ثلاثين ألف حديث سوى ما روى عن القطان وابن نمير وابن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي (انظر على التوالي: التكملة: 277/1 تحقيق العطار – أخبار الفقهاء والمحدثين: 113 – 114).

ومن المحدثين بطرابلس : محمد بن ربيعة الحضرمي، سمع منه بقي بن مخلد، ومنهم محمد ابن معاوية الحضرمي الطرابلسي راوية مالك والليث (أخبار الفقهاء والحدثين: 54).

أما بالنسبة للمغرب الأقصى، فعلى الرغم من أنه لا يمكن فصله عن الأندلس من الناحية التاريخية للصلة الوثيقة التي كانت تجمع بينهما، ولأن كثيرا من مشاهير محدثي الأندلس ينحدرون من أصول مغربية وفي مقدمتهم يحيى بن يحيى الليثي، فإن ما تجدر الإشارة إليه هنا هو الدور الذي قام به الأدارسة في إدخال الحديث إلى المغرب، فهم الذين أدخلوا الموطأ ووصف إدريس الثاني بأنه كان فصيحا بليغا أديبا عاملا بكتاب الله تعالى، قائما بحدوده راويا لحديث النبيﷺ...» (القرطاس: 29/1).

وفي هذا العهد، نزح كثير من العرب، من الأندلس وافريقية إلى المغرب، ابتداء من سنة 189هـ (القرطاس: 35/1) ثم كان تأسيس جامع القرويين بفاس عام 245هـ، الذي سيصبح فيما بعد، نقطة تحول هامة في التاريخ العلمي للمغرب الأقصى (نفسه: 76/1).

13) انظر : الاستقصاء : للناصري : 136/1.

تفعلا كانت حجة لهم فما شئتما؟، فقال له القاسم: سل، فسألهما خالد فأجاباه فيما سأل».(14)

وقيل : كان القرآن في الأندلس – أول الأمر – المصدر الوحيد للتشريع ولم يتم اللجوء إلى الاستعانة بسنن الرسولﷺ إلا بعد احتكاك المسلمين بنظم الشعوب المفتوحة في المشرق والمغرب، حين وجدوا أنفسهم بسبب ذلك أمام مشاكل تشريعية معقدة، وعن هذه الاستعانة بالسنة نشأت المذاهب الفقهية.(15)

ومهما يكن، فقد عرفت أقطار الغرب الإسلامي – بعد عصر الصحابة والتابعين، عدة مذاهب فقهية سنية ساعدت على دخول الحديث إلى الغرب الإسلامي، وفيما يلي أهم هذه المذاهب مرتبة حسب وفيات مؤسسيها، وبالقدر الذي يبرز ما كان لها من أثر فعال، في نشر الحديث، في هذا الجناح الغربي من العالم الإسلامي.

أولا : مذهب أبي حنيفة النعمان (80 – 150هـ) يقوم على الرأي والقياس،(16) وقد دخل إلى بلاد الغرب الإسلامي عقب استيلاء العباسيين على الحكم بالمشرق عام 132هـ، واضحى المذهب الغالب على إفريقية وما وراءها من المغرب.

ويذكر القاضي عياض أن المذهب الحنفي ظهر بإفريقية، ظهورا كبيرا إلى قريب من أربعمائة سنة ثم انقطع منها(17) ودخل منه شيء إلى المغرب والأندلس، لكنه لم يجد فيهما أتباعا.(18)

---

14) طبقات علماء افريقية وتونس : 245 – 246 / رياض النفوس 1/163.

15) انخل بالنتيا : تاريخ الفكر الأندلسي : 2 تعريب الدكتور : حسين مؤنس – مكتبة النهضة المصرية. ط 1: 1955م.

16) انظر : مقدمة ابن خلدون : 446 – 447.

17) ترتيب المدارك : 1/65.

18) نفسه : 1/65 – الحضارة العربية في اسبانيا لبروفنصال : 159.

ويعود الفضل في انتشار هذا المذهب بالغرب الإسلامي، إلى أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، الذي كان لا يسند منصب القضاء إلا إلى أصحابه.(19)

ولم يمنع اختلاف المذهب ابن سحنون، من النظر في كتب أبي حنيفة، فعن بقي بن مخلد قال: «كنت أسمع من محمد بن سحنون في داخل بيت سحنون بالقيروان أشياء سمعتها بالعراق، قال بقي، فرأيت كتبا مجموعة في داخل البيت فقلت له: «يا أبا سعيد إن كانت هذه الكتب رواية رويتها عنك؟

فقال: هي كتب أبي حنيفة «قال : فقلت له : كيف حل لك أن تنظر في كتب أبي حنيفة؟».

قال : فقال لي : «يا بقي»، كيف كان يحل لنا أن نخطئه ولم ننظر إلى مذهبه وما يقول؟».(20)

وقد تتلمذ لأبي حنيفة عدد من المغاربة، من أبرزهم : أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي (ت176هـ).

ولد بالأندلس وكان اسمه بها عبدوسا،(21) ثم انتقل إلى إفريقية، فسكن القيروان وأوطنها.

سمع من الأعمش والثوري، ومالك بن أنس، وأبي حنيفة، وعبد الملك بن جريج، وهشام ابن حسان، وزكرياء بن زائدة وغيرهم من العلماء، وكان اعتماده في الحديث والفقه على مالك ابن أنس، وبصحبته اشتهر وبه تفقه، مع ميله إلى النظر والاستدلال، فيما يتبين له من الصواب في مذهب أهل العراق.(22)

---

19) نفح الطيب : 15/2.

20) أخبار الفقهاء والمحدثين : 61.

21) ترتيب المدارك : 102/3.

22) انظر تاريخ افريقية والمغرب: 144 – 146.

وكان حافظا للحديث والفقه، وقد خرج له مسلم في صحيحه،(23) وبلغ من حرصه في الطلب، أنه كان يوما عند أبي حنيفة، فسقطت آجرة من أعلى داره على ابن فروخ، فأدمته، فقال له أبو حنيفة: اختر إن شئت إرش(24) الجرح، وإن شئت ثلاثمائة حديث، فاختار الحديث فحدثه ثلاثمائة حديث،(25) وفي ذلك ما يدل على مدى أثر أبي حنيفة ومذهبه في إدخال الحديث إلى بلاد الغرب الإسلامي.

كما تتلمذ أسد بن الفرات (ت214هـ) لعدد من أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف، ومحمد بن الحسن وأسد بن عمر وغيرهم، بعد أن لقي مالكا ولازمه وسمع منه الموطأ.(26) ودخل الأندلس من الحنفية أبو بكر عبد الله بن الحسن بن شجاع المروزي (ولد سنة 348) له كتاب مختصر من علم أبي حنيفة في سبعة أجزاء اسمه «المغني» وكان واسع الرواية.(27)

وقدم إشبيلية تاجرا، عيسى بن محمد بن هارون بن عتاب النسفي الأستاذ سنة 422هـ.

قال بن بشكوال : كان من أحفظ الناس لأخبار العلماء وأميزهم بالتعديل(28) والتجريح، وكان حنفي المذهب ثقة فيما رواه، وصفه بذلك أبو سعيد الخليل البستي».

---

23) انظر : رجال صحيح مسلم: 1/382 ع843.

24) الارش : دية الجراحة.

25) تاريخ افريقية والمغرب للرقيق: 144 – ترتيب المدارك: 3/109.

26) انظر : رياض النفوس : 1/255 وما بعدها.

27) الصلة : 1/279.

28) نفسه : 2/441.

ثانيا : مذهب أبي عمرو الأوزاعي (88 – 157 هـ)

يقول الذهبي : «كان أهل الشام، ثم أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي مدة من الدهر، ثم فني العارفون به، وبقي منه ما يوجد في كتب الخلاف».(29)

وقد دخل الأندلس عدد من الشاميين، الذين هم في الوقت نفسه تلامذة الأوزاعي، كالمصعب ابن عمر الذي استقضاه هشام،(30) وصعصعة بن سلام أول من أدخل إلى الأندلس مذهب الأوزاعي واحد الذين ادخلوا إليها الحديث.(31)

كما تتلمذ للأوزاعي بعض الأندلسيين، كأسد بن عبد الرحمن السبائي الالبيري الشامي الأصل، ولاه عبد الرحمن بن معاوية، قضاء كورة البيرة مرتين، ومات قاضيا عليها،(32) ومنهم الغازي بن قيس القرطبي الأندلسي الفقيه المالكي.(33) أول من ادخل موطأ مالك إلى الأندلس.

وأخذ بالمذهب الأوزاعي، عبد الملك بن زونان (ت232هـ)، قبل أن يرجع إلى مذهب أهل المدينة.(34)

وظل أبو كنانة زهير بن مالك البلوي القرطبي، على مذهب الأوزاعي، وعندما عذله عبد الملك بن حبيب على انحرافه على مذهب أهل المدينة، قال له: حسدتني إذ انفردت بالأوزاعية دون أهل البلد».(35)

---

29) الذهبي : تذكرة الحفاظ : 1/182 وانظر : نفح الطيب: 3/230.

30) تاريخ علماء الأندلس: 2/133 – تاريخ قضاة الأندلس : 47 – دار الافاق الجديدة – بيروت – لبنان ط: 5 1403 – 1983م.

31) انظر : تاريخ علماء الأندلس : 1/240 – جذوة المقتبس : 1/379.

32) أخبار الفقهاء والمحدثين : 47 ع 53.

33) تاريخ علماء الأندلس : 1/387.

34) نفسه : 1/312.

35) أخبار الفقهاء والمحدثين : 100/114 – تاريخ علماء الأندلس 1/181.

وكان أحمد يلول المتوفى بتوزر سنة 262هـ، سمع من سحنون بن سعيد، ورحل في طلب الحديث، سمع منه بكر بن حماد والاعناقي، وكان أكثر سماعه من الشاميين من أصحاب الوليد بن مسلم، أو أصحاب إسماعيل بن عباس ومن تأليفه: كتاب فضائل الأوزاعي.(36)

لكن هذا المذهب لم يلبث أن انقرض، ولم يبق له أثر في الأندلس، إلا في أمور قليلة، مثل غرس الأشجار في صحون المساجد.(37)

ثالثا : المذهب المالكي :

مؤسس هذا المذهب هو مالك بن أنس الأصبحي (93 – 179هـ)، ويقوم على الكتاب والسنة، والاعتراف بعمل أهل المدينة وتقديمه على خبر الآحاد.(38)

كان دخول هذا المذهب إلى بلاد الغرب الإسلامي في فترات متقاربة جدا.

ففي المغرب الأدنى يرجع الفضل في دخول فقه مالك – أول الأمر – إلى علي بن زياد التونسي (ت183هـ) فهو أول من أدخل الموطأ إلى تونس، وهو الذي نشر فقه مالك بها(39) ثم تتابعت الوفود من المغرب الأدنى إلى المدينة النبوية، للأخذ عن مالك، وفي هذا يقول محمد بن حارث الخشني: «وكانت إفريقية قبل رحلة سحنون، قد غمرها مذهب مالك بن أنس، لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلا، كلهم لقي مالك بن أنس، وسمع منه، وإن كان الفقه والفتيا في قليل منهم، كما كان ذلك في علماء البلاد، ثم قدم سحنون بذلك المذهب (....) فبارك الله فيه للمسلمين».(40)

---

36) ترتيب المدارك : 4/235.

37) تاريخ علماء الأندلس : 1/240.

38) انظر : مقدمة ابن خلدون : 449 – تاريخ التراث العربي : 3/129.

39) ترتيب المدارك : 3/80.

40) ترتيب المدارك : 4/51.

أما بالنسبة للمغرب الأقصى، فالثابت تاريخيا أن الإمام مالك بن أنس، كانت تربطه بعبد الله بن الحسن روابط متينة، بسبب تلمذته لهذا الأخير، والبيعة لولده الأكبر محمد النفس الزكية، بل والافتاء بعدم شرعية بيعة أبي جعفر المنصور،(41) ومن ثم فغير مستبعد أن يكون إدريس بن عبد الله، أول من أدخل موطأ مالك إلى المغرب.

يقول عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: وكان إدريس يقول: «نحن أحق باتباع مذهب مالك، وقراءة كتابه «وذلك لرواية الإمام في الموطأ عن والده عبد الله».(42)

وإذا كانت رواية مالك عن عبد الله في الموطأ، غير مؤكدة – الآن – فالمحقق أن مالكا تتلمذ لعبد الله الكامل وروى عنه، وتلك وشيجة قوية بين الرجلين، لابد أن تكون لها أحمد الاثار على علاقة الإمام مالك بالمولى إدريس بن عبد الله.(43)

ثم ترسخ اتباع مالك، مع إدريس بن إدريس بن عبد الله، الذي استقضى عامر بن محمد القيسي، تلميذ مالك والثوري، كما اختار أبا الحسن عبد الله بن مالك المالكي، كاتبا له،(44) ودخل المذهب المالكي إلى الأندلس، على يد تلامذة مالك، كالغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن شبطون وغيرهما.

يقول ابن القوطية : «وفي أيام عبد الرحمن بن معاوية، دخل الغازي بن قيس الأندلس بالموطأ عن مالك بن أنس رحمه الله، وبقراءة نافع بن

41) انظر الدرر السنية : 64.

42) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام : 186/1.

43) انظر : تاريخ ابن أبي خيثمة : السفر 3 الورقة 132 ظ – تهذيب التهذيب. لابن حجر: 186/5.

44) الأنيس المطرب بروض القرطاس: 32/1, 35 – جذوة الاقتباس: لابن القاضي المكناسي: 25/1.

أبي نعيم،(45) وعن ابن وضاح قال: فممن دخل الأندلس بالحديث مع صعصعة بن سلام، الغازي بن قيس».(46)

وقال أحمد بن زياد : «حدثني محمد بن وضاح قال: حدثني يحيى بن يحيى، أن زياد بن عبد الرحمن، أول من دخل الأندلس بالفقه، والحلال والحرام، وهو أول من أظهر سنة تحويل الأردية بالاستسقاء».(47)

وفي أيام عبد الرحمن بن معاوية، دخل كذلك أبو موسى الهواري، أول من جمع الفقه في الدين وعلم العرب بالأندلس، وكان إذا دخل قرطبة من قرية موز التي يسكنها، لم يفت أحد من مشايخ قرطبة حتى يرحل عنها.(48)

وساعد على تثبيت المذهب المالكي بالأندلس، ما كان يصل الأمويين بها عن مالك من تنويه بملكهم، وحث لتلامذته على تجنب أسباب الفتنة، والخروج عن السلطان.(49)

وسيأتي الحديث في أكثر من مناسبة، عن الدور الطلائعي الذي، قام به تلامذة مالك ومدرسته، في إدخال الحديث وإظهاره ونشره وخدمته، بشكل لا يضاهيهم فيه أحد من أتباع المذاهب الفقهية الأخرى، وحسبي هنا أن أشير إلى أن توجه أهل الغرب الإسلامي في رحلاتهم العلمية إلى مالك لم يكن اعتباطيا، بل لما اشتهر به من علم وفضل واستقامة، مما أكسبه هيبة، تضاءلت أمامها، هيبة ملوك عصره، في المشرق والمغرب.(50)

ويرى الدكتور مؤنس، أن المالكية امتازت بأنها لم تكن مذهبا فقهيا فحسب، بل مذهبا سلوكيا أيضا، وأن الذين تخرجوا بمدرسته من تلامذته

---

45) تاريخ افتتاح الأندلس : 92.

46) أخبار الفقهاء والمحدثين : 291.

47) أخبار الفقهاء والمحدثين : 95.

48) تاريخ افتتاح الأندلس : 92. وانظر طبقات اللغويين والنحويين: 253.

49) تاريخ افتتاح الأندلس : 97 المعجب: 38 نفح الطيب : 230/3.

50) انظر : تاريخ علماء الأندلس : 190/1.

المباشرين وغير المباشرين، عرفوا كيف يقيمون لأنفسهم في البلاد التي استقروا فيها، سلطانا روحيا معنويا وسياسيا، دون أن يثيروا مخاوف أهل السلطان».(51)

رابعا : المذهب الشافعي :

صاحب هذا المذهب هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (150 – 204هـ)، ويقف مذهبه وسطا بين مذهب أهل الحديث عند الإمام مالك، ومذهب الرأي عند الإمام أبي حنيفة.(52)

أخذ بمذهب الشافعي قديما بعض الناس بالقيروان،(53) أدخله إليها بعض الرحالين والغرباء، لكن لم يكن يؤبه لقول أصحابه، إلا أن يتمذهب به أحدهم في خويصة نفسه.(54)

وعلى العكس من ذلك، كان لهذا المذهب بالأندلس أتباع، وقد تأصلت جذوره وامتدت عميقة في الأندلس منذ حكم الأمير محمد الأول (ت273هـ).

ويعتبر قاسم بن محمد بن سيار القرطبي (ت277هـ)، أحد أبرز دعاة المذهب الشافعي في قرطبة.(55)

يقول عنه محمد بن حارث الخشني : «كان يذهب مذهب النظر، قرأت له قديما بالقيروان كتبا حسنة ألفها على أصحابه القرطبيين، من شاكلة رد الشافعي على أصحاب مالك،(56) وكان يتحفظ تحفظا شديدا من مخالفة المالكية بالأندلس ويجبن عن ذلك ويداري فيه.(57)

---

51) د. حسين مؤنس : «شيوخ العصر في الأندلس»: 16 – 17 سلسلة المكتبة الثقافية: ع146 – الدار المصرية للتأليف والترجمة: 1 ديسمبر 1965.

52) انظر : تاريخ التراث العربي : 3/180.

53) ترتيب المدارك : 1/26.

54) نفسه : 1/27.

55) انظر تاريخ علماء الأندلس : 1/398. الحضارة العربية في إسبانيا لبروفنصال: 159.

56) أخبار الفقهاء والمحدثين : 301.

57) نفسه : 303.

وكان يعجب من مذهب أهل المدينة، وأهل العراق، في الكلام قبل صلاة الصبح وبعدها، ذهب أهل المدينة إلى كراهية الكلام بعد صلاة الصبح، حتى تطلع الشمس، وأجازه بعد ركعتين، قبل صلاة الصبح، وذهب أهل العراق إلى إجازة الكلام بعد صلاة الصبح وإلى كراهيته قبل صلاة الصبح.

قال قاسم : فليت شعري، أين أهل العراق من حديثهﷺ، الذي ذكرته عائشة؟ قالت: كان رسول اللهﷺ يصلي ركعتي الفجر، فإن كنت نائمة أيقظني، فإن كنت يقظانة حدثني.(58)

وأين أهل المدينة، من حديثهﷺ : كان إذا انفتل من صلاة الصبح قال: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟.(59)

وللتجاوب بين الخليفة محمد الأول، وقاسم بن محمد، جعل الخليفة المذكور وثائقه إلى قاسم،(60) هذا الأخير الذي أوصى ابنه محمدا (ت327هـ) بقوله: «عليك برأي الشافعي، فإني رأيته أقل خطأ».(61)

وكان مما أدخله الحافظ بقي بن مخلد إلى الأندلس، كتاب الفقه للشافعي،(62) وقال محمد بن حارث الخشني: إنه كان يستعمل اليدين في الركوع على مذهب الشافعي، فلما رأى أصبغ بن خليل ذلك عارضه بحديث لا أصل له.(63)

ثم إن بعض المؤرخين، اعتبروا بقي بن مخلد شافعيا،(64) على خلاف ما ذهب إليه محمد بن حارث الخشني ومن بعده ابن الفرضي وابن حزم ثم

---

58) نفسه : 303.

59) نفسه : 303.

60) نفسه : 303.

61) تاريخ علماء الأندلس : 1/398.

62) نفسه : 1/109.

63) أخبار الفقهاء والمحدثين : 37.

64) انظر : جذوة المقتبس : 1/268 – الحضارة العربية في إسبانيا: 161.

ابن بشكوال وغيرهم، من أن بقي ابن مخلد كان مستقلا عن أي مذهب،(65) وفي الرد على الشافعي ألف يوسف بن يحيى المغامي كتابا وصف بالحسن.(66)

ومما أشاعه الحافظ ابن وضاح في الأندلس، طعن يحيى بن معين في الإمام الشافعي، فقد كان يقول: سألت يحيى بن معين عن الشافعي؟ فقال: ليس بثقة.

وهو أمر استعظمته الأوساط العلمية بالأندلس على ذلك العهد، بل إن الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر الأموي، اتهم بسبب ذلك ابن وضاح بالكذب على ابن معين.(67)

وكان الأمير عبد الله، من الدعاة النشطين للمذهب الشافعي بالأندلس وله كتاب في مناقب بقي بن مخلد.(68)

قال عنه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى : كان فقيها شافعيا أديبا متنسكا شهما، سمت نفسه إلى طلب الخلافة في حياة أبيه، وتابعه قوم وأخفوا أمرهم».(69)

وقد كانت نهايته على يد أبيه يوم عيد الأضحى سنة 339هـ.(70)

ومن الشافعية المرموقين في هذه الفترة: أحمد بن بشير التجيبي المعروف بابن الأغبش (ت326هـ) قال عنه الزبيدي في طبقاته: «كان فقيها على مذهب الشافعي، ومائلا إلى الحديث، وكان لحق بأهل الشورى، وكان

---

65) انظر : أخبار الفقهاء والمحدثين : 55 – تاريخ علماء الأندلس 1/108 – رسائل ابن حزم: 2/179 – الصلة: 1/117 – الحضارة العربية في إسبانيا: 160 – 161.

66) أخبار الفقهاء والمحدثين : 382.

67) انظر : جامع بيان العلم وفضله : لابن عبد البر : 394.

68) التكملة لابن الابار : 4/39 تحقيق : د. الهراس.

69) السبكي : طبقات الشافعية : 2/230 – وانظر : الحضارة العربية في إسبانيا : 161.

70) طبقات الشافعية : 2/230.

يتفقه في مجلسه للشافعي، فإذا شهد مجلس الشورى، قال بقول أصحابه.(71)

وكان سمح بن محمد بن السمح من أهل جيان، قد سمع من بقي بن مخلد، يميل إلى الحديث وإلى مذهب الشافعي.(72)

وصحب سعيد بن الحداد أبا سعيد سحنون وسمع منه، ثم نزع عن ذلك وصار إلى مذهب الشافعي، من غير تقليد بل كان كثيرا ما يخالفه.(73)

وكان حسن بن سعيد الكتامي (ت 332هـ) قد سمع بقي بن مخلد، ورحل إلى المشرق فأخذ عن أئمة الحديث والفقه هناك، وكان يميل إلى مذهب الشافعي وترك حضور الشورى لما رأى الفتيا دائرة على مذهب المالكيين، ولزم بيته.(74)

وممن كان يميل إلى مذهب الشافعي من المشاهير غير من ذكر، يحيى بن عبد العزيز الخراز (ت290هـ) وكان من أهل الحديث،(75) ومنهم الحميدي، وتحول أبو محمد ابن حزم (ت456هـ) من المذهب المالكي إلى الشافعي، قبل أن يستقر على المذهب الظاهري.

وقال الحميدي: إن الحافظ ابن عبد البر النمري، كان يميل في الفقه، إلى أقوال الشافعي.(76)

وتجدر الإشارة إلى أنه وفد على الأندلس، عدد كبير من الشافعية كعبيد الله بن عمر القيسي البغدادي(77) (ت295هـ)، ومحمد بن أحمد بن

---

71) طبقات النحويين واللغويين : 282.

72) التكملة : 132/4 تحقيق : د. الهراس.

73) ترتيب المدارك : 97/5.

74) تاريخ علماء الأندلس : 129/1.

75) نفسه : 182/2 وانظر : أخبار الفقهاء والمحدثين : 375.

76) جذوة المقتبس : 295/1.

77) تاريخ علماء الأندلس : 116/1.

إبراهيم بن أبي بردة البغدادي (ت373هـ) لم يصل إلى الأندلس – حسب ابن الفرضي – أفهم منه بالمذهب،(78) وأيوب بن نصر المقدسي، قدم الأندلس تاجرا سنة 424هـ،(79) وعلي بن إبراهيم التبريزي ابن الحارث، قدم الأندلس سنة 421هـ، سمع منه جماعة من علماء الأندلس وغيرهم.(80)

خامسا : المذهب الحنبلي :

ينسب هذا المذهب، إلى أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (164 – 241هـ)، ويقوم على استنباط الأحكام من القرآن والسنة، ولا يعتمد على الرأي إلا في حالات الضروة.(81)

قال ابن خلدون : «أما أحمد بن حنبل فمقلده قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد، وأصالته في معاضدة الرواية والأخبار بعضها ببعض، وأكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها، وهم أكثر الناس حفظا للسنة ورواية الحديث.(82)

وجاء في ترتيب المدارك : أن أحمد بن حنبل قال : الخبر الضعيف عندي، خير من القياس، وبديهة العقل تنكر هذا، فلا خير في بناء على غير أساس.(83)

على أن أخذ الإمام أحمد بالحديث الضعيف، ليس على إطلاقه، كما هو مبين في محله.(84)

---

78) تاريخ علماء الأندلس : 2/116.
79) الصلة : 1/113.
80) الصلة : 2/427.
81) تاريخ التراث العربي : 3/215.
82) مقدمة ابن خلدون : 448.
83) انظر ترتيب المدارك : 1/92.
84) انظر : مجموع فتاوي ابن تيمية : 18/65.

وقد دخل المذهب الحنبلي الأندلس، بواسطة بعض الرحالين والغرباء،(85) وتتلمذ للإمام أحمد بن حنبل، من كبار محدثي الأندلس، بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، كما أدخل بعض كتبه، الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم الثغري القلعي (ت383هـ) سمع ببغداد من أبي علي ابن الصواف: «العلل لأحمد بن حنبل، ومن أبي بكر أحمد بن جعفر ابن حمدان «مسند» أحمد بن حنبل، و«التاريخ» له.(86)

ودخل الأندلس من الحنابلة، سالم بن علي بن ثابت الغساني اليماني أبو زيد، قدم تاجرا سنة 416هـ.(87) لكن على الرغم من أثر أحمد البعيد في النهضة الحديثية بالأندلس، فإن مذهبه لم يتعد، من تدين به في نفسه على حد تعبير القاضي عياض.(88)

أما في أقطار الغرب الإسلامي الأخرى، فكان الأمر في التمذهب بمذهب أحمد كالأندلس أو أقل، تعرف عليه العلماء بواسطة بعض الرحاليين والغرباء.(89)

قال بعض أصحاب سحنون : عرست فدعوت ليلة عرسي، جماعة من أصحابنا فأتوني وفيهم رجل من أهل المشرق – كان قدم علينا – من أصحاب أحمد بن حنبل، وكان الناس يسمعون منه العلم، وكان شيخا مسمتا نبيلا، قلما رأينا مثله.(90)

سادسا : المذهب الظاهري :

صاحب هذا المذهب وزعيمه هو داود بن علي الأصفهاني (ت270هـ).

---

85) ترتيب المدارك: 1/27.

86) تاريخ علماء الأندلس : 1 285.

87) الصلة : 1/232.

88) ترتيب المدارك : 1/27.

89) نفسه.

90) رياض النفوس : 1/442 – ترتيب المدارك : 4/73.

كان والده حنفيا ومال هو في أول أمره إلى الشافعية، ثم رفض القياس والتقليد، وبالتالي رفض الانضمام لمذهب إمام من الأئمة، وأقام مذهبه على أساس اعتماد، ظاهر القرآن والسنة فقط، ولذلك سمي اتباعه بالظاهرية.(91) وقد دخل المذهب إلى الأندلس على يد عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال القرطبي (ت272هـ) زمان الأمير محمد بن عبد الرحمن.(92)

ومن أعلام هذا المذهب بالأندلس، القاضي منذر بن سعيد البلوطي الكرني(93) (ت 355هـ) وأبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني(94) أستاذ ابن حزم وهشام بن غالب الغافقي الوثائقي (ت438هـ).(95)

وفي الوقت الذي كاد فيه المذهب الظاهري يلفظ أنفاسه، ظهر أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم القرطبي (384 – 456هـ) فناصره بقوة وجراءة، أعادت إليه الروح، وضمنت له البقاء إلى حين.(96)

واستمر المذهب الظاهري بالأندلس، فكان بعد ابن حزم من الظاهرية، فرج بن حديدة البطليوسي(97) (ت480هـ) ومحمد بن حسن الأنصاري(98) (ت532هـ) وغيرهما ثم تعلق به ملوك الموحدين بالمغرب بعد قيام دولتهم، خصوصا يعقوب المنصور الذي كان يقول عن ابن حزم: «إن كل العلماء عيال عليه».(99)

---

91) تاريخ التراث العربي : 3/252.
92) أخبار الفقهاء والمحدثين : 217 – تاريخ علماء الأندلس : 1/257.
93) انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : 295.
94) الصلة : 2/618.
95) نفسه : 2/652.
96) انظر : مقدمة ابن خلدون : 446 – 447 – ويرى الدكتور عبد المجيد التركي أن سر تقدير ابن حزم لبقي بن مخلد، ربما يرجع إلى أن هذا الأخير هو الذي أدخل المذهب الظاهري إلى الأندلس (قضايا ثقافية: 173).
97) الصلة : 2/462.
98) نفسه : 2/582.
99) نفح الطيب : 2/162.

وإلى جانب المغرب والأندلس دخل شيء من المذهب الظاهري إلى القيروان، لكن يبدو أن أهلها لم يولوه كبير اهتمام، حتى إن ابن الحداد (ت302هـ) تكلم ذات يوم في مسألة، فقيل له: إن داود قال فيها: كذا وكذا، فقال مستخفا: لو كان نومي كيقظة داود، ما تكلمت في العلم».(100)

سابعا : مذاهب أخرى :

عرفت بلاد الغرب الإسلامي، دخول بعض المذاهب الأخرى، لكن في نطاق ضيق، وربما في أمور محدودة كمذهب الليث بن سعد المصري (ت175هـ) الذي أخذ به يحيى بن يحيى – مثلا – في ترك القضاء بالشاهد ويمين، وترك القنوت وجواز كراء الأرض بجزء مما يخرج منها، والقضاء بدار أمين، إذا لم يوجد من أهل الزوجين حكمان.(101)

والليث إمام المدرسة المصرية، قال عنه أحمد بن حنبل : ما في هؤلاء المصريين أثبت من الليث، لا عمرو بن الحارث ولا غيره ما أصح حديثه.(102)

ومن تلامذته بالغرب الإسلامي بالإضافة إلى يحيى الليثي: زياد شبطون وعلي بن زياد التونسي،(103) والبهلول بن راشد وقرعوس وغيرهم.(104)

ومن المذاهب التي كان لها أثر، في دخول الحديث إلى الغرب الإسلامي، مذهب سفيان الثوري (ت161) قال ابن عينية: ما بالعراق أحد يحفظ الحديث الا سفيان».(105)

---

100) ترتيب المدارك : 80/5.

101) انظر : أخبار الفقهاء والمحدثين : 348 – ترتيب المدارك : 383/3.

102) انظر : عوالي الليث بن سعد لقاسم بن قطلوبغا رواية الطولوني: 48 (مقدمة المحقق).

103) ترتيب المدارك: 80/3.

104) نفسه : 87/3.

105) انظر : شرح علل الترميذي : 453/1.

ويعد أول من رتب الأحاديث ترتيبا موضوعيا في الكوفة.(106) وكتابه الجامع من أول الكتب التي دخلت إلى بلاد الغرب الإسلامي، إلى جانب موطأ مالك، ومن تلامذته المغاربة على بن زياد التونسي، عبد الله بن غانم، البهلول بن راشد، حفص بن عمارة، عبد الله بن فروخ، عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني، يحيى بن مضر، قرعوس، أبو خارجة عنبسة، محمد بن الحكم، ومعاوية بن الصمادحي، عبد الله بن المغيرة، وعامر بن سعيد القيسي وغيرهم.(107)

ومن المتأخرين من يقول : إن إدريس الثاني كان على مذهب مالك، أو سفيان الثوري على مذهب قاضيه عامر القيسي المذكور قبله.(108)

ب – الرحلة :

رحل أهل الغرب الإسلامي إلى المشرق، منذ وقت مبكر، مما اهتمت به كتب الرجال والتراجم المغربية، بشكل واضح، فهي تذكر زمن الرحلة، وأماكنها والشيوخ الذين لقيهم المترجم، والكتب والفنون التي تلقاها عنهم، ورفاقه في الرحلة وزملاءه في الطلب، ومن لم يرحل نبهوا على ذلك في ترجمته، بمثل قول محمد بن حارث الخشني: «لم تكن له رحلة».(109)

---

106) تاريخ التراث العربي : 3/247.

107) تاريخ علماء الأندلس : (1/413) ترتيب المدارك : 3/87, 102 – طبقات علماء افريقية وتونس: 119.

108) انظر : الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية لمحمد بن علي السنوسي: 86 دار العلم – بيروت لبنان ط 1: 1406هـ / 1986م.

109) أخبار الفقهاء والمحدثين : 83. واستفاد بعض العلماء من العابرين بلده، وإن لم يرحل، كإبراهيم بن إسماعيل اللواتي الأجدابي الطرابلسي الذي سئل أنى لك هذا العلم ولم ترتحل؟ قال: اكتسبته من بابي هوارة وزناتة، يريد أنه استفاد العلم ممن يفد على طرابلس من المغرب والمشرق من أهل العلم (طاهر أحمد الزاووي: أعلام ليبيا: 4 – 5 مكتبة الفرجاني طرابلس – ليبيا – ط: 1 – 1381هـ – 1961م.

واهتم المقري في نفح الطيب بالراحلين من الأندلس إلى المشرق، فخصهم بالجزء الثاني من كتابه المذكور، جاعلا عبد الملك بن حبيب طليعتهم، ثم يحيى بن يحيى الليثي ثم من بعدهما... ولم يفته أن يرصد حركة الوافدين من المشرق على الأندلس، فخصص لهم قسما كبيرا من الجزء الثالث من نفح الطيب، جاعلا المنيذر الإفريقي أولهم، ثم موسى بن نصير ثم من بعدهما... ولم يستوعب في كلا الحالين، بل فاتته أسماء كثير من الراحلين والوافدين...

ويظهر من خلال مختلف التراجم المغربية، أن الرحلات بين المغرب والمشرق، كانت تمر عبر البر والبحر معا.

إن الرحلة من المغرب إلى المشرق، تبدأ من أبعد نقطة عن المشرق وهي الأندلس – طبعا – ومن ثم يمكن تصور الرحلات البرية، بأنها كانت تنطلق من قرطبة – مثلا – ثم سبتة فطنجة ثم تصل إلى القيروان، فطرابلس ثم مصر أو الشام فالعراق ثم مكة والمدينة.

وكانت الطرق البرية محفوفة بالمخاطر، من قبل اللصوص وقطاع الطرق، وتعسف بعض الحكام.(110)

ولعل الخوف من السلب أو الامتحان في الطريق، هو ما جعل طلبة العلم يوثرون الخروج مع ركب الحاج لضمان رحلة أقل تعرضا للمخاطر، ولهذا كثيرا ما يرد في التراجم المغربية مثل العبارات التالية:

«رحل إلى المشرق وحج، ودخل الشام وسمع ببيت المقدس».(111)

«رحل إلى المشرق (...) وحج من عامه».(112)

---

110) انظر أمثلة من هذا القبيل في: أخبار الفقهاء والمحدثين: (17 ع14) تاريخ علماء الأندلس: (305/1) (116/2، 117) الصلة: 108/1.

111) الصلة: 423/2.

112) أخبار الفقهاء والمحدثين: 176 ع208 / وانظر: الصلة: 530/2.

«رحل يريد الحج، فوصل القيروان وسمع بها (...) وانصرف لم يحج».(113)

«رحل إلى المشرق مع أبيه صغيرا، فحج ولم يسمع في سفرته تلك من أحد».(114)

«رحل وحج (...) وصنع الحبر من ماء زمزم».(115)

«حجت، وسمعت الفقه والحديث (...) ثم حجت ثانية فتوفيت بمكة ودفنت هنالك».(116)

ولم تكن الرحلة عبر البحر سهلة بل جاء في تراجم كثيرة، ما يفيد مخاطر الرحلات البحرية في تلك العهود، بسبب الأعطاب والقرصنة.(117)

وكان الراحلون إلى جانب طلبهم الرفقة المأمونة، يرتبطون ببعض زملائهم في الطلب،(118) وقد يصحب أحدهم ابنه، أو أخاه أو غيرهما من أقاربه،(119) لتحقيق البغيتين: الحج وطلب العلم أو أحدهما على الأقل.

وكان الراحل ربما نذر إن رده الله من سفره سالما أن يبني مسجدا – مثلا.(120) كما كان أهل بلده يأتونه بعد عودته مهنئين.(121)

---

113) تاريخ علماء الأندلس : 1/342.

114) نفسه : 1/350.

115) الصلة : 2/559.

116) التكملة لابن الابار : 4/244. تحقيق: الهراس.

117) انظر : أخبار الفقهاء والمحدثين : 78 – 177 – تاريخ علماء الأندلس : 1/300 – الصلة 2/375.

118) انظر تاريخ علماء الأندلس : 1/858 – ترتيب المدارك (6/96) (7/205) الصلة 1/46.

119) انظر : تاريخ علماء الأندلس : 1/119, 340, 371 الصلة : (1/11) (2/561).

120) أخبار الفقهاء والحدثين : 292 – تاريخ علماء الأندلس : 1/389.

121) طبقات النحويين واللغويين : 253 – تاريخ علماء الأندلس 1/300.

وكانت الرحلات طلبا للحديث، تسير من المغرب إلى المشرق – غالبا – ومن المشرق إلى المغرب – أحيانا –، كما كانت إلى جانب ذلك الرحلات الداخلية بين أقطار بلاد الغرب الإسلامي بعضها البعض، أو داخل القطر الواحد منها.

وقد حرص المغاربة على تخير الرجال والإكثار منهم، ووجه الأباء الأبناء والتلاميذ إلى ذلك ونصحوا لهم به وساعدوهم على تحقيقه ماديا ومعنويا، من ذلك حث زياد بن عبد الرحمن تلميذه يحيى بن يحيى الليثي على الرحلة قائلا له: «إن الرجال الذين حملنا عنهم باقون، وعجز بك أن تروي عمن دونهم»(122) ثم ساعده على السفر، وقدم له سلفة مالية. توفر له ما يلزمه لذلك.(123)

ولما أراد عبد الملك بن حبيب، الرحلة إلى المشرق أعطاه أبوه ألف دينار، وقال له: خذ هذه واستعن بها في طلب العلم، ولا تنفق منها شيئا، إلا في سبيل العلم...».(124)

وأوصى سحنون ابنه محمدا بقوله : «إن أردت الحج تقدم أطرابلس، وكان فيها رجال مدنيون ومصر، وفيها الرواة، والمدينة وفيها عشيرة مالك، ومكة...».(125)

وهذا يقود إلى الحديث عن أهم المراكز العلمية، التي كان طلاب العلم المغاربة يقصدونها بالمشرق، وطلاب العلم المشارقة بالمغرب، وهي كثيرة من أهمها: مكة، المدينة، دمشق، بغداد، القيروان، الاسكندرية، أطرابلس، فاس، تاهرت، برقة، دمياط، سبتة، طنجة، تونس، سجلماسة، البصرة، الكوفة، صنعاء، حمص، حلب، سوسة، بيت المقدس، الرملة، أيلة، حوران،

122) ترتيب المدارك : 3/327.
123) نفسه : 3/380.
124) أخبار الفقهاء والمحدثين : 245.
125) ترتيب المدارك : 4/51.

أنطاكية، خراسان، أذنة، طرطوس، المصيصة، غزة، الشام، القلزم، عسقلان، واسط، الرقة، الموصل، القاهرة، مرو، نصبين، طبرية، تلمسان، وغير ذلك.(126)

وقصد أهل الغرب الإسلامي، في رحلاتهم إلى المشرق، عددا كبيرا من الشيوخ، يأتي في مقدمتهم، الإمام مالك بن أنس، من حيث كثرة الطلاب وبعد الأثر، ومنهم: سفيان الثوري وسفيان بن عينية، والليث بن سعد، والأوزاعي، وابن لهيعة، وعبد الله بن جريج، وابن أبي ذئب، والدراوردي، ووكيع بن الجراح، ويحيى القطان، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وابن أبي خيثمة، وابن أبي شيبة، والعقيلي، والطحاوي، والآجري، والدارقطني، وابن الأعرابي، والحاكم النيسابوري، وعبد الغني بن سعيد الأزدي، وأبو ذر الهروي، وكريمة المروزية وغيرهم.

ومن الأمثلة على ما تحلى به الراحلون من المغرب إلى المشرق، من حرص على تخير الرجال: وقصدهم في مواطنهم: وعدم الاهتمام بشيء آخر يشغلهم عن هدفهم الذي رحلوا من أجله، أن يحيى بن يحيى الليثي عندما كان بالمدينة النبوية عند الإمام مالك، لم يكن يشغله عن الأخذ عنه شاغل، حتى إنه لما مر الفيل بباب مالك ذات مرة، خرج كل من كان في المجلس لرؤيته، ما عدا يحيى الذي بقي في موضعه، الشيء الذي أكبره فيه مالك.(127)

ولقي يحيى نفسه في رحلته الثانية ابن القاسم وسمع منه بمصر، وظل ملازما له لا يشغله عنه شاغل وفي ذلك يقول: «تقت إلى النساء أيام ابن القاسم فاشتريت جارية بمصر، فوالله ما رأيت وجهها نهارا

---

126) انظر : على سبيل المثال : أخبار الفقهاء والمحدثين : 28, 29, 125, 126, 135, 136, 153, 158, 172, 174.

127) نفسه : 358 ع493 – ترتيب المدارك: 3/382 – 383.

طول ما أقامت عندي حتى بعتها، اشتغالا مني بابن القاسم وحديثه».(128)

ودخل الحافظ بقي بن مخلد القرطبي بغداد، لا حاجة له فيها سوى الوصول إلى أحمد بن حنبل، فقصد المسجد الجامع، وجلس إلى حلقة كبيرة، أكثر كلام صاحبها: «صالح»، كذاب، لا شيء، ثقة، لابأس به الشيء الذي أثار انتباه بقي بن مخلد، فلما علم أن الرجل هو يحيى بن معين قعد ينتظره، حتى إذا خلا تقدم إليه وسأله قائلا: «رحمك الله، ما تقول في أبي عبد الله ابن حنبل؟» قال: «ما أقول: ذاك سيدنا وخيرنا وأفضلنا».

ووصل بقي إلى ابن حنبل، لكن وجده في محنته ممنوعا من التحديث، فلم يكن في وسعه إلا أن يلجأ إلى الحيلة، فاتفقا على أن يأتي بقي كل يوم، على هيئة متسول، فيخرج إليه الإمام أحمد، ويملي عليه ما تيسر، وبهذه الطريقة كتب بقي نحو ثلاثمائة حديث، قبل رفع الحصار عن الإمام وخروجه للناس.(129)

واستكثر المغاربة من الشيوخ، ورحلوا إليهم في أقصى البلاد. روي عن موسى بن معاوية الصمادحي (ت225هـ) أنه قال: ذكر لي رجل بخراسان، فأتيته، فأصبته في المسجد يحدث، فسلمت عليه، فقال لي: من أين الرجل؟، فقلت: من المغرب، فقال: من أي موضع؟ فقلت: من القيروان قال: ومن لقيت؟، قلت الفضيل، ووكيعا، وأبا معاوية الضرير، فقال لي ما أظنك تريد بهذا الله عز وجل، أما كان يكفيك أن تجعل أحدهم لدينك؟ ولكنك أردت أن تقدم بلدك، فتقول: لقيت فلانا وفلانا، والله لا أسمعتك إلا ثلاثة أحاديث لعنائك.(130)

---

128) أخبار الفقهاء والمحدثين : 359 ع493.

129) نفسه : 49 – 50 ع 58.

130) رياض النفوس : 381/1.

وهذه بعض الأرقام الدالة على مدى اعتناء المغاربة بالاستكثار من الشيوخ، وذلك من خلال أعداد شيوخ، جملة من مشاهير علماء الغرب الإسلامي:

* الوليد بن بكر الغمري سرقسطي (ت 392هـ)، ذكر أنه لقي في رحلته نيفا على ألف شيخ بين محدث وفقيه، وسمع منهم.(131)

* يحيى بن مالك بن عائذ الطرطوشي (ت 375هـ) سمع ببغداد من 700 رجل ونيف(132)

* عبد الرحمن بن عبيد الله المعروف بابن الزامر (ت 369هـ) بلغ عدد رجاله أكثر من 400 رجل بالأندلس والمشرق.(133)

* يحيى بن السلام (ت 200هـ) لقي من الشيوخ نحو 363 عالما، سوى التابعين، وهم أربعة وعشرون، وامرأة تحدث عن عائشة رضي الله عنها.(134)

* يوسف بن علي بن جبارة الهذلي الأندلسي المقريء أبو الحجاج، ذكر أنه لقي من الشيوخ ثلاثمائة وخمسة وستين شيخا من آخر ديار الغرب إلى فرغانة.(135)

* بقي بن مخلد (ت 276هـ) 284 شيخا).(136)

* أبو القاسم خلف بن قاسم بن سهل الدباغ القرطبي (ت 393هـ) (236 شيخا).(137)

---

131) الصلة : 2/642.

132) تاريخ علماء الأندلس : 2/191.

133) نفسه : 1 / 307.

134) رياض النفوس : 1/188 – 189.

135) الصلة : 2/680.

136) تاريخ علماء الأندلس : 1/108 وانظر : معجم شيوخ بقي بن مخلد للدكتور نوري – مطبعة الهداية تطوان: 1996.

137) تاريخ علماء الأندلس : 1/164.

* أبو عبد الله بن محمد بن يحيى بن مفرج (ت380هـ) (201 شيخا).(138)

* محمد بن وضاح القرطبي (ت 286هـ) (175 شيخا).(139)

* محمد بن قاسم بن محمد (ت 327هـ) (163 رجلا).(140)

* وروى أحمد بن عمرو بن منصور المعروف بابن عمريل (ت312هـ) بالأندلس والمشرق عن تسعة عشر، اسم كل واحد منهم محمد، وعن سبعة كل واحد منهم أحمد.(141)

وضرب الأندلسيون أرقاما قياسية في المدد التي كانوا يقضونها في رحلاتهم إلى المشرق، من ذلك:

* أبو محمد الشنتجيالي (ت436هـ) رحل إلى المشرق سنة (391هـ) وحج حجة الفريضة عن نفسه واتبعها خمسا وثلاثين حجة، وزار اثنتين وسبعين زورة، إذ كان يزور مع كل حجة زورتين، وعاد إلى الأندلس في سنة 430هـ.(142)

* بقي بن مخلد رحل مرتين، أقام في الأولى عشرة أعوام، وفي الثانية خمسا وعشرين سنة.(143)

* أبو بكر محمد بن معاوية القرشي ابن الأحمر (ت358هـ) قضى في رحلته المشرقية نحو ثلاثين سنة (من 295 إلى 325هـ).(144)

---

138) نفسه : 95/2.
139) نفسه : 18/2.
140) نفسه : 48/2.
141) أخبار الفقهاء والمحدثين : 16 ع 12.
142) الصلة : 273/1.
143) أخبار الفقهاء والمحدثين : 49 ع 58.
144) تاريخ علماء الأندلس : 164/1.

* يحيى بن مالك العائذي (ت375هـ) رحل إلى المشرق سنة 347هـ، ولم يعد إلى الأندلس إلا في سنة 369هـ وكان يقول: «لو عدت أيام مشيي في المشرق وعدت كتبي التي كتبت هناك بخطي، لكانت كتبي أكثر من أيامي بها»(145) إلى أمثلة أخرى كثيرة.(146)

وإلى جانب الرحلة الخارجية للمغاربة عرفوا الرحلة الداخلية بين أقطار الغرب الإسلامي كلها، أو داخل القطر الواحد منها.

فمن النوع الأول رحلة عدد من طلاب العلم الأندلسيين إلى سحنون بن سعيد بالقيروان كبقي بن مخلد(147) ومحمد بن وضاح(148) وغيرهما من الكبار وكان بالبيرة بالأندلس سبعة من رواة سحنون اجتمعوا في وقت واحد.(149)

وكان سحنون يقول : «يا أهل الأندلس، أنا أحبكم لأنكم قوم سنة وخير».(150)

ورحل كثير من طلبة العلم من المغرب والأندلس إلى أبي الحسن القابسي (ت403هـ) بالقيروان، كان منهم مع حاتم بن محمد ابن الطرابلسي: نحو ثمانين رجلا من أهل القيروان والأندلس وغيرهم من المغاربة.(151)

---

145) نفسه : 2/191.

146) انظر أمثلة أخرى في : أخبار الفقهاء والمحدثين : 14 ع 12 – تاريخ علماء الأندلس : 2/28 – ترتيب المدارك : 7/145.

147) أخبار الفقهاء والمحدثين : 55.

148) نفسه : 126.

149) نفسه : 1/17 – 18.

150) ترتيب المدارك : 4/79.

151) الصلة : 1/159.

وممن قصده طلاب العلم بالقيروان أبو محمد بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ)،(152) وأبو جعفر أحمد بن نصر الداودي (ت402هـ) كان بطرابلس الغرب، ثم انتقل إلى تلمسان وبها توفي.(153)

قال أبو علي الغساني : «قال لي حاتم بن محمد ابن الطرابلسي – كان أبو جعفر الداودي حين دخلت إلى المشرق حيا بتلمسان، فلم يمكني لقاؤه، لتغرب الطريق، من الجهة التي خرجت إليها من البحر».(154)

وقصد الأندلس من باقي بلاد الغرب الإسلامي، عدد من طلاب العلم، منهم عبد الرحمن بن بكر بن حماد التاهرتي القيرواني،(155) وزكرياء بن بكر ابن الأشج من أهل تاهرت (ت393هـ) دخل الأندلس سنة 326هـ(156)

ومن المشاهير الذين وفدوا على الأندلس، طلبا للعلم، دراس بن إسماعيل الفاسي،(157) (ت357هـ) وأبو عمران الفاسي (ت430هـ).(158)

ومن المغاربة الداخلين الأندلس كذلك يصلتن بن داود الأغماتي أبو عبد الرحمن (ت371هـ)، وكان زميلا لابن الفرضي في السماع من عدد من شيوخ الأندلس.(159)

أما عن الرحلات داخل القطر الواحد من أقطار الغرب الإسلامي، فقد عرفت الأندلس – مثلا – حركة نشيطة في هذا المضمار. من ذلك الرحلة إلى محمد بن فطيس الغافقي (ت319هـ) وأحمد بن منصور المعروف بابن

---

152) انظر ترتيب المدارك : – الصلة : (252/1) (506/2).

153) انظر : الصلة : 252/1.

154) فهرسة ابن خير : 87.

155) تاريخ علماء الأندلس : 311/1.

156) نفسه : 179/1.

157) نفسه : 173/1.

158) ترتيب المدارك : 24/7.

159) تاريخ علماء الأندلس: 210/2 – 211.

عمريل (ت312هـ) وذلك بالبيرة، فلما مات هذا الأخير انفرد ابن فطيس بعلو الدرجة ورياسة الإسناد.(160)

وكان الناس يرحلون إلى زكرياء بن خطاب الكلبي (ت337هـ) بتطيلة،(161) وإلى وهب بن مسرة (ت346هـ) من الثغر كله للسماع منه.(162)

وجاء في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن هارون المصمودي البربري المعروف بابن الزاهد (ت360هـ) أنه أقام بقرطبة في طلب العلم أربعين سنة».(163)

ورحل أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد ابن فطيس (ت402هـ) في حديث واحد من قرطبة إلى البيرة، حتى سمعه من الشيخ الذي رواه ثم انصرف.(164)

وكما رحل المغاربة إلى المشرق طلبا للحديث، رحل المشارقة إلى المغرب من أجل ذلك، وإن كان بشكل أقل.

رحل من المشرق من الكوفة بالعراق إلى الأندلس زيد بن الحباب العكلي (ت203هـ) للقاء معاوية بن صالح الحضرمي والرواية عنه.(165)

ذكر الإمام أحمد بن حنبل زيد بن الحباب فقال : كان صاحب حديث كيسا قد رحل إلى مصر وخراسان في الحديث، وما كان أصبره على الفقر، كتبت عنه بالكوفة وها هنا، وقد ضرب في الحديث إلى الأندلس».(166)

---

160) نفسه : 2/43.
161) نفسه : 1/176.
162) نفسه : 2/162.
163) نفسه : 1.26.
164) الصلة : 1/312.
165) قضاء قرطبة : 16 – تاريخ علماء الأندلس : 1/185 – جذوة المقتبس 1/340.
166) جذوة المقتبس : 1/340.

وكأن الخطيب البغدادي، لم يستسغ أن يرحل زيد إلى الأندلس طلبا للحديث، فقال معلقا على كلام أحمد بن حنبل: «قوله إنه ضرب في الحديث إلى الأندلس، إنما عنى بذلك والله أعلم، سماع زيد من معاوية بن صالح الحمصي، وكان يتولى قضاء الأندلس، فظن أحمد أن زيدا سمع منه هناك، وهذا وهم منه رحمه الله، وأحسب أن زيدا سمع من معاوية بمكة».(167)

وتصدى للخطيب البغدادي، تلميذه الأندلسي الحميدي، فعقب على كلامه بقوله: «هذا آخر كلام الخطيب، ولم يأت بحجة قاطعة، يتعلق بها، ولا بدليل أصلا، يقضي بالوهم على الإمام أبي عبد الله فيما قال، وإنما جاء بظن ظنه (...) وظنه هذا لا يقضي بالوهم على يقين هذا الإمام.

وما الذي يمنع من مسير زيد بن الحباب إلى الأندلس، وسماعه من معاوية بن صالح هناك لا سيما وقد شهد بذلك، وقاله من لايتهم في حسن معرفته، ولا نتهجم بالقطع على وهمه وغفلته إلا بدليل أو حجة تستبين»،(168) وقد روي عن زيد بن الحباب نفسه أنه قال: «دخلت الأندلس، وكتبت عن معاوية بن صالح».(169)

وقال أبو أمية بكر بن محمد بن فرقد : مضى زيد بن الحباب من الكوفة إلى الأندلس، إلى معاوية بن صالح لقيه هناك وروى عنه.(170)

وإلى جانب زيد بن الحباب، هم ابن أبي خيثمة، أن يرحل إلى الأندلس ليجمع حديث معاوية بن صالح، وقد قال محمد بن عبد الملك بن أيمن: رأيت حديث معاوية بن صالح، بالعراق أعز شيء».(171)

---

167) نفسه : 1/341.

168) نفسه 1/341.

169) قضاة قرطبة : 16 – تاريخ علماء الأندلس : 1/186.

170) قضاة قرطبة : 16 – تاريخ علماء الأندلس : 1/185.

171) قضاة قرطبة : 16.

وكذلك هم الحافظ الدرقطني (ت385هـ) بالرحلة إلى الأندلس للسماع من أبي عيسى يحيى بن عبد الله الليثي.(172)

وكتب جماعة من أهل مصر، نحو مائة كتاب إلى يوسف بن يحيى المغامي، بعضهم يسأله الإجازة، وبعضهم يسأله في كتابه الرجوع إليهم، وكان قد سمع منه بمصر خلق كثير.(173)

ج – الكتب :

إن مما ساهم مساهمة فعالة، في انتشار الحديث وتنشيط الحركة الحديثية بالغرب الإسلامي، دخول عدد كبير من أمهات كتب الحديث والرجال.

ونظرا لشساعة الرقعة، موضوع هذا البحث، وكثرة المؤلفات الداخلة في مجال علوم الحديث، فسأقتصر هنا، على أهم هذه المصنفات، مع ترتيبها حسب الدخول ما أمكن ذلك:

أولا : أهم كتب الحديث :

أ – القرن الهجري الثاني : أهم كتاب دخل في هذا القرن إلى بلاد الغرب الإسلامي كله، هو موطأ مالك بن أنس (ت179هـ) ثم جامع سفيان الثوري (ت161هـ).

1 – الموطأ : هو أول كتاب حديثي يدخل، أقطار الغرب الإسلامي، وكان دخوله إليها في فترات متقاربة وذلك على النحو التالي:

– أطرابلس : أدخله إليها، أبو سليمان محمد بن معاوية الحضرمي(174) سمع من مالك الموطأ.

---

172) ترتيب المدارك : 6/108.

173) تاريخ ابن الفرضي : 2/201 – ترتيب المدارك : 4/431.

174) رياض النفوس : 1/290 ع 110 – ترتيب المدارك : 3/323 – اتحاف السالك: 218.

– المغرب الأدنى : أدخله إليه، أولا علي بن زياد التونسي (ت183هـ) بروايته عن مالك مباشرة،(175) ثم أدخله ثانيا، أسد بن الفرات القروي (ت214هـ)، سمعه أولا من علي بن زياد، ثم رحل إلى مالك فسمعه منه.(176)

– المغرب الأقصى : أدخله أول الأمر – فيما يظهر – ادريس بن عبد الله مؤسس الدولة الإدريسية (ت177هـ).

يقول عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : كان ادريس يقول : نحن أحق باتباع مالك وقراءة كتابه، وذلك لرواية الإمام مالك في الموطأ عن والده عبد الله»(177) ثم أدخله بعد ذلك عامر بن محمد بن سعيد القيسي، قاضي ادريس بن ادريس بن عبد الله، وكان قد سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما(178) وعن طريق المغرب، عرف المغرب الأوسط موطأ مالك.(179)

– الأندلس : أما أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس، فهو الغازي بن قيس (ت199هـ).(180)

رحل قديما، فسمع من مالك الموطأ، وشهده وهو يؤلفه، وكان يحفظه عن ظهر قلب، حتى إن القارئ عليه ربما قدم أو أخر ليختبر حفظه، فرد عليه ذلك، ولما علم قصده أنكر عليه وقال: إن عدت لا تقرأ علي.(181)

ثم أدخله زياد بن عبد الرحمن اللخمي الأندلسي المعروف (بشبطون) (ت204هـ) سمعه من مالك، ورواه عنه يحيى بن يحيى الليثي قبل رحلته إلى مالك.(182)

---

175) ترتيب المدارك : ./80 – اتحاف السالك برواة الموطأ : 270.

176) اتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك: لابن ناصر الدين: 262.

177) عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام : 186/1.

178) انظر : الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع 35/1.

179) انظر : مقالا للأستاذ محمد المنوني بمجلة دار الحديث الحسنية : ع 3 / ص 37.

180) أخبار الفقهاء والمحدثين : 292 – طبقات النحويين واللغويين : 254.

181) أخبار الفقهاء والمحدثين : 292 – اتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك : 245.

182) أخبار الفقهاء والمحدثين : 95.

قال عياض : زياد شبطون، أول من أدخل الأندلس، موطأ مالك متقنا بالسماع منه، ثم تلاه يحيى بن يحيى.(183)

وأدخله آخرون، لكن أشهرهم كان يحيى بن يحيى الليثي، وروايته هي التي اعتمدها أكثر الناس، وهي التي اعتمدها حافظ المغرب ابن عبد البر.(184)

2 – جامع سفيان الثوري (ت161هـ): هذا الكتاب أول من أدخله إلى بلاد الغرب الإسلامي علي بن زياد التونسي،(185) ثم أدخله محمد بن وضاح (286هـ) إلى الأندلس في رحلته الأولى سنة 218هـ.(186)

ب – **القرن الثالث** :

3 – مصنف ابن أبي شيبة (ت235هـ) أدخله بقي بن مخلد (ت276هـ).(187)

4 – مصنف وكيع بن الجراح (ت197هـ).(188)

5 – مسند بن أبي شيبة (ت235هـ).(189) أدخلهما محمد بن وضاح (ت286هـ).

6 – مصنف ابن عيتية (ت189هـ) أدخله محمد بن عبد السلام الخشني (ت286هـ).(190)

7 – مسند أسد بن موسى (ت212هـ).

---

183) ترتيب المدارك : 3/117.

184) التمهيد : 1/10.

185) رياض النفوس : 1/234 ع 91 – ترتيب المدارك : 3/80.

186) فهرسة ابن خير : 136 – 137.

187) تاريخ علماء الأندلس : 1/171.

188) فهرسة بن خير : 126.

189) أخبار الفقهاء والمحدثين، 129 – 130 – فهرسة ابن خير : 137.

190) فهرسة بن خير : 134.

جاء في ترجمة عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت238هـ)، أنه أجاز كتب أسد بن موسى،(191) وأدخله يحيى بن عمر الأندلسي (ت289هـ)(192) وسعيد بن عثمان التجيبي الأعناقي (ت305هـ).(193)

8 – قطعة من أصول السنة لعلي بن المديني (ت234هـ)، أدخله إبراهيم ابن إسماعيل بن سهل.(194)

ج – القرن الرابع :

9 – مسند شعبة بن الحجاج (ت 160 هـ).(195)

10 – مسند حديث ابن جريج (ت150هـ).(196)

11 – مسند سفيان الثوري (ت161هـ)،(197) أدخل الثلاثة سعيد بن جابر الإشبيلي (ت325هـ).

12 – مسند ابن أسامة (ت282هـ)(198) أدخله قاسم البياني (ت340هـ) وكان قد رحل إلى المشرق سنة 274هـ، وسمع فيها محمد بن إسماعيل الترمذي.(199)

13 – مسند حديث الزهري (ت124هـ) أدخله محمد بن قاسم (ت328هـ).(200)

---

191) تاريخ علماء الأندلس : 1/314 – فهرسة ابن خير : 141.
192) فهرسة ابن خير : 141.
193) تاريخ علماء الأندلس : 1/195.
194) نفسه : 1/21.
195) فهرسة ابن خير : 146.
196) فهرسة ابن خير : 146.
197) نفسه : 147.
198) فهرسة ابن خير : 141.
199) تاريخ علماء الأندلس : 1/406.
200) فهرسة ابن خير : 145.

14 – مسند أبي الوليد هشام بن عمار (ت245هـ).(201)

15 – حديث أبي خليفة بن حباب الجمحي (ت305هـ).(202)

ادخلهما أبو بكر محمد بن معاوية بن الأحمر (ت358هـ) وكان قد رحل إلى المشرق سنة 295هـ.(203)

16 – مسند أحمد بن حنبل (ت241هـ) أدخله عبد الله بن محمد بن القاسم الثغري(204) (ت383هـ) وعبد الله بن محمد بن عبد المومن التجيبي المعروف بابن الزيات (ت390هـ).(205)

17 – مسند حديث فضيل بن عياض (ت187هـ).(206)

18 – مسند الحميدي (ت219هـ).(207)

أدخلهما عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت392هـ).

19 – مصنف النسائي (ت303هـ) رواه محمد بن قاسم (ت328هـ)(208) وأبو بكر بن الأحمر(209) (ت358هـ) وأبو عبد الله الأنصاري (ت394هـ).

20 – مصنف أبي داود (ت275هـ) رحل قاسم بن نجية القرطبي إلى المشرق، فسمع من أبي داود السجستاني مصنفه، لكن يظهر أنه بقي هناك إلى أن مات ببغداد،(210) ورحل كذلك وليد بن عمر بن بشير، ودخل بغداد

---

201) نفسه : 152.

202) نفسه : 159.

203) تاريخ علماء الأندلس : 2/70.

204) نفسه : 1/285.

205) فهرسة بن خير : 139.

206) نفسه : 148.

207) نفسه : 144.

208) تاريخ علماء الأندلس : 2/48.

209) فهرسة ابن خير : 110.

210) تاريخ علماء الأندلس : 1/401.

والبصرة، سمع بها من أبي داود السجستاني مصنفه،(211) ويقول أبو علي الجياني: «واضبط من كتب مصنف أبي داود، عن أبي سعيد الأعرابي، عن صاحبه من أهل بلدنا، أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي، وعلى أصله اعتمد شيوخ المغرب في رواياتهم».(212)

وقرأه أبو حفص عمر بن عبد الملك الخولاني (ت356هـ) على أبي سعيد بن الأعرابي بمكة سنة 339هـ وسنة 340هـ، ثم رحل إلى العراق بهذا الكتاب الذي قابله بأصل ابن عرابي، فسمعه يقرأ بالبصرة على أبي بكر محمد بن داسة.(213)

21 – مصنف عبد الرزاق (ت211هـ) سمعه الحسن بن سعد الكتامي (ت332هـ)(214) من الدبري بصنعاء، وكان يقرأ على طاهر بن عبد العزيز القرطبي (ت304هـ).(215)

وممن أدخله كذلك أحمد بن خالد الجباب (ت322هـ) وأول من أخذ عنه أحمد بن شاب بن عيسى القرطبي (ت317هـ) كتبه بيده بعد سنة 290هـ ومن نسخته انتشر بأيدي الناس عن الجباب.(216)

24 – صحيح البخاري (ت256هـ): دخل صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، إلى بلاد الغرب الإسلامي، على يد ثلة من العلماء، والذي دخل من روايات صحيح البخاري روايتان: رواية أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري (ت320هـ) ورواية إبراهيم بن معقل النسفي (ت295هـ).(217)

---

211) نفسه : 2/158.

212) فهرسة ابن خير : 106.

213) نفسه :

214) أخبار الفقهاء والمحدثين : 72.

215) نفسه : 103.

216) نفسه 30.

217) القاضي عياض : مشارق الأنوار : 1/36.

ومن العلماء الذين أدخلوا صحيح البخاري إلى بلاد الغرب الإسلامي: ابن برطال(218) رحل سنة (341هـ) محمد بن إسماعيل الأنصاري،(219) رحل سنة (343هـ) سعد بن سعيد بن جزي،(220) سمع بمصر صحيح البخاري على أبي على بن السكن، وكتبه عنه سنة (345هـ)، الأصيلي،(221) رحل سنة (351هـ) القابسي(222) وكان أعمى رحل مع الأصيلي الذي ضبط له البخاري سماعه على المروزي بخط يده.

ومنهم عبدوس بن محمد بن عبدوس،(223) رحل أولا سنة 356هـ ثم رحل ثانية سنة 371هـ، محمد بن عثمان الأزدي السرقسطي،(224) أصبغ بن قاسم بن أصبغ(225) (ت363هـ)، محمد بن فرح بن سبعون النحلي المعروف بابن سهل (ت367هـ)،(226) جعفر بن يحيى بن وهب،(227) توفي بعد 370هـ، أحمد بن إسحاق الغافقي(228) (ت372هـ)، حباشة بن حسن اليحصبي (ت374هـ)،(229) زكرياء الغساني ابن الأشبج (ت393هـ)،(230) وغيرهم.(231)

---

218) تاريخ علماء الأندلس : 2/109.

219) نفسه : 2/110.

220) الذيل والتكملة : بقية السفر الرابع : 12.

221) تاريخ علماء الأندلس : 1/290.

222) ترتيب المدارك : 7/92.

223) تاريخ علماء الأندلس : 1/383.

224) نفسه : 2/67.

225) نفسه : 1/96.

226) نفسه : 2/81.

227) نفسه : 1/189.

228) نفسه : 2/63 – 64.

229) نفسه : 1/152.

230) نفسه : 1/180.

231) انظر : نفح الطيب : 2/71.

25 – صحيح مسلم (ت261هـ):

دخل صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، إلى الغرب الإسلامي من خلال روايتين هما: رواية أبي إسحاق إبراهيم بن سفيان النيسابوري (ت308هـ) ورواية أبي محمد بن علي القلانسي.(232)

وقد أدخل الصحيح إلى بلاد الغرب الإسلامي، عدد من الراحلين والوافدين، من أشهرهم أحمد بن فتح ابن الرسان القرطبي (ت403هـ)، رحل ولقي بمصر، حمزة بن محمد الكناني الحافظ (ت357هـ) وغيره، وروى عن أبي العلاء بن ماهان، صحيح مسلم.(233)

ولعل ابن الرسان هذا، أول من أدخل صحيح مسلم من الراحلين إلى الأندلس لتقدم رحلته...

واشتهر أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن الحذاء، بإدخاله صحيح مسلم إلى الأندلس أكثر من غيره.(234)

وكان قد رحل حوالي 370هـ وحج سنة 372هـ، لقي أبا العلاء عبد الوهاب بن ماهان، فسمع منه صحيح مسلم، وسيأتي الحديث عن ذلك بمزيد من البسط، في ترجمة ابن الحذاء في الباب الثاني من هذا القسم.

ورحل الصاحبان أحمد بن محمد ابن ميمون(235) (ت400هـ) وإبراهيم بن محمد ابن شنظير(236) (ت402هـ) سنة 380هـ فسمعا بمصر من أبي العلاء بن ماهان.

---

232) الغنية للقاضي عياض : 37 – مشارق الأنوار : 40/1.

233) الصلة : 26/1.

234) أبو عمرو بن الصلاح : صيانة صحيح مسلم من الاخلال والغلط وحمايته من الاسقاط والسقط: 109 – 110 (تحقيق : موفق بن عبد الله بن عبد القادر – دار الغرب الإسلامي : 1404هـ – 1984م.

235) الصلة : 21/1.

236) نفسه : 21/1.

ورحل أحمد بن عبد الله ابن الباجي (ت396هـ) متأخرا(237) بصحبة ابنه محمد بن أحمد ابن الباجي(238) (356 – 433هـ) ولقيا أبا بكر بن إسماعيل المهندس، وأبا العلاء بن ماهان وغيرهما.(239)

وممن رحل في هذه الفترة، يحيى بن محمد بن يوسف الأشعري، المعروف بابن الجياني(240) (ت390هـ)، سمع بمصر كتاب مسلم بن الحجاج المسند، من أبي العلاء بن ماهان.

ومنهم : أحمد بن محمد بن عبد الله ابن قزمان المعافري الطملنكي(241) (ت429هـ)، رحل إلى المشرق، ولقي أبا العلاء بن ماهان وغيره.

ومنهم عبد الله بن سعيد الشنتجيالي،(242) رحل سنة 391هـ. ولقي أبا سعيد السجزي فسمع منه صحيح مسلم.

ثانيا : أهم كتب الرجال :

1 – كتاب الطبقات لخليفة بن خياط (ت240هـ) أدخله بقي بن مخلد (ت276هـ).(243)

2 – كتاب التاريخ لخليفة بن خياط كذلك، أدخله بقي أيضا.(244)

3 – كتاب التاريخ لعمرو بن علي الفلاس (ت249هـ) أدخله محمد بن عبد السلام الخشني (ت286هـ) وعبد الله بن مسرة (ت286هـ).(245)

---

237) نفسه : 1/19 – 12.

238) نفسه : 2/522.

239) نفسه : 1/12.

240) تاريخ علماء الأندلس : 2/194.

241) الصلة : 1/44.

242) الصلة : 1/272.

243) فهرسة بن خير : 225.

244) نفسه : 230.

245) نفسه : 212.

4 – كتاب الطبقات لمحمد بن سعد كاتب الواقدي (ت230هـ) أدخله أبو عمر أحمر بن خالد المعروف بابن الجباب (ت322هـ) وأبو بكر محمد بن معاوية القرشي.(246)

(ت358هـ) رحل سنة 295هـ.

5 – كتاب النسب للزبير بن بكار (ت156هـ) أدخله أبو يحيى زكرياء بن خطاب الكلبي التطيلي (ت337هـ).(247)

6 – كتاب الخلفاء للمدائني (ت235هـ) أدخله أبو يحيى زكرياء بن أصبغ بن خليل (ت305هـ).(248)

7 – تاريخ أبي بكر بن أبي خيثمة (ت279هـ) أدخله قاسم بن أصبغ(249) (ت340هـ)، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن(250) (ت330هـ) ومحمد بن زكرياء بن محمد ابن أبي الأعلى(251) وكانت رحلتهم ثلاثتهم سنة 274هـ، كما أدخله محمد بن عبد الله الدباج (ت317هـ).(252)

8 – التاريخ الكبير المبسوط لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ) أدخله الأندلس أبو عبد الله محمد بن مفرج (ت380هـ) من رواية الفسوي(253) وأبو القاسم خلف بن قاسم الدباغ (ت393هـ) من رواية الدلال(254) وأبو عمران الفاسي (ت436هـ) من رواية الدلال

---

246) نفسه : 224 – 225.

247) تاريخ علماء الأندلس : 1/177 – نفح الطيب : 2/632.

248) تاريخ علماء الأندلس : 2/184.

249) نفسه : 407هـ – فهرسة ابن خير : 206.

250) تاريخ علماء الأندلس : 2/52 – فهرسة ابن خير : 206.

251) تاريخ علماء الأندلس : 2/45.

252) نفسه : 2/39.

253) فهرسة ابن خير : 204 – 205.

254) نفسه : 206.

كذلك،(255) وأبو الوليد الباجي (ت474هـ) من رواية أبي الحسن محمد بن سهل المقري،(256) وأبو العباس العذري (ت478هـ) من رواية أبي الحسن محمد بن سهل المقري كذلك.(257)

9 – كتاب الضعفاء والمتروكين للبخاري (ت256هـ) وهو التاريخ الصغير له، أدخله أبو القاسم خلف بن قاسم الدباغ.(258)

10– كتاب العلل لأحمد بن حنبل (ت241هـ).

11 – كتاب التاريخ لأحمد بن حنبل (ت241هـ)، أدخلهما عبد الله بن محمد القلعي(259) (ت383هـ) وكان قد رحل سنة 350هـ.

12 – التاريخ الأوسط للبخاري (ت256هـ)، أدخله الأندلس خلف بن قاسم الدباغ، وأبو العباس العذري.(260)

13 – كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي جعفر العقيلي (ت322هـ)، أدخله يحيى بن محمد بن يوسف الأشعري ابن الجياني(261) (ت390هـ)، وأبو عبد الله محمد بن يحيى ابن الحذاء (ت416هـ).

14 – كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجارود (ت307هـ) أدخله الحسن بن عبد الله الزبيدي (ت318هـ).(262)

15 – كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين الأزدي الموصلي (ت367هـ) أدخله إبراهيم بن بكر الموصلي(263) (ت367هـ).

---

255) نفسه : 206.

256) نفسه.

257) نفسه.

258) نفسه : 206 – 207.

259) تاريخ علماء الأندلس : 1/285.

260) فهرسة ابن خير : 205.

261) تاريخ علماء الأندلس : 2/194.

262) جذوة المقتبس : 1/204.

263) نفسه : 1/237 – الصلة 1/101.

16 – كتاب الجرح والتعديل لأبي محمد بن أبي حاتم الرازي (ت327هـ) أدخله أبو الوليد الباجي وأبو العباس العذري.(264)

17 – كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي عبد الرحمن النسائي (ت303هـ) أدخله أبو علي حسين ابن محمد الصدفي (ت514هـ) رحل 482هـ وأقام ببغداد 5 سنوات ووصل الأندلس 490هـ.(265)

18 – كتاب الضعفاء والمنسوبين إلى البدعة من المحدثين، و«العلل» لأبي يحيى زكرياء بن يحيى الساجي (ت307هـ) أدخله أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن مفرج.(266)

19 – كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي على سعيد بن عثمان بن السكن (ت353هـ) أدخله خلف بن قاسم الحافظ.(267)

20 – كتاب التجريح والتعديل لأصحاب الحديث جمع أبي محمد بن الجارود (ت307هـ) من كلام يحيى بن معين ومحمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما، أدخله الحسن بن عبد الله الزبيدي.(268)

21 – كتاب تضعيف الرجال لعمرو بن علي الفلاس، جزء صغير، أدخله محمد بن قاسم (ت327هـ).(269)

22 – كتاب الأسماء والكنى لمسلم بن الحجاج (ت261هـ) أربعة أجزاء.

23 – «كتاب الأفراد» في ذكر جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ليس لهم إلا راو واحد من الثقات لمسلم بن الحجاج أيضا.(270)

24 – «كتاب التمييز» لمسلم بن الحجاج أيضا.

---

264) فهرسة ابن خير : 207.

265) نفسه : 209 – الصلة : 1/144 – 145.

266) نفسه : 210.

267) نفسه : 211 – وفيه : ولم يتم تأليفه.

268) نفسه : 211 – 212.

269) نفسه : 212.

270) نفسه.

هذه الثلاثة، أدخلها أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس العذري.(271)

25 – كتاب الأسماء والكنى لأبي بشر الدولابي (ت320هـ)، عشرون جزءا، أدخله أبو العاصي حكم بن محمد الجذامي.(272)

26 – كتاب الأسماء والكنى لابن الجارود، ستة عشر جزءا، أدخله أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن مفرج.(273)

27 – كتاب الأحاد في أسماء الصحابة لأبي محمد بن الجارود، سبعة أجزاء أدخله الحسن ابن عبد الله الزبيدي.(274)

28 – كتاب الأسماء والكنى المجردة لأبي أحمد الحاكم واسمه محمد ابن أحمد أدخله أبو عمر السفاقسي عثمان بن أبي بكر (ت440هـ).(275)

29 – كتاب الحروف في أسماء الصحابة لابن الجارود، أدخله خلف ابن قاسم الدباغ.(276)

30 – كتاب علوم الحديث لأبي عبد الله بن محمد بن عبد الله الحاكم (ت405هـ) أدخله أبو عبد الله محمد بن سعدون بن علي القروي.(277)

31 – كتاب المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم وتبيين ما أشكل من أسماء الرجال في الصحيحين ثلاثة أجزاء لأبي عبد الله الحاكم، أدخله أبو العاصي حكم بن محمد عن أبي محمد عبد الملك بن الحسن الصقلي.(278)

---

(271) نفسه : 212 – 213.
(272) نفسه : 213.
(273) نفسه : 213.
(274) نفسه : 215.
(275) نفسه : 214.
(276) نفسه : 215.
(277) نفسه : 223.
(278) نفسه : 223 – 224.

32) كتاب المدخل إلى معرفة الإكليل لأبي عبد الله الحاكم، أدخله أبو الوليد الباجي(279) وأبو عمرو السفاقسي.(280)

33 – كتاب توهيم الأوهام التي في مدخل أبي عبد الله الحاكم تأليف أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ (ت409هـ).

34 – كتاب فيه مجلس من أو هام أبي عبد الله البخاري في تاريخه الكبير لأبي محمد عبد الغني بن سعيد أيضا، رواهما ابن عبد البر إجازة عن مؤلفهما.(281)

35 – «كتاب الطبقات» في جزء كبير في أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين رضي الله عنهم أجمعين لمسلم بن الحجاج، أدخله أبو العاص حكم بن محمد الجذامي.(282)

36 – «كتاب الطبقات» لعلي بن المديني (ت234هـ) جزءان، أدخله أبو عبد الله الأصيلي (ت392هـ).(283)

37 – «كتاب التاريخ» المعروف بذيل المذيل لمحمد بن جرير الطبري (ت311هـ) أدخله أحمد بن محمد بن أحمد الأموي عشرون جزءا.(284)

38 – «كتاب معرفة الرجال وعلل الحديث» عن الإمام أحمد بن حنبل رواية عبد الله بن أحمد ابن زبر جزء كبير أدخله أبو المطرف القنازعي (ت413هـ).(285)

---

279) نفسه : 224.

280) نفسه : 224.

281) فهرسة ابن خير : 224.

282) نفسه : 225.

283) نفسه : 225 – 226.

284) نفسه : 227.

285) نفسه : 228.

39 – كتاب تاريخ سعيد بن عفير (ت226هـ) أدخله خلف بن قاسم الدباغ، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد(286) وحكم بن محمد الجذامي عن أبي جعفر أحمد بن دحمون ابن أحمد ثابت القروي.(287)

40 – تاريخ يحيى بن معين (ت234هـ) رواية عباس بن محمد الدوري تبويب أبي سعيد الأعرابي، على حروف المعجم، أدخله أبو عمر أحمد بن حزم(288) (ت350هـ) وأبو عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(289) ومحمد بن الحكم الجذامي.(290)

41 – كتاب التاريخ لأبي بكر محمد بن علي بن مروان البغدادي ستة أجزاء أدخله أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم.(291)

42 – كتاب التاريخ لمعاوية بن صالح بن أبي عبد الله الأشعري عن يحيى بن معين، جزءان، أدخله أبو العاص حكم بن محمد الجذامي.(292)

43 – كتاب التاريخ لأبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو بن صفوان الدمشقي خمسة أجزاء، أدخله خلف بن قاسم الدباغ الحافظ.(293)

44 – كتاب تاريخ أبي البشر الدولابي في المولد والوفاة، (ت320هـ) أدخله موهب بن عبد القادر بن موهب.(294)

45 – كتاب في الرجال لأبي جعفر محمد بن الحسين البغدادي، حدث به محمد بن قاسم عن محمد بن محمد بن خيرون القروي.(295)

---

286) نفسه : 228.
287) نفسه : 228.
288) نفسه : 229.
289) نفسه : 229.
290) نفسه : 228.
291) نفسه : 229.
292) نفسه.
293) نفسه : 229 – 230.
294) تاريخ علماء الأندلس : 2/152.
295) نفسه : 2/113.

المبحث الثاني :

دواعي ظهور علم الرجال :

في مقابل العوامل، التي كان لها إسهام إيجابي في تنشيط الحركة الحديثية، وظهور علم الرجال، وجدت الدواعي إلى هذه الحركة البناءة، للقضاء على حركة أخرى سلبية، هدامة تنتحل الحديث لأهداف ومقاصد خاصة، أو تهاجمه بشكل مباشر، وهذا ما يمكن اختزاله في: **الأهواء والبدع / والكذب والوضع.**

أولا : الأهواء والبدع :

قسم العلماء البدعة إلى قسمين :

أ – **بدعة مكفرة** : وهذه لا إشكال في رد رواية صاحبها، وهو الذي ينكر أمرا متواترا من الشرع، معلوما من الدين بالضرورة، أو يعتقد عكس ذلك الأمر.

أما من لم ينكر شيئا من ذلك، ولم يعتقد عكسه، فتقبل روايته، إذا تحقق فيه الضبط، لما يرويه مع الورع والتقوى.(1)

ب – **بدعة مفسقة** : مثل بدع الخوارج والروافض المعتدلين وغيرهم من الطوائف المخالفين لأهل السنة.(2)

وقسم الحافظ الذهبي البدعة إلى نوعين :

* بدعة كبرى : كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة.

---

1) انظر : شرح علل الترمذي : 1/356.

2) نفسه : 1/358.

* بدعة صغرى : كغلو التشيع، أو التشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، ولورد حديث هؤلاء، لذهبت جملة الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة.(3)

ومذهب أكثر العلماء، قبول رواية أهل البدع والأهواء، إذا كانوا ثقاتا ولم يكونوا دعاة إلى بدعهم، ولا تقبل إذا كانوا كذلك، وهذا المذهب كما قال ابن الصلاح أعدل وأولى.(4)

ثانيا : الكذب والوضع :

يراد به الكذب على رسول الله ﷺ، بوضع أحاديث مختلقة مصنوعة ينسبونها إليه، وهذا شر أنواع الرواية، ولا يحل التحديث به، إلا مع بيان حاله، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب، فهو أحد الكذابين».(5)

ولا تقبل أبدا رواية التائب من الكذب متعمدا في حديث رسول الله ﷺ، وأن حسنت توبته.(6)

والوضاعون أصناف، وأسباب الوضع شتى :

1 – الزنادقة : روى العقيلي بسنده إلى حماد بن زيد، قال: وضعت الزنادقة على رسول الله ﷺ، أربعة عشر ألف حديث».(7)

2 – أهل الأهواء والبدع : وضعوا أحاديث كثيرة لتأييد مذاهبهم، واختياراتهم، كالخطابية، أتباع أبي الخطاب الأسدي (ت143هـ) الذي كان

---

3) الذهبي : ميزان الاعتدال : 5/1.
4) مقدمة ابن الصلاح : 299.
5) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه : 7/1.
6) مقدمة ابن الصلاح : 300.
7) الباعث الحثيث : 84.

يأمر أتباعه، بشهادة الزور على مخالفيهم، ولم يتورع بعد ذلك عن ادعاء الألوهية لنفسه، فكان جزاؤه القتل.(8)

3 – المرتزقة وأصحاب الملق من الوضاعين للأحاديث، لبلوغ أغراض دنيوية، ينالون بها مالا أو جاها».(9)

4 – الجهال والمغفلون من أهل الخير والصلاح : روى مسلم عن يحيى بن سعيد القطان، قال: «لم تر أهل الخير في شيء، أكذب منهم في الحديث».

قال مسلم : يقول : «يجري الكذب على لسانهم، ولا يتعمدون الكذب».(10)

وبعد هذا الموجز، أنتقل إلى الجانب العملي، والواقع الذي عرفته بلاد الغرب الإسلامي خلال القرون الهجرية الخمسة الأولى، من مبتدعة خارجين عن إجماع السلف، ومن وضاعين يكذبون على رسول اللهﷺ.

أولا : **الخوارج** : ظهر الخوارج بالغرب الإسلامي أواخر القرن الهجري الأول، حين قدم من البصرة عكرمة مولى ابن عباس، وسلمة بن سعيد، ممتطيين جملا واحدا، حملا عليه زادهما، عكرمة يدعو إلى الصفرية، وسلمة بن سعيد، يدعو إلى الإباضية.(11)

وقد انتشر المذهب الصفري بسرعة فائقة في سائر أنحاء المغرب الأقصى، وبعض نواحي المغربين الأدنى والأوسط، كما توسع الإباضية في المغرب الأدنى وطرابلس، بالشكل الذي تحدثت عنه المصادر والمراجع.(12)

---

8) انظر : «فتح المغيث» : 1/238.

9) الباعث الحثيث : 86.

10) صحيح مسلم : 1/13 (المقدمة) – وانظر : شرح النووي على صحيح مسلم : 1/94 – 95. المطبعة المصرية ومكتبتها.

11) كتاب سير الأئمة وأخبارهم : 40 – 41.

12) ظهرت بالأندلس، هي الأخرى حركة خارجية مشبوهة، قضى عليها الحكم بن هشام، انظر: تاريخ افتتاح الأندلس: 101 طبقات علماء إفريقية وتونس: 82 – رياض النفوس : 1/146.

دخل عكرمة افريقية زمن بني أمية، وكان مجلسه في مؤخر المسجد الجامع، غربي المنارة، في الموضع الذي يسمى الركنية، ولم يكن دخل افريقية غازيا.(13)

وفي هذه الفترة أخذ عنه بالقيروان عدد من أعلام الخوارج الصفرية بالغرب الإسلامي، في أجواء من السرية، هذه أسماء أبرزهم، الذين قاموا فيما بعد، بتأسيس إمارات خارجية: ميسرة المطغري،(14) أبو القاسم سمكو بن واسول،(15) عبد الأعلى بن جريج،(16) طريف ابن شمعون البرغواطي.(17)

واتهم عدد من العلماء بالصفرية، كمعاوية بن صمادح، من أهل افريقية (ت199هـ) روى عن سفيان الثوري وغيره، وروى عنه سحنون وغيره، قال أبو العرب: كان ثقة ولكنه رمي بالصفرية، ولعله لا يصح عنه ،كان قليل الحديث».(18)

أما الخوارج الإباضية، فتذكر المصادر والمراجع، أن البيت الرستمي كان بيت العلم في فنونه من الأصول والفقه والتفسير، وعلم اختلاف الناس وعلم النحو والاعراب والفصاحة وعلم النجوم وغير ذلك.(19)

ومن الفرق الإباضية المتطرفة «الشكاسية» أتباع الشكاس، يكنى أبد الله، ومن مبادئه، إبطال سنة رسول اللهﷺ، لأن الله أغنى بكتابه، أهل العقول عن غيره، فليس من رأي ولا سنة.(20)

---

13) طبقات علماء إفريقية وتونس : 82 – رياض النفوس : 146/1.
14) تاريخ العبر : 221/6 – وانظر الخوارج في المغرب الإسلامي للدكتور محمود إسماعيل: 39 – 49 – 50.
15) تاريخ العبر : 267/6 وفيه سمكو بن مصلان وانظر : تاريخ الجزائر العام : 163/1.
16) انظر تاريخ العبر لابن خلدون : 221/6 – الاستقصاء للناصري: 97/1.
17) تاريخ العبر : 428/6 وانظر : الخوارج في المغرب الإسلامي : 40.
18) طبقات علماء افريقية وتونس : 161.
19) كتاب سيرة الأئمة وأخبارهم : 99.
20) كتاب سيرة الأئمة وأخبارهم : 203 – 204.

ويعتبر سحنون بن سعيد، أول من شرد، أهل الأهواء من المسجد الجامع بالقيروان، وكانوا فيها حلقا للصفرية والإباضية مظهرين لزيغهم.(21)

ثانيا : الشيعة : دخل التيار الشيعي المتطرف إلى المغرب منذ وقت مبكر، فقد بعث أبو عبد الله جعفر بن محمد، رجلين إلى الغرب الإسلامي، للقيام بالدعوة الشيعية، وهما الحلواني وأبو سفيان، فلما ماتا، أرسل ابن حوشب أبا عبد الله الشيعي الصنعاني ليتم ما بدأه سلفاه. فاختار عندما جاء إلى المغرب مع بعض الحجاج الكتاميين، أن ينزل «فج الأخيار».(22)

وكان أبو عبيد الله الصنعاني هذا، يوهم أتباعه الكتاميين أن هذا الفج، ما سمي إلا بهم، ويقول: إنه جاء في الحديث: «إن للمهدي هجرة، تنبو عن الأوطان، في زمن محنة وافتتان، ينصره فيها الاخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان» فأنتم هم كتامة، وبخروجهم من هذا الفج يسمى فج الاخيار.(23)

ولا تعني هذا البحث بقية التفاصيل، ومجيء عبيد الله بن محمد الشيعي «المهدي» وقيام دولة العبيديين، وإنما الذي يعنيه، هوما لقيه علماء السنة من آذاهم، وما حاولوا تأويله من السنة، وما ادعوه من ادعاءات باطلة وما إلى ذلك، ثم الإشارة إلى بعض من اتهم بالتشيع من العلماء(24) أما عن أذاهم لعلماء أهل السنة، فقد منعوا من بث العلم، وسجنوا أهله في ديارهم.(25)

---

21) طبقات علماء إفريقية وتونس : 184 – ترتيب المدارك : 60/4.

22) القاضي النعمان : افتتاح الدعوة : 34 (تحقيق فرحات الدشراوي – الشركة التونسية للتوزيع – تونس : 1975 – البيان المغرب : 125/1.

23) افتتاح الدعوة : 48.

24) ألف أبو عبد الله محمد بن سعدون القروي المغربي (توفي بأغمات سنة 413هـ) تأليفا في العبيدين، ذمهم وأفعالهم القبيحة بالقيروان وغيرها – ترتيب المدارك 112/8 – 113.

25) انظر : رياض النفوس : 313/2.

يقول القاضي عياض في ترجمة أبي جعفر التمار : «وامتحن هو وأخوه محمد، أيام الشيعي، فأمر عبيد الله، بضرب أخيه مائتين، فمات، ودارت على ناس كثير من المدنيين وغيرهم محن كثيرة، كمحنة عمروس خلع لسانه وابن معتب في ضرب ظهره، وابن المديني في ضرب ظهره وصفعه، وابن اللباد بسجنه، وابن البرذون، وابن هذيل بقتلهما وصلبهما، وأشياء من جهة ترك «حي على خير العمل» في الآذان، وترك قراءة «بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، والفتيا بمذهب مالك رضي الله عنه».(26)

وكانت لسعيد ابن الحداد (ت302هـ) مع العبيديين مناظرات، فضح فيها تأويلاتهم، ورد أباطيلهم، ناضل في ذلك عن الدين، وذب عن السنن، حتى مثله أهل القيروان في حاله تلك، بأحمد ابن حنبل أيام المحنة.(27)

أرسل إليه مرة عبيد الله فذكر له حديث : «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقال: ما بال الناس لا يكونون لنا عبيدا؟ فقال له ابن الحداد، لم يرد ولاية رق، وإنما أرادا ولاية الدين، ونزع بقوله تعالى: ﴿**ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوءة، ثم يقول للناس كونوا عبادا لي**﴾.(28) فصرفه وعهد إليه بكتم المجلس.(29)

وبعث محمد بن عمر المروذي، قاضي الشيعة بدولة العبيديين إلى العلماء من الحنفية والمالكية فقال: إني أمرت أن أناظركم في قيام رمضان، ثم ذكر أن عمر بن الخطاب، هو الذي استن قيام رمضان، وقد جاء في الحديث الذي تروونه ونرويه أن «كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»؟ فتصدى له ابن الحداد قائلا: «هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل ويذم من تركها «فقال القاضي الشيعي المذكور: وأين

---

26) ترتيب المدارك : 5/328.

27) طبقات النحويين واللغويين : 240.

28) آل عمران : 79.

29) رياض النفوس : 2/59 – 60 – ترتيب المدارك : 5/82 – 83.

تجد ذلك في كتاب الله؟ قال: قال الله تعالى: ﴿**ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فما رعوها حق رعايتها**﴾،(30) فنحن نثابر على هذه البدعة، التي هي رهبانية لئلا يذمنا الله عز وجل كما ذمهم.(31)

وقد كان العبيديون، لا يتورعون عن النيل من أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه، لا يستثنون من ذلك إلا عليا، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي وأبا ذر الغفاري.(32)

وقال سليمان بن خلاد لأبي محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي: أرأيت هذا الذي يقول الناس في أبي بكر وعلي؟ يريد التفضيل بينهما، فضربه على صدره ثم قال: ليس هذا دين قريش، ولا دين العرب، هذا دين أهل «قم».(33)

وقيل لسحنون : إن يعقوب بن المضا، لا يحبك، فقال : الحمد لله الذي لم يجمع حبي وبغض أبي بكر وعمر في قلب واحد.(34)

وبلغ الطغيان بالحاكم من بني عبيد الله، أن ادعى الألوهية، وقرئ بحضرته على الرعية كتاب داعيه حمزة ذكر فيه «الحمد لمولاي الحاكم، وحده، باسمك اللهم الحاكم بالحق (...) توكلت على إلاهي، أمير المومنين جل ذكره، وبه نستعين في جميع الأمور».(35)

ومن ثم، فلا غرو أن تصبح مقاومة العبيديين، شعار أهل السنة جميعا، إلا من باع منهم أخرته، وآثر عليها دنياه، حتى إن عباس بن عيسى

---

30) الحديد : 27.
31) رياض النفوس : 62/2.
32) البيان المغرب لابن عذاري : 159/1.
33) رياض النفوس : 288/1.
34) ترتيب المدارك : 77/4.
35) البيان المغرب : 286/1.

الممسي (ت333هـ) ذهب إلى أن الخروج مع أبي يزيد الخارجي، وقطع دولة بني عبيد، فرض لازم، لأن الخوارج، من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام، ويورثون ويرثون، وبنو عبيد ليسوا كذلك، لأنهم مجوس، زال عنهم اسم الإسلام، فلا يتوارث معهم ولا ينسب إليهم.(36)

وتوفي أبو بكر اللباد (سنة 330هـ) قبل دخول أبي يزيد القيرواني بخمسة أيام، فأظهر أهل(37) القيروان بسبب ذلك الترحم على أبي بكر وعمر، ولعنوا من لا يترحم على أصحاب رسول الله ﷺ.

ولما أفتى أبو إسحاق التونسي (توفي حوالي 443هـ)، أن الذين يقولون بتفضيل علي ابن أبي طالب على سائر الصحابة، لا يلزمهم، ولا تبطل نكاحاتهم، هاجمه فقهاء القيروان بشدة، فامتحن بسبب ذلك محنة عظيمة.(38)

وعندما ولي الأمر بالمغرب، الأمير الإدريسي أحمد بن القاسم بن كنون، قطع في جميع بلاده بيعة العبيديين، وبايع عبد الرحمن الناصر بالأندلس.(39) وظلت مع ذلك في المغرب إلى منتصف القرن الخامس الهجري، مراكز شيعية، ففي تارودانت كان يوجد «قوم من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين إلى أبي عبد الله البجلي الرافضي، كان قدم إلى السوس، حين قدم عبيد الله الشيعي إلى افريقية، فأشاع هناك مذهبه، فورثوه بعده جيلا بعد جيل، وقرنا بعد قرن لا يرون الحق إلا ما في أيديهم فقاتلهم الأمير أبو بكر بن عمر، وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة، وقتل بها من الروافض خلق كثير، فرجع من بقي منهم إلى السنة».(40)

---

36) رياض النفوس : 2/297.

37) ترتيب المدارك : 5/294.

38) ترتيب المدارك : 8/59.

39) الأنيس المطرب بروض القرطاس : 128 – 129.

40) نفسه : 2/21.

وممن اتهم بالتشيع من علماء الأندلس، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن حيون (ت305هـ) وصف بالإمامة في الحديث، والعلم به، والحفظ لعلله، والبصر بطرقه، لم يكن بالأندلس قبله أبصر بالحديث منه.(41)

قال محمد بن حارث الخشني : وكان يزن بالتشيع، لشيء كان ظهر منه في معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، من أحاديث وأخبار (...) وقفت محمد بن أيمن على تشيعه، فعرفه والله أعلم بنيته (ومجازيه عن)(42) مذهبه.(43)

ثالثا : المعتزلة :

ظهر المعتزلة بالغرب الإسلامي، أوائل القرن الثاني الهجري، على يد أصحاب واصل ابن عطاء الغزال (80 – 131هـ) الذي بعث إلى المغرب، عبد الله بن الحارث، فأجابه الخلق.(44)

وعن واصل يقول صفوان الأنصاري :

له خلف شعب الصين في كل ثغرة
إلى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفل عزيمهم
تحكم جبار ولا كيد ماكر
إذا قال : مروا في الشتاء تطاوعوا
وإن كان صيفا لم يخف شهر ناجر(45)

---

41) أخبار الفقهاء والمحدثين : 148 – تاريخ علماء الأندلس : 29/2.

42) في أخبار الفقهاء والمحدثين – هنا – بياض، وفي تاريخ علماء الأندلس نقلا عن محمد بن حارث الخشني: «ومجازيه عنها».

43) أخبار الفقهاء والمحدثين : 149.

44) القاضي عبد الجبار ومن معه : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: 66 (تحقيق: فؤاد سيد – الدار التونسية للنشر. تونس – المؤسسة الوطنية للكتاب: الجزائر – ط 2 – 1406هـ – 1986م.

45) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين : 37/1 – 38 تحقيق: حسن السندوبي المطبعة التجارية الكبرى – مصر الطبعة الأولى: 1345هـ – 1926م.

وكان للمعتزلة وجود بالقيروان وافريقية عموما، وكان أكثر رجال ابن الأغلب معتزلة،(46) ومن قضاته محمد بن شعيب الصديني (ت304هـ)، وكان حنفي المذهب، معتزلي العقيدة، بل كان خبيثا معتزليا، كما قال عياض.(47)

وقد كان المعتزلة، ينشرون بين الناس مبادءهم، بشكل قض مضاجع العلماء، فعن أبي زكرياء الهرقلي، من أصحاب سحنون بن سعيد، أنه غاب عن الحصن ذات يوم، فلما كان بعد المغرب، عاد إلى الحصن، فاقبل عليه رجل فقال له: يا أبا زكرياء، غبت اليوم عن الحصن، وفاتك الصلاة في الجماعة؟، فقال له: «سمعت اليوم من يذكر بعض كلام المعتزلة، فخرجت إلى الشعراء أبكي على الإسلام».

ودعا العلماء إلى مقاطعة مجالس المعتزلة ومناظرتهم.(48)

قال أبو العرب : حدثني أبو عثمان سعيد بن محمد قال : سمعت أبي يقول: جزت سقيفة العراقي (هشام بن العراقي) وهم يتناظرون في الاعتزال، فوقفت أسمع منهم فبلغ ذلك بهلول، فلما جئته، أقبل علي وجعل يقول: يا محمد، بلغني أنك مررت بسقيفة العراقي، وهم يتناظرون في القدر، فوقفت إليهم تستمع منهم، وأغلظ علي».(49)

وقضية ما سمي بخلق القرآن، من القضايا الكبرى التي رفع رايتها المعتزلة بافريقية، وممن اتهم بقول ذلك أسد بن الفرات، قال بكر بن حماد: قلت لسحنون: «إنهم يقولون إن أسد ابن الفرات قال: القرآن مخلوق، فقال سحنون: «والله ما قاله ولو قاله ما قلناه».(50)

---

46) رياض النفوس : 2/36 – 129.

47) ترتيب المدارك : 5/70.

48) طبقات علماء إفريقية وتونس : 153.

49) طبقات علماء إفريقية وتونس : 129.

50) نفسه : 164.

والثابت عن أسد أنه كان ثقة، ليس فيه شيء من البدع كما قال أبو العرب، مشهورا بالفضل والدين، وكان يقول: القرآن كلام الله عز وجل، وليس بمخلوق ويبدع من يقول غير ذلك.(51)

وكان يكفر بشرا بن غياث المريسي، ويقول عن كتابه «التوحيد» أو جهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشرفيه كتابا؟ هذه نبوءة ادعاها».(52)

وتحدث أسد بن الفرات بحديث فيه رؤية الله عز وجل في الاخرة، وسليمان بن حفص بن عصفور الفراء العراقي (ت269هـ) آخر المسجد، فتكلم وأنكر، فسمعه أسد، فقام إليه وجمع بين طوقه ولحيته واستقبله بنعله، فضربه ضربا شديدا حتى أدماه.

وفعل به مثل ذلك مرة أخرى وقال له «إني والله يا زنديق لتقولنها أو لأبيضن بها عينيك «فقال: نعم ننظره».(53)

وكانت لأبي عثمان سعيد ابن الحداد، مع الفراء شيخ المعتزلة بالقيروان، مناظرات مشهورة،(54) وعلى الرغم من كل ما ذكر عن افريقية في موضوع الاعتزال والمعتزلة، فإن ما كان بالمغرب الأقصى خصوصا ما بين طنجة ووليلي، وبالمغرب الأوسط بتاهرت أكثر، وأوسع،(55) ويربط القاضي عبد الجبار انتشار الاعتزال بالمغرب بتأسيس الدولة الإدريسية، حينما استقبلت قبيلة أوربة، بزعامة إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي، إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب،

---

51) نفسه : 164 – رياض النفوس : 1/264.

52) رياض النفوس : 1/264.

53) طبقات علماء إفريقية وتونس : 164 – رياض النفوس: 1/265.

54) انظر : ترتيب المدارك : 5/85.

55) انظر : القاضي عبد الجبار ومن معه : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: 67 – 108 – 109.

ويقول: إن الأوربي «هو الذي اشتمل على إدريس بن عبد الله حين ورد عليه فادخله في الاعتزال».(56)

بينما جاءت بعض العبارات موهمة، كقول ابن أبي زع في القرطاس: «فأقبل عليه عبد الحميد وأكرمه وبالغ في بره وعرفه بنفسه، فوافقه في حاله وأنزله معه في داره، وتولى خدمته والقيام بشؤونه».(57)

قال صاحب الدرر السنية «إن إسحاق بن محمد، تاب من اعتزاله على يد المولى ادريس، وحسنت توبته».(58)

ودعوى كون ادريس بن عبد الله معتزليا لا تصح، فقد جاء في دعوته المرسلة إلى المغاربة ما يدل، على إيمانه بأن إدراك الشرائع وكل شيء لا يكون إلا بإعلام الله، لا مجرد العقل كما يقول المعتزلة.(59) وهناك أدلة كثيرة تنفي عن ادريس بن عبد الله الاعتزال، وتثبت أنها مجرد تهمة باطلة، مس مثلها الصحابة أنفسهم، مع أنهم منزهون عن البدعة، ومتقدمون زمنيا عن ظهور الاعتزال، وغيره.

من ذلك تنازع بعض الشيعة وبعض الخوارج، الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو من الصحابة الذين اعتزلوا القتال إبان ما عرف بالفتنة الكبرى.(60)

---

56) نفسه : 109 – 110 وانظر : 119.

57) الأنيس المطرب بروض القرطاس : 15/1.

58) محمد علي السنوسي: الدرر السنية : 62 دار القلم – بيروت لبنان – ط 1: 1406هـ – 1986م.

59) انظر : الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية : 18 – مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي – الرباط 1409هـ – 1988م.

60) د. محمود إسماعيل : «الحركات السرية في الإسلام» 132 – 133 – كتاب روز اليوسف – جمهورية مصر العربية ماي 1973.

وقد رتب القاضي عبد الجبار المعتزلة في 13 طبقة، وجعل أبا بكر وعمر، وعليا وابن عباس، وابن مسعود وابن عمر وغيرهم، في الطبقة الأولى من طبقات المعتزلة.(61)

وعلى العكس من ذلك، أسند بعض الخوارج مذهبهم إلى عبد الله بن مسعود، قال أبو زكرياء: إن طائفة تنتحل اسم الإباضية، يقال لها: العمرانية، لم تجمعنا وإياهم الكلمة من أول، وزعموا أنهم إباضية، وكثيرا ما يسندون مذهبهم، إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه».(62)

أما بالنسبة لوجود المعتزلة بالمغرب الأوسط، فقد كان منهم في تاهرت – عراق المغرب، كما كانت توصف قديما – جماعة الواصلية على عهد الدولة الرستمية الإباضية وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا، في بيوت كبيوت الأعراب، يحملونها،(63) وهم من البربر، أكثرهم من قبائل زناتة، وهم أصحاب العمود.(64)

وكما كان للمعتزلة وجود بأقطار المغرب الكبير، كان لهم وجود بالأندلس، يقول ابن حزم: «وأما علم الكلام، فإن بلادنا وإن كانت لم تتجانب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفه في هذا الباب، فهي على كل حال، غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار على أصوله، ولهم فيه تآليف...».(65)

ويذكر في طوق الحمامة، أن قاضي القضاة منذر بن سعيد، كان متهما بالاعتزال، وكان أخطب الناس، ثم كان ابنه حكم بن منذر رأس

61) القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : 214 وما بعدها.

62) كتاب سير الأئمة وأخبارهم : 88.

63) معجم البلدان : 8/2.

64) كتاب سير الأئمة وأخبارهم : 102.

65) رسائل ابن حزم : 68/2.

المعتزلة بالأندلس وكبيرهم وأستاذهم ومتكلمهم وناسكهم، وكان أخوه عبد الملك بن منذر متهما بهذا المذهب أيضا.(66)

وغير صحيح، ما قاله ابن زرقون من أن الأندلس، كانت منزهة عن الاعتزال، قبل إدخال ابن رأس غنمة الكشاف للزمخشري.(67)

ففي القرن الثالث، رحل أبو بكر فرج بن سلام إلى المشرق، ودخل العراق، فلقي الجاحظ وأخذ عنه كتاب البيان والتبيين وغيره من مؤلفاته، وأدخلها الأندلس رواية عنه.(68)

وعاصره في هذه الفترة من الأندلسيين، فقيه مالكي مبرز(69) هو عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى (ت261هـ) سمع منه ابن وضاح، كان ينسب إلى القدر، ويقول: إن الأرواح تموت.(70)

كما عاش في الفترة نفسها، خليل بن عبد الملك بن كليب القرطبي المعروف بخليل الغفلة، وكان في أول أمره صديقا لابن وضاح، كان مشهورا بالقدر لا يخفي ذلك، روى ابن الفرضي أن خليلا جاء إلى بقي بن مخلد، فقال له هذا الأخير: أسألك عن أربع فقال: ما هي؟ قال: ما تقول في الميزان؟ قال عدل الله، ونفى أن تكون له كفتان، فقال له: ما تقول في الصراط؟ فقال: الطريق، يريد الإسلام، فمن استقام عليه نجا، فقال له: ما تقول في القرآن؟ فلجلج ولم يقل شيئا. وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق، فقال له: فما تقول في القدر؟ فقال: أقول إن الخير من عند الله، والشر من عند الرجل إلخ...(71)

---

66) نفسه.

67) الذيل والتكملة : 1/30 - 31.

68) تاريخ علماء الأندلس : 1/393.

69) قال المقري في ترجمة أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن حزم الغافقي (ت403هـ): «ما سمعت بمالكي معتزلي غير هذا» نفح الطيب: 2/605 ويرد قول المقري هذا وجود معتزلة مالكية منذ وقت مبكر من مثل عبد الأعلى بن وهب.

70) تاريخ علماء الأندلس : 1/324.

71) تاريخ علماء الأندلس : 1/165.

وعندما مات خليل هذا، أخرجت كتبه، فأحرقت بالنار، إلا ما كان فيها من كتب المسائل(72) ومن تلامذته، يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة (ت315هـ)، كان يعلن الاستطاعة، أخذ ذلك عن أستاذه خليل.(73)

على أن أكبر معتزلي الأندلس والغرب الإسلامي كله، وأبعدهم صيتا، هو أبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي (269 – 319هـ).

سمع من أبيه عبد الله، وكان متهما بالقدر، وصديقا لخليل الغفلة القدري، كما سمع من محمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الخشني.(74) اتهم بالزندقة فخرج فارا إلى المشرق، آخر أيام الأمير عبد الله بن محمد (ت300هـ)، واشتغل هناك، بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة.(75)

ومذهب ابن مسرة، مزيج من التصوف والاعتزال، إذ كان على طريقة من الزهد والعبادة، فتن بها كثير من الناس، وكان يدعي التكلم على تصحيح الأعمال، ومحاسبة النفوس على حقيقة الصدق، على غرار كلام ذي النون الأخميمي، وأبي سعيد الإسكاف، وأبي يعقوب النهرجوري.(76)

وعلى النقيض من هذا، يقول بالاستطاعة وإنفاذ الوعيد، ويحرف التأويل في كثير من آي القرآن، مما أثار عليه كثيرا من الناس، المستنكرين لما ظهر في كلامه من بدع. وينسبه صاعد الأندلسي، إلى الباطنية «اتباع

---

72) نفسه : 1/165.

73) نفسه : 2/185.

74) أخبار الفقهاء والمحدثين : 218, تاريخ علماء الأندلس : 1/41.

75) تاريخ علماء الأندلس : 2/41 وانظر ترتيب المدارك: 6/96 – 97 ففيه أن محمد بن عبد الله بن يحيى الليثي المعروف بابن أبي عيسى قال لابن مسرة في قفولهم من المشرق: يا أبا عبد الله: أراك تثير بالأندلس فتنة تبقى آخر الدهر.

76) أخبار الفقهاء والمحدثين : تاريخ علماء الأندلس : 1/41.

الشيعة الإسماعلية»، ويذكر أنه كان كلفا بفلسفة الفيلسوف اليوناني بند قليس، الذي كان على زمن داود عليه السلام، وكان قد تكلم في خلقة العالم، بأشياء تقدح ظواهرها في أمر المعاد، مما جعل بعضهم يهجره إلخ...(77)

وقال عنه الحميدي : «وله طريقة في البلاغة، وتحقيق في غوامض إشارات الصوفية، وتواليف في المعاني، نسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها والله أعلم به».(78)

وكان ابن مسرة، ينشر أفكاره، بعيدا عن الأنظار، في متعبده في دويرية في جبل بقرطبة، وعلى الرغم من أنه اتبع في ذلك السرية والرمزية، إلا أنه لم ينج من حملة علماء عصره، فكتب في الرد عليه جماعة من أهل المشرق والمغرب(79)، وذكر ابن الأبار في التكملة، أن ابن مسرة الجبلي، لم يكن يخرج كتابا، حتى يتعقبه حولا كاملا.(80)

وقد تعرضت مؤلفات ابن مسرة للإحراق، من قبل القاضي أبي بكر ابن زرب، الذي استتاب جملة من أتباع ابن مسرة، سنة 350هـ.(81) واتهم

---

77) صاعد الأندلسي : طبقات الأمم : 72 – 73.

78) جذوة المقتبس : 1/109.

79) رد على ابن مسرة جماعة من أهل المشرق، كأحمد بن زياد الأعرابي، وأحمد بن محمد بن سالم التستري (تاريخ علماء الأندلس: 1/41) ورد عليه من أهل المغرب: أحمد بن خالد الجباب (تاريخ علماء الأندلس: 1/41)، وأبو بكر بن محمد بن حسن الزبيدي (نفسه: 2/97 – الصلة: 2/190) وأبو بكر محمد بن يبقي بن زرب (ترتيب المدارك: 2/115 – تاريخ قضاة الأندلس للبناهي: 78). أبو محمد بن أبي زيد القيرواني (تاريخ التراث العربي لسزكين: 3/173) وعبد الله بن محمد بن نصر الأموي (الصلة): 1/249) وأبو عمر الطلمنكي (ترتيب المدارك : 8/33) وغيرهم.

80) التكملة : 1/284 تحقيق العطار.

81) تاريخ قضاة الأندلس : 78، 201.

بالاعتزال بعد ابن مسرة. عدد من العلماء، جلهم من اتباع مدرسته(82) من أبرزهم:

محمد ابن مفرج المعافري(83) (ت371هـ)، وأحمد بن وليد ابن أخت عبدون.(84)

(ت376هـ) ورشيد بن فتح الدجاج(85) (ت376هـ)، وابان بن ثمان الغافقي (ت377هـ)،(86) ومحمد بن أحمد الخولاني المعروف بابن الإمام (ت380هـ)، كان مشهورا باعتقاد مذهب بن مسرة لا يخفي ذلك، وكان مولعا بالتشريق(87) في صلاته.(88)

---

82) وهم الدكتور احسان عباس في تاريخ الأدب الأندلسي (35/2) حين عد خليل بن عبد الملك من أتباع ابن مسرة، مع أنه متقدم زمنيا عن ابن مسيرة، ووقع في نفس الوهم الدكتور السيد عبد العزيز سالم في «تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس»: 313 – انظر المدرسة المغربية في الجرح والتعديل للدكتور إبراهيم ابن الصديق: 91 (مرقون – يوجد بمكتبة دار الحديث الحسنية تحت رقم: 6853).

83) تاريخ علماء الأندلس : 84/2.

84) نفسه : 66/1 – 67.

85) نفسه : 175/1.

86) نفسه : 31/1.

87) كان هؤلاء المشرقون، لا يولون وجوههم شطر المسجد الحرام بمكة في صلاتهم، بل كانوا يتجهون نحو المشرق الفلكي، وزعيمهم في ذلك: مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي، المعروف بصاحب القبلة، قرطبي أبو عبيدة (ت295هـ).

وصف بأنه من أصدق أهل زمانه، وكان عالما بالحساب والنجوم.

قال محمد بن حارث الخشني: كانت له وساوس في آخر عمره، ذهب فيها مذهب الغلو والزيادة، منها ما انتحل في القبلة.

ولأحمد بن محمد بن عبد ربه في صاحب القبلة هذا قصيدة منها :

أبا عبيدة ما السؤال عن خبر
تحكيه الأسواء والذي سألا

أبيت إلا شذوذا عن جماعتنا
ولم تصب رأي من أرجى ولا اعتزلا

كذلك القبلة الأولى مبدلة
وقد أبيت فما تبغي بها بدلا=

ومن أتباع ابن مسرة كذلك : محمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسي(89) (ت382هـ) وعبد العزيز بن حكم الأسوي(90) (ت387هـ) وعبد الوهاب بن منذر القرطبي(91) (ت436هـ) وغيرهم.

رابعا : الزنادقة والملاحدة :

عرفت بلاد الغرب الإسلامي، خلال الفترة المدروسة في هذا البحث، ضلالات وادعاءات باطلة، سبقت الإشارة إلى أعظمها وهو ادعاء الألوهية، ثم تليها هذه الأباطيل والكبائر:

أ – سب النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم :

لاشك أن سب النبي ﷺ يستحق صاحبه أقصى العقاب، وقد ألف محمد بن سحنون القيرواني (ت256هـ) رسالة فيمن سب النبي ﷺ.(92)

وجاء في ترجمة أبي بكر اللباد أنه لما أخذ إلى السجن ظلما، وجد فيه رجلا اسمه المرودي، كان قد سجن على سب النبي ﷺ، فلما دخل اللباد، أعرض عنه، فقال المرودي: والله إني لأبغضك قديما، فقال أبو بكر اللباد: «الحمد لله يا فاسق، الذي لم يجعل في قلبك بغض النبي ﷺ وحبي».(93)

وكان العبيديون، عندما ظهر أمرهم، قد عينوا رجلا، عرف بحسين الأعمى السباب، ليذيع في الأسواق سبابه، بأسجاع لقنوها له، يتوصل

= انظر : أخبار الفقهاء والمحدثين : 193 – 194 / تاريخ علماء الأندلس : 2/125 – 127.

88) تاريخ علماء الأندلس : 2/95.

89) تاريخ علماء الأندلس : 2/98.

90) نفسه : 1/322.

91) الصلة : 2/380 – صلة الصلة لابن الزبير : 4/27.

92) ترتيب المدارك : 4/207.

93) نفسه : 5/292 – 293.

منها إلى سب النبيﷺ، كقوله: – لعنه الله – «ألعنوا الغار وما حوى، والكساء وما حوى» ونحو ذلك.(94)

أما بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم، فكان الشيعة المتطرفون بالغرب الإسلامي، يعلنون تفضيلهم عليا رضي الله عنه، على سائر الصحابة رضي الله عنهم جميعا، وكان ذلك من قبل العبيديين على وجه الخصوص، الذين علقت على عهدهم وبأمر منهم، رؤوس الحمر والكباش، على أبواب الحوانيت، عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها أسماء الصحابة.(95)

وقد سبقت الإشارة إلى كثير من تعريض العبيديين بالصحابة عند الحديث عن الشيعة.

وعلى العكس من ذلك، كان هناك من يحط من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، منهم الشاعر الأندلسي ابن عبد ربه، فقد نظر منذر بن سعيد البلوطي مرة في كتاب فيه أرجوزة لابن عبد ربه، يذكر فيها الخلفاء الراشدين، جاعلا معاوية بن أبي سفيان رابعهم، ولم يذكر عليا، فلما رأى منذر ذلك غضب غضبا شديدا، وسب ابن عبد ربه، وكتب في حاشية الكتاب:

أوما علي لا برحت ملعنا
يا ابن الخبيثة عندكم بإمام
رب الكساء خير آل محمد
داني الولا مقدم الإسلام(96)

وممن اتهم بالنيل من علي وابنه الحسن رضي الله عنهما، محمد بن أحمد ابن قادم القرطبي (ت380هـ).

---

94) نفسه : 5/ 303.

95) نفسه : 5/ 303.

96) التكملة : 1/ 293 تحقيق : العطار – نفح الطيب : 2/ 511 – 512.

قال ابن الفرضي : «سمعه غير واحد، ينال من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنا سمعته ينال من الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله».(97)

ب – ادعاء النبوة ومعارضة القرآن :

ادعى النبوة بالغرب الإسلامي غير واحد من أشهرهم :

1 – صالح بن طريف البرغواطي، وهو يهودي الأصل، نشأ «ببرباط» حصن من عمل شذونة بالأندلس، رحل إلى المشرق، فقرأ على عبيد الله المعتزلي، وتعاطى السحر، وعندما عاد إلى المغرب نزل بلاد تامسنا (الشاوية)، فوجد قبائل من البربر جهالا، فأظهر لهم الإسلام والزهد والورع أولا، ثم لم يلبث بعد أن سيطر على عقولهم وقلوبهم، أن ادعى النبوة، وتسمى بصالح المومنين، وقال لهم: انا صالح المومنين الذي ذكره الله في القرآن المنزل على محمد،(98) يشير إلى قوله تعالى: ﴿**وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين**﴾.(99)

2 – مؤذن بناحية تلمسان : ادعى النبوة وألحد في القرآن، وأوله حسب هواه، فاتبعه كثير من الغوغاء.

وحين صدر الأمر من أمير تلمسان بالقبض عليه، فر إلى الأندلس، التي سرعان ما ذاع بها أمره وكثر فيها أتباعه، غير أنه لم يلبث إلا قليلا حتى قبض عليه عامل عبيد الله بن يحيى، فاستنابه فلم يتب فقتله

97) تاريخ علماء الأندلس : 103/2 وانظر : سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين: 263 : ع869 وفيه قول ابن معين: من شتم أصحاب النبيﷺ فليس بثقة.

98) الأنيس المطرب بروض القرطاس : 24/2 – 25 وما – بعدها – تاريخ العبر لابن خلدون 429/6.

99) التحريم : 4.

صلبا(100) وهو يقول: (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله)،(101) وكان ذلك سنة 237هـ على عهد الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم الأوسط.(102)

3 – حاميم الغماري : من شمال المغرب الأقصى، ظهر حوالي سنة 313هـ فاستجاب له كثير من أهل اغمارة، ولما بلغ خبره الخليفة الأموي بالأندلس، عبد الرحمن الناصر، أرسل إليه جيشا فقبض عليه، وقتل صلبا بقصر مصمودة، من أحواز طنجة، وبعث برأسه إلى الناصر بقرطبة.(103)

4 – عاصم بن جميل الورفجومي : ذكره صاحب مفاخر البربر، وقال: إنه تنبأ من البربر بعد صالح ابن طريف البرغواطي.(104)

5 – عبيد الله الشيعي العبيدي، ادعى النبوة قبل أن يدعي الألوهية، كما تقدم شرح ذلك.

وقد امتحن في ذلك ابن البرذون وابن هذيل، وكانا من العلماء الأتقياء، حين رفضا الشهادة أنه رسول الله، قائلين بلفظ واحد: «والله الذي لا إله إلا هو، لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره، وينطلقان فيقولان: إنه رسول الله ما قلنا إنه هو»، فكان مصيرهما الذبح والتمثيل بهما.(105)

أما فيما يتعلق بمعارضة القرآن، فقد حاول هؤلاء الادعياء وغيرهم معارضته، فوضع صالح ابن طريف لاتباعه قرآنا يصلون به ويتلونه في المساجد، وادعى أنه أوحي إليه من الله تعالى، وأنه مؤلف من ثمانين سورة سماها لهم بأسماء النبيئين وغيرهم كآدم ونوح والديك وإبليس.(106)

---

100) انظر : الأنيس المطرب بروض القرطاس : 1/145 – 146.

101) غافر : 28.

102) انظر : المقتبس : لابن حيان : 16 تحقيق مكي.

103) تاريخ العبر لابن خلدون: 6/445 – 446.

104) مفاخر البربر : 225 وانظر : تاريخ العبر لابن خلدون : 6/231.

105) انظر : رياض النفوس : 2/63.

106) تاريخ العبر : لابن خلدون : 6/429.

وهذا القرآن بالبربرية، جاء في سورة أيوب منه : «انظر محمدا، كان حين عاش استقام الناس كلهم، الذين صحبوه حتى مات، ففسد الناس، كذب من يقول: إن الحق يستقيم وليس ثم رسول».

واحتج على أنه مبعوث بالبربرية(107) بقوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه**﴾، وراودت فكرة معارضة القرآن الكريم، شاعر الأندلس يحيى بن الحكم الغزال، المتوفى حوالي 250هـ، لكنه عندما أراد أن يعارض سورة الإخلاص ﴿**قل هو الله أحد**﴾، استولت عليه هيبة عظيمة، وانتابته حالة لم يعرفها من قبل، فأناب إلى الله تعالى، وعاد إلى رشده.(108)

وكان لحاميم الغماري قرآن جعله لاتباعه، يقرأونه بلسانهم بعد أن يهللوا بقولهم «خلني من الذنوب، يا من خلى النظر ينظر في الدنيا، خرجني من الذنوب يا من أخرج يونس من بطن الحوت، وموسى من البحر».(109)

ويظهر من هذه الديانات بجلاء، أنها متأثرة في تعاليمها بالإسلام، منطلقة من تصوراته متصرفة في ذلك بأشكال غريبة.

خامسا : الكذابون والوضاعون للحديث :

يشترك كثير من أهل الأهواء والبدع – كما تقدم – مع عدد من الصالحين والمغفلين في الكذب على رسول الله ﷺ وأصحابه، ووضع أحاديث مختلفة لدعم مواقفهم، وقد وجد من كلا الطائفتين، أناس كثيرون في بلاد الغرب الإسلامي.

وقد اختلفت دواعي هؤلاء الوضاع للكذب على رسول الله ﷺ، فبعضهم يفعل ذلك تعصبا وجمودا أو جهلا بغير علم، أو لمجرد الكذب، وقد

107) نفسه : 6/430.

108) نفح الطيب : 2/261.

109) تاريخ العبر لابن خلدون : 6/446.

تقدمت بعض النماذج خلال الحديث عن الأهواء والبدع، وتأتي هنا أمثلة عن بعض الأصناف الأخرى من الوضاعين.

أ – المرتزقة وأهل الملق :

تقربا إلى الحكام وغيرهم من ذوي المال والسلطان، لجأ بعض الناس إلى الكذب والوضع لإرضائهم، ونوال عطاياهم، من ذلك :

– حيوة بن ملامس الحضرمي، أحد أشراف اشبيلية، كانت له مكانة من الأمير عبد الرحمن بن معاوية، فبلغ به الطمع أن روى عن حنش الصنعاني يرفعه، أن ملك بني أمية لا يزال إلى خروج الدجال.

ولما رواه لعبد الرحمن بن معاوية أقطعه قطيعة، كانت معروفة.(*)

– واعتاد أمراء بني الأغلب، استدعاء إسحاق بن عبد الملك الملشوني، ليكون عندهم في رمضان، فيحدثهم بالعجائب حتى يقطع بهم النهار.(110)

قال أبو العرب عن إسحاق هذا : «حديثه يدل على ضعفه، وما يحتاج إلى معرفة حاله بأكثر من روايته».(111) ومن هذا الصنف من الوضاعيين، محمد بن الوليد بن عبيد الله القرطبي (ت309هـ) اتهم في أحاديث أسندها، وكان يرفع الأحاديث إلى الأمير عبد الله، وكان كثير الملق.(112)

ب – التعصب للمذهب أو الموقف :

هناك أمثلة كثيرة في هذا الباب، من أبرزها افتعال الفقيه المالكي أصبغ بن خليل القرطبي (ت273هـ)، حديثا في ترك رفع اليدين في الصلاة بعد الإحرام، انتصارا لرأي أصحاب مالك، ولابن القاسم من بينهم،

---

*) التكملة : 1/282 تحقيق العطار.

110) طبقات علماء إفريقية وتونس : 181.

111) نفسه : 180.

112) تاريخ علماء الأندلس : 2/34.

ومعارضة لفعل بقي بن مخلد في رفع اليدين في الركوع، كما سيأتي في الفصل الثاني من هذا الباب.

والجدير بالذكر – هنا – أن أحمد بن خالد، حاول الدفاع عن أصبغ في هذا الحديث، فقال: إن أصبغ لم يقصد الكذب على رسول الله ﷺ، وإنما ظهر له أنه يريد تأييد مذهبه(113) وتعقبه القاضي عياض فقال: «هذا كلام من أحمد لا معنى له، وكل من كذب على النبي ﷺ، فإنما كذب لتأييد غرض، ولو قال: إنه إنما كذب في السند، وعلى غير النبي، إذ قد روي عن النبي أنه رفع أولا ثم لم يرفع بعد، بما جاء في الحديث عن النبي هنا، بمعنى ما أتى به هو، كان أشبه لكن الكذب في العلم، أي نوع كان، مبطل لصاحبه، مسقط له، بشهادة الزور».(114)

ج – مختلف الكذابين والوضاعين :

وهناك أصناف أخرى من الكذابين والوضاعين، الذين يكون وراء لجوئهم إلى ذلك عدة دوافع نفسية واجتماعية ظاهرة أو خفية، فمنهم من أصبح الكذب عادة له ومن هؤلاء:

* محمد بن منبه القرطبي (ت388هـ)، وصف بأنه من أكذب الناس.(115)

---

113) انظر : ترتيب المدارك : 4/252.

ويرى الدكتور إبراهيم بن الصيدق، أن أحمد بن خالد، قال ذلك على سبيل التهكم، في حين أخذ القاضي عياض ذلك على محمل الجد (المدرسة المغربية في الجرح والتعديل: 77) والظاهر، أن أحمد بن خالد كان جادا في كلامه، لما عرف عنه من تقدير أصبغ، حتى إن محمد ابن عبد الله بن أبي عيسى اعترض على أحمد بن خالد وقال له: إن الأعناقي، يحدث عن أصبغ أخرج حديثين منكرين، فذكرهما أحمد بن خالد نفسه، ثم أجاب بما لا حجة فيه (انظر: أخبار الفقهاء والمحدثين: 38).

114) ترتيب المدارك : 4/252.

115) تاريخ علماء الأندلس : 2/103.

* عثمان بن محمد بن يوسف الأزدي القري من أهل قرطبة، كان يزعم أنه سمع من محمد بن وضاح وغيره، وكان كذابا معروفا بين الناس بذلك.(116)

* محمد بن عبد الله بن عبد المؤمن المعلم القرطبي (ت386هـ)، كانت عنده أصول جده لأمه أصبغ بن مالك (توفي ما بين 299هـ و304هـ) وكان يدعي سماعها منه، وكان يذكر أنه أدرك محمد بن وضاح، وكان لو أراد أن يحدث عن نوح عليه السلام لفعل.(117)

* محمد بن خليفة بن عبد الجبار البلوي المؤدب القرطبي (ت392هـ)، كان شيخا صالحا زاهدا، لا يؤتى بكتاب إلا ذكر أنه سمعه.(118)

* محمد بن عيسى بن رفاعة الخولاني، المعروف بابن الفلاس (ت337هـ) كان ينسب إلى الكذب.(119)

ومنهم المولعون برواية المناكير مثل:

* محمد بن ميسور القرطبي، كان رجلا صالحا، حدث عنه خالد بن سعد، واثنى عليه. روى بسنده إلى أنس بن مالك عن النبيﷺ، حديثا منكرا لا أصل له.(120)

* سليمان بن منفوش، من أهل شذونة، حدث عن يحيى بن عبد الله الخراساني بحديث منكر، حدثت به عنه ابنته «علة» أورده ابن الفرضي.(121)

---

116) نفسه : 1/349 – 350.
117) نفسه : 2/101.
118) نفسه : 2/106.
119) نفسه : 2/57 – 59.
120) نفسه : 2/62 – 63.
121) نفسه : 1/217.

* أحمد بن الفضل بن العباس البهراني، الدينوري الخفاف (ت349هـ) كانت عنده مناكير، وقد تسهل الناس فيه وسمعوا منه كثيرا.(122)

* عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أبي عمر البكري البزاز، يعرف بابن المنخزين (ت370هـ) كانت عنده مناكير.(123)

ومنهم الإخباريون والمتعصبون لأقاليمهم وبلدانهم، ومما روج له بعض هؤلاء، أحاديث موضوعة في بعض المدن، كبرقة أو فاس، أو سبتة، أو القيروان، أو المنستير أو غير ذلك روى أبو الوليد ابن الفرضي في تاريخه قال: أخبرنا أحمد بن خالد التاجر (ت378هـ) قال: نا: يزيد بن عمر الأندلسي، قال: «نا ابن الأعرابي أحمد بن محمد بن بشر بمكة، قال: نا الزعفراني عن سفيان بن عينية، عن الزبيري عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عبد الله بن عمر قال: حضرت رويفع بن ثابت الأنصاري وهو يسأل رسول اللهﷺ عن الفتنة، وكيف هوناج منها؟ فقال رسول اللهﷺ: «يا رويفع الزم الجبال والقفار، فإنه أسلم لدينك ودنياك (...) فعليك بسكنى مدينة برقة، إنها ستفتح عليكم وغيرها من مدائن المغرب».

وفي الخبر : «مدينة في الإسلام بعض الأرض مقدسة، ساكنها سعيد وميتها – في آخر الزمان – عريق»، فقال عبد الله بن عمر: فما زلت اجعل ذلك من بالي من أجل هذا الحديث، حتى فتح الله على المسلمين مصر والمغرب، فسأل رويفع عمر بن الخطاب أن يوفده إلى المغرب، فولاه برقة، فلم يزل بها حتى مات فيها، وقبره بها رحمه الله.

قال ابن الفرضي معقبا على ذلك : «هذا حديث باطل، ولا سيما بهذا الإسناد،(124) ومن هذا القبيل، ما قاله ابن زرع في فضل مدينة فاس

---

(122) نفسه : 1/75 – 76.

(123) نفسه : 1/307.

(124) نفسه : 2/195 – 196.

وشرفها، أنه وجد بخط دراس ابن إسماعيل في كتابه: حدثني ابن أبي مطر بالاسكندرية قال: محمد بن إبراهيم المواز، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن مالك بن أنس عن محمد بن شهاب الزهري، عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيﷺ أنه قال: «ستكون مدينة تسمى فاس» أقوم أهل المغرب قبلة، وأكثرهم صلاة، أهلها على السنة والجماعة، ومنهاج الحق لا يزالون، متمسكين به لا يضرهم من خالفهم، يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة».(125)

قال محمد بن جعفر الكتاني عقب إيراده : «وتكلم فيه بعضهم من جهة متنه، وآخرون من جهة إسناده، والصواب أنه صحيح من جهة المعنى ضعيف من جهة السند والمبنى».(126)

وقال الدكتور إبراهيم بن الصديق: «وعلى كل حال، فهذا الحديث لم يحدث به دراس آخذا ولا سمعه منه سامع، ولا وجد في كتاب أجاز به شخصا، ولا كتب به إلى أحد ولا اتصل به، بطريق من طرق الرواية، المعتبرة عند المحدثين».(127)

---

125) الأنيس المطرب بروض القرطاس : 1/48.

126) محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني : سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس 1/76 – طبعة حجرية فاس (1316هـ – 1898م).

127) المدرسة المغربية في الجرح والتعديل : 81.

الفصل الثاني

مراحل تطور علم الرجال بالغرب الإسلامي

مر علم الرجال بالغرب الإسلامي، منذ الفتح إلى نهاية القرن الخامس الهجري، بثلاث مراحل متميزة هي:

1 – مرحلة النشأة والظهور، وتبدأ منذ وقت مبكر، ثم تطور علم الرجال بعد ذلك إلى أن كاد يقف على قدميه، أوائل القرن الثالث الهجري.

2 – مرحلة التمثل والانتشار، وتبدأ قبيل منتصف القرن الثالث الهجري، وتتميز بكونها البداية الحقيقية لعلم الحديث بالغرب الإسلامي كله، مع تفاوت بين أقطاره في ذلك.

3 – مرحلة النضج والازدهار، وتبدأ منذ أوائل القرن الرابع الهجري، وتستمر إلى نهاية القرن الخامس الهجري وما بعده، وخلال هذه المرحلة عاش عدد من كبار علماء الحديث بالغرب الإسلامي.

المبحث الأول :

مرحلة الظهور

رافق الخوف على حديث الرسول ﷺ بالغرب الإسلامي، فتوحات هذه البلاد، يستفاد ذلك من وصية عقبة بن نافع لأبنائه حين حضرته الوفاة:

«يا بني لا تقبلوا الحديث عن رسول اللهﷺ إلا من ثقة»(1) وعلى الرغم من أن بلاد المغرب لم تكن - إذ ذاك - قد انتشر بها الحديث، فإن عقبة رحمه الله، انطلق - فيما يظهر - من واقع ما كان يجري بالمشرق، عقب استشهاد الخليفة الراشد الثالث، عثمان بن عفان رضي الله عنه، مما تقدم شرحه في المدخل إلى علم الرجال.

ثم لم يلبث أن ظهر الحديث ببلاد الغرب الإسلامي، وظهر محدثون كبار، لكن مع ذلك لم يتم ظهور علم الرجال، إلا في القرن الثالث الهجري، ويرجع ذلك إلى عدة عوامل، منها عدم عناية الناس بالحديث قبل هذا العهد.

يقول سحنون عن أهل إفريقية : كان من يعرف العلم يبقى في صدره لا يسألونه عنه، فيموت به مثل عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، بقي العلم في صدره لا ينتشر عنه ولا يعرف.(2)

ويقول ابن وضاح عن الأندلس : «قال لي يحيى بن معين : جمعتم حديث معاوية بن صالح؟ قلت: لا، قال: وما منعكم من ذلك؟ قلت : قدم بلدا لم يكن أهله يومئذ أهل علم، قال: أضعتم والله علما عظيما.(3)

وقال يحيى بن السلام التيمي لابنه : «يا بني رويت ستة آلاف حديث، أو ثمانية آلاف حديث، لم يسألني عنها أحد، ولم أحدث بها أحدا».(4)

---

1) تاريخ ابن أبي خيثمة : الورقة 49 ظ / التمهيد لابن عبد البر : 1/45. كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: 72.

2) طبقات علماء إفريقية وتونس : -رياض النفوس : 1/153.

3) محمد بن حارث الخشني : أخبار الفقهاء والمحدثين : 185 ع 231.

4) رياض النفوس : 1/189.

ويبدو أن من أهم ما صرف الناس عن دراسة الحديث، إلا بمقدار، تخوفهم من الانحراف عن جادة الصواب، لما كان تلاميذ مالك المغاربة ينقلونه عنه، من توجيهات في هذا الباب.

إن مالكا وهو أمير المؤمنين في الحديث، وإمام دار الهجرة، كان يوجه تلاميذه إلى ما ينفعهم خاصة، وينفع الناس عامة.

إنه كان يحذرهم من كثرة الرواية فيقول : ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم نور يضعه الله في القلوب».(5)

ومن ذلك قوله لأبي بكر وإسماعيل ابني أبي أويس: «أراكما تحبان هذا الشأن وتطلبانه، قالا «نعم، قال: إن أحببتما أن تنتفعا به، وينفع الله بكما فاقلا منه وتفقها».

ولم يمنعه إعجابه بتلميذه عبد الله بن وهب، أن ينكر عليه الإكثار من الحديث فقال عنه: «سبحان الله» أيما فتى لولا الإكثار»(6) الشيء الذي أدركه ابن وهب فقال: «لولا أن الله أنقذني بمالك والليث لضللت، فقيل له كيف ذلك، فقال أكثرت من الحديث فحيرني، فكنت أعرض ذلك على مالك والليث فيقولان خذ هذا ودع هذا».(7)

وكان مالك يقول لابن وهب : «اتق الله وانظر عمن تأخذ» وكثيرا ما كان يشعر تلامذته، بمدى مسؤولية الكلمة، وما قد تجر إليه من مهالك، فيقول لهم: من عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه»(8) وكان مالك يسمى سعيد بن أبي هند الطليطلي «الحكيم» لكلمة سمعها منه عندما قال مالك ذات يوم: «ما أحسن السكوت وأزينه بأهله «فقال له ابن أبي هند»

---

5) القاضي عياض : الغنية : 74.
6) تاريخ علماء الأندلس : 1/300.
7) انظر رياض النفوس 1/291.
8) الصلة : 1/29 – 30.

وكل من سكت يا أبا عبد الله؟ «فأعجبت مالكا كلمته هذه، وكان كثيرا ما يسأل عنه بسببها.

وحتى يحدد مالك لطلبته، الإطار الذي ينبغي أن يعملوا داخله، وجههم إلى موطئه فقال: «انظروا في هذه الكتب – يعني الموطأ – ولا تخلطوها بغيرها» إذ الغاية من العلم بالحديث تفهم فقهه وبالتالي تعلم العلم والعمل معا، ولم يكن مالك ضد رواية الحديث وانتشاره، أو التقوقع داخل مذهبه، وهو الذي رفض فرض كتابه على الناس بالمشرق، وإنما كان يحتاط لأمر، كما تلخص ذلك كلمته الجامعة والمؤسسة لنقد الرجال: «لا تأخذوا العلم عن أربعة، وخذوا ممن سواهم».

لا يؤخذ من سفيه معلن بالسفه، وإن كان أروى الناس.

ولا من صاحب هوى، يدعو الناس إلى هواه.

ولا من كذاب، يكذب في أحاديث الناس، وإن كنت لا تتهمه بكذب على رسول الله ﷺ.

ولا من شيخ له عبادة وفضل، إذا كان لا يعرف الحديث.(9)

وعلى يد تلامذة مالك وتلامذتهم، ظهر الحديث بالغرب الإسلامي، كما ظهرت أولى بوادر علم الرجال.

يقول السخاوي عن «إقليم المغرب» : فأدناه إقليم إفريقية، وأهمها هي مدينة القيروان كان بها سحنون بن سعيد الفقيه صاحب ابن قاسم، وأما بجاية وتلمسان وفاس ومراكش وغالب مذاهب المغرب، فالحديث بها قليل».(10)

---

9) القاضي عياض : الالماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع: 60 تحقيق : السيد أحمد صقر دار التراث القاهرة – الطبعة الأولى (1389هـ / 1970م) وانظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 2/267 تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا – مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط2: 1418هـ – 1997 – التكملة لابن الأبار : 1/255 تحقيق العطار وغير ذلك.

10) محمد بن عبد الرحمن السخاوي : الإعلان بالتوبيخ : 140.

ويقول عن الأندلس: «فتحت في أيام الوليد بن عبد الملك، وجلب إليها العلم، لكن اشتهر بها العلم والحديث في المائة الثالثة بابن حبيب ويحيى بن يحيى وأصحابهما، ثم بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح».(11)

إن الحديث عن هذه المرحلة، ينصب أساسا على الشطر الأول، من علم الرجال المتعلق بأسماء الرجال، وتواريخهم وما يتعلق بذلك، مع بعض الإشارات والملاحظات العابرة، المتصلة بالشطر الثاني، المتعلق بالجرح والتعديل.

وتأتي أهمية هذه المرحلة، من اعتنائها بالتأريخ لعدد من رجال الغرب الإسلامي، من صحابة وتابعين وغيرهم، الشيء الذي سيكون معتمد، من جاء بعد ذلك، من العلماء المهتمين بالرجال.

وعلى الرغم من بعض المآخذ، التي أخذت على عدد من رواد علم الرجال، في هذه المرحلة، والذين حوكموا بمقاييس متأخرة عن عصرهم، فإنهم قد انتبهوا إلى أهمية العناية بالرجال، وقدموا كل حسب علمه، جهودا رائدة، لا يمكن إنكارها، مع ما يعتري مراحل التأسيس من أخطاء، يمكن تلافيها من بعد، خصوصا وأن ضبط قواعد علم الحديث والتأليف فيها، إنما جاء بعد هذه المرحلة.

لقد اهتموا بإسناد الأحاديث والأخبار، وأصبحت هناك حلقات علمية يطلب فيها الحديث، وظهرت أولى المؤلفات في ذلك.

إن أولى هذه البوادر تظهر بإفريقية – فيما أعلم – مع سحنون بن سعيد، وبالأندلس مع عبد الملك بن حبيب، وكلا الرجلين، فقيه مبرز، مع موسوعية الثاني ومشاركته في شتى العلوم والفنون.

1 – سحنون بن سعيد التنوخي أبو سعيد (160 – 240هـ)، كان اسمه عبد السلام فغلب عليه سحنون.

---

11) نفسه: 140.

رحل إلى المشرق، ولقي في الحديث سفيان بن عينية، وابن وهب، وأنس بن عياض، ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم،(12) ومن كبار تلاميذه: بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح.(13) قال عنه محمد بن حارث الخشني: «صار زمانه كأنه مبتدأ، قد أمحى ما قبله، فكان أصحابه سرج أهل القيروان، فرأيته عالمها وأكثرهم تأليفا».(14)

وكان محمد بن وضاح، يردد كثيرا القول: بأنه كان يود لو أنه قرأ المسند على سحنون، الشيء الذي كان يعجب منه أحمد بن خالد، ويقول: كأنه ذهب إلى أن سحنون يميزه له كتمييز الفقه، وهذا غلط، لم يكن هذا من صنعة سحنون، إنما كان مذهب سحنون الفقه والكلام فيه(15) وهذا الحكم على سحنون مبالغ فيه، لأن الأمثلة الآتية تدل على علم الرجل بالحديث، وعلى حسه النقدي المبكر، ثم إن ابن وضاح، أعرف بسحنون من أحمد بن خالد.(16)

إن مما يميز علم سحنون بالحديث، ومعرفته بالرجال قصته مع محمد بن رزين، (ت255هـ) وكان ثقة عنده حديث كثير ذلك أن سحنونا رأى كتابا مع بعض الطلبة فيه حديث عن ابن رزين عن عبد الله بن نافع الصائغ، فأرسل سحنون في طلب ابن رزين، فلما حضر قال له: أنت سمعت ابن نافع؟ فقال له: أصلحك الله، إنما سمعت من ابن نافع الزبيري، فقال له، لم دلست؟ أو كما قال، ثم قال سحنون عقب ذلك: «ماذا يخرج بعدي من العقارب ان مت».(17)

---

12) طبقات علماء إفريقية وتونس : 184 – رياض النفوس 1/347 – 348.
13) أخبار الفقهاء والمحدثين : 55 ع 58 / 126 ع 137.
14) ترتيب المدارك : 4/51.
15) أخبار الفقهاء والمحدثين : 18 – 19.
16) كان ابن وضاح متأثرا بسحنون في سلوكه وأخلاقه بشكل واضح، الشيء الذي يؤكد العلاقة الوطيدة بين الرجلين – انظر : ترتيب المدارك : 4 / 78 – 85.
17) طبقات علماء إفريقية وتونس : 205.

وبين كل من أبي العرب وعياض، أن ابن رزين لم يدرك ابن نافع الصائغ، وإنما أدرك ابن نافع الزبيري، فلهذا أنكر سحنون عليه، حتى لا تختلط روايتهما وأقوالهما وإن كانا ثقتين أمامين،(18) وكان سحنون مظهرا للسنة، غير عابئ بما يلقى في سبيل ذلك، الشيء الذي افتقده الناس بعد موته.

قال حباشة بن حسن اليحصبي القيرواني : قال سعيد بن فحلون البجاني قيل إن السنة تعرض عليكم اليوم بالقيروان سرا، فقلت له: نعم، فقال: «أدركت بالقيروان ستة عشر رجلا كلهم يقول: حدثنا سحنون بن سعيد».(19) وكان لا يفتأ يوجه تلاميذه وينصح لهم، بما يعينهم على الانتفاع بالعلم كقوله: «من صحت كتبه صحت روايته، ومن سقم كتابه سقمت روايته».(20)

قال سليمان بن سالم : كنت قاعدا قدام سحنون، وهو يقرأ كتاب الترغيب «من» جامع ابن وهب «فرددت عليه حديثا هو في كتابي، ولم يكن في كتابه، فقال لي» اقرأ الحديث «فلما قرأته أنكر الحديث وصاح علي وقال: من أدخل هذا الحديث في كتابك؟» فأمسكت ولم أرد عليه، فكلمه محمد ولده وقال: «أصلحك الله، الكتب تختلف» فقال لي: «اطرح الحديث من كتابك» فخططت عليه بالقلم، وهو ينظر، فقال لي: «زد خطا عليه» فطلسته كله».(21)

وقد ألف في أخباره وسيرته كل من أبي العرب التميمي،(22) ومحمد بن حارث الخشني،(23) وتورد المصادر نقولا كثيرة عن سحنون، فيما يتعلق بالرجال من ذلك:

18) نفسه : 205 – ترتيب المدارك : (16/2) (190/4 – 191).

19) تاريخ علماء الأندلس : 153 – 201.

20) رياض النفوس : 373/1.

21) رياض النفوس : 373/1.

22) ترتيب المدارك : 324/5.

23) انظر مجلة : «القرويين» ع 5 ص 316 السنة 1414هـ – 1993م.

قال ابن سحنون لأبيه : إنّ حفص الفلاسى قال : ما سمعت يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي يحدثان عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، فقال سحنون: لم يصنعا شيئا عبد الرحمن ثقة».(24)

وقال سحنون عن على بن زياد التونسي: «كان علي بن زياد خير أهل إفريقية في الضبط للعلم،(25) وقال عن ابن مسعود بن أشرس: كان أحفظ للرواية.(26)

ونقل عنه ابن الحذاء في ترجمة عبد الله بن سعيد بن أبي هند قوله: لم يتكلم فيه أحد من أهل العلم بمكروه»،(27) وفي ترجمة محمد بن مسلم أبي الزبير المكي قوله: «قد روى عن أبي الزبير من هو أجل من شعبة روى عنه مالك وأيوب السختياني وابن عون، فأين شعبة من هؤلاء؟».(28)

2 – أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي (174 – 238هـ)، روى بالأندلس عن صعصعة بن سلام، والغازي بن قيس، وزياد بن عبد الرحمن وغيرهم.

رحل إلى المشرق سنة 208هـ فسمع من عبد الملك بن الماجشون، ومطرف بن عبد الله المدني راوية مالك، وعنه حمل الموطأ، وإبراهيم بن منذر الحزامي فقيه المدينة، وأسد ابن موسى فقيه مصر، وعبيد الله بن موسى فقيه الكوفة، وأصبغ بن الفرج، وعبد الله بن نافع الزبيري، وإسماعيل بن أويس، وعبد الله بن عبد الحكم، وعلي بن جعفر بن الحسين وغيرهم.(29)

---

24) طبقات علماء إفريقية وتونس : 100.
25) نفسه : 223.
26) نفسه : 223.
27) ابن الحذاء : التعريف بمن ذكر في في موطأ مالك من الرجال والنساء : الورقة 143 ظ.
28) نفسه الورقة 144 ظ.
29) أخبار الفقهاء والمحدثين : 245 – 246 تاريخ علماء الأندلس : 313/1. ترتيب المدارك : 123/4.

وعده الخطيب البغدادي من الرواة عن مالك،(30) وتبعه على ذلك الحميدي،(31) ونقله عنه الضبي(32) وهو خطأ بين.(33)

وممن روى عنهم عبد الملك، بالإضافة إلى من ذكر، عبد الله بن المغيرة الكوفي، وهو من القادمين إلى إفريقية، وحديثه كما قال أبو العرب: «حديث الحذاق بالحديث».(34)

وسمع من عبد الملك بن حبيب ابناه محمد وعبد الله، وسعيد بن نمير، وأحمد بن راشد، وإبراهيم بن خالد، وإبراهيم بن شعيب، ومحمد بن فطيس.(35)

وروى عنه من علماء القرطبيين، مطرف بن قيس، وبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح، والوليد ابن عبد الوهاب، ويوسف بن يحيى المغامي.(36)

ومنهم من أهل استجة، كرز بن يحيى الصدفي، وكان يفضل ابن حبيب على كل من قدم عليه من البلدان ويصفه بالذكاء وحسن الفهم.(37)

ومن أهل البيرة : خالد بن المثنى المري، يكنى أبا رزين، وصف بأنه كان جمرة من جمرات العرب، وشعلة من شعلهم، وأنه لم يحتك به أحد قط إلا وجندل به من شاهق.(38)

---

30) ترتيب المدارك : 19/1.
31) جذوة المقتبس : 47/2 : يقال : إنه أدرك مالكا في آخر عمره.
32) بغية الملتمس : 364.
33) انظر ترتيب المدارك : 19/1, الإعلان بالتوبيخ : 8.
34) طبقات علماء إفريقية وتونس : 162.
35) تاريخ علماء الأندلس : 123/4 - ترتيب المدارك : 123/4.
36) نفس المصدرين.
37) أخبار الفقهاء والمحدثين : 107 - ع 122.
38) التكملة : 289/1 ع 777 تحقيق الغطار.

وعبد الملك بن حبيب، أول عالم أندلسي يتجمهر حوله طلبة العلم بشكل كبير.(39)

قال سعيد بن فحلون ليوسف بن يحيى المغامي – وكان يجلس للسماع بالمسجد – «ما أصل إليك إلا جهدا، من كثرة البغال على باب المسجد» قال: فقال المغامي: «فكيف لو رأيت ما كان على باب عبد الملك بن حبيب» وفي رواية: «لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب لازدريت غيره»(40) وقال غيره: «رأيته يخرج من الجامع وخلفه نحو من ثلاثمائة بين طالب حديث وفرائض، وفقه واعراب:(41)

وعندما رحل المغامي إلى قرطبة، حمله والده رسائل إلى يحيى بن يحيى، وسعيد بن حسان، وزونان، الذين رحبوا به وقربوه.

قال المغامي : «ولم يكتب لي إلى عبد الملك، فأقمت أياما اختلف إلى هؤلاء، ثم دخلت إلى عبد الملك، فرأيت طرازا غير الطراز الذي رأيت»(42) وكان يقول أيضا : لم يكن لأحد بقرطبة، مثل قدر عبد الملك بن حبيب،(43) وجعله محمد بن عمر بن لبابة، عالم الأندلس كلها، فقال: «لم يكن بالأندلس، أفقه من عبد الملك بن حبيب، ولا أعلم منه»(44) وقال أيضا: «عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس».(45)

---

39) كانت قبله لحبيب دحون (ت بعد 200هـ) حلقة بجامع قرطبة يسمع فيها الناس (نفح الطيب : 139/3).

40) أخبار الفقهاء والمحدثين : 246 – ترتيب المدارك : 125/4.

41) ترتيب المدارك : 124/4.

42) أخبار الفقهاء والمحدثين : 246.

43) نفسه : 248.

44) نفسه : 248.

45) نفسه : 246.

ووسع سحنون بن سعيد الدائرة إلى أقصى مداها، فقال حين بلغه نعي ابن حبيب: «مات عالم الأندلس بل والله – عالم الدنيا»،(46) وهي كلمة لم تجانب الصواب، إذ كان عبد الملك ابن حبيب – فعلا – نادر المثال في موسوعية قل نظيرها في عصره، وهو واضع الأسس لأكثر العلوم والفنون بالأندلس، وقد وفق الفتح بن خاقان، إلى التعبير الدقيق عن مكانة الرجل وسعة علمه حين قال: «أي شرف لأهل الأندلس ومفخر، وأي مرهف على ملحد أزرى بالإسلام أو سخر، خلدت منه الأندلس فقيها عالما أعاد مجاهل جهلها معالما، وأقام فيها للعلوم سوقا نافقه، ونشر منها ألوية خافقة، وجلاها عن الألباب صدأ الكسل، وشحذها شحذ الصوارم والأسل، وتصرف في فنون العلوم وعرف كل معلوم» ثم أضاف: «وكان عبد الملك قد جمع إلى علم الفقه والحديث علم اللغة والإعراب، وتصرف في فنون الأدب، وكان له شعر يتكلم به سحرا، ويرى ينبوعه بذلك متفجرا».(47)

ولم تكن شهرة ابن حبيب، ووزنه العلمي، مقتصرا على زمنه، بل ظل يفرض نفسه على من جاء بعده. يقول ابن الفرضي، في معرض حديثه عن شيخه أبي محمد بن الباجي: «سمعت إسماعيل بن إسحاق يقول: لم يكن بالأندلس، بعد عبد الملك بن حبيب، مثل أبي محمد الباجي»،(48) وهذا الأخير يقول عنه ابن الفرضي نفسه: «كان ضابطا لروايته ثقة صدوقا حافظا للحديث بصيرا بمعانيه، لم ألق فيمن لقيته من شيوخ الأندلس، أحدا أفضله عليه في الضبط.(49)

---

46) ترتيب المدارك : 4/125.

47) الفتح بن خاقان : مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس : 153 – 154 تحقيق : محمد علي شوابكة – مؤسسة الرسالة – بيروت : ط1 : 1403هـ – 1983م.

48) تاريخ علماء الأندلس : 1/281.

49) نفسه : 1/281.

لكن بعد تسليم الجميع، لعبد الملك بن حبيب، بالموسوعية والتبرين، في شتى العلوم والفنون، تضاربت أقوالهم عنه، في المجال الحديثي، بما يطول سرده، ويضيق هذا الموجز عن إيراده، وقد حرر في ذلك الدكتور إبراهيم بن الصديق مبحثا قيما، صالحا لأن يكون منطلق دراسة علمية ضافية، تضع الرجل في مكانه الصحيح».(50) وحسب هذا البحث أن يشير إلى ما له صلة بعلم الرجال، وعبد الملك ابن حبيب معترف له بالإمامة والريادة في التاريخ والأنساب، فلا أقل من أن يوضع مع أقرانه في هذا المجال، كمحمد بن سعد كاتب الواقدي (ت230هـ) وخليفة بن خياط العصفري (ت240هـ) وقد وضعهم ثلاثتهم ابن حجر في التقريب في الطبقة العاشرة، وهم أيضا جميعا من رواد التأليف في الطبقات.(51)

وقد كثر النقل عن ابن حبيب، في كتب الرجال بالأندلس، فيمن دخلها من الصحابة والتابعين، وأوائل الفقهاء والمحدثين، كما سيأتي بيانه، في مبحث التأليف في الرجال بالغرب الإسلامي.

ولعل أقسى نقد وجه لعبد الملك بن حبيب، هو ما صدر عن أبي عبد الملك أحمد بن عبد البر (ت338هـ) الذي قال في تاريخه: «ابن حبيب أول من أظهر الحديث بالأندلس، وكان لا يفهم طرقه ويصحف الأسماء ويحتج بالمناكير، فكان أهل زمانه ينسبونه إلى الكذب، ولا يرضونه»(52) ولم يسبقه فيما أعلم إلى هذا الاتهام أحد، إلا أن تكون قصته مع عبد الأعلى بن وهب،(53) أو قول ابن وضاح: إنه لم يسمع من

---

50) مجلة دار الحديث الحسنية : العدد 1 (1399هـ - 1979م) ص : 15.

51) انظر : تقريب التهذيب : (195 ع 1743) (362 ع 4174) (480 ع 5903) - دائرة المعارف الإسلامية: 15/77 - 78.

52) الذهبي : سير أعلام النبلاء : 2/106. وانظر : تذكر الحفاظ : 2/537.

53) انظر تاريخ علماء الأندلس : 1/323 - ترتيب المدارك : 4/246.

أسد،(54) وكلا الموقفين كانت له مبرراته، التي تدفع عن عبد الملك بن حبيب تهمة الكذب.(55)

أما ما عدا ذلك، فكما قال منذر بن سعيد البلوطي (ت355هـ): «وأكثر ما تجد أحدهم يقول: كذب عبد الملك وأخطأ، ثم لا يأتي بدليل على ما ذكره».(56)

وأبو عبد الملك. أحمد بن محمد بن عبد البر، قال عنه ابن عفيف : تكلم فيه الحسن بن مفرج، فاستدل على ما ذكره بكثرة تتبعه لمثالب الأئمة في كتابه».(57)

وتكرر في كتابات الدكتور إبراهيم بن الصديق، أن أبا بكر بن أبي شيبة، قال عن عبد الملك بن حبيب: ضعفه غير واحد وبعضهم كذبه»،(58) والكلام كما ذكره الذهبي(59) وابن حجر، لأبي بكر(60) ابن سيد الناس، وليس لأبي بكر بن أبي شيبة، كما ذكر أستاذنا الدكتور إبراهيم بن الصديق.

ورد المقري قول من قال : إن ابن حبيب، لم تكن له معرفة بالحديث، بأن ذلك غير مسلم، وقد نقل عنه غير واحد من جهابدة المحدثين.(61)

54) تاريخ علماء الأندلس : 314/1.

55) انظر : اضطراب عبد الأعلى بن وهب في النقل عن أصبغ في : تاريخ علماء الأندلس: وانظر دفع الكذب عن عبد الملك بن حبيب في: ميزان الاعتدال للذهبي: 653/2 – لسان الميزان لأبي حجر : 59/4. – وانظر: أخبار الفقهاء والمحدثين: 237.

56) ترتيب المدارك : 131/4.

57) نفسه : 121/6.

58) المدرسة المغربية في الجرح والتعديل للدكتور إبراهيم بن الصديق: 137 (مرقون) – مجلة دار الحديث الحسنية : العدد 1 ص 21.

59) الذهبي : ميزان الاعتدال : 652/2.

60) ابن حجر : لسان : الميزان : 59/4.

61) المقري : نفح الطيب : 8/2.

وربما كان أعدل حكم، صدر في حق عبد الملك بن حبيب، هو أنه كان كثير الجمع، معتمدا على الأخذ بالحديث، صحفي يهم، فلعله – كما قال ابن حجر – كان يحدث من كتب غيره فيغلط.(62) وأحاديثه كما قال أبو الوليد ابن رشد: ضعيفة عند أهل الحديث، ولا سيما فيما انفرد به.(63)

ومما أخذ على عبد الملك بن حبيب، روايته عن أسد بن موسى، أنه حدثه عن فضيل بن عياض، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن جابر حديث: «اعلموا أن الله فرض عليكم الجمعة» الحديث.

قال ابن عبد البر : أفسد عبد الملك إسناده، وإنما رواه أسد بن موسى عن الفضل بن مرزوق، عن الوليد بن بكير بن عبد الله بن محمد العدوي، عن زيد فجعل الفضيل بن عياض، بدل الفضل بن مرزوق، وأسقط الوليد وعبد الله».(64)

ولعل خير ما يقال في مثل هذا الوهم، ما قاله ابن عبد البر نفسه، عن بعض أوهام الإمام مالك في الموطأ: «ومالك لا يكاد يقاس به غيره، حفظا وإتقانا لكن الغلط لا يسلم منه أحد».(65) ولا يخفى أن هذا العصر، كان عصر ظهور وتأسيس، ومن ثم لم تكن الصناعة فيه محكمة، ووقعت أوهام في الأسانيد وأسماء الرجال، وربما حتى في بعض المتون، وأشهر مثال في هذا الباب، ما وقع ليحيى ابن يحيى، في موطأ مالك بن أنس من أوهام، مما تتبعه ابن وضاح، فوجده في ستة وثلاثين موضعا في الإسناد.(66)

---

62) لسان الميزان : 4/59.

63) ابن رشد الحفيد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد : 1/153.

64) لسان الميزان : 4/60.

65) تنوير الحوالك : 2/34.

66) أخبار الفقهاء والمحدثين : 349 ع 492.

واستقصى الأمر – حديثا – الزميل الأستاذ محمد شرحبيلي، فوجد منها في الأسانيد (44 وهما) وفي المتون (9 أوهام) ووهم واحد في الأسانيد والمتون معا.(67)

ومع ذلك كله فعلى رواية يحيى بن يحيى اعتمد أهل المغرب والأندلس، قال ابن عبد البر في التمهيد: «إنما اعتمدت على رواية يحيى بن يحيى (...) لموضعه عند أهل بلدنا من الثقة والدين والفضل والعلم والفهم، ولكثرة استعمالهم لروايته وراثة عن شيوخهم وعلمائهم، إلا أن يسقط من روايته حديث من أمهات أحاديث الأحكام أو نحوها، فاذكره من غير روايته».(68)

المبحث الثاني :

مرحلة الانتشار

يبرز في هذه المرحلة، تفوق أندلسي واضح في مجال الحديث وعلومه، ومن ثم أصبحت قرطبة، قبلة طلاب العلم من طرابلس والقيروان، وتاهرت، وفاس، وسجلماسة، وسبتة وغيرها، كما تفيده أسماء الغرباء، في التراجم الأندلسية لتلك العهود.

ويبدو أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى، إلى الظروف السياسية المتباينة، التي كانت تعيشها أقطار الغرب الإسلامي، ثم إلى تراجع عصر سيادة فقهاء المالكية، بكل من قرطبة والقيروان، وظهور مدرسة الحديث بالأندلس.

على أنه ستصبح فاس بدورها، مقصد المضطهدين في إفريقية والأندلس، وبالتالي مركز إشعاع علمي مرتقب، في حين سيظل المغرب الأوسط، تحت نفوذ الخوارج، الذين وطدوا دعائم دولتهم هناك.

---

67) محمد بن حسن شرحبيلي : يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ : 122 – 139 – منشورات كلية الشريعة بأكادير – مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء : 1416هـ – 1995م.

68) التمهيد : 1/10.

ونظرا لما كانت تعرفه الأندلس وإفريقية في هذه المرحلة، من حركة حديثية نشيطة، فسيكون التركيز – هنا –، على هذين القطرين بالدرجة الأولى، مع الإشارة إلى الوضع الحديثي، بباقي أقطار الغرب الإسلامي.

أولا : الأندلس :

يرجع ابن الفرضي سبب انتشار الحديث في الأندلس في هذه الحقبة، إلى ما أحدثته عودة بقي ابن مخلد (ت276هـ) ومحمد بن وضاح (ت287هـ) من رحلتهما إلى المشرق من حركة حديثية نشيطة.

«وبقي بن مخلد ملأ الأندلس حديثا ورواية (...) ثم تلاه ابن وضاح، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، وإنما كان الغالب عليها قبل ذلك حفظ رأي مالك وأصحابه».(1)

إنها نقلة جديدة، وتحول من عهد إلى عهد.

ويرد الدكتور حسين مؤنس : هذه التحول إلى عدة أسباب من أهمها :

* رغبة الدولة الأموية بالأندلس، في صنف آخر من العلماء، بعد أن لم تعد في حاجة ماسة إلى الفقهاء.(2)

* توق الجيل الجديد من العلماء إلى مكانة مرموقة في المجتمع، فكان لابد من التوجه إلى الحديث لا إلى الفقه، لأنه لم يعد في الإمكان، بعد يحيى بن يحيى الليثي، وعبد الملك بن حبيب السلمي، الوصول إلى مثل مكانتهما، إلا إذا كانوا من طراز جديد.(3)

* وجود قاسم بن محمد بن سيار، إلى جانب الأمير محمد بن عبد الرحمن، الشيء الذي مهد الطريق، لبقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح في

---

1) تاريخ علماء الأندلس : 1/108.

2) شيوخ العصر في الأندلس : 43.

3) نفسه : 43.

إحداث الانقلاب الحاسم، في تاريخ الفقه في الأندلس، وبالتالي في قيام مدرسة الحديث.(4)

ومن ثم وقع التصادم بين فقهاء المالكية، وبين الجيل الجديد من المحدثين، وكان من نتائج ذلك، أن أغرى الفقهاء السلطان ببقي بن مخلد، لما أدخله من كتب الاختلاف، وغرائب الحديث.(5)

ومن الكتب التي أدخلها بقي بن مخلد، مصنف أبي بكر بن أبي شيبة بتمامه، ومسنده، مما أثار فقيها مبرزا، كأصبغ بن خليل، وجعله يقف من بقي موقف الرافض لحركته هذه، حتى قال: «لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة»،(6) وزاد على ذلك فمنع الناس من الأخذ عن بقي، فكان قاسم بن أصبغ يدعو على أصبغ بن خليل ويقول: «هو الذي حرمني أن أسمع من بقي بن مخلد، كان يحض أبي على نهيي عن الاختلاف إليه، وكان لنا جارا».(7)

وفي مقابل ذلك ألف قاسم بن محمد بن سيار (ت278هـ) – وكان شافعيا – كتابا في الرد على فقهاء المالكية سماه: «الإيضاح في الرد على المقلدين»(8) وكان بقي بن مخلد يقول: «قاسم بن محمد أعلم من محمد بن عبد الله بن الحكم».(9)

وعلى الرغم من أن قاسم بن محمد كان يتحفظ تحفظا شديدا من مخالفة المالكية بالأندلس ويداري فيه(10) شأن بقي بن مخلد نفسه،(11)

---

4) نفسه : 36.
5) انظر : أخبار الفقهاء والمحدثين : 57.
6) تاريخ علماء الأندلس : 1/94.
7) نفسه : 1/94.
8) جذوة المقتبس : 2/524 وانظر : تاريخ علماء الأندلس : 1/398.
9) أخبار الفقهاء والمحدثين : 304.
10) نفسه : 303.
11) نفسه : 55.

فإن ذلك لا ينفي، ما قام به الجيل الجديد، من محاولة الإطاحة بالرموز المالكية الكبيرة، وتتبع سقطاتهم في مجال الحديث وعلومه، كصنيع ابن وضاح مع أستاذيه، يحيى بن يحيى الليثي(12) وعبد الملك بن حبيب السلمي،(13) وصنيع قاسم بن محمد، مع يحيى ابن مزين(14) وغير ذلك.

وساعد الأمير محمد بن عبد الرحمن (ت273هـ)، بقي بن مخلد على نشر العلم، كما أطلق سراح محمد بن عبد السلام الخشني، واعتذر إليه بعد أن سجنه محمد بن حارث صاحب السوق، عندما أنكر عليه الفقهاء إدخال كتاب «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد القاسم ابن سلام، ولمساندته لبقي بن مخلد.(15)

ووفاء للأمير المؤثر لأهل الحديث، كان الخشني، إذا قعد للاسماع ابتدأ القاري، عليه بالدعاء للأمير محمد، وإذا فرغ ختم به.

وكان يقول : ادعوا الله لإمامكم إمام الحق محمد بن عبد الرحمن،(16) وعلى نفس السنن سار الأمير عبد الله، الذي كان يوقر بقي بن مخلد لا يمر بداره الا بعث فتى من أكابر خصيانه بالسلام منه، إلى بقي والسؤال عن حاله.(17)

وعن هذا الأمير يقول محمد بن وضاح : «كان الأمير عبد الله من الصالحين المتقين العالمين، روى الحديث كثيرا، وطالع الرأي، وأبصر العلم، وتفقه ونظر السنن، وحفظ القرآن»(18) دخل عليه مرة فقال له: يا محمد بين

---

12) نفسه : 349 وما بعدها.

13) تاريخ علماء الأندلس : 1/313 – 314.

14) أخبار الفقهاء والمحدثين : 302 – 303, 370 – 371.

15) انظر : أخبار الفقهاء والمحدثين : 58 – 134 – المقتبس لابن حيان : 254 – تحقيق د. محمود مكي.

16) المقتبس لابن حيان : 250 – 253.

17) المقتبس لابن حيان : 59 – تحقيق د. إسماعيل العربي.

18) نفسه : 57.

وضاح لا تفتونا إلا بالأحاديث المسندة عن النبيﷺ، لا حاجة لنا بالرأي».(19)

في ظل هذه الظروف المشجعة، راح بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح وزملاؤهما، ينشرون الحديث وعلومه، وبالتالي يكونون جيلا من المحدثين / ومن أجل الاقتراب من مدى معرفة الرجلين بعلم الرجال - خاصة - تأتي هذه النبذة عن كل واحد منهما :

أ - أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي (ت201 - 276هـ).

رحل إلى المشرق مرتين : أقام في الأولى عشرة أعوام، وفي الثانية خمسا وعشرين سنة، وبلغ عدد شيوخه (284 رجلا)، ليس فيهم عشرة ضعفاء وسائرهم أعلام مشاهير.(20)

جمع منهم الدكتور معمر نورى (264 شيخا) ووضع لهم معجما خاصا.(21)

وعندما عاد بقي بن مخلد من رحلته المشرقية، وأدخل الأندلس ما أدخل من كتب، ثارت ثائرة خصومه بسبب ذلك، ووجد منهم معارضة شديدة.

قال محمد بن حارث الخشني : «وكان لبقي بن مخلد، مع من كان في وقته من أهل العلم بقرطبة حادثة غراء، ونازلة شنعاء طار ذكرها في الآفاق وتحدث بها في الأمصار، وذلك أنهم سعوا في حتفه، وحرصوا على سفك دمه، أنفة منهم لما أدخله عندهم من الروايات المخالفة لرأيهم، ولما استعمله من المذاهب المضادة لمذهبهم، فألبوا كبرا، وعقدوا الشهادات وأوقعوا البينات» إلخ.(22)

---

19) أخبار الفقهاء والمحدثين : 130.

20) رسائل ابن حزم : 2/178 - جذوة المقتبس : 1/275.

21) د. معمر نوري : معجم شيوخ بقي بن مخلد : 131.

22) أخبار الفقهاء والمحدثين : 57.

ودعي محمد بن وضاح إلى الشهادة على بقي، فأبى أول الأمر، حتى إذا هددوه بقولهم: إن لم تشهد عليه أدخلناك معه، «فشهد فيمن شهد أن عند بقي مناكير».(23)

وذلك هو السبب فيما نشأ بين الرجلين من نفرة، حتى كان بقي ينقبض عمن يختلف من أصحابه إلى ابن وضاح، الذي كان من جهته يقف من أصحابه نفس الموقف.(24)

وممن كان يذهب إلى بقي بن مخلد ويسمع منه، ولد ابن وضاح وسميه محمد، فلما مات هذا الأخير في حياة والده، لم يتأخر بقي عن حضور جنازته، ولما سئل هل كان لو مات ابن وضاح الأب تحضر جنازته؟ قال : «لا والله كيف أحضر جنازة رجل بات معي طول الليل يشجعني ويقول: ارتفد في هذا الأمر فبك أرجو ظهوره» ثم يصبح غدوة فيشهد علي.(25)

والواقع أن بقي بن مخلد، هو الذي قام بالانتقال الفعلي، من مرحلة سيادة مدرسة الفقه المالكي، إلى مرحلة سيادة مدرسة الحديث بالأندلس، وساعده على ذلك علمه الغزير وشجاعته النادرة، ثم مساندة السلطان له، وقوله له: «انشر علمك واروي ما عندك من الحديث، واجلس للناس حتى ينتفعوا بك».(26)

وهو أول محدث أندلسي، رتب الأحاديث في «المسند» على أسماء الصحابة، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام.(27)

---

23) نفسه : 57.
24) نفسه : 60 – تاريخ علماء الأندلس : 1/109.
25) طبقات علماء افريقية وتونس : 60.
26) جذوة المقتبس : 1/40.
27) الصلة : 1/117.

قال ابن حزم: «فهو مصنف ومسند، وما اعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه واتقانه واحتفاله فيه في الحديث وجودة شيوخه».(28)

روى ابن بشكوال بسنده إلى بقي بن مخلد قال : «لما وضعت مسندي، جاءني عبيد الله بن يحيى وأخوه إسحاق، فقالا لي: بلغنا أنك وضعت مسنداً، قدمت فيه أبا المصعب الزهري وابن بكير وأخرت أبانا؟ فقال أبو عبد الرحمن : «أما تقديمي لأبي المصعب فلقول رسول الله ﷺ: «قدموا قريشا ولا تقدموها»، وأما تقديمي لابن بكير، فلقول رسول الله ﷺ: «كبر، كبر» يريد السن، ومع أنه سمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرة، ولم يسمعه أبو كما الا مرة واحدة (...) ولم يعودا إلي بعد ذلك وخرجا، فخرجا إلى حد العداوة».(29)

وإلى جانب المسند، ألف بقي بن مخلد كتبا أخرى، نوه بها ابن حزم كثيرا، وقال: إنها صارت قواعد للإسلام، لا نظير لها، وأن صاحبها كان جاريا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي.(30)

وأدخل بقي الأندلس فيما أدخل من كتب، كتابي : تاريخ وطبقات خليفة بن خياط، وهما كتابان وثيقا الصلة بعلم الرجال.(31)

ب – محمد بن وضاح بن بزيع مولى عبد الرحمن الداخل (199 – 286هـ).

سمع من فقهاء الأندلس، ثم رحل إلى المشرق سنة 218هـ، وكانت رحلته هذه للعبادة والزهد، ثم رحل ثانية بعد سنة (230هـ) فلقي الرجال وكتب عنهم وبلغ عدد شيوخه 175 رجلا.(32)

---

28) رسائل ابن حزم : 2/178.

29) الصلة : 1/80.

30) رسائل ابن حزم : 2/179.

31) فهرسة ابن خير : 225, 230.

32) تاريخ علماء الأندلس : 2/17 – 18.

فممن روى عنهم من أهل الأندلس : محمد بن عيسى الأعشى، ويحيى ابن يحيى الليثي ومحمد بن خالد الأشج، وعبد الملك بن حبيب السلمي، وعبد الأعلى بن وهب وغيرهم.

ومن شيوخه في رحلتيه : سحنون بن سعيد، وإسماعيل بن أبي أويس، آدم بن أبي إياس العسقلاني، محمد بن عبد الرحيم البرقي، أبو يعقوب يوسف بن عدي الكوفي، أبو خيثمة زهير بن حرب، يحيى بن معين، أبو بكر بن أبي شيبة، أحمد بن حنبل وغيرهم.(33)

وقال ابن الفرضي – المتعاطف جدا مع هذه الحركة -- عن رحلة ابن وضاح الأولى وما كانت ستسفر عليه من نتائج: «ولو سمع في رحلته هذه لكان ارفع أهل زمانه درجة وأعلاهم إسنادا.(34)

لكن ابن وضاح بدأ حياته زاهدا متعبدا، وظل كذلك إلى آخر عمره، يختم القرآن في رمضان مرات كثيرة، من تسع إلى ستين وربما أكثر ويصبر على طول القيام للصلاة، كثير الصيام وربما واصل الأيام الأربعة ونحوها.(35)

«وكان له ثمانون يوما في السنة، يتورع فيها ولا يشغل فيها نفسه بشيء، أربعون في السمائم وأربعون في شدة البرد».(36)

وكان جوادا كريما سخيا مع فقره وحاجته، منقبضا عن الحكام والأمراء(37) لا يأتيهم إلا زائرا، محبوبا لدى الناس، وقد ألف ابن مفرج في مناقبه ورجاله كتابا، قال محمد ابن حارث الخشني، ومذهبه في الزهد والانقباض، والخير والورع، والتقشف مستفيض.(38)

---

33) أخبار الفقهاء والمحدثين : 123 – 126.

34) تاريخ علماء الأندلس : 2/17 – وانظر : ترتيب المدارك : 4/436.

35) انظر : أخبار الفقهاء والمحدثين : 127, ترتيب المدارك : 4/437 – 438.

36) ترتيب المدارك : 4/439.

37) نفسه : 4/437, 438.

38) أخبار الفقهاء والمحدثين : 127.

وابن وضاح إلى جانب زهده هذا واشتغاله بالعبادة، اهتم بالعلم، وإليه يرجع الفضل في إدخال رواية ورش عن نافع في القراءات، والتي اعتمدها أهل الأندلس بعد ذلك.(39)

كما برز في الحديث ووصف بالتفوق في معرفة الرجال، وشبهه أحمد ابن صالح الكوفي، لسعيد بن عثمان الأعناقي، بيحيى بن معين وأحمد بن حنبل.(40)

وقال أحمد بن عبادة : «كان محمد بن وضاح منتجيا للرجال، لا يأخذ شيئا من روايته إلا عن ثقة، وأدخل الأندلس علما عظيما، وسمع منه من أهلها بشر كثير».(41)

وقال عياض : «وأكثر من رأس وشرف بالأندلس فمن تلاميذه» ومنهم على سبيل الذكر أحمد بن خالد، وابن أيمن، وقاسم بن أصبغ، ووهب بن مسرة، والأعناقي وغيرهم.(42)

لكن على جلالة قدر ابن وضاح وسعة علمه، أخذت عليه أخطاء وأوهام كثيرة – جعلت باحثا معاصرا كالدكتور فؤاد سزكين يقول عنه «إنه لا يعد من العلماء الكبار في عصره»،(43) وهذه بعض المآخذ التي سجلت على ابن وضاح فيما يتعلق بالرجال:

ذكر بعض الرواة أن ابن وضاح كان يقول: أبو سفيان بن حرب بالباء، وأبو سفيان ابن الحارث بثاء مثلثة واحد.

وعن قاسم بن أصبغ، أن ابن وضاح، كان يغلط في يحيى بن سعيد القطان، ويحيى بن سعيد الأموي، يقول: «هما واحد، لا تبالي كيف

---

39) ترتيب المدارك : 4/436.

40) أخبار الفقهاء والمحدثين : 130.

41) نفسه : 122.

42) ترتيب المدارك : 4/436.

43) تاريخ التراث العربي 3/160 وانظر : شيوخ العصر في الأندلس : 45.

كتبت».(44) فإذا خوطب في مثل هذه الأشياء، قال: «طلبنا نحن هذا الأمر وأنتم في بطون أمهاتكم».(45)

وكان يقول : قيس بن عزرة، في قيس بن أبي عورة، وكان ولده محمد يقول: «إن الذي يقول أبي في هذا تصحيف».(46)

وحكى أحمد بن خالد قال : كنت يوما جالسا إلى جنب ابن وضاح، وكتابه في يده وهو ينظر فيه، قال: فرفع رأسه وقال لأصحابه: «سمعتم للزيت بكنية؟» قال فحركته بركبي، وقلت له سرا أسكت، قال: فسكت، فلما خلا، قلت له بعد ذلك: ما الذي أردت أن تقول؟ قال: وجدت في كتابي: الزيت أبو جعدة، قال فقلت: إنما هو الذئب، وهو بيت شعر يقول فيه القائل:

هي الخمر يكنونها الطلا   كما الذئب يكنى أبا جعدة(47)

وكان أكثر اعتماد ابن وضاح على أحمد بن خالد، ومحمد بن أيمن، وسعيد بن عثمان الأعناقي، إذا سئل عن شيء أجابوا عنه.

قال عياض : «وانتفع محمد بن وضاح بالأعناقي كثيرا، في حروف كثيرة، في الحديث والرجال».(48)

وإذا كان هذا حال محدث كبير كابن وضاح، فما بال غيره ؟

إن الجهل بأسماء الرجال كان متفشيا بين المحدثين، كما تفصح عن ذلك الأمثلة السابقة، ومتفشيا بين الفقهاء أيضا، ومن ثم فلا غرابة أن تسجل على الفقيه أصبغ بن خليل في هذا الصدد، تصحيفات وأخطاء في أسماء الرجال، من ذلك ظنه أن نافعا المدني، أحد القراء السبعة، هو نافع المحدث مولى عبد الله بن عمر.(49)

---

44) نفسه : 131.

45) نفسه : 131.

46) نفسه : 160.

47) نفسه : 131.

48) ترتيب المدارك : 4/170.

49) أخبار الفقهاء والمحدثين : 38 – تاريخ علماء الأندلس : 1/94.

وكان يقول في أسيد بن حضير – بالحاء – أسيد بن الخضير – بالخاء –(50) «إنما هو تصغير خضر» ويردف قائلا: «لئن بقينا ليقولن الناس عمر ابن الحطاب».

وأمام قوة مدرسة الحديث، وسيادة منطقها، بلغ التعصب بأصبغ ابن خليل – وكان قليل العلم بالحديث قليل المعرفة بأسماء الرجال – أن افتعل حديثا في رفع اليدين بعد الإحرام، وكان بقي بن مخلد يرفعهما في الركوع.

قال ابن الفرضي : قال أحمد : حدثني أصبغ بن خليل عن غازي بن قيس، عن سلمة بن وردان، عن ابن شهاب، عن الربيع بن خيثم، عن ابن مسعود، قال: صليت وراء رسول الله ﷺ، وخلف أبي بكر سنتين وخمسة أشهر، وخلف عمر عشر سنين، وخلف عثمان اثنتى عشر سنة، وخلف علي بالكوفة خمس سنين، فما رفع واحد منهم يديه إلا في تكبيرة الإحرام وحدها.(51)

قال أحمد : فوقع الشيخ في حفرة عظيمة، منها أن الإسناد غير متفق؟ لأن سلمة بن وردان لم يرو عن ابن شهاب، وابن شهاب لم يرو عن الربيع بن خيثم حرفا قط ولا رآه.

وقال : إن ابن مسعود، صلى خلف علي بالكوفة، خمس سنين، وابن مسعود مات في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه».(52)

ولأصبغ حديث في إسناد القرآن عن الغازي بن قيس، عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ، عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى قال

---

50) أخبار الفقهاء والمحدثين : 36.

51) في أخبار الفقهاء والمحدثين : 37 : «قال أصبغ : حدثنا عيسى بن دينار، ويحيى بن يحيى عن ابن وهب، وحدثنا الغازي بن قيس عن سلمة بن وردان عن أنس بن مالك عن عبد الله ابن مسعود» وهذا إسناد صحيح انظر: خلاصة تهذيب الكمال في أسماء الرجال (الخلاصة): 149.

52) تاريخ علماء الأندلس : 1/93.

محمد بن حارث الخشني: «فتوهم أصبغ بن خليل، أن نافع بن أبي نعيم القاري، هو مولى ابن عمر.(53)

ثانيا : المغرب الأدنى :

في الوقت الذي كان فيه السلطان بالأندلس، يدعم مدرسة الحديث ويساعدها على نشره، كانت إفريقية تعاني من أذى الأغالبة، ثم العبيديين، وساهم في ذلك بعض القضاة الحنفية، الذين لم يتورعوا عن التعرض للعلماء والفقهاء، بأبشع صور البطش والتنكيل.(54)

لكن ذلك لم يفت من عضد علماء إفريقية، أو يثنيهم عن أداء رسالتهم على الوجه المطلوب، وكان لفقهاء المالكية في ذلك ضلع كبير، بل منهم كان أبرز العلماء بالحديث كالآتي:

* محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي (ت202 – 256هـ) سمع من والده وعليه اعتماده، وسمع من ابن أبي حسان اليحصبي، وموسى الصمادحي، وعبد العزيز بن المدني وغيرهم.

ورحل إلى المشرق، فلقي بالمدينة أبا مصعب الزهري، ويعقوب ابن حميد بن كاسب، وسلمة ابن شبيب النيسابوري وغيرهم.

كان يناظر أباه، «ويسمع بعض كتب أبيه في حياته، يأخذها الناس عنه قبل خروج أبيه، فإذا خرج، قعد مع الناس يسمع معهم من أبيه».(55)

قال أبو العرب : «كان إماما في الفقه ثقة، وكان عالما بالذب عن مذهب أهل المدينة، عالما بالآثار، صحيح الكتاب، لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه فيما علمت»(56) وكان غزير التأليف، له حوالي مائتي

53) أخبار الفقهاء والمحدثين : 38.
54) انظر ترتيب المدارك : 5/303 وغير ذلك.
55) ترتيب المدارك : 4/205.
56) نفسه : 4/204.

كتاب في شتى أصناف العلم، منها: كتابه المسند في الحديث وهو كبير، وكتاب تفسير الموطأ، وكتاب الرد على أهل البدع وغير ذلك،(57) وسيأتي ذكر كتبه المتصلة بالرجال في محلها.

وكان الناس بين ابن سحنون، ومحمد بن إبراهيم بن عبدوس، طائفتين: المحمدية والعبدوسية، كل طائفة تتعصب لصالحها، ولما وقعت مسألة الاستثناء في الإيمان، حكي فيها عن ابن عبدوس شيء، فشنع عليه، فكان أصحاب ابن سحنون يسمون العبدوسية بالشكوكية(58) والحقيقة في المسألة – كما قال عياض – إنه خلاف في ألفاظ لا في حقيقة.(59)

وعلى الرغ من أنه لم يكن في أصحاب سحنون، أفقه من ابنه محمد، وابن عبدوس، كما قال المالكي،(60) إلا أن العلاقة بين الرجلين كانت على غير ما يرام، ففي حين كان ابن سحنون، يدعو إلى الاهتمام بأسماء الرجال والعناية بمعرفتها، كان ابن عبدوس، يلح على أهمية المسائل.

قال ابن سحنون مرة : «يتكلمون في الفقه ولعل أحدهم، لو سئل عن اسم أبي هريرة، ما عرفه».

وبلغ ذلك ابن عبدوس، فكان يقول للرجل من أصحابه : «أفهم هذه المسألة، فإنها أنفع لك، من معرفة اسم أبي هريرة» أو «هذه أحب إلي من معرفة اسم أبي سعيد» تعريضا بابن سحنون، لعلمه بالرجال.(61)

* أحمد بن معتب بن أبي الأزهر (ت277هـ).

---

57) نفسه : 4/207.

58) نفسه : 4/218.

59) نفسه : 4/219.

60) نفسه : 4/227 وفيه أن المالكي ذكره في تاريخه، ولم أقف عليه.

61) ترتيب المدارك : 4/225..

وصفه أبو العرب بكونه : «ثقة ثبتا نبيلا عالما بالحديث والرجال».(62) امتحن على يد القاضي ابن عبدون الحنفي، الذي ادخل رجليه في الفلقة وضربها حتى أدماها.(63)

* أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشي، المعروف بالمعلم (ت284هـ).

كان عالما بالحديث وعلله. سمع من سحنون بن سعيد، وموسى بن معاوية، الصمادحي، وكان يعرف، براوية الصمادحي.(64)

* عيسى بن مسكين الإفريقي (214-295هـ).

عالم متفنن في الحديث والفقه واللغة، وأسماء الرجال وكناهم وقويهم وضعيفهم(65) قال أبو الحسن الكانسي: أدخلني عيسى بن مسكين إلى بيت مملوء بالكتب، ثم قال: كلها رواية، وما فيها غريبة إلا وأنا أحفظ لها شاهدا من قول العرب.(66)

وزاره بعضهم : فوجدوه قاعدا على دكان في المعصرة، وخادم له يرد الزيتون، والدابة تطحن، وهو يقرأ حديث رسول اللهﷺ، من صدره، فلما سئل عن ذلك قال: أعرض حديثي لئلا أنساه.(67)

* ومن الاعلام الذين ظهروا في هذه الحقبة رجل كان يقال عنه : لو عاش لغلب الحديث، على أهل القيروان.(68)

إنه أبو عبد الله مالك بن عيسى بن نصر القفصي (ت305هـ)، رحل في طلب الحديث، وتجول في بلاد المشرق عقدين من الزمن مستكثرا من الشيوخ والرواية.

---

62) ترتيب المدارك : 4/353.
63) نفسه : 4/356.
64) نفسه : 4/407.
65) نفسه : 4/332.
66) نفسه : 4/333.
67) نفسه : 4/350.
68) نفسه : 5/125.

قال أبو العرب : «كان ثقة له فقه كثير، وعلم بالحديث وعلله ورجاله، لم أعلم في عصره أجمع للعلم منه، ولا أكثر رجالا».(69)

وقال زياد بن موسى : ما رأيت بإفريقية أعلم بالحديث والرجال منه»،(70) وقد شد طلبة العلم إليه الرحال من الأندلس وغيرها، وكان صيته ذائعا بالمشرق مشهودا له بطول الباع في هذا الشأن.

* ومنهم أبو القاسم حسين بن مفرج مولى مهرية بنت الأغلب (ت308هـ)، كان عالما بالحديث وبرجاله،(71) امتحن على يد ابن عبدون القاضي، وقتله الشيعي وصلبه.(72)

* أبو سعيد لقمان بن يونس الغسائي (ت319هـ).

ذكر محمد بن حارث الخشني، أنه كان حافظا لمذهب مالك، عالما باللغة والحديث والرجال والقرآن، يميل إلى طريق ابن عبدوس في فقهه وفي مسألة الإيمان والاستثناء فيه، وفي جميع معانيه، وكان من أعرف الناس بأخبار القيروان وشيوخها.

ويقال : إنه كان عالما باثني عشر صنفا من العلوم.(73)

ثالثا : أقطار الغرب الإسلامي الأخرى :

على الرغم من عدم التوفر – الآن – على كثير من المعلومات عن حال علم الرجال، باستثناء أسماء قليلة، لكنها كبيرة، بأقطار الغرب الإسلامي الأخرى، في هذا الطور من أطواره. كأبي الحسن العجلي (ت261هـ)، فإن ما وقفنا عليه من معلومات، يدل على مستوى رفيع...

---

69) نفسه : 5/124.

70) نفسه : 5/124.

71) نفسه 5/130.

72) رياض النفوس : 2/166 – ترتيب المدارك : 5/130 – 131.

73) ترتيب المدارك : 5/296.

ولعل أبرز شخصية علمية فاعلة في هذا العصر، من غير إفريقية والأندلس، هي شخصية أبي عبد الرحمن بكر بن حماد التاهرتي (200 – 296هـ)، الذي يمكن تقديمه ممثلا لباقي أقطار الغرب الإسلامي في هذه الحقبة.

وصف بأنه عالم بالحديث ورجاله،(74) يذعن للحق ويعترف بالخطأ، ويتحرى في الرواية، اختلف مرة مع تلميذه الأندلسي قاسم بن أصبغ في حديث: «أنه قدم قوم من مصر مجتابي النمار» هكذا قال قاسم وقال بكر ابن حماد: مجتابي الثمار، فلما احتكما إلى شيخ بالمسجد له علم بمثل ذلك وقال لهما: إنما هو مجتابي النمار، قال بكر بن حماد وأخذ أنفه: رغم أنفي للحق رغم أنفي للحق».(75)

ولما فرغ حماد من قراءة كتبه على عون قال له : يا أبا محمد كيف كان سماعك من ابن وهب؟ فقال له: «يا بني، أقال لك أحد فينا شيئا؟» والله ما أحب أن يعذب الله أحدا من أمة محمدﷺ بسببي بالنار، أبطل الله سعيه وصومه وصلاته وسائر عمله، إن كنت أخذتها من ابن وهب الا قراءة، قرأت عليه أنا، وقرأ علي لو كانت إجازة لقلت إنها إجازة».

قال بكر : فقلت له : يا أبا محمد، فكتاب الأموال سمعته من ابن وهب؟ فقال: لا حدثني به رجل، يقال له: موسى بن منير عن ابن وهب.(76)

وبكر بن حماد سمع من سحنون في القيروان، ومن عون بن يوسف، قبل أن يرحل إلى المشرق، ويدخل البصرة وبغداد، وفي سنة 274, تصدر بجامع القيروان، لإملاء الأدب والعلم،(77) وقد توافد عليه طلاب العلم، من

---

74) انظر : معجم اعلام الجزائر : لعادل نويهض : 54 – ط المكتب التجاري – بيروت، تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن بن محمد الجيلالي : 1/179.

75) جامع بيان العلم وفضله : 161.

76) رياض النفوس : 1/387.

77) تاريخ الجزائر العام : 1/179.

جميع الجهات، للأخذ عنه، من أبرزهم قاسم بن أصبغ الذي روى عنه كثيرا.(78)

لكن بكر بن حماد مع علمه بالحديث والرجال، وقف من الحديث وعلم الرجال، موقفا غريبا بعض الشيء، خصوصا في عصره.(79)

روى ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» بسنده إلى زكرياء القطان، قال: رأيت سفيان ابن عينية، وقد ألجأه أصحاب الحديث إلى الميل الأخضر، فالتفت إليهم، فقال: ما أدري الذي تطلبونه من الخير، ولو كان من الخير لنقص، كما ينقص الخير.

قال ابن عبد البر : هذا كلام خرج على ضجر، وفيه لأولي العلم نظر، وقد أخذه بكر بن حماد فقال:

لقد حفت الأقلام بالخلق كلهم
فمنهم شقي خائب وسعيد

تمر الليالي بالنفوس سريعة
ويبدئ ربي خلقه ويعيد

أرى الخير في الدين يقل كثيره
وينقص نقصا والحديث يزيد

فلو كان خيرا قل كالخير كله
وأحسب أن الخير منه بعيد

ولابن معين في الرجال مقالة
سيسأل عنها والمليك شهيد

---

78) انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : 21 – 24 – 26 – 161 – 186 – 195 – 323.

79) انظر : الاعلان بالتوبيخ : 58 – ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي – لأبي المحاسن الحسيني : 359.

فـإن يك حـقـا قـولـه فـهـو غـيـبـة
وإن يك زورا، فـالـقـصـاص شـديـد
وكـل شـيـاطين الـعـبـاد ضـعـيـفـة
وشيطـان أصحـاب الحديث مريد(80)

وقد رد علـى بكر بن حماد، جماعة من الشعراء ذكرهم ابن عبد البر،(81) وعلق الخطيب البغدادي على هذا الشعر بقوله: «وليس الأمر على ما ذهب الشاعر، من أن إبانة العلماء لأحوال الرواة غيبة بل هي نصيحة، ولهم في إظهارها أعظم المثوبة، لكونها مما يجب عليهم كشفه، ولا يسعهم أخفاؤه وستره».(82)

المبحث الثالث :

مرحلة النضج والازدهار

يصعب تحديد تواريخ معينة، وفواصل دقيقة، بين مراحل تطور علم الرجال بالغرب الإسلامي، في كل بلد من بلدانه على حدة، وتزداد صعوبة ذلك، كلما تعلق الأمر بها مجتمعة، ومن ثم فإن هذه الحدود تقريبية، يبقى معها تداخل بين المراحل، دون أن يتعارض مع ملامح مرحلة جديدة ستترسخ مع مرور الزمان.

وهكذا يلاحظ بالنسبة للأندلس، أنه على الرغم من العمل الذي قام به الشيخان القرطبيان، بقي ابن مخلد ومحمد بن وضاح، من أجل إرساء قواعد مدرسة الحديث بالأندلس، فإن انتشار الحديث وعلومه على يديهما

---

80) جامع بيان العلم وفضله : 353.
81) نفسه : 353 – 355.
82) شرف أصحاب الحديث : 124 – تحقيق : الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي نشريات كلية الألهيات بجامعة أنقرة – دار إحياء السنة النبوية : 1971م.

ظل محدودا.(83) ويرجع ذلك إلى أن علم الحديث بالأندلس على ذلك العهد كان في بدايته، ولم يكن الأندلسيون قد وصلوا – كما قال الدكتور إبراهيم بن الصديق – إلى درجة التبحر، وسعة الأفق. بحيث يتقبلون كثيرا من صور النقد، ولا كانت لهم حاسة تمييز المقبول من المردود، ومتى يؤثر الجرح ومتى لا يؤثر.(84)

لكن سرعان ما بدأت هذه المدرسة، تؤتي أكلها، على يد تلاميذ بقي وابن وضاح، فمن بعدهم(85) أما بالنسبة للمغرب الأدنى، فإن عمل ابن سحنون وأصحابه وتلامذته، أصيب بنكسة، نتيجة ظهور العبيديين وتعرض العلماء للامتحان على يدهم.

وكانت أقطار الغرب الإسلامي الأخرى، تعرف تسلط الخوارج والشيعة عليها، مما حال دون بروز مدرسة حديثية قائمة الذات.

يقول الذهبي عن هذه الفترة : «كانت السنة قائمة الدولة بالأندلس وخراسان، وقل أمرها وضعف بمصر والشام والمغرب وبالعراق، وما ذاك الا لظهور دولة الشيعة والعبيدية فلله الأمر جميعا».(86)

لكن ابتداء من القرن الرابع الهجري، حدث تحول جديد في السياسة العامة لأقطار الغرب الإسلامي، وبالتالي تحول في الثقافة والحياة العامة بكل مجالاتها، مما كانت له أحمد الاثار على ازدهار الحديث وعلومه.

---

83) انظر : قضايا ثقافية من تاريخ الغرب الإسلامي نصوص ودراسات للدكتور عبد المجيد التركي : 173.

84) مجلة «الاعتصام» تصدرها جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية بالرباط: العدد 1 السنة 1 الصفحة 15.

85) نفسه.

86) الذهبي : ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل (ضمن ثلاث رسائل في الجرح والتعديل: 210).

إنه نتيجة لانتشار مختلف الفرق والنحل، وما أفرزته من شبه وبدع ضالة، خصوصا مع انتشار مذهب ابن مسرة، الذي وقفت منه الدولة بالأندلس موقفا صارما، فبعدما أحدثه من فتنة واسعة المدى بين العلماء وسائر الناس، وصلت أصداؤها إلى القيروان، أعاد الناصر ثم ابنه الحكم التأكيد على أن مذهب الدولة الرسمي، من لدن هشام بن عبد الرحمن إلى عهدهما، هو مذهب مالك بن أنس، وذلك لما امتاز به هذا الإمام وأصحابه، من بعد عن الشبه والبدع، عكس بعض المذاهب الأخرى كما يوضح ذلك النص التالي:

«ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك أن الحكم المستنصر، وكان ممن بحث عن أحوال الرجال، ونقر عن أخبارهم تنقيرا، لم يبلغ فيه، شأوه كثير من أهل العلم، كتب إلى الفقيه أبي إبراهيم إسحاق ابن إبراهيم التجيبي كتابا جاء فيه :

«وكل من زاغ عن مذهب مالك، فإنه ممن رين على قلبه، وزين له سوء عمله، وقد نظرنا طويلا في أخبار الفقهاء، وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا، فلم نر مذهبا من المذاهب غيره أسلم منه، فإنا ما سمعنا أن أحدا ممن تقلد مذهبه، قال بشيء من هذه البدع، فالاستمساك به نجاة إن شاء الله تعالى».(87)

وتحدث الدكتور حسين مؤنس عن هذه المرحلة بالأندلس فقال : إنها اتسمت بمحاولة الدولة ترسيخ «مذهب التقليد والتسليم».(88)

ويؤيد هذا أن مما انتقد به ابن مسرة، من قبل خصومه «خروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس، الجارية على مذهب التقليد والتسليم».(89)

87) ترتيب المدارك : 22/1.

88) شيوخ العصر في الأندلس : 64.

89) أخبار الفقهاء والمحدثين : 178.

وتجلى بوضوح من خلال سياسة الناصر وابنه الحكم، السير في هذا الاتجاه، كما تترجم ذلك، مثل هذه الإجراءات والتحولات.

1 – مراقبة العلماء : وذلك بوضع الدولة عينها عليهم، فكلما لمع نجم أحدهم في جهة من جهات الأندلس، استقدم إلى قرطبة، ليكون تحت الرقابة.(90)

2 – تسوية الناصر وابنه الحكم ثم المنصور بن أبي عامر بين المحدثين والفقهاء، وأصبحت تبعا لذلك دراسة الحديث، مسألة تقى أو مزاج علمي خاص، بل أصبح المحدثون في شبه عزلة مع كتبهم وطلابهم.(91)

ومن ثم غدت الحظوة والصدارة في هذا العصر، لمن يستطيع الانسجام مع هذا الاتجاه الجديد من السياسة، من طراز القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت355هـ)، وهو فقيه ظاهري المذهب، لكنه يلتزم في أحكامه بمذهب مالك.(92)

3 – خمول أمر الشيوخ خلال عصر الخلافة :

يرجع الدكتور مؤنس، خمول أمر الشيوخ خلال عصر الخلافة، إلى سبب آخر هو أن دراسة الحديث في الأندلس، لم تؤد إلى شيء، عملي، على الرغم مما بذله أصحابها من جهد عظيم.

سمعت الأحاديث، وأمليت على مئات الطلاب، وحفظها هؤلاء ونقلوها إلى غيرهم، ثم ماذا؟ لا شيء.(93)

ويذهب إلى أنه إلى أواخر القرن الرابع الهجري على الأقل، لا التشريع تطور، نتيجة لهذه الحركة، ولا ظهر نوع جديد من التفكير على أساس هذا المستوى الجديد.

---

90) شيوخ العصر في الأندلس : 65.

91) نفسه : 68.

92) نفسه : 70 – 73 وانظر : طبقات اللغويين والنحويين : 295.

93) شيوخ العصر في الأندلس : 66.

نعم أصبح كبار المحدثين مفتين ومشاورين، يدعوهم الأمير أو الخليفة ليستشيرهم فيما يريد، ولكن هذه الاستشارة، كانت في المسائل التي يستطيع الفقهاء القلدون الافتاء فيها.(94)

وإذا كان هذا البحث يشاطر الدكتور حسين مؤنس، الرأي في بعض الأمور التي ذكرها، كاستقدام بعض العلماء إلى قرطبة، وإسكانهم بها، ليكونوا تحت المراقبة، كمحمد بن فطيس بن واصل الغافقي(95) (ت319هـ) ووهب بن مسرة(96) (ت346هـ) وأبي محمد عبد الله ابن محمد بن علي بن شريعة، اللخمي المعروف بابن الباجي(97) (ت378هـ) وهاشم بن يحيى بن حجاج البطليوسي(98) (ت385هـ) وغيرهم، فإنه لا يتفق معه في بعض الأمور الأخرى، بالتصور الذي قدمه على الأقل.

إن مكانة العلماء كانت محفوظة، وكلمتهم مسموعة، وكثيرا ما كان الخليفة أو من يقوم مقامه، يجد نفسه في موقف حرج، من بعض الفقهاء، الذين عرفوا بصلابتهم وجراءتهم، فيما يعتقدونه من أمور الدين والسياسة.

كان أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن مسرة التجيبي (ت352هـ) صليبا، قليل الهيبة للملوك، متصرفا مع الحق حيثما تصرف.

تذاكر يوما مع الحكم المنتصر بالله، أبوابا من العلم وأخبار السلف، إلى أن وقع الحكم بذكر رجل من القرطبيين وثلبه، فسكت عنه أبو إبراهيم ونكس برأسه، ولم يأخذ معه في شيء من ذكره، فوجم الحكم لذلك إلى آخر القصة.(99)

---

94) نفسه والصفحة.

95) انظر : تاريخ علماء الأندلس : 2/23.

96) نفسه : 2/162.

97) نفسه : 1/281.

98) نفسه : 2/170.

99) ترتيب المدارك : 6/128 – أسماء شيوخ مالك : 36.

ويقال: إن الخليفة وطيء جارية له في رمضان، فلم يقبل منه أبو إبراهيم غير الصيام كفارة له،(100) وبعث برسالة إلى الحكم ولي العهد، في موضوع تخلفه عن دعوة الملك، وفيها إشارة إلى ما كان عليه سلف السلطان، من عدم امتهان العلماء.(101)

وذكر أن الخليفة الحكم، لما علم بموت أبي إبراهيم قال: الحمد لله الذي كفانا شره وخلصنا عنه، وكان يخاف منه، ويقدر طوع العامة له.(102)

وكان القاضي منذر بن سعيد البلوطي نفسه، صلبا صارما غير هياب ولا جبان،(103) طالما انتقد الخليفة تصريحا أو تلويحا، في مجالسه الخاصة بين وزرائه وأهل خدمته، أو في المسجد الجامع على مسمع ومرأى من جموع المصلين، فيما يتعلق باسراف الناصر في البناء والتشييد، كما يتجلى ذلك في بنائه مدينة الزهراء الشائعة الذكر، حتى شغله ذلك عن شهود الجمعة ثلاث جمع متوالية،(104) وبلغ الإعجاب بما بناه، أن سأل ذات مرة وزراءه وأقاربه وخدمه: «هل رأيتم أو سمعتم ملكا كان قبلي فعل مثل فعلي هذا أو قدر عليه؟ يريد اتخاذه لسقف القبيبة قراميد مغشاة ذهبا وفضة، فقالوا: لا يا أمير المؤمنين: وإنك لواحد في شأنك كله، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه، ولا انتهى إلينا خبره».(105)

وعندما سأل الناصر منذر بن سعيد، لم يتمالك أن بكى، ثم أقبل على الخليفة قائلا: «والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان – لعنه الله –

100) ترتيب المدارك : 132/6.
101) نفسه.
102) نفسه.
103) قضاة قرطبة : 120.
104) تاريخ قضاة الأندلس للنباهي : 69.
105) نفسه : 71.

يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قلبك هذا التمكين، مع ما أتاك الله من فضله ونعمته وفضلك به على العالمين، حتى ينزلك منازل الكافرين» إلى آخر الخبر الذي انتهى بنقض الناصر لسقف القبيبة.(106)

وكان المنصور بن أبي عامر، يجل القاضي محمد بن يبقى بن زرب (ت380هـ) لا يستطيع مخالفته. من ذلك أن المنصور طمع في انتزاع، إقرار العلماء له بتولي الخلافة، وتنحية الخليفة الأموي هشام بن الحكم، فوافقه على ذلك ابن عياش وابن فطيس والأصيلي، وعارضه والد ابن حزم الظاهري، وأبو عمر المكوي، والقاضي ابن زرب، الذي كان أجر أهم على كلمة الحق.

لقد قال للمنصور : وصاحب الأمر ما شأنه ؟ فقال له : لا يصلح لهذا، قال : يرى، ويجرب، فقال له : أفي مسائل الفقه تريد أن تسأله؟ قال: لا: ولكن في مسائل السياسة وتدبير المملكة، قال: فإن لم يقم قال: ينظر في قريش، فأعرض عنه مغضبا.(107)

واستفتى المنصور العلماء، في مسألة التجميع في مسجد الزاهرة، فأفتى القاضي ابن زرب وجماعة من الفقهاء بمنع ذلك، فأجل المنصور التجميع حتى توفي ابن زرب.(108)

وعندما ألح ابن أبي عامر، على أبي عمر بن المكوي، في شأن حكم بن منذر بن سعيد البلوطي، الذي اعترف بتآمره على قتل ابن أبي عامر، اضطر ابن المكوي أن يقول: «ما أرى عليه شيئا، هو رجل هم بمعصية فلم يفعلها، ولم يجرد سيفا، ولا أخاف سبيلا، مع أنه ممن قال فيه عليه السلام: «أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم».(109)

---

106) نفسه : 72.

107) رسائل ابن حزم : 2/86 – 87.

108) ترتيب المدارك : 7/117 – 118 وانظر : تاريخ القضاء في الأندلس : 91.

109) ترتيب المدارك : 7/132.

أما أن دراسة الحديث في الأندلس، لم تؤد إلى شيء عملي، وأنه لا التشريع تطور نتيجة لهذه الحركة ولا ظهر نوع جديد من التفكير، فلا يخل من تعسف، ذلك أن هذه الوضعية، لم تكن عقيمة، بل أفرزت نتائج إيجابية، كانت لها أحمد الآثار، على الحديث والتشريع والفكر جميعا.

لقد تطورت الدراسة الحديثية تطورا عظيما، ولم يبق الحديث مجرد حفظ ورواية، بل انصب الاهتمام بشكل واضح على الدراية، وأصبحت الأندلس تضارع المشرق في ذلك، فالداراقطني ينقل عن الأصيلي ويقول: «إنه لم ير مثله،(110) وعبد الغني بن سعيد وأبو ذر الهروي يرويان عن الوليد بن بكر الغمري الأندلسي(111) (ت392هـ)، وأبو عبد الله الحاكم يروي عن أبي عبد الله محمد بن صالح المعافري الأندلسي(112) وغيرهم كثير وفي فقه الحديث برز الحافظ ابن عبد البر النمري الذي قال ابن حزم عن كتابه التمهيد» هو كتاب لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله أصلا، فكيف أحسن منه،(113) ومثله(114) أبو الوليد الباجي صاحب الاستيفاء والمنتقى الذي قال عنه عياض: «لم يؤلف مثله»، ثم إن مما يميز هذه المرحلة، ظهور جيل من العلماء المبرزين في الحديث والفقه جميعا، الشيء الذي أعاد الحظوة للمالكية من جديد، وعلى الرغم من اختلاف الظروف السياسية والمذهبية التي كانت تمر بها أقطار الغرب الإسلامي الأخرى، فإن النتائج كانت واحدة تقريبا.

110) ترتيب المدارك : 7/139.
111) الصلة : 2/642.
112) نفح الطيب : 2/152 – 153.
113) رسائل ابن حزم : 2/181.
114) ترتيب المدارك : 8/124.

ففي المغرب الأدنى والأوسط، وكل مناطق نفوذ الفاطميين، عادت للمذهب المالكي مكانته وصدارته، بمجرد تقلص سلطة الفاطميين.(115)

وفي سجلماسة بالمغرب الأقصى، تخلى أميرها : «الشاكر لدين الله في منتصف القرن الرابع الهجري عن الاتجاه الخارجي المتطرف، واختار المذهب السني المالكي.(116)

وعمد المرابطون في منتصف القرن الخامس الهجري، إلى استئصال الشيعة الموسويين في أغمات، والروافض بالأطلس الكبير، والبجليين بماسة وتارودانت، كما قوضوا أركان البرغواطية.(117)

وأصبحت على المستوى العلمي المزاوجة بين الحديث والفقه المالكي، ظاهرة، تفرض نفسها على كل العلماء، في كل أقطار الغرب الإسلامي؛ ومن ثم غدا كبار فقهاء المالكية محدثين من الطراز الأول، منهم على سبيل المثال:

أبو عيسى الليثي، ابن الباجي، ابن مفرج، الأصيلي، ابن فطيس، ابن الحذاء، القابسي، ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن نصر الداودي، دراس بن ميمونة الفاسي، أبو عمران الفاسي، ابن عبد البر النمري، أبو الوليد الباجي وغيرهم.

وكثيرا ما يقع النص على هذه المزاوجة في تراجم هؤلاء الاعلام: يقول حاتم بن محمد عن أبي عمران الفاسي (ت430هـ): «كان أبو عمران من أعلم الناس وأحفظهم، جمع حفظ المذهب المالكي إلى حفظ حديث النبيﷺ، ومعرفة معانيه...».(118)

---

115) انظر : طبقات علماء إفريقية وتونس (مقدمة المحقق : 20).

116) انظر : ندوة الإمام مالك : 112/1.

117) نفسه : 112/1. وانظر : الأنيس المطرب بروض القرطاس: 24/2 وما بعدها.

118) ترتيب المدارك : 246/7.

وجاء في ترجمة محمد بن عبد الله البكري بن ميقل من أهل مرسية (ت436هـ) أنه كان أحفظ الناس لمذهب مالك وأصحابه رضي الله عنهم، وأقواهم احتجاجا له مع علمه بالحديث والصحيح منه والسقيم، وأسماء رجال نقلته والتعديل والتجريح».(119) وحتى غير المالكية المجاهرين بذلك كانوا فقهاء ومحدثين ومن أبرزهم أبو محمد بن حزم الظاهري.(120)

ولا شك أن هذه المزاوجة، أعطت نتائج إيجابية، على مستوى التشريع وتطوره بالغرب الإسلامي، وكذلك على مستوى التفكير، كما ستأتي الإشارة إلى بعض ذلك، عند الحديث عن عصر أبي عبد الله ابن الحذاء.

وبعد، ففيما يلي إطلالة قصيرة، على وضعية علم الرجال بالغرب الإسلامي، وأبرز أعلامه:

أولا : الأندلس :

إن أبرز حدث يمكن الاستناد إليه، ليكون منطلق هذه المرحلة، هو إعلان الخلافة بالأندلس سنة 316هـ، من قبل عبد الرحمن الناصر(121) وهو تعبير واضح وصريح، عن نضج سياسي، وثقافي، واجتماعي، واقتصادي بالأندلس، في مقابل تدهور، وترد سياسي، في المشرق.

تزامن هذا التحول مع نضج علم الرجال بالأندلس، إذ في هذه الفترة سيجد الباحث في تراجم الرجال ولأول مرة، مثل هذه العبارات :

---

119) الصلة : 527/2.

120) نفسه : 416/2 وفيه نقلا عن الحميدي : «كان حافظا عالما بعلوم الحديث وفقهه مستنبطا للأحكام من الكتاب والسنة.

121) جذوة المقتبس : 42/1.

«يفهم الحديث ويعرف الرجال»(122) «عنده علم بالحديث وتمييز الرجال»(123) «عالم بعلل الحديث بصير بطرقه»،(124) ونحو ذلك.

ثم وقع الإقبال على الحديث وعلومه، بشكل لم يسبق له نظير بهذه البلاد، وساهم في الحركة الحديثية الجديدة، الحكم بن عبد الرحمن الناصر، مذ كان وليا للعهد، ثم بعد توليه الخلافة.

لقد اهتم الحكم المستنصر بالله، بالتاريخ والرجال، وألف في ذلك، وأفاد واستفاد، وغدا أحد أبرز العلماء في عصره.(125)

ولعل أعظم حدث علمي فاعل، في هذه المرحلة، هو دخول الصحيحين إلى الأندلس / نقل بن خير في فهرسته عن أبي محمد بن يربوع (ت522هـ) قوله: «إن القرطبيين، كانوا بمعزل عن معرفة الصحيح، ولم يدخل عندهم، من أول ما دخل الا كتاب أبي داود السجستاني، فالتموا به، وأما الكتب الصحاح، فلم تدخل عندهم الا بآخرة».(126)

وهو كلام لا ينطبق على القرطبيين وحدهم، بل ينسحب على كل المغاربة.

والعلماء الذين برزوا في علم الرجال، في هذه الحقبة كثيرون جدا، بشكل يستحيل معه الحديث عنهم جميعا، وحسب هذا البحث أن يشير إلى بعض مشاهيرهم.

لقد ظهر بعد جيل تلاميذ، بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح ومنهم أيضا،رواد كبار لهذا العلم.

---

122) نفسه : 1/42 – ترتيب المدارك : 5/170.

123) تاريخ علماء الأندلس : 1/404.

124) نفسه : 2/28.

125) انظر على سبيل المثال : أخبار الفقهاء والمحدثين 88 – تاريخ علماء الأندلس : 1/367 – ترتيب المدارك : 1/22 – الصلة: 2/375 – الذيل والتكملة 1/61 – 62.

126) فهرسة ابن خير : 107.

فمن الرعيل الأول: أحمد بن عمرو بن منصور الالبيري المعروف بابن عمريل (ت312هـ) قال الحميدي: هو فقيه محدث عالم صالح يفهم الحديث ويعرف الرجال»(127)

روى بالأندلس والمشرق، عن تسعة عشر رجلا، اسم كل واحد منهم محمد، وعن سبعة كل واحد منهم أحمد، ولم يكن له نظير في البيرة.(128)

ومنهم: قاسم بن مسعدة البكري الحجاري (ت317هـ)، كان له علم بالحديث وتمييز للرجال، وتفنن في المذهب المالكي، وجمع الاختلاف وألف في الحديث(129) وكان يحفظ موطأ مالك عن ظهر قلب.(130)

– عبد الله بن محمد بن حنين القرطبي يعرف بابن أخي ربيع (ت318هـ) كانت له عناية بالحديث ومعرفة الرجال،(131) وله تأليف في ذلك، وفي رأي مالك خاصة من السماعات، وهو المبتديء بتأليف كتاب الاستيعاب، لأقوال مالك، مجردة دون أقوال أصحابه، وهو الكتاب الذي تممه ابن المكوي والمعيطي، كما اختصر «مسند» بقي بن مخلد و«تفسيره»، و«واضحة» عبد الملك بن حبيب وغير ذلك.(132)

– أحمد بن خالد المعروف بابن الجباب (ت322هـ)، قال ابن حارث الخشني: «كان بالأندلس إمام وقته غير مدافع في الفقه والحديث والعبادة.(133) وقال ابن أبي القوارير وقد سئل عن أحمد

---

127) جذوة المقتبس: 1/217.

128) أخبار الفقهاء والمحدثين: 16.

129) تاريخ علماء الأندلس: 1/404 – ترتيب المدارك: 5/247.

130) أخبار الفقهاء والمحدثين: 311.

131) نفسه: 328 – تاريخ علماء الأندلس: 1/263 – ترتيب المدارك: 5/247.

132) أخبار الفقهاء والمحدثين: 328 – ترتيب المدارك: 5/212.

133) أخبار الفقهاء والمحدثين: 17 – تاريخ علماء الأندلس 1/42 – ترتيب المدارك 5/175.

وابن الأعرابي: رأيت الرجلين فما كان يصلح عندي ابن الأعرابي، إلا أن يكون غلاما لابن خالد، ومن مؤلفاته: مسند حديث مالك وغيره.(134)

- قاسم بن أصبغ البياني القرطبي (ت340هـ) كانت الرحلة إليه في الأندلس. وإلى ابن الأعرابي بالمشرق،(135) وكان بصيرا بالحديث والرجال، ويشاور في الأحكام، وقد ذكره الشيرازي وعياض وغيرهما في أئمة المالكية.(136)

وله مؤلفات، منها مسند حديثه، وغرائب حديث مالك، ومسند حديث مالك من رواية يحيى، وأحكام القرآن، وفضائل قريش، والناسخ والمنسوخ، والأنساب، وغير ذلك.(137)

ونصل إلى قمة هذه المرحلة الأولى مع أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم ابن يونس الصدفي المنتجيلي قرطبي (ت350هـ)، الذي سيعرف معه علم الرجال تطورا كبيرا، خصوصا على مستوى التأليف.

قال ابن حزم الظاهري : «وأحمد بن سعيد هو المتقدم في التأليف القائم في ذلك».

ومع ابن حزم الصدفي هذا وجيله، تزداد العناية بعلم الرجال، ويكثر التأليف فيه بشكل واضح وهكذا نجد إلى جانبه أمثال :

- خالد بن سعد القرطبي (ت352هـ) كان إماما في الحديث، حافظا له بصيرا بعلله، عالما بطرقه مقدما على أهل وقته، على حد تعبير ابن الفرضي.(138)

---

134) ترتيب المدارك : 5/175.

135) نفسه : 5/181.

136) ترتيب المدارك : 5/182.

137) نفسه : 5/182.

138) تاريخ علماء الأندلس : 1/154.

كان الحكم المستنصر يقول : «إذا فاخرنا أهل المشرق بيحيى بن معين، فأخرناهم بخالد بن سعد.(139)

وكان عبد الله بن محمد الباجي، وإسماعيل بن إسحاق الطحان، يثنيان عليه، وسأل ابن الفرضي أبا عبد الله ابن مفرج، عن خالد بن سعد، هل كان بحيث يضعه إسماعيل من الحديث؟ فقال: كان أعور بين عميان.(140)

قال ابن الفرضي : «يعني أنه كان أمثل أهل وقته، إذ لم يكن عند أكثر رجالنا المتقدمين تقدم في معرفة الحديث».(141)

– مسلمة بن القاسم القرطبي الأندلسي (ت353هـ) عالم جليل لم ينصفه قومه قال ابن حزم : «كان قوم بالأندلس يتحاملون عليه، وربما كذبوه» وقال ابن حجر: «هذا رجل كبير القدر، ما نسبه إلى التشبيه إلا من عاداه، وله تصانيف في الفن، وكانت له رحلة لقي فيها الأكابر».(142)

واعتبر الدكتور إبراهيم بن الصديق التحامل عليه، من مظاهر تشدد الأندلسيين.(143)

ثم تبدأ مرحلة أخرى أكثر نضجا، وأوسع دائرة، وأطول زمانا، وهي تشمل جيل شيوخ ابن الحذاء من جهة، ثم جيله هو من جهة ثانية، ثم جيل تلامذته من جهة ثالثة، الشيء الذي جعلني، أتوسع في تراجم شيوخ ابن الحذاء وفي عصره ثم في تراجم تلامذه كما سيأتي.

ومن الأسماء التي يمكن ذكرها – هنا – على سبيل المثال : محمد بن حارث الخشني (ت361هـ)، إسماعيل بن إسحاق ابن الطحان (ت384هـ)،

---

139) نفسه : 155/1.

140) نفسه : 155/1.

141) نفسه : 155/1.

142) لسان الميزان : 35/6.

143) الجرح والتعديل في المدرسة المغربية : 66.

خلف بن قاسم بن سهل القرطبي (ت393هـ)، أبو المطرف ابن فطيس (ت402هـ)، أبو زكرياء يحيى بن مالك العائذي (ت375هـ)، أبو الوليد بن الفرضي (ت403هـ)، عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسافر الهمداني الوهراني (ت411هـ)، عيسى بن محمد بن عتاب النسفي (ت422هـ)، أبو عمر الطلمنكي (ت429هـ)، ابن حزم الظاهري (ت456هـ)، وابن عبد البر النمري (ت463هـ)، أبو الوليد بن الباجي (ت474هـ)، عبد الله بن سعيد الشنتجيالي (ت436هـ)، وأحمد بن عمر بن أنس العذري المعروف بابن الدلال (ت478هـ)، أبو علي الغساني (ت798هـ) وآخرون.

وقد تعددت مناسبات الحديث عن هؤلاء الاعلام في مواطن كثيرة.

ثانيا : المغرب الأدنى :

اشتدت في هذه المرحلة بالمغرب الأدنى، وطأة العبيديين على الناس، ونال العلماء من ظلمهم الشيء الكثير،(144) لكن مع ذلك لم تتوقف مسيرة علم الحديث، بل ظل يحمل رايتها رجال مخلصون، ويمثل هذه المرحلة من الجيل الأول خير تمثيل: رجلان هما :

* أبو العرب محمد بن أحمد بن نعيم التميمي الإفريقي (ت333هـ).

قال عنه أبو عبد الله الخراط : كان رجلا صالحا ثقة عالما بالسنن والرجال، من أبصر أهل وقته بها، كثير الكتب. حسن التقييد، كريم النفس والخلق، كتب بخطه كثيرا في الحديث والفقه.(145)

وقال ابن أبي دليم : كان حافظا للمذهب معتنيا به، وغلب عليه الحديث والرجال وتصنيف الكتب والرواية والاسماع.(146) وستأتي أسماء كتبه في علم الرجال.

---

144) انظر أخبار الفقهاء والمحدثين : 159 ع 175 – ترتيب المدارك : 5/303 – 304.

145) ترتيب المدارك : 5/324.

146) نفسه الجزء والصفحة.

* أبو سليمان ربيع بن سليمان القطان (ت334هـ).

قال المالكي في رياض النفوس : «كان حافظا لكتاب الله عز وجل، قارئا له بالروايات عالما بتفسيره، ومعانيه وغريبه، حافظا لحديث رسول الله ﷺ، عالما بمعانيه وعلله وغريبه وأسماء رجاله وكناهم وقويهم من ضعيفهم».(147)

وبعد هذا الجيل جاء الجيل الذي تتلمذ له، ويمثله أفضل تمثيل : أبو الحسن علي محمد بن خلف القروي القابسي (ت403هـ) كان واسع الرواية عالما بالحديث وعلله ورجاله، فقيها أصوليا متكلما مؤلفا مجيدا».(148)

وهو ممن يحتمل أخذ أبي عبد الله ابن الحذاء عنه، وله ترجمة ضمن شيوخه كما سيأتي ثم يأتي في آخر هذه المرحلة، من مراحل علم الرجال بالمغرب الأدنى، رجل كأبي محمد عبد الله بن حسن الجيفري (ت481هـ) فقيه ومفت، له معرفة بالحديث ورجاله.(149)

ثالثا : المغرب الأقصى :

عرف المغرب الأقصى في هذه المرحلة، أسماء كبيرة، لكن أكثر هؤلاء العلماء آثروا الهجرة إلى قرطبة أو القيروان، لينشروا علمهم هناك، ولعل السبب في ذلك، قلة عناية أهل المغرب آنذاك بالحديث وعلومه، بالدرجة التي يرتاح إليها مثل هؤلاء المشاهير.

1 – أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي المغربي الأندلسي (ت392هـ).

أصله من مدينة أصيلة ورحل إلى قرطبة سنة 342 وهو في الرابعة والعشرين من عمره قال الحميدي: «من كبار أصحاب الحديث والفقه» وقال

147) رياض النفوس : 324/2 – انظر : ترتيب المدارك : 310/5.

148) ترتيب المدارك : 93/7.

149) نفسه : 112/8.

غيره: «كان من جلة العلماء نسيج وحده، وصل الأمصار، ولقي الرجال، وتفنن في الرأي ونقد الحديث وعلله، وألف كتبا نفاعة.

وذكره أبو عبد الله بن الحذاء فقال: لم ألق مثله في علمه بالحديث ومعانيه وعلله ورجاله.(150)

وقال ابن حيان : «كان أبو محمد في حفظ الحديث ومعرفة الرجال، والاتقان للنقل، والبصر بالنقد، والحفظ للأصول، والحذق برأي أهل المدينة، والقيام بمذهب المالكية، والجدل فيه على أصول البغداديين، فردا لا نظير له في زمانه، بلغني من غير وجه أنه وجد في كتب الدراقطني: حدثني أبو محمد الأصيلي، ولم أر مثله».(151)

وقال ابن أبي زيد القيرواني والقابسي، لمن جاءهما للأخذ عنهما: ألم يقدم عليكم الأصيلي؟ تركت – والله – العلم وراءك.(152)

لكن أهل بلده جهلوا مكانته فظلموه، حتى الحافظ ابن الفرضي لم ينصفه.

2 – أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حجاج الغفجومي الفاسي (ت430هـ) بيته بفاس مشهور، استوطن القيروان وأصبحت له به مكانة علمية رفيعة.

قال حاتم بن محمد الطرابلسي : «كان أبو عمران من أعلم الناس، وأحفظهم، جمع حفظ المذهب المالكي إلى حفظ حديث النبيﷺ، ومعرفة معانيه، وكان يقريء القرآن بالسبعة ويجودها مع المعرفة بالرجال والمعدلين منهم والمجرحين، أخذ عنه الناس من أقطار المغرب والأندلس، واستجازه من لم يلقه، وخرج من عوالي حديثه نحو مائة ورقة، ولم ألق أحدا أوسع منه علما ولا أكثر رواية.(153)

---

150) ترتيب المدارك : 7/138.

151) نفسه : 7/139.

152) نفسه : 7/140.

153) ترتيب المدارك : 7/246 – الصلة : 2/612.

الفصل الثالث

التكلم في الرجال والتأليف فيهم

المبحث الأول :

التكلم في الرجال

تحدث الحافظ الذهبي عن المتكلمين في الرجال، ومن يعتمد قوله في الجرح والتعديل، فقسمهم إلى ثلاثة أصناف :

1 – صنف تكلموا في أكثر الرواة، كيحيى بن معين، وابن أبي حاتم الرازي.

2 – صنف تكلموا في كثير من الرواة كمالك بن أنس، وشعبة بن الحجاج.

3 – صنف تكلموا في الرجل بعد الرجل كابن عيينة والشافعي.

وهم أيضا على ثلاثة أقسام :

* قسم منهم متعنت في الجرح، متثبت في التعديل، يغمز الراوي بالغلطتين والثلاث، ويلين بذلك حديثه، كابن معين والرازي والجوزجاني.

* قسم في مقابلة هؤلاء متساهلون، كالترمذي وأبي عبد الله الحاكم والبيهقي.

* قسم معتدلون منصفون، كأحمد بن حنبل وأبي زرعة والبخاري وابن عدي.(1)

على ضوء هذه التقسيمات يتساءل المرء، عن موقع النقاد المغاربة، من حيث التشدد والتساهل والاعتدال؟

يجيب عن هذا التساؤل الدكتور إبراهيم بن الصديق، فيذكر أن طبيعة النقد عند الأندلسيين والمغاربة بصفة عامة تتميز بخاصيتين:

---

1) شمس الدين الذهبي : ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل : 171 – 172 (ضمن : أربع رسائل في علوم الحديث : اعتنى بها : د. عبد الفتاح أبو غدة).

الأولى : حرفيتهم في تطبيق النصوص العلمية، والتزامهم بالقواعد التي تكون عادة أغلبية، وعدم تصرفهم فيها إلى حد الجمود،(2) فهم بالنسبة إلى علوم الحديث، يتمسكون بمثالية تامة – بمفاهيم العدالة والضبط في رواة الحديث إلى درجة، أن فقدوا المرونة المطلوبة في ناقد الحديث.(3)

وهكذا تشددوا في اعتبار العدالة، وأخذوا بمفهومها النظري، فطبقوه على الرواة بالفعل، دون أن يتحلوا بمرونة المشارقة وتجزئتهم للعدالة، فجرحوا لأقل هفوة، وتركوا رجالا لأقل بادرة، وإذا استثنينا ابن عبد البر(4) وعياضا في بعض الأحيان، فالتشدد هو طابع المغاربة عموما.(5)

كما تشددوا في الضبط، وفسروه بمعنى أن الراوي يجب عليه ألا يهم ولا يغلط ولا يخطيء، بل إنهم عدوا سوء الحفظ الذي هو من مسقطات الضبط، منافيا للثقة أي العدالة، وردوا رواية سيء الحفظ جملة وتفصيلا، مع أن من الضعيف ما ينجبر إلى أن يرتقي لدرجة الحسن لغيره.(6)

الخاصية الثانية : النقد الشديد، لكل عالم من علمائهم مهما بلغ في الإمامة وعلو المنزلة، أو حاز من العلم والجلالة، والمغاربة أشقاء الأندلسيين التوائم في هذا السلوك.

---

2) الدكتور : إبراهيم بن الصديق : «علم علل الحديث» : 1/94 – طبعته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب – مطبعة فضالة : 1415هـ – 1995.

3) نفسه : 1/95.

4) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : 384 – التمهيد لابن عبد البر كذلك : 1/28 – مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح: 289 – قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين لتاج الدين السبكي: 13 تحقيق: د. عبد الفتاح أبو غدة – دار الوعي حلب. ط 2: القاهرة 1398هـ = 1978م.

5) د. إبراهيم بن الصديق : المدرسة المغربية في الجرح والتعديل : 67, 70.

6) نفسه : 71.

ويستبعد الدكتور ابن الصديق أن يكون ذلك بسبب تحاسدهم فيما بينهم، كما ذهب إلى ذلك بن حزم، لأن الحسد ظاهرة عامة في كل مكان وبين سائر الفئات، بل لعل مرد ذلك في نظره إما إلى طبيعة البلد ومناخه، أو إلى جذور أخرى، مازالت في حاجة إلى بحث ودراسة اجتماعية لاكتشافها.(7)

وعلى الرغم من أن ابن حزم، انتقد أهل بلده الأندلس، باستهجانهم حسنات العالم الظاهر فيهم الماهر منهم، وتتبعهم سقطاته وعثراته إلخ،(8) فإنه هو نفسه نموذج للمتعنت في النقد المتشدد فيه.(9)

وبعد هذه التوطئة، أقدم لائحة بأسماء أبرز المتكلمين في الرجال، من أهل الغرب الإسلامي، كما سرد أسماءهم الذهبي والسخاوي، ثم أسماء بعض المستدركين عليهما.

الطبقة الخامسة :

1 – أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الحافظ نزيل المغرب(10) (ت261هـ).

الطبقة السادسة :

2 – محمد بن وضاح الأندلسي حافظ قرطبة(11) (ت286هـ).

3 – بقي بن مخلد القرطبي الحافظ(12) (ت276هـ).

4 – قاسم بن محمد بن قاسم(13) (ت277هـ).

7) علم علل الحديث : 1/95 – 96.

8) رسائل ابن جزم : 2/177.

9) انظر لسان الميزان لابن حجر : 4/198 – قواعد في علوم الحديث للتهانوي : 268 – 272.

10) الذهبي : ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل : 193.

11) نفسه : 199.

12) نفسه : 199.

13) نفسه : 199.

الطبقة السابعة :

5 – أبو جعفر أحمد بن عمرو الالبيري الأندلسي(14) (ت312هـ).

الطبقة الثامنة :

6 – أبو عمر أحمد بن خالد الجباب القرطبي(15) (ت322هـ).

7 – محمد بن إبراهيم بن حيون الأندلسي(16) (ت305هـ).

8 – ثابت بن حزم السرقسطي(17) (ت313هـ).

9 – ابنه قاسم(18) (ت302هـ).

10 – أبو عثمان سعيد بن عثمان الأعناقي(19) (ت305هـ).

11 – حسن بن سعد الكتامي القرطبي صاحب بقي بن مخلد(20) (ت323هـ).

12 – قاسم بن أصبغ بن محمد القرطبي حافظ الأندلس(21) (ت340هـ).

الطبقة التاسعة :

13 – وهب بن مسرة الأندلسي(22) (ت346هـ).

الطبقة العاشرة :

14 – حميد بن ثوابة الأندلسي.(23)

---

14) نفسه : 203.

15) نفسه : 205.

16) نفسه : 207.

17) نفسه : 207.

18) نفسه : 207.

19) نفسه : 207.

20) نفسه : 207.

21) نفسه : 207.

22) نفسه : 208.

23) نفسه : 209.

15 – أبو عبد الملك أحمد بن محمد بن عبد البر(24) (ت338هـ).
16 – قاسم بن مسعدة(25) (ت317هـ).
17 – أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي(26) (ت350هـ).
18 – خالد بن سعد(27) (ت352هـ).
19 – عبد الله بن محمد الباجي(28) (ت378هـ).
20 – أبو بكر محمد بن السليم القاضي(29) (ت367هـ).
21 – عبد الله بن محمد أخي ربيع(30) (ت318هـ).
22 – قاسم بن سعدان(31) (ت347هـ).
23 – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مفرج(32) (ت380هـ).
24 – أبو عمر أحمد بن عبد الله بن محمد الباجي(33) (ت396هـ).

الطبقة الحادية عشرة:
25 – أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس(34) (ت402هـ).
26 – أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(35) (ت392هـ).
27 – خلف بن القاسم بن سهل الدباغ الأندلسي(36) (ت393هـ).

---

24) نفسه: 210.
25) نفسه: 210.
26) نفسه: 210.
27) نفسه.
28) نفسه.
29) نفسه.
30) نفسه: 210.
31) نفسه.
32) نفسه.
33) نفسه.
34) نفسه: 211.
35) نفسه: 211.
36) نفسه: 211.

28 – أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي(37) (ت403هـ).

29 – أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الطلمنكي(38) (ت429هـ).

30 – أبو عبد الله محمد بن عمر بن يوسف الفخار.(39)

31 – أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث.(40) (ت429هـ).

الطبقة الثانية عشرة :

32 – أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المقريء(41) (ت444هـ).

الطبقة الثالثة عشرة :

33 – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري(42) (ت463هـ).

34) أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأموي (ت456هـ).(43)

35) أبو حفص عمر بن عبيد الله الذهلي الزهراوي القرطبي الحافظ.(44)

36) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ).(45)

---

37) نفسه : 211.

38) نفسه : 213.

39) نفسه.

40) نفسه.

41) نفسه.

42) نفسه : 214.

43) نفسه.

44) نفسه.

45) نفسه.

الطبقة الرابعة عشرة :

37 – أبو الحسن طاهر بن مفوز الشاطبي وكان من أئمة هذا الشأن.(46)

38 – أبو عبد الله بن أبي نصر الحميدي الأندلسي نزيل بغداد(47) (ت488هـ).

39 – أبو علي الحسن بن محمد الغساني الجياني صاحب التصانيف(48) (ت498هـ).

الطبقة الخامسة عشرة :

40 – القاضي أبو علي الحسين بن محمد بن سكرة الصدفي(49) (ت514هـ).

41 – أبو عامر محمد بن سعدون بن مرجي العبدري الميورقي نزيل بغداد(50) (ت497هـ).

ولما كانت هذه الأسماء مما استخرجه بكل تأكيد، كل من الذهبي والسخاوي من المصادر المغربية، خصوصا تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، والصلة لابن بشكوال، فقد فاتتهما أسماء كثير من المتكلمين في الرجال في هذه العصور، ومنهم من هم أولى بالذكر من بعض من تقدم ذكرهم، وهذه أسماء بعض الأسماء المستدركة على الحافظين الذهبي والسخاوي.

42 – أبو العرب محمد بن أحمد بن نعيم التميمي(51) (ت333هـ).

---

46) نفسه : 215.

47) نفسه.

48) نفسه.

49) نفسه.

50) نفسه : 216.

51) رياض النفوس : 2/309 – 310 – ترتيب المدارك : 5/324.

43 – أبو سليمان ربيع بن سليمان القطان(52) (ت334هـ).

44 – مسلمة بن القاسم القرطبي(53) (ت353هـ).

45 – محمد بن حارث الخشني(54) (ت361هـ).

46 – عبد الله بن إسماعيل القرطبي يعرف بابن ثور(55) (ت380هـ).

47 – إسماعيل بن إسحاق المعروف بابن الطحان(56) (ت384هـ).

48 – محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي(57) (ت391هـ).

49 – عريب بن سعيد بن التركي، كان في عهد المنصور بن عامر.(58)

50 – أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة ابن ميمون(59) (ت400هـ).

51 – إبراهيم بن محمد بن شنظير(60) (ت402هـ).

52 – أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد ابن الحذاء التميمي القرطبي(61) (ت416هـ).

53 – أبو عمر أحمد بن عفيف(62) (ت420هـ).

54 – أبو موسى عيسى بن محمد بن هارون بن عتاب النسفي الأستاذ(63) (ت422هـ).

---

52) ترتيب المدارك : 5/310.

53) ابن حجر العسقلاني : لسان الميزان : 6/35 – د. إبراهيم بن الصديق : الجرح والتعديل في المدرسة المغربية : 66 (انظر : فهرسة ابن خير : 53 – ميزان الاعتدال : 1/19.

54) انظر : جذوة المقتبس : 1/94 – ترتيب المدارك : 6/268.

55) تاريخ علماء الأندلس : 1/283.

56) نفسه : 1/82.

57) نفسه : 2/106.

58) الذيل والتكملة : س 5 / ق 1 / ص 141.

59) الصلة : 1/20.

60) نفسه : 1/89.

61) ترتيب المدارك : 8 / 5 – 6 – الصلة : 2/506.

62) الصلة : 1/38.

63) نفسه : 2/441.

55 – أبو عمران موسى بن عيسى الفاسي(64) (ت430هـ).

56 – أبو بكر بن الحسن بن محمد القبشي(65) (توفي حوالي 430هـ).

57 – أبو الوليد محمد بن عبد الله البكري المرسي ابن ميقل(66) (ت436هـ).

58 – أبو محمد عبد الله بن سعيد بن لباب الأموي الشنتجيالي الطويل(67) (ت436هـ).

59 – أبو عمرو عثمان بن أبي بكر بن حمود بن أحمد الصدفي السفاقسي أصله منها، ويعرف بابن الضابط(68) (ت440هـ).

60 – أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذاء التميمي القرطبي(69) (ت467هـ).

61 – أحمد بن عمر بن أنس العذري ابن الدلال(70) (ت478هـ).

62 – أبو يعقوب إسحاق بن الوليد بن موسى بن عبدوس الفروسي (ولد سنة 354هـ) له علم بالحديث وبصر بالرجال.(71)

وآخرون يتعذر استقصاء أسمائهم جميعا في هذا الموجز، وقد كان الذهبي منصفا، عندما قال في معرض حديث، عن الحافظ أبي عمر أحمد بن محمد بن يحيى ابن الحذاء الأندلسي (ت467هـ).

---

64) ترتيب المدارك : 7/246 – الصلة : 2/611.

65) الصلة : 1/136.

66) نفسه : 2/527.

67) نفسه : 1/271.

68) نفسه : 2/408.

69) نفسه : 1/62.

70) نفسه : 1/67.

71) نفسه : 1/112.

«حدث عنه الحافظ أبو علي الغساني، وجماعة ممن أعرفهم أولا أعرفهم، وكذا غالب مشايخ الأندلس، لا اعتناء لنا بمعرفتهم، لأن روايتهم لا تقع لنا».(72)

المبحث الثاني :

التصنيف في علم الرجال بالغرب الإسلامي

بدأ التنصيف في علم الرجال بالغرب الإسلامي، بشكل واضح منذ أوائل القرن الثالث الهجري، مقترنا بظهور هذا العلم متطورا بتطوره.

ويظهر من خلال ما وقف عليه هذا البحث، من عناوين هذه المؤلفات، أنها غطت معظم أنواع علم الرجال، فمنها ما يتعلق بالصحابة والتابعين، ومنها ما يتعلق بالأنساب والطبقات والتاريخ والثقات والضعفاء، والأسماء والكنى، والمؤتلف والمختلف، ومشتبه النسبة والألقاب والجرح والتعديل، وأسماء رجال كتب معينة، كالموطأ وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن النسائي وسنن أبي داود، بالإضافة إلى ما ألف في الإخوة من المحدثين وغير ذلك، ثم الفهارس والبرامج والأسمعة.

وهذه المؤلفات، منها ما اهتم برجال الغرب الإسلامي، في كل أقطاره أو برجال قطر واحد منها.

ومنها ما توجهت عناية أصحابها، إلى رجال المشرق الإسلامي فقط، أو إلى رجال المشرق والمغرب معا.

وتحتل الأندلس الصدارة في التأليف في الرجال، تليها إفريقية، وينعدم ذلك أو يكاد في أقطار الغرب الإسلامي الأخرى.

وعلى الرغم من أن أكثر هذه المؤلفات، ما تزال، إما مخطوطة أو مفقودة، فإنه وعلى ضوء ما تيسر الوقوف عليه، يمكن تقديم بعض

72) سير أعلام النبلاء : 18/345.

الملامح العامة للتصنيف في علم الرجال بالغرب الإسلامي وذلك على النحو الآتي:

أولاً : التبويب وفق الطبقات :

تتناول هذه الكتب عادة، طبقات متعاقبة من رجال الحديث، وإذا كان الأصل في ذلك تصنيف الرجال حسب أجيالهم، فإنهم عند المحدثين، حددت بشكل أدق، فاعتبروا رجال الطبقة الواحدة، هم أولئك الذين سمعوا الحديث من الطبقة التي سبقتهم، ثم سمعته منهم الطبقة التي جاءت بعدهم.

وقد حدد ابن الصلاح مفهوم الطبقة بدقة عندما قال: «الطبقة في اللغة عبارة عن القوم المتشابهين، وعند هذا، فرب شخصين يكونان من طبقة واحدة، لتشابههما بالنسبة إلى جهة، ومن طبقتين بالنسبة إلى جهة أخرى لا يتشابهان فيها».(73)

ويضرب المثل لذلك بأنس بن مالك، فيقول: «إنه وغيره من أصاغر الصحابة يعدون لتشابههم في أصل صفة الصحبة من الطبقة الأولى طبقة الصحابة، والتابعون بعدهم طبقة ثانية وهكذا.

أما بالنظر إلى الصحابة في أقدارهم وسوابقهم، فهم بضع عشرة طبقة، وحينئذ يكون أنس وأقرانه من أصاغر الصحابة دون طبقة العشرة بطبقات.(74)

وقد تبع المحدثين في استعمال التبويب حسب الطبقات، أصحاب كتب التراجم، كطبقات القراء، وطبقات الفقهاء، وطبقات الصوفية، وطبقات النحويين واللغويين، وطبقات الشعراء، وغير ذلك.(75)

---

73) مقدمة ابن الصلاح : 667.

74) نفسه : 667.

75) انظر : دائرة المعارف الإسلامية : 15/77 – 78.

وقد ألف المغاربة في الطبقات منذ وقت مبكر، ألف فيها عبد الملك ابن حبيب، ومحمد بن سحنون، وأبو العرب التميمي، وغيرهم كما سيأتي في أسماء المؤلفات بالغرب الإسلامي.

ثانيا : التبويب وفق حروف المعجم :

يرجع الفضل في تأليف التراجم على الحروف، إلى الإمام البخاري في كتابه: «التاريخ الكبير»، وكان من قبله يؤلف على البلدان والطبقات إلخ...(76)

وقد سلك مؤلفو كتب الرجال بالغرب الإسلامي، طريقتين في ترتيب مصنفاتهم وفق حروف المعجم :

أ – **الترتيب المشرقي** : وعلى أساسه بوب ابن الفرضي تاريخه، وتبعه على ذلك ابن بشكوال في الصلة، ثم ابن عبد الملك المراكشي في الذيل والتكملة، الذي قال إنه: «آثر هذا الترتيب لصحة اعتباره.(77)

ب – **الترتيب المغربي** : وهو ما اعتمده محمد بن حارث الخشني في كتابه «أخبار الفقهاء والمحدثين»، وإليه مال ابن الأبار، من تابعي ابن الفرضي وابن بشكوال، وهو ما اختاره ابن فرتون وابن الزبير.

وعلى هذا الترتيب وضع القابسي تلخيصه للموطأ برواية ابن القاسم، وعليه سار ابن الحذاء في كتابه: «التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء، وابن عبد البر في «التمهيد» وفي «الاستيعاب»، والباجي في «التعديل والتجريح» وفي ذلك يقول: «وأنا إن شاء الله آت بما شرطته في أسماء الرجال، على حروف الهجاء، بالتأليف المعتاد في بلدنا».(78)

---

76) انظر الذيل والتكملة : 1/6 – علم الرجال للزهراني : 145 وما بعدها.

77) الذيل والتكملة : 1/17.

78) التعديل والتجريح للباجي : 1/243.

وعلى هذا المنوال سار القاضي عياض في مشارق الأنوار وفي «الغنية».

ولا يختلف ترتيب حروف الهجاء العربية كثيرا بالمشرق عنه بالمغرب، بل يسير الترتيبان في نسق واحد إلى الزاي، ثم يقع الاختلاف بينهما، إلى أن يتم اللقاء من جديد في الحروف الثلاثة الأخيرة، وذلك على الشكل التالي:

المتفق عليه بين الترتيبين في البداية : «أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز».

المختلف فيه بينهما :

أ – المشرقي : «س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن».

ب – المغربي : «ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش».

المتفق عليه بينهما في النهاية :

«هـ، و، ي» ويضيف أهل المغرب : «لا» قبل الياء.(79)

ومع مراعاة الترتيبين المذكورين، فإن منهم من استثنى من ذلك اسم محمد، فصدر به كتابه، على غرار ما فعل الإمام البخاري في التاريخ الكبير، وهو ما صنعه الحميدي في «جذوة المقتبس»، والقاضي عياض في «الغنية» على سبيل المثال.

وهناك من بدأ حرف الهمزة بمن اسمه أحمد، وحرف الميم بمن اسمه محمد تبركا باسم النبيﷺ، على نحو ما فعل الباجي في التعديل والتجريح، وابن بشكوال في الصلة، وابن عبد الملك في الذيل والتكملة وفي ذلك يقول: «وبدأت حرف الهمزة بمن اسمه أحمد، وفي حرف الميم بمن اسمه محمد تبركا بموافقة اسمي النبيﷺ».(80)

---

79) انظر : «الوافي بالوفيات» : للصفدي 1/43. تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون : 28 مكتبة السنة – القاهرة ط5: 1414هـ – 1994م.

80) الذيل والتكملة : 1/18.

كما بدأ أكثرهم حرف العين بمن اسمه عبد الله، كصنيع محمد بن حارث الخشني في «أخبار الفقهاء والمحدثين» والقابسي في «تلخيص الموطأ» برواية ابن القاسم، وابن الحذاء في «التعريف» وابن عبد البر في «التمهيد» والباجي في «التعديل والتجريح»، وابن بشكوال في «الصلة»، وابن عبد الملك في «الذيل والتكملة» وغيرهم.

ولم يراع المصنفون في الرجال بالغرب الإسلامي، سوى الحرف الأول في كل باب، دون الثاني، كما لم يراعوا ذلك في الأسماء المبدوءة بنفس الحرف.

ولم يعتبروا ثواني الأسماء وثوالثها فصاعدا في الترتيب، الشيء الذي انتبه إليه ابن عبد الملك، فيما بعد، واهتم به اهتماما لم يبلغ أحد من المغاربة قبله شأوه فيه.

وكانوا قبل ذلك، ربما اعتبروا في الترتيب الطبقات، معتمدين في ذلك على الوفيات، مخمنين فيما جهلوا تاريخ وفاته.(81)

ثالثا : التقسيم إلى بلديين وغرباء :

استعمل أبو الوليد بن الفرضي في تاريخه، مصطلح الغرباء، ويعني عنده الطارئين على الأندلس من غيرها من البلاد، سواء كان أصلهم منها أو من غيرها.

وسار على هذا المنوال ابن بشكوال في الصلة، وابن الأبار في التكملة، وابن الزبير في صلة الصلة، وابن فرتون في الذيل على الصلة، كما أخذ به ابن عبد الملك في الذيل والتكملة، لكن بشكل آخر كما قال: «وجعل ابن الفرضي وابن بشكوال، الأسماء في الأبواب على طبقات المذكورين فيها، فقدما الأسبق، وعقبا كل اسم من أسماء الأندلسيين، بمن وجدوه من موافقه

81) نفسه : 14/1.

من الغرباء (...) إن وجدا له في الغرباء سميا «وختما كل حرف بذكر مفاريد الأسماء الموجود فيه، بتقديم الأندلسيين وتأخير الغرباء، إن وجداهم، وكذلك فعل أبو عبد الله ابن الابار وأبو جعفر ابن الزبير، فيما وقفت عليه من تاريخيهما (...) ومصطلحهم في الغرباء خارج عن عرف المحدثين والمؤرخين».(82)

ثم ذكر أن المتقدمين، إنما ينسبون الرجل إلى البلد الذي صار مستقره، على ذلك كان عمل السابقين من أئمة المحدثين، وتبعهم في ذلك المتأخرون، ما عدا ابن الفرضي وتابعيه، وهلم جرا.(83)

وعلى الرغم من أن ابن عبد الملك، لم يستطع التخلص من هذا المصطلح، إلا أنه رفع من شأن الغرباء، فأرجأ ذكرهم جملة إلى آخر الكتاب، وأفردهم بالذكر بعد الانتهاء من ذكر أهل الأندلس.(84)

ولم يكن ابن الفرضي أول من استعمل هذا المصطلح، وأخذ به في تبويب كتابه، كما يفهم من كلام ابن عبد الملك،(85) وكما صرح به أحد الباحثين المعاصرين،(86) بل سبقه إلى ذلك – فيما أعلم – أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي المصري (ت347هـ) في تاريخه الذي قسمه إلى قسمين أحدهما للمصريين والآخر للغرباء.(87)

والكتاب من مصادر ابن الفرضي كما صرح بذلك في مقدمة كتابه : «تاريخ علماء الأندلس»،(88) ولعله استقى الفكرة منه.

---

82) نفسه : 1/9.
83) نفسه : 1/10.
84) نفسه : 1/13.
85) نفسه : 1/11.
86) أحمد اليزيدي : أبو الوليد ابن الفرضي القرطبي : 1/161.
87) انظر : تاريخ علماء الأندلس : 1/10 – تاريخ التراث العربي: 2/238.
88) تاريخ علماء الأندلس : 1/10.

كما سبق ابن الفرضي إلى ذلك، محمد بن حارث الخشني (ت361هـ) في طبقات علماء إفريقية، يقول : مثلا : «من رجال القيروان» فيذكرهم، ثم يقول: «ومن الغرباء الطراء»(89)...

المبحث الثالث :

أهم مصنفات علم الرجال بالغرب الإسلامي مرتبة ترتيبا زمنيا

لا يكاد الباحث يعثر خلال القرنين الأول والثاني، على أي مصنف في علم الرجال بالغرب الإسلامي، سواء على المستوى التاريخي أو على المستوى النقدي، باستثناء عمل واحد، لخالد بن أبي عمران (ت125هـ) وصف بأنه كتاب كبير، عن القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وسليمان ابن يسار،(90) والظاهر أن مضمونه يتعلق بأجوبة الفقهاء الثلاثة، على الأسئلة التي حملها إليهم خالد بن أبي عمران من أهل إفريقية.

وقد يكون هذا الكتاب غير الأسئلة، وحينئذ فلا يستبعد أن يكون مشتملا على تراجم الفقهاء الثلاثة وما يتعلق بذلك من علمهم وفضلهم.(91)

وإذا تحفظنا في هذا الكتاب، لعدم الاطمئنان إلى حقيقة مضمونه، فإن الشيء المؤكد، أنه ابتداء من أوائل القرن الثالث الهجري، بدأ التصنيف في علم الرجال، وتزايد في القرن الرابع، ثم في الخامس بشكل كبير، كما سيتضح من خلال استعراض، أهم ما وقف عليه هذا البحث من أعمال في هذا المضمار.

---

89) طبقات علماء إفريقية : 22، 42.

90) طبقات علماء إفريقية وتونس : 212 – وانظر : رياض النفوس : 1/163.

91) انظر موطأ الإمام مالك، قطعة من رواية ابن زياد (مقدمة المحقق: الشيخ النيفر: ص 20).

أ – القرن الثالث الهجري :

1 – «طبقات الفقهاء والتابعين»(92) لعبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت238هـ). والنقول عن ابن حبيب في طبقاته كثيرة، بلغت عند محمد بن حارث الخشني في أخبار الفقهاء والمحدثين أكثر من سبعين مرة. ثم عند ابن الفرضي ومن جاء بعده بشكل أقل من ذلك.

وتفيد هذه النقول، أن رجال طبقات ابن حبيب، هم من أهل الأندلس أو الطارئين عليها، وكثيرا ما يقول محمد بن حارث الخشني، وأبو الوليد بن الفرضي: ذكره عبد الملك بن حبيب في الطبقة الأولى من علماء رجال الأندلس»،(93) «كان من طبقة أهل الحديث، ذكره عبد الملك بن حبيب في كتابه، في الطبقة الأولى من رجالها».(94)

وهؤلاء الرجال، منهم التابعون، كحنش بن عبد الله الصنعاني،(95) ومنهم المحدثون كعبد الرحمن بن موسى،(96) ومنهم الفقهاء كصعصعة ابن سلام الشامي.(97) والغازي بن قيس القرطبي.(98)

2 – «شيوخ مالك»(99) لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.

3 – «فضائل الصحابة»(100) لعبد الملك بن حبيب الأندلسي.

---

92) «أخبار الفقهاء والمحدثين» : 291 – «تاريخ علماء الأندلس»: 313/3 – ترتيب المدارك: 127/4.

93) انظر : «أخبار الفقهاء والمحدثين» : 233 – تاريخ علماء الأندلس.

94) أخبار الفقهاء والمحدثين : 233 – 234.

95) تاريخ علماء الأندلس : 148/1.

96) أخبار الفقهاء والمحدثين : 233 – 234. انظر : 279 ع 370.

97) تاريخ علماء الأندلس : 240/1.

98) أخبار الفقهاء والمحدثين : 291.

99) ترتيب المدارك : 92/2.

100) تاريخ علماء الأندلس : 313/1 – ترتيب المدارك : 127/4.

4 – «الطبقات» لمحمد بن سحنون (ت256هـ) هكذا في رياض النفوس للمالكي،(101) وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض : «طبقات العلماء».(102)

ومن النقول عنه أنه ذكر في «الطبقات» عبد الرحمن أسميفع ابن وعلة السبائي المصري، فقال: «إنه من أهل افريقية، وبها مسجده ومواليه إلى اليوم»،(103) ومنها أنه ذكر عبد الله بن الحكم البلوي، في طبقات أهل إفريقية، لكنه أدخله في جملة شيوخ المصريين.(104)

5 – «التاريخ»(105) لمحمد بن سحنون.

ومن النقول عنه : «ذكر أن سفيان بن وهب الخولاني، غزا إفريقية سنة ستين».(106)

6 – «فتوح إفريقية»(107) لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر (ق3هـ).

7 – «كتاب تسمية رجال الموطأ»(108) لأبي زكرياء يحيى بن إبراهيم بن مزين الأندلسي (ت259هـ).

8 – «الثقات»(109) لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي نزيل طرابلس الغرب (ت261هـ).

---

101) رياض النفوس : 131/1 وقال في : 167/1 : «طبقات أهل إفريقية».
102) ترتيب المدارك : 207/4.
103) رياض النفوس : 131/1.
104) نفسه : 167/1.
105) نفسه : 91/1 – ترتيب المدارك : 207/4.
106) رياض النفوس : 91/1.
107) طبقات علماء إفريقية وتونس : 206.
108) تاريخ علماء الأندلس : 178/2 – فهرسة ابن خير : 93.
109) مطبوع.

9 – «الأئمة من المصنفين»(110) لمعارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير يكنى أبا معاوية (ق3هـ).

ب – القرن الرابع الهجري :

10 – «تاريخ المولد والوفاة» لحسن بن مفرج من أهل إفريقية (ت308هـ).

11 – «كتاب في معرفة الرجال» لعبد الله بن محمد بن حنين الأندلسي، يعرف بابن أخي ربيع الصباغ (ت318هـ).

قال محمد بن حارث الحشني : «إن هذا الكتاب على حروف المعجم، ووصفه بأنه موعب جامع.(111)

وقال عياض : «إن لعبد الله هذا تواليف في معرفة الرجال وعلل الحديث.(112) وأورد بن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة، نصا من هذا الكتاب قرأه بخط أبي حيان قال: ذكر عبد الله ابن حنين في كتابه: «الرجال» عن عمر بن عبد العزيز قال: عمل منبر النبيﷺ «صباح» غلام العباس بن عبد المطلب.

وذكر أيضا عن المطلب أن الذي عمله قبيصة المخزومي، من أثلة كانت قريبة من المسجد.(113)

12 – «كتاب التعريف لأحمد بن أبي خالد».(114)

---

110) تاريخ الفكر الأندلسي لبالنثيا : 401 – وقال الحميدي في جذوة المقتبس : في ترجمة موسى بن نصير : وقد ألف في أخباره في فتوح الأندلس، وكيف جرى الأمر في ذلك رجل من ولده يقال له: معارك بن مروان إلخ...» جذوة المقتبس: 2/539 ع793. وقال ابن الفرضي في ترجمة عبد الحميد مولى مراد: 1/335 ع 861. روى عنه معارك النصيري في أخبار الأندلس.

111) أخبار الفقهاء والمحدثين : 228.

112) ترتيب المدارك : 5/211.

113) غوامض الأسماء المبهمة : 1/344.

114) ترتيب المدارك : 4/235.

13 – «تاريخ على الأمصار»(115) لمروان بن عبد الملك ابن الفخار القرطبي (ت330هـ).

14 – «طبقات علماء إفريقية وتونس»(116) لأبي العرب محمد بن أحمد بن نعيم (ت333هـ).

15 – «مناقب سحنون بن سعيد»(117) لأبي العرب أيضا.

16 – «كتاب ثقات المحدثين وضعافهم»(118) لأبي العرب أيضا.

17 – «كتاب التاريخ»(119) لأبي العرب كذلك.

18 – «كتاب فضائل بقي بن مخلد»(120) للأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر (ت339هـ).

من النقول عنه، أن أم الحسن بنت أبي لواء، كانت تسمع في داخل دار أبي عبد الرحمن يوما في الجمعة، منفردة بدولتها، يعني بقي بن مخلد.(121)

19 – «جزء فيه تسمية شيوخ رجال عبد الله بن وهب»(122) رواية قاسم بن أصبغ البياني (ت340هـ).

20 – «كتاب في ذكر الخلفاء ومن تناسل منهم بالأندلس ومن سائر قريش»(123) للحكيم عبد الله ابن عبيد الله (ت341هـ).

---

115) تاريخ علماء الأندلس : 2/ 123.

116) مطبوع.

117) ترتيب المدارك : 5/ 324.

118) طبقات علماء إفريقية وتونس» : 105.

119) ترتيب المدارك : 5/ 324.

120) التكملة لابن الابار : 4/ 39 تحقيق : الهراس.

121) نفسه : 4/ 244.

122) فهرسة ابن خير : 223.

123) الذيل والتكملة : 1/ 213.

21 – «كتاب في صفة قرطبة وخططها ومنازل العظماء بها»(124) لأحمد بن محمد ابن موسى الرازي الأندلسي يكنى أبا بكر (ت344هـ).

22 – «كتاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس»(125) لأحمد بن محمد ابن موسى الرازي الأندلسي أيضا.

23 – «تاريخ مختصر من تاريخ أبي جعفر الطبري «مضافة إليه أخبار إفريقية والأندلس» لعريب ابن سعيد القرطبي:(126)

24 – «كتاب في مناقب ابن وضاح ورجاله»(127) لأبي الحزم بن وهب بن مسرة بن مفرج (ت346هـ).

25 – «كتاب التاريخ في المحدثين»(128) لأبي عمر أحمد بن سعيد الصدفي المنتجيلي (ت350هـ).

قال ابن الفرضي : «صنف تاريخا في المحدثين»، بلغ فيه الغاية، قريء عليه».(129)

ونوه به أبو محمد بن حزم في رسالة فضل الأندلس وذكر رجالها، فقال: «ومنها تاريخ أحمد ابن سعيد، ما وضع في الرجال أحد مثله، إلا ما بلغنا من تاريخ محمد بن موسى العقيلي البغدادي ولم أره «وأحمد بن سعيد هو المتقدم في التأليف القائم على ذلك».(130)

---

124) جذوة المقتبس : 168/1.

125) نفسه والجزء والصفحة، وفي طبقات اللغويين والنحويين للزبيدي: 302 : 273 : كتاب في أخبار أهل الأندلس ودول الملوك فيها وذكر له في ترتيب المدارك: 126/6: «كتاب أعيان الموالي بالأندلس».

126) الذيل والتكملة : 142/1/5 – وانظر الإحالة رقم 2 منه.

127) ترتيب المدارك : 437/4.

128) تاريخ علماء الأندلس : 56/1 – جذوة المقتبس : 199/1. فهرسة ابن خير : 227.

129) تاريخ علماء الأندلس : 56/1.

130) رسائل ابن حزم : 180/2.

وقال الحميدي : «إن أبا عمر ألف في الرجال كتابا كبيرا، جمع فيه جميع ما أمكنه من أقوال الناس في العدالة والتجريح، سمعه منه خلف بن أحمد المعرف بابن أبي جعفر، وأحمد بن محمد الإشبيلي، المعروف بابن الحرار.

قال أبو عمر بن عبد البر : يقال : «إنه لم يكمل إلا لهما سماعه عنه»،(131) وقال الذهبي، إنه في عدة مجلدات، ووصفه بالتاريخ الكبير في أسماء الرجال.(132)

وسماه ابن خير : «كتاب التاريخ» تأليف أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي «وهو كتاب كبير، بلغ فيه الغاية من الإتقان، وهو خمسة وثمانون جزء»ـ(133)

وسماه الحميدي مرة : «التاريخ في الرجال» وأخرى «التاريخ الكبير في التعديل والتجريح».(134)

وذكره الدكتور إبراهيم بن الصديق، ضمن المؤلفات المغربية، الخاصة بتعديل وتجريح رواة الحديث المشارقة،(135) ولست أدري سنده في ذلك؟ وقد تتبعت نقول محمد بن حارث الخشني وغيره، عن أبي عمر بن حزم هذا، فوجدتها على العكس من ذلك، تدور على رواة الحديث المغاربة، منها 28 مرة أو أكثر في أخبار الفقهاء والمحدثين، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك من مختلف المظان :

أحمد بن بيطر قرطبي يكنى أبا القاسم (ت303هـ).

---

131) جذوة المقتبس : 1/199.
132) سير أعلام النبلاء : 16/104.
133) فهرسة ابن خير : 227.
134) جذوة المقتبس : 1/321.
135) المدرسة المغربية في الجرح والتعديل : 54 – مجلة دار الحديث الحسنية : العدد 3 ص 149.

قال أحمد بن سعيد بن حزم : «سمعت أحمد بن خالد الجباب يقول : رأيت أحمد بن بيطير هذا على حلقة علي بن عبد العزيز وهو يملي: «حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا الأعمش» وهو لا يشتغل بشيء من ذلك، فقلت له: إلا تكتب فقال: «قد سمعت أنا بعد عند فلان بأيلة» أراه ذكر أبا يعقوب الإيلي.(136)

* محمد بن وضاح القرطبي (ت287هـ).

قال لي أحمد بن سعيد : «كان محمد بن أحمد بن عبد الملك المعروف بابن الزراد، يفضل ابن وضاح على جميع من رأى بالأندلس وبالمشرق من الرجال».(137)

عبد الله بن محمد بن حنين : نقل القاضي عياض في ترتيب المدارك، قول أحمد بن سعيد عنه: «كان من أهل المروءة والعلم والتقى مع هدي حسن، وسمت عجيب، لم أر مثله وقارا وحلما وسعة فهم في الحديث ومعانيه، وقد كتب عنه بالمشرق.(138)

* عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت238هـ).

ذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ أن ابن حزم الصدفي قال في تاريخه : «كان ابن حبيب كثير الجمع، معتمدا على الأخذ بالحديث، ولم يكن يميزه، ولا يدري الرجال».(139)

إلى نقول أخرى كثيرة، تزكي ما ذهب إليه هذا البحث، من أن أحمد بن سعيد بن حزم المنتجيلي، اهتم في كتابه هذا برجال الأندلس أساسا، خلاف ما ذهب إليه أستاذنا الدكتور إبراهيم بن الصديق، ولا يمنع ذلك من اهتمامه بالرواة المشارقة أيضا.

---

136) أخبار الفقهاء والمحدثين : 14 ع 11.

137) نفسه : 126 ع 137.

138) ترتيب المدارك.

139) الذهبي : «تذكرة الحفاظ» : 2/537.

26 – «كتاب في رجال الأندلس»(140) لخالد بن سعد (ت352هـ):

ذكره ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس، وقال إنه ألفه للحكم المستنصر بالله،(141) «وقد أكثر محمد بن حارث الخشني النقل عنه: 241 مرة،(142) كما نص ابن الفرضي في مقدمة تاريخه، اعتماده عليه فقال: «وما كان فيه عن خالد فهو خالد بن سعد».(143)

27 – «مناقب الناس ومحاسنهم»(144) لخالد بن سعد المذكور قبله، ولعله هو الكتاب السابق نفسه.

ذكره ابن الفرضي قال: أخبرني إسماعيل قال: قال لي خالد بن سعد: ذكرت في كتابي، مناقب الناس ومحاسنهم إلا رجلين: محمد بن وليد القرطبي، وسعيد بن جابر الإشبيلي، فإني صرحت عليهما بالكذب وكانا كذابين».(145)

28 – «الصلة»(146) لمسلمة بن القاسم الأندلسي (ت353هـ)، وهو ذيل على «التاريخ الكبير» للبخاري:(147) التزم فيه بأن لا يذكر إلا من أغفله الإمام البخاري في تاريخه.

ووصف ابن حجر كتاب مسلمة هذا: بأنه كثير الفوائد.(148) ومن النقول عنه، قال بن خير الإشبيلي: «قال مسلمة بن القاسم في تاريخه: محمد بن بكير بغدادي، ثقة، فقيه، يكنى أبا بكر، وهو صاحب أحكام القرآن،

---

140) تاريخ علماء الأندلس: 1/155.

141) نفسه: 1/155.

142) انظر: مجلة القرويين العدد 5/ص 321. تصدرها رئاسة جامعة القرويين.

143) تاريخ علماء الأندلس: 1/9.

144) نفسه: 1/198.

145) نفسه: 1/198.

146) السخاوي: «الإعلان بالتوبيخ»: 110 – وانظر: فهرسة ابن خير: 53.

147) السخاوي: «الإعلان بالتوبيخ»: 110.

148) ابن حجر: لسان الميزان: 6/35.

أخبرنا عنه ابن الجهم، مات سنة 305هـ)(149) ومنها في ميزان الاعتدال للذهبي قال: «إبراهيم بن إسحاق الضبي الكوفي، قال عنه مسلمة بن القاسم في الصلة: روى عنه بقي بن مخلد، فهو ثقة عنده».(150)

29 – «كتاب النساء»(151) لمسلمة بن القاسم الأندلسي أيضا.

ذكره ابن بشكوال في الصلة، في ترجمة غالبة بنت محمد المعلمة الأندلسية، وقال: إنها مذكورة في كتاب النساء لمسلمة بن القاسم.

30 – «كتاب في فقهاء البيرة»(152) لمطرف بن عيسى بن لبيب الغساني (ت357هـ) قال محمد ابن حارث الخشني في ترجمة أحمد بن عمرو بن منصور ابن عمريل (ت312هـ): «روى بالأندلس والمشرق عن تسعة عشر، اسم كل واحد منهم محمد، وعن سبعة، كل واحد منهم أحمد، وقد وقعت تسمية جميع، من روى عنهم في الكتاب الذي ألفه مطرف بن عيسى.(153)

31 – «أخبار الفقهاء والمحدثين»(154) لمحمد بن حارث الخشني (ت361هـ) وهو من مصادر ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس، وعن ذلك

---

149) فهرسة ابن خير : 53.

150) الذهبي : ميزان الاعتدال : 1/19.

151) الصلة لابن بشكوال : 2/691.

152) أخبار الفقهاء والمحدثين : 16 -- تاريخ علماء الأندلس : 2/136.

153) أخبار الفقهاء والمحدثين : 16.

154) يوجد منه نسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 6916, عدد الأوراق: 182 تاريخ النسخ : 483هـ.

طبع بتحقيق : ماريا لوسيا أبيلا – و«لويس مولينا» – المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – معهد التعاون مع العالم العربي – مدريد: 1992م – كما حققه : خالد السقاط تقدم به لنيل دبلوم الدراسات العليا – شعبة اللغة العربية وآدابها – تخصص أدب مغربي أندلسي: جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس بتاريخ: 1992/5/6. وهو مرقون بمكتبة الجامعة المذكورة تحت عدد 622.

يقول في مقدمته: «وما كان فيه عن محمد، دون أن ينسب، فهو محمد بن حارث القروي، أخذته من كتابه وبعضه بخطه»، وليس صحيحا أن أقدم كتاب في التراجم كتاب ابن الفرضي، كما قال بعض الباحثين.(155)

وفي جذوة المقتبس ما يفيد أنه من مصادر أبي سعيد بن يونس في تاريخه كذلك.(156)

32 – «قضاة قرطبة»(157) لمحمد بن حارث الخشني.

33 – «كتاب المولد والوفاة»(158) للخشني كذلك.

34 – «طبقات علماء إفريقية»(159) للخشني وهو تكملة لطبقات علماء إفريقية وتونس، لأبي العرب التميمي.

35 – «الرواة عن مالك»(160) لمحمد بن حارث الخشني.

36 – «كتاب في تسمية الرجال، الذين كتب عنهم»(161) عبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن الزامر القرطبي (ت369هـ).

قال ابن الفرضي: «وقد رأيت تسمية الرجال الذين كتب عنهم بالأندلس والمشرق، فكان عددهم زائدا على الأربعمائة، وقل ما كتبت بالأندلس عن أحد إلا وقد كتب عنه.(162)

37 – «طبقات المحدثين»(163) لأبي زكرياء يحيى بن مالك بن عائد (ت375هـ).

---

155) تاريخ علماء الأندلس : 1/9 – وانظر : أبو الوليد ابن الفرضي القرطبي : 1/63 – المدرسة المغربية في الجرح والتعديل : 57.

156) جذوة المقتبس : 1/94.

157) انظر منه : طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة : 1966م.

158) ترتيب المدارك : 6/267.

159) مطبوع.

160) ترتيب المدارك : 6/267.

161) تاريخ علماء الأندلس : 1/307.

162) تاريخ علماء الأندلس : 1/307.

163) نفسه : 1/191.

38 – «برنامج»(164) حفيل في شيوخ أبي عمر أحمد بن عبد الرحمن العبسي (ت379هـ).

39 – «كتاب الرواة من قريش»(165) لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج (ت380هـ).

نقل عنه ابن بشكوال في الصلة في ترجمة : ذوالة بن حفص بن أبي العص (ت339هـ) فقال: «ذكره القاضي أبو عبد الله بن مفرج في كتاب الرواة من قريش وقال: روى عن بقي ابن مخلد، ومحمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني، ومطرف بن قيس، وعبد الله بن يحيى، وكان يضعف في روايته، ولد سنة سبع وخمسين ومائتين، وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة».(166)

40 – «تبويب كتاب الأسماء والكنى للنسائي»(167) لأبي عبد الله بن مفرج أيضا.

41 – «الرواة عن مالك»(168) لابن مفرج أيضا.

42 – «كتاب مختصر»(169) لابن مفرج كذلك، جمعه للحكم المستنصر بالله، وهو من مصادر ابن الفرضي في تاريخه، قال في ترجمة عبد الرحمن بن موسى: «ذكره محمد بن أحمد في الكتاب المجموع للمستنصر بالله رحمه الله».(170)

---

164) الصلة : 8/1.

165) نفسه : 184/1.

166) نفسه والجزء والصفحة.

167) فهرسة ابت خير : 214.

168) تاريخ علماء الأندلس : 6/2.

169) نفسه : 10/1.

170) نفسه : 300/1 ع 779.

43 – «التاريخ»(171) لإسماعيل بن إسحاق المعروف بابن الطحان (ت384هـ).

44 – «فهرسة عباس بن أصبغ الحجاري»(172) (ت386هـ).

45 – «تأليف جمع فيه كلام أبي زكرياء يحيى بن معين»(173) لمحمد بن إبراهيم بن سعد ابن أبي القراميد (ت391هـ).

46 – «أسماء المعروفين بالكنى من الصحابة والتابعين وسائر المحدثين»(174) لأبي القاسم خلف ابن قاسم بن سهل القرطبي (ت393هـ).

47 – «اختصار كتاب الأسماء والكنى للنسائي»(175) لأبي زكرياء يحيى بن محمد بن وهب بن مسرة بن مفرج الفرجي (ت394هـ).

48 – «جزء فيه تسمية شيوخ أبي عبد الرحمن النسائي»(176) جمع أبي محمد عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن أسد الجهني (ت395هـ).

القرن الخامس الهجري :

49 – «تاريخ أبي إسحاق إبراهيم بن شنظير الأموي(177) (ت402هـ).

50 – «المصابيح في فضائل الصحابة»(178) لأبي المطرف عبد الرحمن بن فطيس (ت402هـ).

51 – «فضائل التابعين»(179) لابن فطيس أيضا.

---

(171) نفسه : 1/9 – 1/82.
(172) فهرسة بن خير : 435.
(173) جذوة المقتبس : 1/79.
(174) بغية الملتمس : 196.
(175) الصلة : 2/660.
(176) فهرسة بن خير : 221.
(177) الصلة : 1/3.
(178) الصلة : 1/312.
(179) نفسه والجزء والصفحة.

52 – «كتاب الإخوة من المحدثين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين» لابن فطيس.(180)

53 – «المؤتلف والمختلف»(181) لأبي الوليد عبد الله بن يوسف بن الفرضي (ت403هـ) قال أبو محمد بن حزم: «لا أعلم مثله في فنه البتة»(182) ورجع إليه ابن عبد الملك المراكشي في تحقيق ضبط «اسم عزيز بن محمد اللخمي» لما وقع فيه من خلاف، فقال: «ولكن أبا الوليد بن الفرضي»، قيده في كتابه : «المؤتلف والمختلف» بما رفع الخلاف، وقطع النزاع، وهو المقنع في ذلك فقال ما نصه: «وعزيز – بضم العين وفتح الزاي – عزيز بن محمد اللخمي أبو هريرة أندلسي من أهل مالقة حدث عن غير واحد من أهل بلده، روى عن بكر بن حماد، وقد وهم فيه عبد الغني فذكره بفتح العين».(183)

54 – «مشتبه النسبة»(184) أو «المتشابه في أسماء الرواة وكناهم وأنسابهم»(185) لابن الفرضي أيضا بالاسم الأول: ذكره كل من ابن بشكوال في الصلة، وفي غوامض الأسماء المبهمة، والحميدي في الجذوة، وبالاسم الثاني، ذكره ابن خير في فهرسته.

نقل عنه ابن بشكوال في الرجل المذكور في حديث أبي هريرة: «جاء رجل إلى رسول اللهﷺ، فقال: يا رسول الله: إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول اللهﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته».(186)

---

180) نفسه والجزء والصفحة.

181) الصلة : 1/352 – الذيل والتكملة : 5/147.

182) رسائل ابن حزم : 2/180.

183) الذيل والتكملة : 5/147.

184) الصلة : 1/252 – غوامض الأسماء المبهمة : 2/556.

185) فهرسة ابن خير : 218.

186) رواه مالك : في الموطأ : 1/22 ك 2 ب 3 ح 12.

«الرجل المذكور، هو عبد العركي، ذكره أبو الوليد بن الفرضي، وأخبرني به غير واحد من شيوخي، عن أبي عمر النمري الحافظ، عن أبي الوليد، ذكره في كتاب «مشتبه النسبة من تأليفه».(187)

55 – «كتاب الألقاب»(188) لابن الفرضي كذلك.

56 – «تاريخ علماء الأندلس»(189) لابن الفرضي كذلك، بهذا الاسم اشتهر، وبه ذكره ابن بشكوال، وذكره الحميدي والضبي وغيرهما باسم، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس.

57 – «التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء»(190) لأبي عبد الله محمد بن يحيى ابن الحذاء القرطبي (ت416هـ).

58 – «الخطب والخطباء»(191) لأبي عبد الله ابن الحذاء أيضا.

59 – «فهرسة»(192) أبي عبد الله بن الحذاء.

60 – «كتاب الاحتفال في علماء الأندلس»(193) لأبي عمر أحمد بن عفيف (ت420هـ).

61 – «مختصر في أخبار القضاة والفقهاء»(194) لأبي عمر أحمد بن عفيف أيضا.

---

187) غوامض الأسماء المبهمة : 2/556.

188) طبع ملحقا بكتاب «أبو الوليد ابن الفرضي القرطبي للأستاذ أحمد اليزيدي : 2/185 – 326 – مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : 1415هـ – 1995م.

189) مطبوع : طبعة مدريد : 1890 / طبعة العطار 1954 وعليه اعتمدت في هذا البحث وهو بعنوان: تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس / طبعة تراثنا: 1966م.

190) سيأتي الحديث عنه مفصلا في الباب الثاني من هذا البحث، كما سيأتي نصه محققا بعد ذلك.

191) ترتيب المدارك : 8/7 – الصلة : 2/507 – الوافي بالوفيات : 1/53.

192) الغنية : 228 – فهرسة ابن خير: 242.

193) ترتيب المدارك : 8/9.

194) الصلة : 1/39.

62 – «كتاب الطبقات»(195) لأبي بكر عتيق بن خلف التجيبي (ت422هـ).

63 – «كتاب الافتخار بمناقب شيوخ القيروان، وما تعلق بهم من تاريخ فقهاء الأمصار»،(196) لأبي بكر عتيق بن خلف التجيبي، ابتدأ فيه من سنة 161هـ وانتهى إلى سنة 407هـ.

64 – «فضائل الأنصار»(197) لأبي الوليد يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث الأنصاري الأندلسي المعروف بابن الصفار (ت429هـ).

65 – «كتاب المعمرين»(198) ليونس بن الصفار أيضا.

66 – «رجال الموطأ»(199) لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت429هـ).

67 – «فهرسة»(200) أبي عمر الطلمنكي.

68 – «فهرسة أبي عمران الفاسي وروايته»(201) لأبي عمران الفاسي (ت430هـ).

69 – «كتاب الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء»،(199) لأبي بكر الحسن بن محمد بن مفرج المعافري القبشي توفي بعد 430هـ).

70 – تسمية الرجال الذين لقيهم(202) أبو عمر أحمد بن محمد ابن مهدي الكلاعي المقرئ (ت432هـ).

---

195) انظر : مقدمة محقق. رياض النفوس : 1/16م.

196) نفسه : 1/16 – وانظر : مفاخر البربر : 203 – 204.

197) ترتيب المدارك : 8/19.

198) نفسه : 8/19.

199) نفسه : 8/33.

200) نفسه الجزء والصفحة.

201) الغنية : 228.

202) فهرسة ابن خير : 430 – الصلة : 1/137 – تاريخ قضاة الأندلس للبناهي: 78.

71 – «كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم، وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم»(203) لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت438هـ).

72 – «مناقب أبي الحسن القابسي»(204) لأبي بكر المالكي أيضا.

73 – «شيوخ الرواية»(205) لأبي عمرو السفاقسي (ت440هـ).

74 – «برنامج»(206) حكم بن محمد بن حكم بن محمد الجذامي، المعروف بابن أفرانك قرطبي (ت447هـ).

75 – «الاستذكار»(207) برنامج أبي عبد الله الخولاني (ت448هـ).

76 – «استدراك على تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي»(208) لأبي بكر محمد بن أحمد المهلبي (ت450هـ).

77 – «تسمية شيوخ مالك»(209) لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت456هـ).

78 – «رسالة في المفاضلة بين الصحابة»(210) لأبي محمد بن حزم كذلك.

79 – «أصحاب الفتيا من الصحابة»(211) لأبي محمد بن حزم كذلك.

80 – «كتاب في تسمية شيوخه وما سمعه منهم» لأبي الوليد محمد بن جهور (ت462هـ).(212)

---

(203) الصلة : 1/4 – 48.

(204) مطبوع وقد اعتمده هذا البحث.

(205) انظر : مقدمة رياض النفوس : 18م.

(206) الذيل والتكملة : 4/183.

(207) التكملة : 1/19 ع 37 تحقيق العطار.

(208) نفسه : 1/218.

(209) التكملة : 1/391 – الذيل والتكملة : 6/37.

(210) سير أعلام النبلاء للذهبي : 18/197.

(211) مطبوع.

(212) مطبوع.

81 – «الاستيعاب في معرفة الصحابة»(213) لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت463هـ).

82 – «كتاب أسماء المعروفين بالكنى»(214) لابن عبد البر.

83 – «كتاب الانباه على قبائل الرواة»(216) لابن عبد البر.

84 – «فهرسة أبي عمر بن عبد البر»(217) لابن عبد البر.

85 – «كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»(218) لابن عبد البر.

86 – «كتاب التقصي في معرفة شيوخ مالك بن أنس في الموطأ وذكر أحاديثه»،(219) لابن عبد البر.

87 – «كتاب تسمية رجاله الذين لقيهم»(220) لأبي المطرف عبد الرحمن بن محمد الطليطلي (ت465هـ).

88 – «كتاب الرجال الذين لقيهم»(221) أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء القرطبي (ت467هـ) وهو من مصادر ابن بشكوال في الصلة.

89 – «التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح»(222) لأبي الوليد الباجي (ت474هـ).

90 – «فهرسة»(223) أبي الوليد الباجي.

91 – «تهذيب المؤتلف والمختلف لمحمد بن حبيب»(224) لأبي عبيد الله بن عبد العزيز البكري (ت487هـ).

---

(213) الصلة : 2/547.
(214) مطبوع.
(215) ترتيب المدارك : 8/129 مطبوع.
(216) نفسه – مطبوع.
(217) الغنية : 228.
(218) مطبوع.
(219) مطبوع.
(220) الصلة : 2/515.
(221) نفسه : 2/409.
(222) مطبوع.
(223) الغنية : 228.
(224) فهرسة ابن خير : 219.

92 – «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر»(225) لأبي عبد الله الحميدي(ت488هـ).

93 – «كتاب في تاريخ فقهاء طليطلة وقضاتها»(226) لأبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مطاهر الأنصاري (ت489هـ) وهو من مصادر ابن بشكوال في الصلة.

94 – «تقييد المهمل وتمييز المشكل لضبط ما يقع فيه اللبس من رجال الصحيحين»(227) لأبي علي الغساني (ت498هـ).

95 – «التعريف بشيوخ البخاري»(228) لأبي علي الغساني.

96 – «ما ائتلف خطه واختلف لفظه من أسماء رواة الصحيحين»(229) لأبي علي الغساني.

97 – «أسماء رجال سنن أبي داود»(230) لأبي علي الغساني.

98 – «ذيل الاستيعاب»(231) لأبي علي الغساني.

99 – «كتاب رجاله الذين لقيهم»(232) لأبي علي الغساني.

100 – «جزء منتخب من تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي»(233) انتخاب أبي الغساني.

---

225) مطبوع.

226) الصلة : 70/1.

227) الغنية : 138 – الصلة : 143/1 – فهرسة ابن خير : 220. وقد طبع.

228) عبد العزيز بن عبد الله / معلمة القرآن والحديث : 164 – 165.

229) ذكره الكتاني في الرسالة المستظرفة وهو تقييد المهمل المذكور قبله.

230) الاعلان بالتوبيخ : 116 – الرسالة المستظرفة : 208 وانظر: – فهرسة ابن خير: 221.

231) انظر : أسد الغابة : 10/1.

232) الصلة : 546/2 – فهرسة ابن خير : 425.

233) فهرسة ابن خير : 220.

الباب الثاني

أبو عبد الله ابن الحذاء

بين يدي مصادر ومراجع الترجمة :

بعد عملية طويلة من البحث، عن كل ما يتعلق بأبي عبد الله محمد بن يحيى ابن الحذاء، تجمع لدي، كم لا بأس به من المصادر والمراجع، التي تعرضت للمترجم من قريب أو بعيد، والتي على أساسها، يقوم بناء هذه الترجمة.

لقد تتبع هذا البحث عدة مظان، من أجل العثور، على المواد التي تشكلت منها في النهاية، ترجمة ابن الحذاء، بشكل لم يسبق له مثيل.

وهذه المصادر والمراجع متنوعة، من حيث الحقول الذي تنتمي إليها، أو الأهداف التي ترمي إليها، ومن ثم كان منها ما هو غير مباشر، ويدخل تحته ما كتبه المترجم نفسه، وما أملاه وأجاز روايته عنه، كما تدخل تحته فهارس العلماء وأسانيدهم، وكتب التاريخ المتعلقة بعصر المترجم، وكل ما وردت فيه إشارة إليه من كتب مختلفة.

ومن هذه المصادر والمراجع، ما هو مباشر، وتنضوي تحته أساسا كتب التراجم على اختلاف أهدافها ومراميها، مما يبرز مختلف اهتمامات الرجل وعطاءاته.

ثم إن هذه المصادر والمراجع – مجتمعة – تسجل من خلال ترتيبها الزمني، مدى اهتمام العلماء بالرجال، وكيف نظرت إليه الأجيال المتعاقبة من عصره إلى اليوم.

وبعد، فهذه إطلالة عامة على مصادر ومراجع ترجمة أبي عبد الله ابن الحذاء، مرتبة ترتيبا زمنيا :

1 – التعريف بمن ذكر في موطأ مالك من الرجال والنساء،(1) لأبي عبد الله محمد بن يحيى التميمي المعروف بابن الحذاء (ت416هـ).

---

1) مخطوط : وسيأتي الحديث عنه مفصلا في الدراسة وكذلك في تحقيق النص.

وتكمن قيمة هذا المصدر، فيما تضمنه من معلومات، ذات قيمة كبرى، فيما يتصل ببعض شيوخ ابن الحذاء، وطريقة التحمل التي روى بها عنهم، مما جلى كثيرا من اللبس الذي أحاط ببعض شيوخ المترجم، كما تحدثت عنهم المصادر المباشرة.

2 – جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس(2) لأبي عبد الله الحميدي (ت488هـ) وهو أقدم المصادر المباشرة التي بين أيدينا اليوم، وعلى الرغم من أن ترجمته لابن الحذاء لا تتجاوز سطرين، فإنها مع ذلك غنية بإيحاءات ذات قيمة علمية مهمة، لما عرف من أن الحميدي، إنما ألف كتابه هذا بالمشرق، اعتمادا على الذاكرة، وأهم إيحاءات الترجمة، اهتمامها بالتكوين الحديثي للمترجم، كما يفصح عن ذلك النص على رحلته، وذكر اثنين من أجل شيوخه في المجال الحديثي، ثم ذكر أبرز تلامذته الحافظ أبي عمر ابن عبد البر النمري.

3 – فهرسة القاضي عبد الحق ابن عطية الأندلسي(3) (ت542هـ).

4 – الغنية(4) للقاضي أبي الفضل عياض (ت544هـ) في أسماء شيوخه.

5 – مشارق الأنوار على صحاح الاثار»(5) للقاضي عياض. وقد تعرض فيه لنسب ابن الحذاء، في فصل مشكل الأسماء والكنى في حرف الحاء، كما ذكره كثيرا في عدة ألفاظ، وأسماء، باعتباره أحد رواة صحيح مسلم.

6 – ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض كذلك، وفيه نعثر على أول ترجمة موسعة عن ابن الحذاء فيما بين أيدينا من مصادر.

---

2) جذوة المقتبس : 1/161 ع 167.

3) فهرسة ابن عطية : 81 – 82 – 85 – 88 – 130.

4) الغنية : 36 – 229. الصلة : 2/505 ع 1103.

5) مشارق الأنوار : 2/125 الطبعة المغربية. الغنية : 36 – 229.

وقد اعتمد عياض في هذه الترجمة – فيما اعتمد عليه – مصادر، كتبها بعض معاصري ابن الحذاء وهم : ابن عفيف (ت420هـ)، أبو عبد الله الخولاني (ت448هـ)، أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيى ابن الحذاء (ت467هـ).

وإلى جانب ذلك، نقل عياض، عن بعض كتب أبي عبد الله بن الحذاء نفسه، إما تصريحا بأسمائها، كما هو الشأن بالنسبة لكتابي «الخطب والخطباء» و«البشري في تعبير الرؤيا» أو دون ذكر المصدر، كما هو الشأن بالنسبة لعدة تراجم نقل فيها عن ابن الحذاء.

7 – فهرسة ابن خير الاشبيلي(6) (ت575هـ) فيما رواه عن شيوخه.

8 – كتاب الصلة(7) لأبي القاسم ابن بشكوال (ت578هـ)، وفيه توجد ثاني أوسع ترجمة لابن الحذاء، بعد ترجمة ترتيب المدارك، بل إنها تغنيها وتتكامل معها.

وقد اعتمد ابن بشكوال في هذه الترجمة – فيما اعتمد عليه – مصدرين كتبهما من رجال القرن الخامس أبو عمر ابن الحذاء (ت467هـ) وأبو علي الغساني (ت498هـ).

9 – غوامض الأسماء المبهمة(8) لأبي القاسم بن بشكوال، وفيه روايات كثيرة للمؤلف، رواها بسنده إلى ابن الحذاء أو من طريقه، تتعلق بعدة أسماء مبهمة.

10 – بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس(9) لأحمد بن يحيى الضبي (ت599هـ).

6) فهرسة ابن خير : 53 – 93 – 102 – 242 – 227 وغير ذلك كثير.

7) الصلة : 505/2 ع 1103.

8) غوامض الأسماء المبهمة : (73/1, 85, 419) (723/2, 807, 875 وغيرها.

9) بغية الملتمس : 146 ع 319.

11 – إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)(10) لياقوت الحموي (ت626هـ).

12 – صيانة صحيح مسلم من الاخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط لأبي عمرو ابن الصلاح (ت643هـ).(11)

13 – صحيح مسلم بشرح النووي(12) لمحي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676هـ).

14 – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب(13) لابن عذاري المراكشي (ت695هـ).

15 – سير أعلام النبلاء(14) لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ).

16 – العبر في خبر من غبر(15) لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

17 – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام(16) لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

18 – الوافي بالوفيات(17) لصلاح الدين خليل أيبك الصفدي (ت764هـ).

---

10) معجم الأدباء : 19/108 ع 31. بغية الملتمس : 146 ع 319.
11) صيانة صحيح مسلم : 109.
12) صحيح مسلم بشرح النووي : 1/11.
13) البيان المغرب : 3/66.
14) سير أعلام النبلاء : 17/444 ع 298.
15) العبر : 3/122.
16) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام حوادث وفيات 411هـ – 420 ص 409.
17) الوافي بالوفيات : 5/196 ع 2250.

19 – عيون التواريخ(18) لمحمد بن شاكر بن أحمد عبد الرحمن الكتبي (764هـ).

20 – مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان،(19) لأبي محمد عبد الله بن سعد بن علي اليمني اليافعي المكي (ت768هـ).

21 – أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام(20) للسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ).

22 – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب(21) لإبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري (ت799هـ).

23 – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهر(22) لابن تغري بردي الاتابكي (ت874هـ).

24 – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون(23) لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ).

25 – شذرات الذهب في أخبار من ذهب(24) لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت1089هـ).

26 – طبقات المالكية(25) لمجهول من القرن 11هـ.

---

18) عيون التواريخ : 12/80/1.

19) مرآة الجنان : 3/29.

20) أعمال الاعلام : 55.

21) الديباج : 272.

22) النجوم الزاهرة : 4/264.

23) كشف الظنون : 1/246.

24) شذرات الذهب : 3/206.

25) طبقات المالكية : الورقة 116 ظ ع 274.

27 – هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين(26) لإسماعيل باشا البغدادي (ت1339هـ).

28 – الرسالة المستطرفة لبيان كتب السنة المشرف(27) لمحمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ).

29 – شجرة النور الزكية في طبقات المالكية(28) لمحمد بن محمد مخلوف التونسي.

30 – الاعلام(29) قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لخير الدين الزركلي (ت1396هـ).

31 – معجم المؤلفين(30) تراجم مصنفي الكتب العربية لعمر رضا كحالة.

32 – تاريخ الفكر الأندلسي(31) أنخل بالنثيا تعريب : د. حسين مؤنس.

33 – تاريخ التراث العربي(32) للدكتور فؤاد سزكين.

وغير ذلك.

---

26) الرسالة المستطرفة : 209.

27) هدية العارفين : 2/63.

28) شجرة النور الزكية : 112 ع 300.

29) الاعلام : 7/136.

30) معجم المؤلفين : 12/99.

31) تاريخ الفكر الأندلسي : 12.

32) تاريخ التراث العربي : 3/177 ع 33.

تمهيد :

عصر أبي عبد الله ابن الحذاء

عاش أبو عبد الله ابن الحذاء، في ظل ظروف سياسية واجتماعية وثقافية متباينة، عرفت الأندلس خلالها أوج عظمتها ووحدتها واستقرارها، كما عرفت بداية انحدارها وتمزقها، وفي كلا الحالين، كان المترجم قريبا من الأحداث، مؤثرا فيها، متأثرا بها، حسب المواقع التي احتلها في مجتمعه.

لقد مرت الأندلس عصر ابن الحذاء بتحولات حاسمة، أعرض لأهمها في هذا الموجز، مركزا أساسا على الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية بالقدر الذي يغني الترجمة، دون التوغل في التفاصيل:

أولا : الحياة السياسية :

مرت الأندلس خلال هذا العصر، بثلاث فترات سياسية هي :

أ – **مرحلة الخلافة** : وتعني بالذات فترة الخلافة الأموية الآخذة بزمام الأمور، وتبتديء من تاريخ إعلان عبد الرحمن الناصر، تسميته بأمير المومنين سنة 316هـ.(1) وتنتهي عمليا بوفاة الحكم المستنصر بالله سنة 366هـ.

وكان عبد الرحمن الناصر، قد ورث عن سلفه، أوضاعا سياسية خطيرة، هددت البلاد كلها، من جراء ما ساد بين مختلف العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، ومن فتن وأطماع في السلطة، مما أدى إلى تمزق البلاد، وشق عصا الطاعة على الأمير في قرطبة، وظهور متغلب في كل جهة.(2)

---

1) جذوة المقتبس للحميدي : 42/1.

2) نفسه

لكن شجاعة عبد الرحمن الناصر وصرامته، أمدتاه بقوة جبارة، لم تلن أو تتراجع، على مدى خمسة وعشرين عاما من ولايته،(3) دانت له بعدها الأندلس من أقصاها إلى أقصاها، وغدا ثاني أعظم ملوك الأندلس بعد عبد الرحمن الداخل.

وبعد أكثر من خمسين عاما من الحكم، توفي عبد الرحمن الناصر سنة (350هـ)(4) ليخلفه ابنه الحكم المستنصر بالله، وقد جاوز السابعة والأربعين من عمره،(5) وكان أبوه قدآثره بولاية العهد منذ طفولته، الشيء الذي أثار حفيظة أخيه عبد الله، فدبر مؤامرة للإطاحة بوالده الناصر، انتقاما منه لخصه الحكم بولاية العهد وحده، وحالفه على ذلك بعض رجال الدولة وفي طليعتهم ياسر الفتى الخصي(6) لكن المحاولة باءت بالفشل وكان مصير عبد الله وأصحابه الإعلام.(7)

وعندما اعتلى الحكم المستنصر بالله العرش، استطاع منذ البداية كسب حب الرعية، وقد اتفق كثير من المؤرخين، على أن الحكم كان حسن السيرة، وأن عهده كان عهد تقدم واستقرار.(8)

وبقدر ما كان الحكم حليما رفيقا، غايته نشر الأمن والرخاء في البلاد، وبالتالي إسعاد مواطنيه ونيل إعجابهم ورضاهم، بقدر ما كان صارما قاسيا على المستبدين من العمال، والمتلاعبين منهم بما اؤتمنوا عليه، يحاسبهم أشد الحساب، وينزل بهم أقسى العقاب.(9)

---

3) نفسه

4) تاريخ علماء الأندلس : 15/1.

5) نفسه 15/1 جذوة المقتبس : 43/1.

6) تاريخ العبر لابن خلدون : 311/4.

7)طبقات الشافعية : 230/2. انظر : المقتبس لابن حيان : 86, 105 ـ 106 تحقيق حجي.

8) أنظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم : 100/ المقتبس لابن حيان : 23 تحقيق حجي / جذوة المقتبس 43/1/ بغية الملتمس : 18/ وانظر الذخيرة : 57/1/4. / نفح الطيب : 395.

9) انظر : المقتبس لابن حيان : 86, 105 ـ 106 تحقيق بن حجر.

وظل الحكم، مدة خلافته مواصلا لغزو الروم، ومن خالفه من المحاربين، ولما أحس بقرب نهايته، عهد لابنه هشام، الشيء الذي أخذ عليه، لتقديمه ابنه الصبي على الأكفاء من أعمامه.(10)

وفي الثالث من صفر سنة (366هـ) توفي الحكم،(11) وبموته تطوى صفحة مشرقة من تاريخ العرب والمسلمين بالأندلس.

ب – مرحلة الاستبداد العامري :

آثرت هذه التسمية على ما اختاره بعض المؤرخين، كابن حيان الذي أطلق عليها اسم الدولة العامرية،(12) وذلك لأن دولة بني مروان كانت ما تزال – إذ ذاك – قائمة، والخليفة الشرعي حيا يرزق، وإن كان مغلوبا على أمره كما قال الشاعر:

أليس من العجائب أن مثلي
يرى ما قل ممتنعا عليه
وتملك باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شيء في يديه(13)

وكان محمد بن أبي عامر، قد عول – فعلا – على أن يتسمى بالخلافة واستدعى للمشورة في ذلك جماعة من خواصه، ومن الفقهاء، فمنهم من صوب له ذلك، كابن عياش، وابن فطيس، ومنهم من عارض ذلك، كالقاضي ابن زرب، ومنهم من اعتدل، كوالد ابن حزم الظاهري، وابن المكوي الذي

---

10)الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : 4/1/57 ـ البيان المغرب : 2/249.

11) تاريخ علماء الأندلس : 1/ 15 ـ المعجب : 45.

12) انظر : أعمال الاعلام لابن الخطيب : 48 ـ مجلة المناهل ع 29 ص 330 (تصدرها وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب).

13) البيان المغرب : 2/280 . أنظر : أعمال الاعلام لابن الخطيب : 48 ـ مجلة المناهل ع 29 ص 330 (تصدرها وزارة الشؤون الثقافية بالمغرب).

قال له: أنت الكل، وكل شيء بيدك، وإنما يرغب في الأسماء، من لا يحقق، والمدار على الحقيقة هي بيدك...(14)

وكان الخلاف قد ثار بشدة عقب وفاة الحكم مباشرة حول من يخلفه، فبينما يرى الحاجب جعفر المصحفي، والوزير ابن أبي عامر، التشبث بولي العهد هشام بن الحكم، كان الفتيان صقالبة القصر، وعلى رأسهم جؤذر وفائق، يرون إبعاد هشام لصغر سنه، ومبايعة عمه المغيرة ابن عبد الرحمن الناصر.

وقد استطاع ابن أبي عامر باتفاق مع المصحفي، كسب الرهان، والقضاء المبرم على حلم الفتيان الصقالبة، وذلك بقتل مرشحهم المغيرة وتشريدهم من القصر، وبالتالي تنصيب هشام المؤيد بالله خليفة.(15)

وكان لأم هشام «صبح» دور كبير في تمكين أبي عامر من تحقيق أحلامه(16) ويقول قائلون على حد تعبير ابن حزم: إن أم هشام المؤيد استحلها ابن أبي عامر بنكاح سر»(17)

لكن المنصور، لم يرتح له بال أو يغمض له جفن، إلا بعد أن تخلص من جميع منافسيه فقضى على المصحفي، بعد أن أذله، ثم سجنه بالمطبق، إلى أن مات بالزهراء في ظروف مأساوية.(18)

وتنكر لصبح واتهمها بتبذير الأموال ذات اليمين، وذات الشمال،(19) كما تخلص من القائد غالب الناصر وأمير الثغور، وكانت ابنته أسماء تحت

14) رسائل ابن حزم : 2/86 . البيان المغرب : 2/280.

15) انظر : رسائل ابن حزم : 2/91 ـ الذخيرة من محاسن أهل الجزيرة : 4/1/70 ـ 72.

16) انظر : نفح الطيب : 3/88.

17) رسائل ابن حزم : 2/68.

18) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : 4/1/67 ـ 68.

19) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : 4 / 1 / 70 ـ 72.

المنصور بن أبي عامر،(20) كما قضى على جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلس، والذي استعمله للقضاء على القائد غالب الناصري،(21) وبذلك خلا الجو في آخر المطاف لابن أبي عامر، فتلقب بالمنصور سنة 371هـ، ودعي له على المنابر، وأخذ الوزراء بتقبيل يده، ثم تابعهم بعد ذلك وجوه بني أمية، فساوى بذلك الخليفة نفسه، وقطع من الكتب خاتم المؤيد، واقتصر على خاتمه التبداء من سنة 382هـ، ولم يبق لهشام المؤيد من الأمر شيء.(22)

وعلى الرغم من استبداد المنصور بالأمر دون هشام المؤيد. فإنه قد استطاع أن يحافظ على عظمة الأندلس وقوتها، حيث كانت سياسته امتدادا لسياسة الناصر، والحكم المستنصر في هذا الاتجاه، وإن اختلفت في بعض الأمور الداخلية، كاعتماد المنصور في سياسته على العنصر البربري، والفتيان الصقالبة.(23)

وكان الجهاد ضد الممالك النصرانية في شمال إسبانيا، سبيله لدعم نفوذه وكسب شرعية حكمه وشعبيته بين الناس.(24)

وقد كان دأبه طول مدة حكمه، مواصلة غزو الروم لا يشغله عنه شاغل، خلال ذلك مدة أكثر من خمسين غزوة، كان النصر حليفه فيها كلها، وكان كلما انصرف من غزوة، أمر بجمع ما ينفض من غبار ثيابه ويحتفظ به، فلما حضرته الوفاة، أمر بما اجتمع من ذلك أن ينتر على كفنه إذا وضع في قبره.(25)

20) الذيل والتكملة : لسفر 8 ق 2 ص 479 ع 238.
21) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : 4/1/64.
22) الانيس المطرب بروض القرطاس : 1/179.
23) البيان المغرب : 2/263 - نفح الطيب : 1/293.
24) انظر : الذخيرة لابن يسام : 4/1/62.
25) انظر : المعجب : 60.

وكانت وفاته في آخر غزواته في 27 رمضان 392هـ، ودفن بمدينة سالم،(26) وعندما علم الناس بموته خرجوا يصيحون في الشوارع: مات الجلاب،... مات الجلاب.(27)

وبعد وفاة المنصور بن أبي عامر، خلفه ابنه عبد الملك بن محمد بن أبي عامر الملقب بالمظفر بالله، الذي سار على نهج والده، وحالفته السعود فكانت أيامه كلها أعيادا، نعمت فيها الرعية برغد العيش وسلامة الأموال والأوطان(98) لكن أيامه لم تطل، إذ سرعان ما مات سنة (399هـ)، فخلفه أخوه عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر المعروف بشنجول، الملقب بالناصر، ويبدو أنه كان على غير حكمة وذكاء أبيه وأخيه من قبله، فلم يلبث أن حمل هشاما المؤيد بالله على توليته العهد من بعده، فكان ذلك أول فتيل في الفتنة، يضاف إلى ذلك أن عبد الرحمن شنجول، لم يكن يحظى باحترام الجيش، ولا بحب الشعب، مما هيأ للثورة عليه وبالتالي قتله وصلبه.(29)

ج – مرحلة الفتن والقلاقل :

عرفت هذه المرحلة بداية الفتنة، وانحدار الأندلس بعد عهود القوة والاستقرار، وفي هذا الإطار، نتحدث أولا عن الفتنة، ثم نذكر باختصار أسماء الولاة، الذين تعاقبوا على كرسي الحكم بالأندلس، إلى وفاة أبي عبد الله ابن الحذاء.

تبدأ الفتنة بقيام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر على عبد الرحمن شنجول يوم 1 جمادى الثانية سنة 399هـ.(30)

---

26) انظر : تاريخ قضاة الاندلس : للنباهي : 81 ـ 82.

27) البيان المغرب : 3/ 13.

28) انظر : البيان المغرب : 3/ 3 ـ المعجب : 63/ الذخيرة لابن بسام 4/1/ 78 ـ 79 ـ 85.

29) انظر : البيان لمغرب : 3/ 39 ـ المعجب : 63 .

30) المعجب : 65.

وكان محمد بن هشام هذا الذي تلقب بالمهدي «أشأم خليفة على وجه الدنيا» كما وصفه بذلك ابن عذاري.(31)

لقد عمد إلى الخليفة هشام المؤيد بالله فأخفاه وأشاع بين الناس أنه مات، ثم أظهره بعد وقعة فنتيش يوم الثلاثاء 17 ربيع الأول سنة 400هـ،(32) هذه الوقعة التي قتل فيها من أهل قرطبة، أكثر من عشرين ألف رجل، فيهم خلق كثير من الخيار والفقهاء وأئمة المساجد والمؤذنين،(33) وذلك في الصراع الذي كان يدور بين المهدي، وسليمان بن الحكم الملقب بالمستعين بالله والظافر بحول الله، الذي دخل قرطبة وأخرج منها المهدي، الذي سرعان ما عاد إليها، بعد أن جمع قوته واستجاش بالافرنج، وأتى بهم إلى قرطبة، فخرج إليه سليمان بن الحكم مع البربر، إلى مكان قرب قرطبة يعرف ب «دار البقر»، كانت الدائرة فيها على سليمان والبربر ودخل المهدي قرطبة من جديد(34) لكنه لم يلبث أن خرج إلى قتال سليمان والبربر، وكانوا قد عتوا في الأرض وأفسدوا الحرث وأهلكوا النسل، فكانت الدائرة هذه المرة على المهدي الذي عاد إلى قرطبة ليتحصن بداخلها، لكن العبيد مع واضح الصقلبي قتلوه وأعادوا هشاما إلى كرسي الخلافة يوم ثامن ذي الحجة سنة 400هـ.(35)

لم يهدأ لسليمان بن الحكم بال طوال تلك المدة، إذ ظل يجول بعساكره البربر في بلاده الأندلس، متمادين في إجرامهم وإفسادهم لا يبقون على شيء، إلى أن دخلوا قرطبة أوائل شهر شوال سنة 403هـ، مستعينين بدعم

31) البيان المغرب : 3/74 ـ 75.
32) نفسه : 3/63 ـ 77 ـ الذيل والتكملة : 8/ق2/ 483 ع 247.
33) المعجب : 65 ـ 66.
34) نفسه : 66.
35) نفسه : 66.

قومس قشتالة شانجة بن غرسية بن فرناند، الذي أخذ مقابل ذلك كثيرا من الثغور الإسلامية.(36)

يقول صاحب المعجب : «واتصل ذلك إلى خمس خلون من شوال سنة 403هـ، فدخل البربر مع سليمان قرطبة، وأخلوها من أهلها حاشا المدينة وبعض الربض الشرقي، وقتل هشام المؤيد بن الحكم المستنصر».(37)

كما قتل عدد من العلماء الكبار منهم :

* أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي الحافظ المعروف بابن الفرضي قال ابن حيان: «إنه ممن قتل يوم قرطبة وذلك يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة 403هـ ووري من غير غسل ولا كفن ولا صلاة بمقبرة مؤمرة إلى أيام من قتله(38) وقال ابن عبد البر إنه «بقي في داره ثلاثة أيام مقتولا وحضرت جنازته عفا الله عنه».(39)

ووجد بخط ابن حزم أنه قتل في الدخلة وبقي في مصرعه حتى تغير، وكفنه ابنه في نطع».(40)

* محمد بن قاسم بن محمد الأموي القرطبي المعروف بالجالطي، قتله البربر يوم تغلبهم على قرطبة ني جوف بيته مدافعا عن ولده وأهله وذلك يوم الاثنين لست خلون من شوال سنة 403هـ.(41)

وذكره الخولاني فقال إنه : «قتله البربر عند دخولهم قرطبة في صدر شوال سنة 403هـ فمات شهيدا ووافقته إذ دخلت الربض منصرفا من حومتنا وقد ساقه ابن يعيش إلى المقبرة في فرد باب ودعاني ونبهني عليه

36) نفسه : 67.

37) نفسه : 64.

38) الصلة : 1/253.

39) نفسه : 1/252.

40) الصلة : 1/254.

41) الصلة : 2/491.

فصرت معه إلى قبره، وواريته فيه على غرر وتخوف، لمنع الناس من مواراتهم ودفنهم حينئذ، وفعلت به ما يفعل بالشهداء، ودفنته في ثيابه المختصرة دون غسل ولا صلاة عليه نفعنا الله وإياه.(42)

* عبد الله بن حسين بن إبراهيم بن حسين بن عاصم القرطبي المعروف بابن القربالي، قتله خوارج البربر يوم الاثنين لست أو لسبع خلون من شوال سنة 403هـ كما قال ابن عبد الملك وأضاف: ووري بعد ثلاث من قلته بمقبرة أم سلمة دون غسل ولا كفن ولا صلاة، لشغل الناس بما دهمهم من تغلب البرابر عليهم وفتحهم قرطبة وغاراتهم عليها وسبيهم أهلها.(43)

وآخرون يطول ذكرهم، كما رحل عن قرطبة في غمرة ذلك عدد من العلماء، منهم المترجم أبو عبد الله ابن الحذاء وابنه أبو عمر وكل أهله(44) ومنهم الحافظ أبو عمر بن عبد البر، وأبو الحسن طاهر المالقي(45) وغيرهم كثير.

وبالجملة – على حد تعبير الحافظ الذهبي – فالذي جرى على أهل الأندلس، من جندها البربر، لا يحد ولا يوصف، عملوا ما لم يصنعه كفار الترك وأبلغ، وأحرقوا الزهراء وجامعها وقصورها، وكانت أحسن مدينة في الدنيا وأطراها».(46)

وبعد فهذه أسماء من تعاقبوا على الولاية من بداية الفتنة إلى سنة 416هـ تاريخ وفاة أبي عبد الله ابن الحذاء :

---

42) نفسه : 2/491.

43) الذيل والتكملة : بقية السفر 4 ص 219.

44) انظر : الصلة : 2/507 – 1/63.

45) نفسه : 2/679.

46) سير أعلام النبلاء.

1 – هشام المؤيد بالله بن الحكم المستنصر بالله من 366هـ إلى 6 شوال 403هـ.(47)

2 – محمد بن هشام بن عبد الجبار الملقب بالمهدي من 18 جمادى 2/399هـ إلى 7 ذي الحجة 400هـ.(48)

3 – هشام بن سليمان 5 شوال 399هـ وقتل في اليوم الموالي.(49)

4 – سليمان بن الحكم المستعين بالله والظافر بحول الله من 6 شوال 399هـ إلى شوال 400هـ ثم من 5 شوال 403هـ إلى أواخر المحرم سنة 408هـ.(50)

5 – علي بن حمود الإدريسي من 20 محرم 407هـ إلى 408هـ حيث قتل.(51)

6 – عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر المرتضى 408هـ.(52)

7 – القاسم بن حمود المامون ولي بعد أخيه علي بن حمود وبقي كذلك إلى شهر ربيع الأول سنة 412هـ دخل قرطبة سنة 413هـ وبقي بها إلى 414هـ.(53)

8 – يحيى بن علي بن حمود من 414هـ تسمى بالخلافة سنة 413 ثم فر إلى مالقة سنة 414هـ ثم عاد إلى قرطبة سنة 416هـ وتوفي يوم الأحد 7 محرم 427هـ.(54)

---

47) تاريخ علماء الأندلس : 15/1 – المعجب : 45 وما بعدها.

48) البيان المغرب : 50/3 – المعجب : 64.

49) البيان المغرب : 81/3 – المعجب : 65.

50) انظر : المعجب : 67 – 69.

51) نفسه : 67 وما بعدها.

52) نفسه : 77.

53) نفسه : 78.

54) نفسه : 80 وما بعدها.

وبالجملة ففي هذه الفترة، كان أكثر ما اجتمع في عصر واحد، ممن سلم عليهم بإمرة المومنين. يقول ابن حزم «...آخر المؤيد هشام بن الحكم كان أجتمع فيها أحياء: هشام والمهدي وسليمان والمستظهر والمستكفي والمعتد والمرتضى وعلي والقاسم ويحيى وإدريس ومحمد بن القاسم، وكلهم سلم عليه بامرة المومنين».(55)

ثانيا : **الحياة الاجتماعية** :

تشكلت تركيبة سكان الأندلس، منذ الفتح الإسلامي إلى عصر أبي عبد الله بن الحذاء وما بعده، من عدة عناصر وصلت مع الزمن، إلى سبعة هي: العرب، البربر، الموالي، المولدون، النصارى، اليهود، العبيد، وقد درس عدد من الباحثين المعاصرين المراحل التي مر منها كل عنصر على حدة، عبر تاريخ الأندلس،(56) مما اقتصر منه هنا، على ما له صلة بعصر ابن الحذاء، والافرازات التي أفرزها التعايش بين هذه العناصر، وانعكاسات ذلك على المجتمع.

أ – **العرب** : توافدت على الأندلس أعداد هائلة من العرب، دخلوا في مراحل متتالية، وانتشروا في سائر أرجاء البلاد، واستقروا في المناطق الخصبة على الخصوص، ويذكر المقري، أنهم كانوا ينزلون في عمائر، وقبائل، وبطون، وأفخاذ، إلى أن قطع المنصور بن أبي عامر ذلك، بقصد تشتيتهم، وقطع التحامهم، وتعصبهم في الاعتزاء».(57)

ب – **البربر** : على الرغم من أنهم كانوا إلى جانب العرب، أصحاب الفضل في فتح الأندلس ونشر الإسلام بها، فإن هجرتهم إلى الأندلس،

---

55) رسائل ابن حزم : 2/63.

56) انظر : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس للسيد عبد العزيز سالم: 119 – تاريخ النصارى في الأندلس لعبادة كحيلة : 17.

57) نفح الطيب : 1/293.

تعثرت في بدايتها لأسباب متعددة، ولم تعد إلى جذوتها إلا في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، ثم في عصر المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر.(58)

وظهر البربر في هذا العصر على الساحة، بشكل قوي وبارز، خصوصا في الفتنة التي أودت بعبد الرحمن شنجول ولد المنصور العامري، هذا الأخير الذي جعل من رؤساء البربر قادة في الجيش، يوثق بهم عند اللقاء، ومعترك الوعاء،(59) فكانت النتيجة عكس ما توقع وكانت نهاية حكم أسرته على أيديهم.

لقد وصفت هذه الفتنة بالفتنة البربرية، لأن البربر ساندوا فيها، سليمان المستعين ضد محمد المهدي، ولأنهم كانوا عماد جيوشه، التي قتلت، وأفسدت، ونهبت بشكل فظيع، في بلاد الأندلس، وفي قرطبة على الخصوص، مما تقدمت الإشارة إليه.(60)

وظل البربر بعد ذلك يتدخلون في شؤون الدولة، بل أسسوا دولة في نواح متعددة من الأندلس، في بطليموس، وطليطلة، وغرناطة، ومالقة، والجزيرة.(61)

ج – **المسالمة** : وهم سكان الأندلس الأصليون، الذين أسلموا، واندمجوا في المجتمع، وتمتعوا بكل الحقوق، التي يتمتع بها إخوانهم من المسلمين، عربا كانوا أو غيرهم.(62)

---

58) انظر : أخبار مجموعة : 62 مطمح الأنفس : 389.

59) الذخيرة لابن بسام : 4/81.

60) انظر : البيان المغرب : 3/66.

61) نفسه : 3/135 – نفح الطيب : 2/228.

62) انظر : مجلة «عالم الفكر» المجلد 10 ع2 ص346 (مجلة دورية تصدر عن وزارة الاعلام في الكويت.

ويرى بعض الباحثين، أنه لا فرق بين المسالمة والمولدين، فقد أطلق العرب على من أسلم من أهل الأندلس لفظة مولدين، وعلى أحدثهم إسلاما، مسالمة، كما كان يطلق عليهم أحيانا موال.(63)

في حين ذهب باحثون آخرون إلى التفريق بين المسالمة والمولدين، فالمسالمة هم الذين أسلموا ابتداء، والمولدون هم الذين ولدوا من آباء مسلمين، وأمهات إسبانيات.(64)

وقد عرف هذا العصر زيجات كثيرة من هذا النوع، لم تقتصر على طبقة الملوك والقادة والسادة بل تجاوزتهم إلى كل الطبقات.

ومن أشهر هذه الزيجات زواج الحكم المستنصر بالله من «صبح» أم هشام (ت389هـ)،(65) وهي بشكنسية الأصل،(66) وزواج المنصور بن أبي عامر، ابنة ملك نافار سانشو غرسية، التي أسلمت وتسمت باسم عبدة، وهي أم عبد الرحمن شنجول،(67) وكانت تحدث أحيانا زيجات عكسية، أي زواج المسيحيين بالمسلمات على الرغم من مخالفته لتعاليم الإسلام.(68)

د – **المولدون** : نتج عن الزواج بين العرب المسلمين والمسالمة، جيل جديد من الأبناء، عرفوا باسم المولدين.

وعلى الرغم من أنهم كانوا يعيشون قبل هذا العصر، في عزلة عن المجتمع، ويسعون في كثير من الأحيان إلى الاستقلال عن الدولة، فإنهم قد اندمجوا في هذا العصر، حتى أصبح من الصعب تمييزهم عن غيرهم.(69)

---

63) تاريخ النصارى في الأندلس : 39.

64) نفسه : 39.

65) تاريخ علماء الأندلس : 210/1.

66) انظر : رسائل ابن حزم : 91/1 -- مجلة «عالم الفكر» المجلد 10 ع2 ص347.

67) مجلة «عالم الفكر» المجلد 10 ع2 ص347.

68) نفسه.

69) انظر : تاريخ النصارى في الأندلس : 43.

هـ - أهل الذمة : كانت علاقة المسلمين باليهود في الأندلس، تمتاز بكثير من التسامح، إذ كان اليهود يقيمون في المدن الأندلسية بحي اليهود أو باب اليهود، وامتزج هؤلاء بالمسلمين، فلبسوا اللباس العربي، وتحدثوا اللغة العربية، بل حملوا أسماء عربية، واشتغلوا بالتجارة خصوصا تجارة الرقيق.(70)

ونتيجة لهذه الظروف المريحة، التي عاشها اليهود بالأندلس، دخل عدد كبير منهم إلى الإسلام.(71)

وعلى غرار اليهود، تعاملت الدولة الأندلسية مع نصارى الإسبان، الذين ظلوا يعيشون في أحيائهم جنبا إلى جنب مع المسلمين، ويمارسون دينهم بحرية، وفي أمن وطمأنينة، يقرعون نواقيسهم على ما في ذلك من إزعاج، ويتمتعون بحريتهم، إلى أن حد منها المرابطون، ثم الموحدون فيما بعد.(72)

وعلى الرغم من أنه كانت للأندلسيين، أعياد محلية انفردوا بها، بحكم البيئة،(73) فإنهم شاركوا الأندلسيين المسيحيين أعيادهم، مثل عيد السيد المسيح عليه السلام، وعيد رأس السنة الميلادية يناير.(74)

وكانوا يستعملون شهورا توافق أوائل الشهور المسيحية،(75) ولعل من هذه التقاليد ما نقله ابن بشكوال عن خالد بن سعد قال: حدثت عن شيوخ

---

70) نفسه : 47.

71) نفسه : 49.

72) انظر : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس : للدكتور السيد عبد العزيز سالم : 132 - مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية : 1961م.

73) ابن حيان : المقتبس : 138 تحقيق : مكي (الهامش : الإحالة: 298).

74) انظر : المختار من عالم الفكر : 140.

75) الصلة : 1/37 ع71.

بني قاسم ابن هلال، أنهم كانوا لا توقد نار في بيوتهم ليلة ينير ولا يطبخ عندهم شيء...(76) كما تعلموا الإسبانية.(77)

و – **الموالي** : ينحدر الموالي بالأندلس، من أصول عرقية مختلفة، من العرب، والبربر، والفرس والروم، ومن أهل البلد الأصليين، وقد ألف فيهم الرازي مؤلفا سماه: «كتاب أعيان الموالي بالأندلس».(78)

ويختلف مفهوم الموالي في الأندلس عنه في المشرق، إذ كثير منهم بالأندلس موالي اصطناع وحلف، ومنهم موالي عتاقة أو إنعام بشكل أقل.

وقد قام الموالي بأدوار مهمة، في تاريخ الأندلس السياسي والثقافي، قبل هذا العصر، الذي أصبح فيه دورهم محدودا، باستثناء الصقالبة الذين شاركوا في الأحداث، التي تلت وفاة الحكم المستنصر بالله، ثم في الفتنة البربرية كما تقدم في الحياة السياسية، كما شاركوا في الحركة الشعوبية، ومن النصوص الشاهدة على الشعوبية في الأندلس رسالة أبي عامر أحمد بن غرسية التي خاطب بها أبا جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن سهل الأنصاري الأوسي.(79)

وكانت الأندلس على عهد المنصور بن أبي عامر، تعرف عددا كبير من العبيد أسرى الحرب حتى اشتهر بالجلاب.

يقول عبد الواحد المراكشي : «وملأ المنصور بن أبي عامر الأندلس غنائم وسبيا، من بنات الروم وأولادهم ونسائهم، وفي أيامه تغالى الناس

76) الصلة : 10/1.

77) انظر : المختار من عالم الفكر : 141.

78) ترتيب المدارك : 126/6.

79) انظر : الذيل والتكملة : 33/6.

بالأندلس فيما يجهزون به بناتهم من الثياب والحلي والدور، وذلك لرخص أثمان بنات الروم».(80)

ثالثا : الحياة الثقافية :

ازدهرت الحياة الثقافية، في هذا العصر، منذ عهد الخليفة الأموي : عبد الرحمن الناصر، الذي ندب ولي عهده الحكم، للقيام بمهمة رعاية العلوم والفنون والآداب في الأندلس، وسار المنصور بن أبي عامر – مدة حكمه – على نفس المنوال في تشجيع الثقافة على جميع المستويات، وكان كما يقول المراكشي : «محبا للعلوم، موثرا للأدب، مفرطا في إكرام من ينسب إلى شيء من ذلك، ويقدر عليه»،(81) وكذلك كان الشأن على عهد خلفه، ابنه المظفر عبد الملك بن المنصور، بينما تأثرت الثقافة – بعد ذلك – بما ثار من فتن، واضطرابات، عادت على الحياة، بكل جوانبها، بأوخم العواقب.(82)

وقد اصطبغت الحياة الثقافية، في عصري الخلافة والاستبداد العامري، بعدة مظاهر من أهمها:

أ – **الاهتمام بالكتب** : يتجلى ذلك في هذا العصر في ثلاثة مظاهر متداخلة :

* اقتناء الكتب من جميع الأقطار الإسلامية :

ويعتبر الحكم المستنصر بالله في هذا الباب، فارس الحلبة، وفي ذلك يقول صاعد الأندلسي (ت466هـ): واستجلب – أي الحكم – «من بغداد ومن مصر وغيرهما من ديار المشرق، عيون التآليف الجليلة، والمصنفات

---

80) المعجب : 60.

81) المعجب : 50.

82) انظر الحياة السياسية قبله.

العربية في العلوم القديمة والحديثة، وجمع منها في بقية أيام أبيه، ثم في مدة ملكه من بعده، ما كاد يضاهي ما جمعه ملوك بني العباس في الأزمان الطويلة».(83)

وقد تولى عمر بن محمد المعروف بابن الرفا (ت380هـ) للحكم أبتياع الكتب والذخائر بالبصرة، فيقال: إنه جرت على يده، من النفقات هناك في هذه الوجوه مقدار ألف وعشرين ألف دينار.(84)

وبلغ من حرص الحكم، على الحصول على آخر ما تثمره الأقلام في المشرق والمغرب، إرساله إلى مؤلفيها صلات من أجل ذلك.(85)

* تشجيع العلماء على التأليف :

حظي العلماء والأدباء في هذا العصر، بكثير من التشجيع والتحفيز من أجل التأليف، خصوصا من قبل الحكم المستنصر بالله، ثم من طرف المنصور ابن أبي عامر.

وقد ألفت للحكم مؤلفات كثيرة جدا من قبل علماء وأدباء مغاربة ومشارقة، يضيق هذا التمهيد عن ذكر أسمائهم،(86) كما فتح خزانته على ضنانته بها، أمام عدد من المؤلفين والمحققين، كما صنع مع الفقيهين أبي بكر المعيطي القرشي، وأبي عمر ابن المكوي، عندما كلفهما بجمع كتاب في رأي مالك.(87)

---

83) صاعد الطبقي : طبقات الأمم : 88.

84) ترتيب المدارك : 7/22 – الصلة : 1/373.

85) انظر : ترتيب المدارك : 5/275 – نفح الطيب : 1/10.

86) انظر : تاريخ علماء الأندلس : (1/155) (2/115) – الصلة : 2/622. الذيل والتكملة : 2/491 وغير ذلك.

87) ترتيب المدارك : 7/119 – 122 / وانظر : تاريخ علماء الأندلس : 1/10. جذوة المقتبس : 1/91 – 94.

* الخزائن والمكتبات :

كان قصر الحكم بقرطبة، يضم خزائن من الكتب يقال : إنها لم تجتمع لأحد من قبله ولا من بعده، إلا ما ذكر عن الناصر العباسي، قدر بعض المؤرخين محتوياتها، بأربعمائة ألف مجلد أو أكثر، اعتمادا على عناوينها.(88)

ومما يدل على ضخامة هذه الخزائن، أنهم لما نقلوها، أقاموا في ذلك ستة أشهر، وعندما أسند المنصور بن أبي عامر، إلى ابن المكوي ومن معه، إعادة ترتيب الخزانة، طالت مدة عملهم في ذلك، حولا كاملا وزيادة.(89)

وكان مصير هذه الخزانة من الكتب، بيع أكثرها في حصار البربر، وما بقي منها انتهب عند دخول البربر قرطبة، واقتحامهم إياها عنوة.(90)

وإلى جانب خزائن الحكم بقرطبة، كانت في مختلف كبريات مدن الأندلس الأخرى، حوالي سبعين مكتبة، منها مكتبة أبي المطرف بن فطيس (ت402هـ).(91)

ب – كثرة الوافدين على الأندلس من العلماء والأدباء :

توافد على الأندلس في هذا العصر، عدد كبير من العلماء والأدباء، من المشرق والمغرب، منهم من وجهت إليه الدعوة من الخليفة أو من ينوب عنه، ومنهم من جاء من تلقاء نفسه، وفي كلا الحالين وجدوا عناية فائقة من المسؤولين المذكورين.

88) التكملة : 1/235 تح : العطار – نفح الطيب : 1/385.
89) ترتيب المدارك : 7/128.
90) نفح الطيب : 1/385 – 386.
91) الصلة : 1/310 – 311.
92) تاريخ علماء الأندلس : 1/83 – 86.

ومن المشاهير الذين وفدوا على الناصر وابنه الحكم : أبو علي القالي البغدادي،(92) وزكرياء بن خطاب الكلبي(93) وأبو الحسن الأنطاكي(94) وغيرهم، ومنهم على عهد المنصور: أبو العلاء صاعد البغدادي.(95)

ج – ازدهار العلوم والآداب والفنون :

كان من نتائج ازدهار الكتاب في هذا العصر، وارتفاع وثيرة الرحلات المتبادلة بين المشرق والمغرب، أن أصبحت الأندلس تعيش عصرها الذهبي، وقمة عطائها العلمي والأدبي، على كل المستويات مما يمكن تلخيصه فيما يلي:

* القرآن وعلومه : وقع الإقبال في هذه الفترة على القراءات بشكل لم يسبق له مثيل، وتنافس الناس في ابتياع المصاحف المتقنة الحسنة الخط.(96)

وأنجبت الأندلس مقرئين عظاما، ومفسرين كبارا مثل: القنازعي،(97) والطلمنكي(98) والمهدوي،(99) ومكي بن أبي طالب،(100) وأبي عمرو الداني(101) وأبي القاسم الخزرجي(102) وغيرهم.

---

93) نفسه : 1/176 – 177.
94) نفسه : 1/361.
95) الصلة : 2/237.
96) انظر : الصلة : 1/5 ع 1.
97) الصلة : 2/322 ع 694.
98) نفسه : 1/44 ع 92.
99) نفسه : 1/86 ع 188.
100) نفسه : 2/631 ع 1390.
101) نفسه : 2/333 ع 710.
102) نفسه : 2/333.

* **الحديث وعلومه** : امتاز هذا العصر بازدهار الحديث وعلومه، بشكل واضح فقد دخل الصحيحان، ولقيا من الأندلسيين عناية فائقة، فرووهما وشرحوهما وفاضلوا بينهما، كما ازداد اهتمامهم بموطأ الإمام مالك، وبغيره من كتب الحديث وعلومه.

وتألق في هذا العهد محدثون كبار، كأبي عمر ابن حزم الصدفي، وابن الباجي، وابن مفرج والأصيلي، وابن فطيس، وابن الفرضي، وأبي عبد الله بن الحذاء وابنه أبي عمر، والطلمنكي وابن حزم الظاهري، وابن عبد البر النمري، وأبي الوليد الباجي، وأبي علي الغسائي وغيرهم من الاعلام.

* **الفقه** : أصبح الفقه في هذه الفترة، مطلوبا لذاته، أو لبلوغ المناصب، أو تقية أحيانا.

وإذا كان بعض العلماء قد وصلوا إلى مراتب عليا في الفقه، بل والاجتهاد، كالاصيلي، وابن حزم الظاهري، وابن عبد البر، والباجي وغيرهم، وإذا كان بعضهم قد جامل المالكية تقية، ويبدو أن ابن الفرضي منهم،(103) فإن كثيرا من الناس طلبوا الفقه للدنيا، لأنه كما روى علي بن سعيد الهواري، الفاسي عن أبي زرعة الرازي: كالتفاح الجبلي يطعم من سنة.(104)

ودرس أبو محمد عبد العزيز التونسي الزاهد (ت486هـ) الفقه بأغمات، ثم تركه لما رأى الناس نالوا بذلك الخطط والعمالات وقال : «صرنا بتعليمنا لهم كبائع السلاح من اللصوص».(105)

---

103) انظر : أبو الوليد ابن الفرضي القرطبي : 1/289.

104) الصلة : 2/430.

105) نفسه : 2/376.

وقد انتقد هذه الطائفة عدد من العلماء إذ ذاك، كمنذر بن سعيد البلوطي، والحافظ ابن عبد البر النمري(106) وغيرهما.

* **اللغة والنحو والأدب** : ازدهرت الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية في هذا العصر كذلك، بصورة لم يتقدم لها نظير، وانجبت الأندلس قمما شامخة في هذه المجالات كعبد الله بن حمود الزبيدي(ت 372هـ) الذي قال له أبو علي الفارسي مرة : «إلى كم تتبعي، والله إن على وجه الأرض انحى منك»(107) وابن القوطية(ت 367هـ) وأبي بكر الزبيدي(108) (ت 379هـ) وأبي عثمان البربري ابن القزاز الملقب بلحية الزبل(109) (ت 315 ـ 400هـ) وغيرهم من أهل اللغة والنحو.

وممن أغنى الدراسات اللغوية، والأدبية بالأندلس، من الوافدين عليها، أبو على القالي البغدادي، الذي نشط الدرس اللغوي بالأندلس، وأسس مدرسة، تخرجت بها أجيال من التلاميذ المباشرين وغير المباشرين.(110)

أما الأدب فهناك أسماء كثيرة منها بعض من ذكر، ومنهم القاضي منذر بن سعيد البلوطي(ت 355هـ) فقد كان خطيبا بليغا شاعرا(111) وأبو عمر يوسف بن هارون القرطبي (ت 403 هـ) شاعر أهل الأندلس المشهور، والمقدم على الشعراء (112)، وعبد الرحمن ابن عبد الله الحضرمي الأديب

---

106) انظر : جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر : 406 – 407.
107) الذيل والتكملة بقية : 4/290 ع375.
108) سيأتي الحديث عنهما ضمن شيوخ ابن الحذاء.
109) الصلة : 1/208 – 210.
110) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : 188/ وانظر : مجلة «عالم الفكر الكويتية» المجلد 12 ص77.
111) تاريخ علماء الأندلس : 2/143.
112) الصلة : 2/674.

الاشبيلي، المعروف بابن شبراق(113)(ت 412هـ)، وأبو عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطي (ت 421هـ)، وكان معدودا في جملة العلماء، والمقدمين من الشعراء. والمذكورين من البلغاء، وشعره كثير(114).

قال ابن حزم : لوقلت إنه لم يكن بالأندلس، أشعر من ابن دراج، لم أبعد «كما قال : لو لم يكن من فحول الشعراء إلا أحمد بن دراج، لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي»(115) وهناك أسماء أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

* **التاريخ** : يأتي في مقدمة المهتمين بالتاريخ في هذا العصر الخليفة الحكم المستنصر بالله، وكان ممن طالع الكتب، ونقر عن أخبار الرجال تنقيرا لم يبلغ فيه شأوه كثير من أهل العلم، وقد نقل عنه العلماء كثيرا من الاخبار والوفيات،(116) ومنهم محمد بن يوسف التاريخي الوراق، وابن القوطية صاحب كتاب افتتاح الاندلس، وابن الفرضي صاحب تاريخ علماء الأندلس وغيرهم...

* **الطب** : وممن برز في هذا المجال : سليمان بن حسان قرطبي أبو أيوب بن جلجل. عني بالطب أتم عناية وهو ابن 14 سنة، وافتى فيه ابن أربع وعشرين. وصنف فيه كتبا جليلة، وجمع كتابا في طبقات الاطباء والحكماء والفلاسفة القدماء والاسلاميين، فرغ منه أوائل 377هـ(117)

* **الكلام والجدل** : لم يكن التعلق بالعلوم النظرية بالأندلس كبيرا في هذا العصر، بل كان الفقهاء يشنون الحرب، على كل من تعلق بهذا العلوم، وأبرز مثال على ذلك - عصر ابن الحذاء - أبو بكر محمد ابن موهب التجيبي

---

113) نفسه : 2/324.

114) جذوة المقتبس : 1/177 – 181.

115) الصلة : 1/40.

116) انظر ترتيب المدارك : 1/22 – تاريخ علماء الأندلس : 1/367.

117) الذيل والتكملة : بقية السفر 4 : ص : 62.

المعروف بالقبري(ت 406هـ)، وهو جد الحافظ أبي الوليد الباجي لأمه. غلب عليه الكلام والجدل على نصرة مذهب أهل السنة. لكن ذلك عرضه لمناهضة فقهاء قرطبة له، خصوصا من لم يتعلق منهم، من العلم بغير الفقه ورواية الحديث(118).

ويمكن حصر أهم القضايا التي كان يثيرها القبري هذا فيما يلي :

1 ـ الكرامات : كان يذهب فيها، مذهب أستاذه أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، في انكار الغلو فيها(112).

2 ـ نبوة النساء : كان يثبتها، ويقول بصحة نبوة مريم عليها السلام(120).

3 ـ بقاء الخضر أبدا : ينكر بقاءه أبد الأبد.

وكان بعض كبار العلماء في صف القبري، كالاصيلي وان خالفه في نبوة النساء(121) غير أن ذلك لم يمنع من نفيه، قبل أن يعفو عنه ابن أبي عامر، ويلزم بيته بقرطبة، ممسكا عن الخوض في مثل هذه الأمور(122).

---

118) ترتيب المدارك : 7/188 وما بعدها – وانظر : الصلة : 2/498.

119) ترتيب المدارك : 7/189.

120) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم : 5/87 وفيه : «قال أبو محمد رضي الله عنه : هذا فصل لا نعلمه حدث التنازع العظيم فيه الا عندنا بقرطبة وفي زماننا، فإن طائفة ذهبت إلى ابطال كون النبوة في النساء جمله، وبدعت من قال ذلك، وذهبت طائفة إلى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة، وذهبت طائفة إلى التوقف في ذلك، وما نعلم للمانعين من دليل حجة أصلا...

121) ترتيب المدارك : 7/141، 190.

122) نفسه : 7/191.

الفصل الأول

حياته

المبحث الأول : هويته :

*** مولده وبلده :**

ولد أبو عبد الله ابن الحذاء، في المحرم من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة (347هـ – 958م)، كما عزا ذلك إلى ابنه أبي عمر، كل من عياض(1) وابن بشكوال،(2) وهو التاريخ الذي اعتمده جل مترجميه.

وقال البغدادي :(3) إنه ولد عام (348هـ/959م) ولم يذكر سنده في ذلك.

وذهب عمر رضا كحالة(4) وتبعه فؤاد سزكين(5) إلى أنه ولد سنة (ت336هـ/947م) والظاهر أنهما اعتمدا في ذلك، قول الذهبي في العبر:(6) إنه عاش ثمانين سنة، وردده ابن العماد في الشذرات.(7)

وهذا أيضا لاسند له، لأن المنقول عن أبي عمر ابن الحذاء، هو أن أباه عاش سبعين عاما.(8)

أما مسقط رأس المترجم، فمدينة قرطبة، بها ولد وبها عاش شطرا كبيرا من حياته، قبل أن يخرج منها، في غمرة الأحداث التي عرفتها قرطبة، أواخر عهد هشام المؤيد، ليستقر بالثغر الأعلى بقية حياته.(9)

---

1) عياض : ترتيب المدارك : 8/8 وفيه أن مولده سنة سبع وأربعين فيما قال ابن عفيف، وقال ابنه سنة سبع في المحرم وأربعين وثلاثمائة.

2) ابن بشكوال : الصلة : 507/2.

3) البغدادي : هدية العارفين : 63/2.

4) كحالة : معجم المؤلفين : 99/12.

5) سزكين : تاريخ التراث العربي 177/3.

6) الذهبي : العبر في خبر من غبر : 123/3.

7) العماد الأصفهاني : شذرات الذهب في أخبار من ذهب : 206/3.

8) ترتيب المدارك : 8/8.

9) انظر : ترتيب المدارك : 7/8 – الصلة : 506/2 وغيرهما.

وبقرطبة عاش أسلافه، منذ أن حل بها داود التميمي، مولى عبد الرحمن الداخل، وكانوا يسكنون في ربض الحذائيين.(10)

وكانت قرطبة على عهد المترجم، من أكبر العواصم الإسلامية، فهي كرسي المملكة، ومركز العلم، ومنار التقى ومحل التعظيم والتقديم، على حد تعبير المقري في نفح الطيب،(11) وقال ابن سارة لما دخلها:

الحمد لله وافيت قرطبة دار العلوم وكرسي السلاطين(12)

وقد شاهد أبو عبد الله ابن الحذاء، أوج عظمة قرطبة على جميع الأصعدة، بالشكل الذي تحدثت عنه المصادر والمراجع بإسهاب كبير، قبل أن تتحول إلى مسرح لأعنف المذابح، ما بين (399 – 403هـ / 1008 – 1012م) ذهب ضحيتها جم غفير من العلماء والأئمة والقراء وعامة الناس، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في العصر.(13)

* اسمه وكنيته :

هو محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي المعروف بابن الحذاء، هكذا ورد اسمه كاملا لدى كل من عياض في ترتيب المدارك(14) وابن بشكوال في الصلة(15) لكن بإسقاط «أحمد» عند عياض.

ويلاحظ أن أكثر الذين ترجموا ابن الحذاء فيما بعد – هم إما مع إثبات «أحمد» كما هو الأمر في الصلة، أو مع إسقاطه كما هو الشأن في ترتيب المدارك.

---

10) ترتيب المدارك : 8/5 وانظر مشارق الأنوار للقاضي عياض كذلك : 2/125.

11) نفح الطيب : 3/214 وانظر : أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري : 2/272.

12) نفسه : 3/216.

13) راجع تمهيد هذا الفصل.

14) ترتيب المدارك : 8/5.

15) الصلة : 2/505.

ومن الذين اقتفوا أثر عياض في هذا الإسقاط، ياقوت في الإرشاد «معجم الأدباء»،(16) وابن فرحون في الديباج(17) وابن الخطيب في أعمال الاعلام،(18) وصاحب كتاب «طبقات المالكية».(19)

وبالرجوع إلى مواطن ذكر أبي عبد الله بن الحذاء عند القاضي عياض، نجده يذكره تارة باسم «أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحذاء الأندلسي»،(20) ويذكره تارة أخرى باسم «محمد بن يحيى بن محمد»(21) ويذكره ثالثة باسم «محمد بن يحيى بن أحمد»(22) فيثبت أحمد جدا لأبي عبد الله بن الحذاء وهو الصحيح، لأن «أحمد» هذا معروف، وهو من تلامذة ابن وضاح القرطبي، وقد ترجمه ابن الفرضي في تاريخه ورفعه إلى داود.(23)

كما أن ابن بشكوال، ترجم في الصلة كلا من «يحيى»(24) والد المترجم و«أحمد»،(25) ولده وفي الترجمتين معا يأتي ذكر «أحمد» جدا لأبي عبد الله بن الحذاء، مما يدفع ذلك الاضطراب الذي وقع في ترتيب المدارك.

أما كنية المترجم فهي «أبو عبد الله»(26) لا خلاف في ذلك، ولم يعرف بسواها.

---

16) معجم الأدباء : 108/19.

17) الديباج : 272.

18) أعمال الاعلام : 55.

19) مجهول : طبقات المالكية : الورقة 116 ظ.

20) مشارق الأنوار : 125/2.

21) ترتيب المدارك : 5/8.

22) نفسه : 429/4 الطبعة اللبنانية.

23) تاريخ علماء الأندلس : 46/1 الترجمة 107.

24) الصلة : 663/2 ع 1455.

25) نفسه : 62/1 ع 133.

26) انظر : ترتيب المدارك : 5/8 – الصلة : 505/2.

* **نسبه :**

ينتسب أبو عبد الله ابن الحذاء إلى بني تميم، وقد ذكر له هذا النسب، جل مترجميه، ومن لم يذكره منهم لم ينكره.(27)

وتميم قبيلة عربية كبيرة، لها شهرة ذائعة في الجاهلية والإسلام، وقام أبناؤها بأدوار طلائعية في مختلف الحقب التاريخية، بالمشرق والمغرب على السواء، وكان منهم كثير من الأعلام المبرزين في الدين والسياسة والفكر والأدب.(28)

وصفها ابن حزم في الجمهرة: بأنها «قاعدة من أكبر قواعد العرب»(29) يرجع نسبها إلى تميم بن مر بن أد بن طانجة، وكان له من الأولاد «الحارث» ويقال لولده: الشقيرات، وهم قليل، و«عمرو» ويقال لولده الحبطات و«زيد مناة» ومنهم بنو الصحصح بالكوفة(30) وتفرع من أبناء تميم عدة بطون، وقد حفظت لنا المصادر أسماء عدد من الأسر التميمية بالأندلس، كالطبنيين بقرطبة، وهم من بني زيد مناة ابن تميم كما في «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم،(31) وقد ترجم كل من ابن الفرضي والحميدي وابن بشكوال عددا منهم(32) ومن التميميين كذلك بنو بنوش(33)

---

27) في مرآة الجنان لليافعي : 3/29 : «أبو عبد الله بن الحذاء اليمني» والظاهر أنه تصحيف للتميمي.

28) انظر : «قبيلة تميم العربية بين الجاهلية والإسلام» للدكتور عبد الجبار العبيدي (حوليات كلية الأداب – جامعة الكويت / الرسالة: 37 الحولية 7 السنة 1406هـ – 1986م).

29) «جمهرة أنساب العرب» 207.

30) نفسه : 207, 213, 214.

31) نفسه : 220.

32) انظر : تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي / وجذوة المقتبس للحميدي / والصلة لابن بشكوال في عدد من التراجم منها ما يأتي في الإحالات بعد هذه.

33) منهم : عبد الله بن ربيع ابن بنوس التميمي من أهل قرطبة (الصلة 1/261) الترجمة 581 وابنه محمد (الصلة 2/508 الترجمة 1106 – وترجم ابن الفرضي: في تاريخ علماء الأندلس لربيع والد عبد الله ابن بنوس: 1/175 الترجمة 438).

وبنو الحذاء(34) وبنو برطال(35) وغيرهم، وكان المنصور بن أبي عامر معافريا قحطانيا، وكانت أمه تميمية عدنانية اسمها: فريهة بنت يحيى بن زكرياء التميمي المعروف بابن برطال، فكان هذا الجمع بين النسبين، مما جعلهم يقولون: إن المنصور حاز الشرف بطرفيه، والتحف بمطرفيه، ولذلك قال فيه ابن دراج القسطلي من قصيدة له :

تلاقت عليه من تميم ويعرب
شموس تلألأ في العلى وبدور
من الحميريين الذي أكفهم
سحائب تهمي بالندى وبحور(36)

وتجدر الإشارة بعد هذا، إلى أن المؤرخين، يطلقون على الأندلسيين من العرب «الطلائع» ويقسمونهم إلى فرقتين :

الأولى : تعرف بالبلدين، وهو الداخلون إلى الأندلس، قبل بلج بشر بن عياض القشيري(ت 124هـ).

الثانية : تعرف بالشاميين وهم الذين دخلوا مع بلج المذكور، وكانت الطالعة التي قادها تضم نحو عشرة آلاف، بينهم ألفان من الموالي(37).

وآخر الطلائع العربية بالأندلس، الطالعة التي قادها أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي الذي قدم من المشرق سنة 125هـ ومعه فريق من الشاميين عدتهم ثلاثون رجلا.(38)

---

34) سيأتي الحديث عنهم مفصلا في أسرة أبي عبد الله بن الحذاء.

35) منهم : القاضيان زكرياء ومحمد ابن يحيى بن زكرياء التميمي من أهل قرطبة يعرفان بابن برطال وهما خالا المنصور بن أبي عامر: انظر: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي: 178/1 الترجمة 451, 107/2 الترجمة 1360, تاريخ قضاة الأندلس للنباهي: 84.

36) الفتح بن خاقان : مطمع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس : 390 المعجب : 61 – 62 أزهار الرياض: 110/5.

37) تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية : 40 / وانظر أخبار مجموعة : 38 – نفح الطيب : 22/3.

38) تاريخ افتتاح الأندلس : 43.

وتذكر المصادر، أن الداخل من الشام إلى الأندلس، من أسلاف ابن الحذاء، هو داود التميمي، مولى عبد الرحمن الداخل،(39) هذا الأمير، الذي كان وراء نجاحه في مهمته، تعاون أسر عربية وبربرية معه، ممن عرفوا في الأندلس بموالي بني أمية. وكانوا في أغلبهم موالي النصرة والموالاة.

جاء في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، أن جد أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم الصدفي، رحل مع عبد الرحمن بن معاوية في الجند الشاميين، وكان في عديد رجاله، وكان يكتب، أمويا لموالاته لهم، أزديا من أنفسهم.(40)

* شهرته :

اشتهر بيت أبي عبد الله محمد بن يحيى التميمي، بالنسبة إلى «الحذاء» – بفتح الحاء المهملة والذال المعجمة المشددة – من حذو النعل وعمله،(41) وهي نسبة عرف بها كثير من العلماء منهم بالمشرق:

* جابر الحذاء : يروي عن ابن عمر، روى عنه ابن سيرين.(42)
* خالد بن مهران أبو المنازل الحذاء البصري(43) (ت142هـ).
* مسكين بن بكير الحذاء الجزري الحراني أبو عبد الرحمن (ت198هـ).(44)
* صهيب الحذاء أبو موسى المكي مولى ابن عامر.(45)

---

39) تاريخ علماء الأندلس : 1/46 – ترتيب المدارك : 8/5.
40) تاريخ علماء الأندلس : 1/56.
41) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب : 1/350.
42) نفسه : 1/350 وله ترجمة في التاريخ الكبير للبخاري : 1/2/203.
43) عياض : مشارق الأنوار : 2/125 وله ترجمة في التاريخ الكبير : 2/1/173.
44) اللباب في تهذيب الأنساب : 1/350 وانظر : رجال صحيح مسلم : 2/280.
45) ابن حجر : تهذيب التهذيب : 4/440.

* عبد الله بن أحمد بن محمد بن حسكان القرشي العامري النيسابوري الحنفي، أبو القاسم ويعرف بابن الحذاء،(46) توفي بعد 470هـ.

* محمد بن حمدون الحذاء، قرأ عليه ابن حسنون السامري.(47)

أما في الأندلس بالغرب الإسلامي، فهناك حذاءون أيضا، جل من عثرنا عليه منهم، فمن بيت أبي عبد الله ابن الحذاء، كما سيأتي عند الحديث عن أسرته، وبعضهم لم أستطع الوصول إلى ما يفيد أن لهم به صلة قرابة وهم:

- أحمد بن محمد، سكن قرطبة، الحذاء الالبيري، كان يصلي مع يبقى بن زرب بالناصر عبد الرحمن.(48)

- ابن الحذاء المقريء(49) قرأ عليه القرآن إبراهيم بن عبد الله بن موسى الغافقي المقريء (ت425هـ).

- محمد بن محمد بن مسرور الأموي الصيدلاني، يكنى أبا القاسم، ويعرف بابن الحذاء(50) من أهل قرطبة (ت391هـ).

- محمد بن عبد الله بن علي الغافقي قرطبي أبو الحسن ابن الحذاء.(51)

وإذا كانت هذه النسبة، مرتبطة بحذو النعل كما تقدم، فإن بعض هؤلاء الاعلام، لم تكن لهم صلة بذلك، كخالد بن مهران أبي المنازل الحذاء،

---

46) الصالحي : طبقات علماء المحدثين : 391/3 - وانظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : 1200/3.

47) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء : 415/1.

48) ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة : 535/2. ولولا قوله: إنه البيري لذهبنا إلى أنه جد أبي عبد الله ابن الحذاء، لأنه كان يصلي بعبد الرحمن الناصر، كما سيأتي في ترجمته.

49) انظر : الصلة لابن بشكوال : 92/1 في الترجمة 203.

50) نفسه : 479/2 ع : 1039.

51) ابن عبد الملك المراكشي الذيل والتكملة : 288/6.

قيل له ذلك، لأنه كان يجلس على دكان حذاء، وقيل تزوج امرأة فنزل عليها في الحذائين فقيل له ذلك.(52)

ومن هذا القبيل بيت أبي عبد الله ابن الحذاء، فقد ذكر ابن عفيف، أنهم كانوا يأبون ذلك، ويقولون : جدنا «الحداء» بدال مهملة من حداء الإبل، لكن لما سكن أو لنا في ربض الحذائين بقرطبة تصحف على الناس نسبنا لقرب الحرفيين.(53)

والحداء بفتح الحاء والدال المشددة المهملة وفي آخرها ألف، قال ابن حبيب: الحداء بن ذهل،(...) هو الحداء كان أحسن الناس صونا فأصابه سعال فتغير صوته فسمي الحداء(54) وكان بنو ذهل ابن الحداء هؤلاء يكثر فيهم العرج فقال بشر بن أبي حازم :

لـلـه دربـنـي الحـداء إذ قـعـدوا
وكـل جـار عـلـى أنه كـلـب
إذا عـدوا وعصـى الـطـلـح أرجـلـهم
كما تنصب وسط البيعة الصلب(55)

أما في الأندلس فقد ذكر الخشني في ترجمته يحيى بن يحيى الليثي أن جده يحيى بن كثير كان يعرف بابن الحداء.(56)

وترجم ابن الفرضي، لرجل اسمه عبد الرحمن بن عمرو المعروف بابن الحدا، من أهل اشبيلية يكنى أبا زيد(57) (ت392هـ).

---

52) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب : 350/1.
53) عياض : ترتيب المدارك : 5/8 – ومشارق الأنوار : 125/2.
54) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب : 345/1 – 346.
55) نفسه : 536/1.
56) محمد بن حارث الخشني : أخبار الفقهاء والمحدثين : 348 ع 493.
57) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : 310/1 وفي الهامش: الحدا هكذا بالأصل ولعل أصله الحداء أو الحداد.

وبالرجوع إلى بيت أبي عبد الله ابن الحذاء، للنظر في نسبتهم إلى الحداء، نجد أن ابن عفيف يحكي عنهم القول: بأن جدهم الذي ينسبون إليه، هو أنجشة حادي رسول الله ﷺ(58) وهذا أمر يحتاج إلى تحقيق.

إن أنجشة غلام أسود حبشي من موالي رسول الله ﷺ، كان حسن الصوت.(59) روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ، في سفر وكان معه غلام له أسود يقال له أنجشة يحدو فقال له رسول الله ﷺ: ويحك يا أنجشة رويدك بالقوارير».(60)

وكان أنجشة هذا يحدو بالنساء، بينما كان البراء بن مالك يحدو بالرجال.(61)

يقال إن أنجشة كان من المخنثين في عهد رسول الله ﷺ ونقل الحافظ ابن حجر، أن الطبراني، أخرج بسند لين، من طريق عنبسة بن سعيد، عن حماد مولى بني أمية، عن جناح عن واثلة بن الأسقع قال: لعن رسول الله ﷺ المخنثين، وقال: أخرجوهم من بيوتكم، وأخرج النبي ﷺ أنجشة وأخرج عمر فلانا.(62)

والظاهر أن هذه النسبة تحتاج إلى تحقيق، لأن أنجشة عبد حبشي أسود، في حين تقدم أن أبا عبد الله ابن الحذاء عربي تميمي، ويعضد هذا الاتجاه ما سبقت الإشارة إليه من أن أنجشة قيل: إنه كان من المخنثين، والمخنث من لا يقوى على الجماع، ولا رغبة له في النساء(63) وبالتالي لا يتزوج ولا يكون له أبناء.

---

58) عياض : ترتيب المدارك : 5/8.

59) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1/140 ع 151. ابن الأثير : أسد الغابة : 1/144.

60) رواه البخاري في الصحيح : كتاب الفضائل. وفي صحيح مسلم : 4/1811 كتاب الفضائل باب رحمة النبي ﷺ للنساء وأمر السواق مطاياهن بالرفق بهن. ح 71.

61) انظر : الاستيعاب : 1/140 ع 151.

62) ابن حجر : الإصابة : 1/120. تحقيق : علي محمد البجاوي.

63) الكليات : 872 انظر : السيرة النبوية لابن كثير : 3/660.

وما حكاه ابن عفيف، يمكن تفسيره بأن القوم كانوا يأبون النسبة الأولى، لأنهم لم يشتغلوا بحذو النعل وعمله، وليوضحوا للناس الفرق بين النسبتين، ربما لجأوا إلى مثال معروف وله مرجعية دينية، هو أنجشة حادي رسول اللهﷺ، ومن ثم تسرب إلى عامتهم أن، جدهم الذي ينتسبون إليه هو أنجشة، وإن لم يكن ذلك في واقع الأمر صحيحا، وقد يكون هذا القول غير صحيح من أصله بل مجرد إشاعة.

ويبدو أن ابن بشكوال إنما أعرض، عما حكاه ابن عفيف، لما يثيره من إشكال، وقدم عليه القول بتميمية أبي عبد الله وحدها، دون ما يشوش عليها مكتفيا بكونه يعرف بابن الحذاء(64) وهي النتيجة التي يمكن الاطمئنان إليها ما لم يظهر ما يناقضها.

* أسرته :

من حسن الحظ أن المصادر، أسعفت بالحصول على معلومات لا بأس بها، فيما يتعلق بأسرة أبي عبد الله ابن الحذاء، من لدن دخول أسلافه الأندلس، إلى أحفاده الذين ظل لهم بها ذكر وجاه، إلى أوائل القرن السابع الهجري، وهذه تراجم من أمكن التعرف عليهم من أصوله وفروعه:

أ – الأصول :

1 – داود التميمي مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وهو الداخل إلى الأندلس(65) وكان قبل ذلك أمير قوم مرج راهط بالشام،(66)

---

64) انظر : الصلة : 2/505.

65) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : 1/46 – القاضي عياض : ترتيب المدارك 8/5.

66) في ترتيب المدارك : 8/5 : «مرج ولقيط» والصواب «مرج راهط» كما في الديباج : 272 – وانظر : مراصد الاطلاع لصفي الدين البغدادي : 2/599.

وهو موضع بنواحي دمشق كانت به وقعة مشهورة بين قيس وتغلب وإليها يشير أبو الخطار الكلبي أمير الأندلس بقوله:

كأنكم لم تشهدوا مرج راهط   ولم تعلموا من كان ثم له الفضل(67)

وبها كانت الوقعة المعروفة التي نشبت بين اليمانية مع مروان ابن الحكم من جهة، وبين القيسية مع الضحاك بن قيس الفهري، والتي انتهت بقتله واندحار أنصاره، وبالتالي انتصار اليمانية، وتثبيت الخلافة الأموية في الفرع المرواني، يقول زفر بن الحارث الكلابي :

لعمري لقد أبقت وقيعة راهط   لمروان صدعا بيننا متنائيا

وكان ذلك أواخر سنة 64هـ أو أوائل سنة 65هـ(68) وتضيف المصادر أن داود التميمي، كان صدرا في موالي بني أمية، وكان بنوه ذوي وجاهة في أعمال السلطان بالأندلس، من التقديم على مهم الأعمال والتصريف في الأمور الجليلة.(69)

وقد تقدم عند الحديث عن نسب أبي عبد الله بن الحذاء، أنه لا يراد غالبا بموالي بني أمية، موالي العتق، وإذا علمنا أن الأمويين كانوا متمسكين إلى جانب الإسلام، بالعروبة إلى درجة التعصب للجنس العربي، أدركنا أن أميرا للأمويين بمرج راهط بالشام ثم صدرا من مواليهم بالأندلس كداود التميمي، هو أحد رجالاتهم المناصرين لهم من أعيان قومه والنابهين فيهم والله أعلم.(70)

2 – أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي يكنى أبا عمر، ويعرف بابن الحذاء القرطبي(71) (252 – 335هـ / 866 –

---

67) جذوة المقتبس : 1/315.

68) معجم البلدان : 3/21.

69) ترتيب المدارك : 8/5.

70) انظر : 182 من هذا البحث.

71) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : 1/46 ع 107.

946م) وهو جد أبي عبد الله المباشر، سمع من ابن وضاح والخشني وابن مطروح، وأبان بن عيسى بن دينار وغيرهم. كان قارئا للقرآن، صلى بالأمير عبد الله بن محمد أربعة عشر عاما ثم بعبد الرحمن الناصر من أول خلافته إلى سنة 335هـ التي توفي فيها المترجم.

3 – يحيى بن أحمد بن محمد التميمي والد القاضي أبي عبد الله ابن الحذاء(72) (306 – 402هـ / 918 – 1011م).

وصفه ابن بشكوال في الصلة بأنه «كان شيخا حليما أديبا وسيما موقرا في الناس حسن الخلق»(73) وهي صفات جليلة تبرز ملامح الرجل الذي أنجب أبا عبد الله، ومكانته بين قومه.

ب – الفروع :

1 – أحمد بن محمد بن يحيى أبو عمر ابن الحذاء(74) (380 – 467هـ / 990 – 1074م) المحدث الحافظ القاضي الوزير ولد أبي عبد الله ابن الحذاء.

يروي عن أبيه كثيرا كما يروي عن أبي محمد أسد وغيره. ندبه أبوه صغيرا إلى طلب العلم والسماع عن الشيوخ الجلة في وقته، فحصل له بذلك سماع عال أدرك به درجة أبيه.

يروي عنه أبو علي الجياني وأبو الحسن بن مغيث وغيرهما.

قال أبو علي الجياني : «كان أبو عمر أحسن الناس خلقا وأوطأهم كنفا وأطلقهم برا وبشرا وأبدرهم إلى قضاء حوائج إخوانه».(75)

---

72) ابن بشكوال : الصلة : 2/663 – ع 1455.

73) نفسه والجزء والصفحة وفي الهامش : 1 في ط العطار : حكيما.

74) من مصادر ترجمته : المقتبس للحميدي : 2/632. / بغية الملتمس للضبي : 163 – 527 / الصلة لابن بشكوال : 1/62 وغير ذلك.

75) الصلة : 1/63.

2 – عبد الله بن محمد بن يحيى أبو محمد ابن الحذاء(76) (كان حيا سنة 436هـ / 1044م) الفقيه القاضي ولد أبي عبد الله ابن الحذاء. سمع أباه وغيره، ووقف ابن الأبار على إجازة أبي عمرو السفاقسي له ولأخيه أبي عمر وبنيهما في صفر سنة 436هـ.(77)

3 – محمد بن عبد الله بن محمد بن الحذاء،(78) يبدو أنه حفيد أبي عبد الله ابن الحذاء، روى عن أبي محمد بن هارون لقيه بسرقسطة.

4 – محمد بن يحيى بن محمد بن متوكل بن الحذاء التميمي(79) أبو بكر توفي سنة 600هـ / 1203م) وقد نيف على التسعين، من اشبيلية وأصله من قرطبة، ولم تحدد المصادر صلته الدقيقة بأبي عبد الله بن الحذاء بل اكتفت بأنه من بيت أبي عمر القاضي.(80)

وكان أبو بكر ابن الحذاء هذا يعقد الشروط، كما كان إمام مسجد أمير المؤمنين علي بن عبد المومن الموحدي.

5 – محمد بن حاتم بن يحيى بن متوكل ابن الحذاء التميمي(81) (ت624هـ / 1226م) من أهل اشبيلية واصل سلفه من قرطبة يكنى أبا بكر روى عن آباء بكر ابن الجد وابن عبيد وابن مالك وأبي عبد الله بن زرقون وأبي العباس بن سيد.

استقضى بشريس وولي وقتا أحكام النساء بإشبيلية، واستنابه بعض قضاته. والمترجم قبله عمه، لكن يبدو أنه سقط اسم «محمد» الجد الثاني من ترجمة هذا الأخير، وقد يكون الاسم زائدا في ترجمة الأول والله أعلم.

---

76) ابن الأبار : التكملة : 2/796 ع 1946 تحقيق العطار.

77) نفسه والجزء والصفحة.

78) ابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة 6/317 ع 826.

79) التكملة : 2/569 ع 1525 / ابن صاحب الصلاة : المن بالامامة : 374.

80) التكملة : 2/569.

81) نفسه : 2/621 ع 1623 الذيل والتكملة : 6/155 ع 407.

وتجدر الإشارة في الأخير، إلى أن المصادر، ترجمت لعلم، يحتمل أنه حفيد أبي عبد الله بن الحذاء، من جهة ابنة له، وهو :

6 – محمد بن أحمد بن عثمان القيسي النميري ابن الحداد(82) (توفي حوالي: 480هـ / 1087م) أمه أخت القاضي أبي عمر ابن الحذاء روى عن خاله المذكور وعن غيره، وكان شاعرا مجيدا مفلقا من مفاخر عصره متصرفا في فنون من العلم، متقدما في التعاليم والفلسفة، مبرزا في فك المعمى لا يكاد يدرك فيه شأوه.(83)

المبحث الثاني : دراسته وعلاقته بالسلطان :

1 – دراسته :

كانت عادة أهل الأندلس، أن يبعثوا أبناءهم إلى الكتاتيب، ما بين السادسة والسابعة من أعمارهم، ومن الأمثلة المعاصرة لابن الحذاء المثالان التاليان :

1 – جاء في جذوة المقتبس أن عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر، ولد له ابن فعاش إلى أن دخل الكتاب وظهرت منه نجابة، فأول لوح كتبه بعث به، إلى أخيه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله، وكتب إليه بهذه الأبيات من شعره :

هـــاك يــا مـــولاي خـــطـــا
مـــطـــه في الـــلـــوح مـــطـــا
ابـــن ســـبـــع في ســـنـــيـــه
لم يـــطـــق لـــلـــوح ضـــبـــطـــا

82) الذيل والتكملة : 8/6 – 11 ع 10 الإحاطة : 250/2. المطرب : 143/2 الذخيرة 201/1 الوافي بالوفيات : 86/2 المغرب : 143/2 فوات الوفيات : 341/2, مسالك الأمصار : 400/11.

83) الذيل والتكملة : 10/6.

لم يـــقـــل في الصـــاد ظـــاء
فـــحـــوى لـــفـــظـــا وخـــطـــا
دمت يـــا مـــولاي حـــتـــى
يـــولـــد ابـــن ابـــنك ســـبـــطـــا(84)

2 – نقل ابن عذاري في البيان المغرب عن ابن جرير قال: «كنت قاعدا يوما مع المنصور (يعني ابن أبي عامر)، إذ طلع ابنه عبد الرحمن، وهو يومئذ ابن سبع سنين خارجا من المكتب».(85)

وفي حدود الخامسة عشرة تقريبا تبدأ مرحلة طلب العلم والأخذ من الشيوخ،(86) وقد تبدأ قبل ذلك، فهذا سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل سمع الحديث بقرطبة سنة 343هـ وهو ابن عشر سنين(87) وبدأ أبو عمر أحمد بن عفيف (348 – 420) السماع في آخر عام 359.(88)

وهناك من بدأ الطلب قبل ذلك، كأبي عبد الله محمد بن فتوح الأزدي الحميدي، المولود قبل 420هـ، فقد كان يحمل على الكتف للسماع سنة 425هـ، فأول ما سمع من الفقيه أبي القاسم أصبغ، قال: وكنت أفصح من يقرأ عليه.(89)

وأعود بعد هذا الفرش، إلى حال أبي عبد الله ابن الحذاء، الذي تقول المصادر إن شيخه ابن زرب، استخصه من صغره، وهو ابن أربعة عشر عاما وتفقه عنده.(90)

---

84) الحميدي : جذوة المقتبس : 2/456 ع 648.

85) ابن عذاري : البيان المغرب : 3/65.

86) يظهر ذلك من خلال تراجم كثير من الاعلام الأندلسيين في هذه الفترة، كابن الفرضي وأبي عمر بن الحذاء.

87) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة : 4/62.

88) ابن بشكوال : الصلة : 1/38 – 39 ع 75.

89) المقري : نفح الطيب : 2/113 ع 63.

90) ترتيب المدارك : 8/6 – وفي الصلة : 2/506 : تبناه ابن زرب – وهو ابن بضع عشرة سنة.

ويقول ابن بشكوال نقلا عن أبي علي الغساني، إن ابن الحذاء «طلب العلم من تاريخ سنة اثنين وستين وثلاثمائة (362هـ).(91)

ويبدو أن هذا التاريخ إنما يعني البداية المنتظمة، والا فإن بداية تردده على حلقات شيوخ العلم، سابقة عن هذا التاريخ، يشهد لذلك تقدم وفيات بعض شيوخه – كما سيأتي في تراجمهم – عن التاريخ الذي ذكره ابن بشكوال.

وإلى جانب ذلك ليس مستبعدا أن يكون المترجم، قد روى عن بعض شيوخه في مراحل مختلفة من حياته بواسطة الإجازة، وقد كان الأخذ بها شائعا في ذلك العهد، كما هو الشأن – مثلا – بالنسبة لأحمد بن محمد بن هشام بن جهور (ت430هـ) أجاز له أبو بكر الأجرى، وكتب إليه بالإجازة سنة 358هـ من مكة وهو دون الرابعة من عمره.(92)

بل إن الحافظ ابن عبد البر، لم يرحل خارج الأندلس، ومع ذلك فهو يروي عن عدد غير قليل من علماء المشرق بالمكاتبة أو الإجازة، ومن ثم فإن الذي يطمئن هذا البحث إليه، هو أن ابن الحذاء أخذ عن شيوخه – في الغالب – ومباشرة وبأعلى مراتب التحمل، دون أن ينفي أخذه عن بعضهم بالمكاتبة، أو الإجازة وهو قليل كما سيأتي عند الحديث عن شيوخه.

رحل إلى المشرق للتلقي عن أهله، ولم تحدد المصادر بداية هذه الرحلة ولا نهايتها، كما لم تبين مدة إقامته في كل بلد توقف فيه، للأخذ عن أهله.

على أن ذلك، لم يحل دون محاولة ترتيب الرحلة، واستنتاج ما يقرب من تحديد زمنها، وذلك على ضوء ما تجمع من معلومات.

---

91) الصلة : 506/2.

92) نفسه : 47/1.

إن أماكن الرحلة كما رتبها عياض في ترتيب المدارك(93) كانت على النحو التالي: القيروان، مصر، مكة، المدينة، مصر، القيروان، ومعنى ذلك أن ابن الحذاء نزل في الذهاب بالقيروان ثم بمصر ثم بعد مكة والمدينة نزل من جديد في إيابه بمصر ثم بالقيروان.

ولا يعكر على هذا ما جاء في الصلة عن رحلة ابن الحذاء : «ورحل إلى المشرق فحج سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة (...) ولقي بمكة (...) ولقي بالمدينة (...) ولقي بمصر (...) ولقي بدمياط (...) ولقي بالقيروان...»،(94) لأن هذه الصيغة لا تفيد الترتيب كما تفيده الصيغة التي تحدث بها عياض عن رحلة ابن الحذاء : «ثم رحل فلقي ابن أبي زيد القيرواني (...) ولقي بمصر (...) وحج فسمع من (...) وانصرف فبقي بمصر والقيروان مستكثرا من مشايخه...».(95)

وتكمن أهمية ترتيب عياض، في كونه يدفع ما توهم به عبارة ابن بشكوال، من أن بداية الرحلة كانت سنة 372هـ من مكة ثم المدينة ومنهما إلى مصر فالقيروان، لأن إدراك ابن الحذاء لبعض الشيوخ بالمشرق ممن توفوا قبل هذا التاريخ أو بعده بقليل لا تنسجم مع هذه البداية بحال، كما سيتضح أكثر عند الحديث عن هؤلاء الشيوخ.

لكن ليس هذا التاريخ وحده الذي يصادف الباحث في طريقه وهو يحاول تقدير زمن رحلة ابن الحذاء، بل يصادفه تاريخ آخر على الأقل، من خلال ترجمتي، اثنين من رفاقه في السماع أو الحج أو فيهما معا، وهما :

* أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد الفراء المعروف بالجالطي (336 – 403هـ) قال عنه عياض: «رحل إلى المشرق وصحب القاضي أبا عبد

93) ترتيب المدارك : 8/6 – 7.
94) الصلة : 2/506.
95) ترتيب المدارك : 8/6 – 7.

الله بن الحذاء في السماع هناك»،(96) وقال عنه ابن بشكوال: «ورحل إلى المشرق وحج سنة سبعين وثلاثمائة».(97)

* أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن سعيد يعرف بالسبتي لسكناه بها وأصله من إشبيلية (349 – 429هـ).

قال عنه ابن بشكوال : «رحل إلى سبتة سنة سبعين وثلاثمائة وحج بعد سنة سبعين مع القاضي أبي عبد الله بن الحذاء وغيره».(98)

والذي يستفاد مما ذكر، أن الجالطي كان بالمشرق سنة سبعين وثلاثمائة، وفيها أدى فريضة الحج، دون أن يعني ذلك أن رحلته إلى المشرق بدأت في هذه السنة.

أما الثاني فقد رحل سنة سبعين وثلاثمائة أو في السنة التي تليها وحج سنة إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين.

والأول صحب أبا عبد الله بن الحذاء في السماع بالمشرق، والثاني حج معه. وعليه فالأقرب هو أن يكون أبو عبد الله ابن الحذاء قد رحل إلى المشرق، قبل سنة سبعين وثلاثمائة، وحج سنة إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين، ويعضد ذلك ما جاء في ترجمته في ترتيب المدارك من أنه سمع بمصر من ابن رشيق العسكري(99) (ت370هـ) بل جاء في شجرة النور أن من بين شيوخه الذين لقيهم بمصر ابن شعبان، والأقرب أن يكون هو الحسن بن علي بن شعبان، قال ابن الطحان إنه توفي في سنة 369هـ.(100)

---

96) ترتيب المدارك : 7/205.

97) الصلة : 2/490 ع 1060.

98) نفسه : 1/46 ع 93.

99) ترتيب المدارك : 8/6.

100) يحيى بن علي الطحان : تاريخ علماء أهل مصر : 52. تحقيق محمود الحداد ط 1 : 408هـ دار العاصمة الرياض.

أما فيما يتعلق بحج أبي عبد الله ابن الحذاء، فيقول ابن بشكوال: إنه كان سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة(101) وهذا شيء ينسجم إلى حد ما، مع قول ابن الحذاء نفسه، في معرض حديثه عن شيخه أبي الدينوري: «لقيته بمكة سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وتركته حيا».(102) دون أن يستبعد أن يكون ابن الحذاء، قد حج سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، كما يستفاد من ترجمة أبي بكر السبتي المذكور قبله، ثم بقي بمكة والمدينة للأخذ عن علمائها، إلى سنة اثنتين وسبعين، مع العلم أن موسم الحج يكون في ذي الحجة، وهو آخر شهور العام الهجري، وكان أمير الحج في هذه السنة أبو عبد الله أحمد بن محمد بن يحيى بن عبيد الله العلوي.(103)

أما نهاية الرحلة، فالظاهر أنها كانت في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، إذا قدرنا المدة التي قضاها في طريق العودة، وما تخللها من نزول بمصر، ثم القيروان، لاستكمال الأخذ عن علمائها والله أعلم.

وممن تعرف عليه ابن الحذاء بمصر، عبد الرحمن بن محمد أبي يزيد خالد بن خالد بن يزيد السنبري الأزدي العتكي المصري الصواف النسابة أبو القاسم (333 – 410هـ).

قدم الأندلس من مصر سنة 394هـ حدث عنه أبو عمر ابن الحذاء، تفقه بمصر إلخ.(*)

---

101) ابن بشكوال : الصلة : 2/505.

102) القاضي عياض : ترتيب المدارك : 6/180.

103) النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى : 2/418 وانظر : النجوم الزاهرة وفيه أبو الفتح أحمد بن عمر العلوي: 4/141.

*) انظر الصلة : 2/354 ع : 758.

2 – علاقته بالسلطان :

جاء في ترجمة أبي عبد الله ابن الحذاء، أنهم كانوا من لدن جده الداخل إلى الأندلس: «ذوي وجاهة في أعمال السلطان بالأندلس، من التقديم على مهم الأعمال والتصريف في الأمور الجليلة».(104)

وقد حظي المترجم من ذلك بنصيب وافر، وتبوأ مكانة مرموقة في مجتمعه، وكان حاضرا في بعض المحظات الحاسمة من تاريخ بلده، مساهما في صنع أحداثها.

في سن مبكرة، كان ضمن كبار الفقهاء والعلماء، الذين بايعوا هشاما المؤيد بالله سنة 366هـ، وفي ذلك قال ابن حيان فيما نقله عنه ابن الخطيب: «وأجلس هشام بن الحكم للخلافة صبيحة يوم الاثنين بعده لثلاث خلون من صفر سنة 366هـ ودعا الناس إلى البيعة، فاستوسقوا إليه، ولم يختلف فيها منهم إثنان، واتصل أخذها على الناس أياما وكتب بها إلى الأقطار فلم يردها أحد.

وكان على عهد بيعة هشام بن الحكم، من الاعلام، هضاب راسية، وبحار في العلم زاخرة، وأعلام قولهم مسموع، وبرهم مشروع، وأثرهم متبوع».(105)

ثم قدم بيانا بأسماء 138، من الفقهاء والعلماء، الذين استجابوا لدعوة البيعة لهشام، من ضمنهم، أبو عبد الله ابن الحذاء.(106)

ويرى الدكتور حسين مؤنس، أن ابن الخطيب لم ينقل هذه الأسماء من مقتبس ابن حيان الذي روى عنه خبر البيعة، فإن بعض هذه الأسماء، لا يمكن أن يكون قد اشترك فيها.(107) والصحيح أنها وقعت أخطاء في بعض

---

104) ترتيب المدارك : 5/8.

105) ابن الخطيب : أعمال الاعلام : 48.

106) ابن الخطيب : أعمال الاعلام : 48.

107) شيوخ العصر في الأندلس : 75 – 76.

الأسماء، وتكرار لبعضها، من ذلك وضعه ابن زرب على رأس القائمة وتقديمه بهذه الصيغة: «مثل قاضي الجماعة أبي بكر يحيى بن محمد بن زرب وحسبك به شهرة وجلالة»(108) ثم قوله بعد ذلك «والقاضي محمد بن يبقى بن زرب قاضي الجماعة بقرطبة».(109)

فقد وقع الخطأ في قوله : «يحيى لأن هذا اسم ابنه، الذي ولد بعد هذه البيعة بسنوات، ولم يكن له علم،(110) ولا تنطبق عليه الصفات المذكورة، إذ صاحب الشهرة والمكانة المرموقة في «الدولة» العامرية هو والده.

ووقع التكرار في إعادة ذكر قاضي الجماعة محمد بن زرب مرتين،(111) ومن ثم فلا معنى لقول الدكتور حسين مونس: «وتعمد ابن الخطيب هذا الوقوف الطويل، عند بيعة هشام المؤيد، لأنها سابقة يستطيع الاستناد إليها، واستكثر من الأسماء واحتفل في ذلك، فحشد أسماء فحول عاش الكثير منهم بعد 366هـ، معتمدا على أن أحدا لن يراجع التواريخ».

ويبقى بشهادة مؤنس نفسه أن «كثيرا جدا من الأسماء الواردة في البيان، عاصرت البيعة لهشام، ولابد أن أصحابها وافقوا عليها، ولقد كانت فعلا بيعة بإجماع كما يقول ابن حيان»(112) وعلاقة ابن الحذاء بهشام المؤيد بالله تغذيها عدة عناصر، منها خدمة أسلافه للسلطان، وآخرهم جده أحمد بن محمد ابن الحذاء (ت335هـ) الذي صلى بالأمير عبد الله أربعة عشر عاما، ثم بعبد الرحمن الناصر من أول خلافته إلى سنة (335هـ).

---

108) أعمال الاعلام : 48.

109) نفسه 49.

110) انظر : الصلة : 2/669.

111) شيوخ العصر : 76.

112) نفسه والصفحة.

ويلتقي أبو عبد الله بن الحذاء، مع هشام المؤيد بالله في التقارب في السن، وفي الأخذ عن بعض الشيوخ، كالزبيدي وابن زرب، وأبي عيسى الليثي وغيرهم.

وعلى الرغم من أن هشاما المؤيد بالله، كان مجرد خليفة صوري، وأن الحاكم الفعلي هو المنصور بن أبي عامر، فإن مكانة القاضي ابن زرب، ساعدت كثيرا في تعبيد الطريق أمام ابن الحذاء ووصوله إلى أسمى المناصب.

والمنصور بن أبي عامر نفسه، توجد عدة نقاط التقاء بينه وبين أبي عبد الله بن الحذاء، منها قرابة العلم، إذ كان المنصور عالما وقاضيا ومن أسرة علمية أبا عن جد، وكان خاله ابن برطال عالما وهو الذي تولى قضاء الجماعة بعد القاضي ابن زرب، وهو أستاذ ابن الحذاء وتميمي مثله، وقد أوصى المنصور ابنه المظفر، بالتمسك بمن استخلصه من طبقات أهل المعرفة، من خطيب وشاعر ونديم وشطرنجي ومعدل وتاريخي وغيرهم.(113)

ومن نقاط الالتقاء بين ابن الحذاء والمنصور بن أبي عامر أيضا أن أبناء هذا الأخير، كانوا في سن الأول، وطلبوا العلم أيام طلبه، وعلى عدد من شيوخه، مما اكتسب معه المترجم ثقة العامريين، فظل إلى آخر عهدهم حريصا على استمرار حكمهم، توحيدا للصف وجمعا للكلمة، وتجنبا لكل ما من شأنه أن يحدث في البلاد تصدعا لا يعلم إلا الله عواقبه.

لكن ما خشيه ابن الحذاء، سرعان ما بدت تلوح في الأفق طلائعه، بمجرد وفاة المظفر ابن أبي عامر، مما يعبر عنه بوضوح النص الآتي الذي نقله ابن عذاري عن الرقيق، في موضوع مقتل عبد الرحمن بن أبي عامر،

113) الذخيرة لابن بسام : 79/1/4.

وانقراض الدولة العامرية: «لما قام عبد الرحمن على منبر قلعة رباح، يستحلف الجند على نصرته، دعا باسم محمد بن يعلي الزناتي، فدنا إليه فقال له ابن الحذاء:(114) أتحلف لولي العهد أيده الله أنك تنصره ولا تخذله؟ وعبد الرحمن ساكت وثمل من شرابه، ليس يقدر على كلمة، فقال لابن الحذاء : نحن تحت بيعة تقدمت له في أعناقنا، فما بال تكرارها فإن كانت لا تنفعه إلا بتجديد أيمان أخرى، فليست الأيمان الأخرى تنفعه إلا بتجديد مثلها، هذا ما لا نهاية له.

قال : لابد أن تحلف ولا تفارق الجماعة، فحلف له حلفة كره، وغموس، وخرج فلقي ابن عدم له اسمه تكساس بن سيد الناس، وجماعة من وجوه زناتة.

قال ابن يعلي المذكور : فعدلنا إلى خندق، وتعاهدنا على إسلامه وترك القتال عنه، فكان ذلك سبب نفر الأجناد عنه...».(115)

لاشك أن الموقف كان حرجا بالنسبة لابن الحذاء، لكن وظائفه حطته في هذا الموقف، في وقت دقيق من تاريخ الأندلس، ولعله من منطلق المسؤولية تصرف هذا التصرف، الذي كان أفضل للبلاد مما وقعت فيه، من فتن مهدت لضعف الأندلس وتمزقها، وبالتالي سقوط الخلافة وقيام ملوك الطوائف.

المبحث الثالث : وظائفه ومكانته العلمية :

1 – وظائفه :

تشير أكثر مصادر ترجمة أبي عبد الله ابن الحذاء، إلى أنه بعد وروده الأندلس، ولاه السلطان القضاء والوثائق والشورى بغير جهة.

114) في الأصل ابن الحدا.

115) البيان المغرب : 3/66 – 67.

ويبدو أن جمعه بين هذه الوظائف الثلاث، كان قبل فتنة قرطبة سنة 403هـ، أما بعد لحاقه بالثغر الأعلى، فلم يتقلد سوى القضاء ببعض الجهات هناك.

وإلى جانب هذه المهام الرسمية، التي تقلدها ابن الحذاء من قبل السلطان، كان يقوم بمهمة التدريس، حيثما حل وارتحل، كما يستفاد من تراجم عدد من تلامذته.

وبعد هذا الموجز، ننتقل إلى الحديث المفصل عن كل وظيفة من هذه الوظائف على حدة، وفق ما تجمع لدينا من معلومات.

أولا : القضاء :

الوظيفة التي ارتبط بها اسم أبي عبد الله بن الحذاء أكثر هي القضاء، ومترجموه يذكرون أنه استقضي في عدة جهات من الأندلس، ذكر عياض منها: اشبيلية وبجانة وتطيلة(116) وأضاف إليها ابن بشكوال مدينة سالم.(117)

واقتصر ياقوت على بلنسية،(118) التي يتكرر ذكرها لدى ابن فرحون، ضمن الجهات التي استقضي فيها ابن الحذاء.(119)

وعلى حين اكتفت أكثر المصادر، بالإشارة إلى أن أبا عبد الله بن الحذاء، استوطن سرقسطة إلى أن مات بها، دون توضيح ما إذا كان قد ولي قضاءها أم لا؟ ذكرها الذهبي وكحالة وسزكين ضمن المدن التي ولي المترجم قضاءها.(120)

---

116) ترتيب المدارك : 8/7.

117) الصلة : 2/507.

118) معجم الأدباء : 19/109.

119) الديباج : 272.

120) سير أعلام النبلاء : 17/444 – معجم المؤلفين : 12/99 – تاريخ التراث العربي : 3/177.

وبناء على ما تقدم، يكون مجموع المدن التي استقضي فيها ابن الحذاء، ست هي: بلنسية إشبيلية، بجانة، تطيلة، مدينة سالم، سرقسطة وهنا ترد عدة تساؤلات من أهمها :

متى كانت بداية انخراط أبي عبد الله ابن الحذاء في سلك القضاء ؟

ما هو ترتيب هذه الجهات زمنيا، في حياة ابن الحذاء العملية ؟

أما عن بداية انخراطه في القضاء، فلم تذكر المصادر عن ذلك أي تاريخ محدد، غير أنه يبدو أن ذلك كان بعد عودته مباشرة من رحلته المشرقية، وكان ذلك على عهد قاضي الجماعة أبي بكر محمد بن يبقي بن زرب، الذي كانت لابن الحذاء به علاقة متينة.

وكان ابن زرب هذا كما قال ابن الفرضي : «كريم العناية رابا للصنيعة، وانتفع به جماعة من صحبته، وترددوا عليه وتأتلوا به في دنياهم».(121)

وإلى هذه الحقيقة، يشير صاحب تاريخ القضاء في الأندلس بصريح العبارة حين يقول: «وكان قاضي الجماعة ابن زرب، صاحب مدرسة في الفقه ضم إليها أصحابه وتلاميذه، أخذ بأيديهم، وقدمهم للشورى والقضاء في الكور الأندلسية في عهده، وأصبحوا فيما بعد من مشاهير فقهاء العصر، وأصحاب النفوذ بقرطبة وكورها».(122)

ثم ذكر جملة من أصحابه وتلامذته، الذين أخذ بأيديهم، وفي طليعتهم أبو عبد الله ابن الحذاء.(123)

---

121) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس : 97/2.

122) د. محمد عبد الوهاب خلاف : تاريخ القضاء في الأندلس : 92 – المطبعة العربية الحديثة – القاهرة. ط 1 : 1413هـ – 1992.

123) نفسه : 93.

وقد ولي محمد بن يبقي، قضاء الجماعة سنة 367هـ، وظل كذلك إلى أن توفي سنة 381هـ.(124)

أما فيما يتعلق، بترتيب الجهات التي استقضي فيها ابن الحذاء، من حيث الزمان والمكان، فعلى الرغم من قلة المعلومات التي أمدنا بها مترجموه، فقد أمكن من خلال تتبع تراجم معاصريه، الوصول إلى بعض المعلومات الإضافية التي لا تخلو من فائدة.

إن تاريخ تولي ابن الحذاء القضاء مر بمرحلتين :

الأولى : مرحلة ما قبل دخول البربر قرطبة سنة 403هـ وخلالها استقضي ببلنسية وإشبيلية وبجانة.

الثانية : مرحلة ما بعد دخول البربر قرطبة، وفيها تولى القضاء بتطيلة ومدينة سالم وسرقسطة. وذلك ما سنحاول تقريبه فيما يأتي:

أولا : مرحلة ما قبل دخول البربر قرطبة سنة 403هـ.

أ – **بلنسية** :(125) قال ياقوت في ترجمة ابن الحذاء : «ثم رجع إلى الأندلس فولي القضاء ببلنسية وغيرها»(126) وفي الديباج لابن فرحون مثل ذلك.(127)

---

124) انظر : تاريخ علماء الأندلس : 2/97.

125) بلنسية مدينة أندلسية كانت تعرف بمطيب الأندلس، وبمدينة التراب لكثرة بساتينها وخصب أراضيها وصفاء جوها يقول المقري: «وفيها البحيرة المشهورة، الكثيرة الضوء والرونق، ويقال إنه لمواجهة الشمس لتلك البحيرة يكثر ضوء بلنسية إذ هي موصوفة بذلك (...) وأهلها اصلح الناس مذهبا وامتنهم دينا وأحسنهم صحبة وأرفقهم بالغريب» النفح 3/221.

وتتصل بحوزة كورة تدمير، وهي شرقي قرطبة برية بحرية : مراصد الاطلاع : 1/220.

126) معجم الأدباء : 19/10.

127) الديباج : 27.

ويبدو أنها أول جهة يتولى ابن الحذاء قضاءها، كما يستفاد من استعراض أسماء بعض القضاة الذين تعاقبوا على قضائها :

1 – أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عبيد الله الرعيني، المعروف بابن المشاط، من أهل قرطبة (ت397هـ).

كان مقربا لدى محمد بن أبي عامر، وكان من المشاورين على عهد قاضي الجماعة أبي بكر ابن زرب، وولاه ابن أبي عامر عدة وظائف، لعل من آخرها قضاء بلنسية وأعمالها، كما يظهر من حديث ابن بشكوال عنه.(128)

2 – أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي المعروف بابن الفرضي، من أهل قرطبة (351 – 403هـ).

استقضاه محمد المهدي بكورة بلنسية، وكان محمد بن هشام بن عبد الجبار، الذي تلقب بالمهدي، قد استطاع أن يستولي على الحكم مرتين، أولاهما: ابتداء من 14 جمادى الثانية سنة 399هـ إلى 15 ربيع الأول سنة 400هـ، وثانيتهما: حوالي منتصف شوال سنة 400هـ إلى أن قتل يوم 8 ذي الحجة من نفس العام(129) وكان كما وصفه ابن عذاري «أشأم خليفة على وجه الدنيا».(130)

وقد جاء النص، على أن ابن الفرضي، كان على قضاء بلنسية زمن المهدي المذكور، عند ابن حزم في طوق الحمامة في معرض حديثه عن المصعب ولد ابن الفرضي حيث يقول: «وكان والد المصعب هذا قاضيا ببلنسية، أيام أمير المؤمنين المهدي»(131) ولعل ابن حزم ومن قبله أستاذه ابن الفرضي، كانا يذهبان إلى شرعية قيام المهدي.(132)

128) الصلة : 2/307 ع 678.
129) انظر : المعجب : 65 – 66.
130) البيان المغرب : 3/74 – 75.
131) رسائل ابن حزم : 1/262.
132) انظر : أبو الوليد بن الفرضي القرطبي : لأحمد اليزيدي : 1/303.

كما جاء النص على أن ابن الفرضي، تولى قضاء بلنسية للمهدي، عند ابن بشكوال في الصلة، بل وجاء معه تحديد الزمن.

يقول ابن بشكوال، وهو يتحدث عن أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر الفاسي البغدادي: «روى عنه ابن الفرضي، وذكر أنه لقيه بمدينة التراب، في ربيع الأول سنة أربعمائة، وفي هذا التاريخ كان ابن الفرضي قاضيا ببلنسية».(133)

3 – أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن جحاف المعافري الملقب بحيدرة قاضي بلنسية، توفي بها قاضيا سنة سبع عشرة وأربعمائة، وله بضع وثمانون سنة...(134)

من خلال ما تقدم، يبدو أن تولية ابن الحذاء قضاء بلنسية، كانت قبل هؤلاء جميعا، وفي مدة أبي بكر بن زرب قاضي الجماعة.

ب – **إشبيلية** :(135)

ذكر أكثر مترجمي ابن الحذاء، توليه قضاء إشبيلية قبل دخول البربر قرطبة سنة 403هـ، لكنهم اختلفوا في تقديمها على بجانة، أو تأخيرها عليها، فعياض ومن اقتفى أثره يقدمونها في الذكر على بجانة،(136) وابن بشكوال ومن تبعه يؤخرونها على بجانة.(137)

---

133) الصلة : 2/375. – طوق الحمامة : 116.

134) نفسه : 1/262 – 263.

135) إشبيلية : مدينة عظيمة، دار الملك بالأندلس بعد قرطبة تقع إشبيلية غربها بينهما ثلاثون فرسخا وهي قريبة من البحر، يطل عليها جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر (مراصد الاطلاع : 1/80).

136) ترتيب المدارك : 8/7.

137) الصلة : 2/507.

والظاهر أن تقديم إشبيلية على بجانة في الترتيب الزمني، هو الموافق للحقيقة والواقع، كما سيتضح من خلال ذكر من تعاقب عل قضاء إشبيلية، في المدة التي يحتمل أن ابن الحذاء كان قاضيا بها :

* أبو محمد الباجي (ت378هـ) ولي مدة قضاء بلده «إشبيلية» وشواره ولح في الاستعفاء.(138)

* أبو بكر الزبيدي توفي سنة (379هـ)، وهو على قضاء إشبيلية.(139)

* عيسى بن معاوية اللخمي (ت420هـ) ولي قضاء إشبيلية بعهد ابن أبي عامر المنصور، وكان من أصحاب ابن ذكوان.(140)

* أبو عمر الباجي (ت396هـ) ولي القضاء ببلده «إشبيلية» أيام المظفر بن أبي عامر عند عزله إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، قاضي إشبيلية (ت410هـ)، كان قاضيا بها، قبل أبي عمر الباجي، ثم عاد إليها بعد صرفه(142) كما تقدم قبله.

* الحسين بن حي الحزقة (ت401هـ)، استقضاه المظفر بن أبي عامر بباجة وإشبيلية، ثم بمدينة سالم، ثم بجيان.(143)

* عبد الرحمن بن الكبيش (ت409هـ) استقضي بإشبيلية في الفتنة، وكان في عداد المشاورين بقرطبة.(144)

وبعد : فمن خلال ما تقدم، يبدو أن الفترة التي يحتمل أن ابن الحذاء كان قاضيا فيها بإشبيلية، هي تلك التي تفصل بين عيسى بن معاوية،

---

138) ترتيب المدارك : 7/36.
139) نفسه : 7/40.
140) ترتيب المدارك : 8/30.
141) نفسه : 7/206 – 207.
142) نفسه : 7/207.
143) انظر : الصلة : 1/140.
144) الصلة : 1/317 ع 689 – ترتيب المدارك : 8/23.

وبين إسماعيل بن عباد، في المرحلة الأولى من قضائه، وكان ذلك على عهد المنصور بن أبي عامر والله أعلم.

ج – بجانة :(145) كثيرون أولئك الذين قدموا بجانة على إشبيلية، تبعا لابن بشكوال في الصلة، كالصفدي قديما،(146) ومحمد عبد الوهاب خلاف(147) حديثا، ولا شك أن عبارة ابن بشكوال واضحة لا غبار عليها في هذا الاتجاه فهو يقول: «واستقضي أبو عبد الله بن الحذاء ببجانة ثم بإشبيلية»(148) لكن ابن بشكوال نفسه يعطي تاريخا محددا كان فيه أبو عبد الله ابن الحذاء قاضيا ببجانة، وذلك عندما ترجم والد أبي عبد الله ابن الحذاء حيث يقول: «وتوفي سنة اثنتين وأربعمائة (402هـ) في شوال (...) وابنه حينئذ قاض على بجانة وأعمالها».(149)

ولا يخفى أن هذا التاريخ لا يفصله عن تاريخ دخول البربر إلى قرطبة سوى عام واحد، سيخرج بعده ابن الحذاء فارا من الفتنة إلى الثغر الأعلى، وتقدم أن الكبيش كان قاضيا بإشبيلية زمن الفتنة،(150) مما يرجح أن آخر مدينة تولى المترجم قضاءها قبل لحاقه بالثغر الأعلى هي بجانة لا إشبيلية، والله أعلم.

---

145) بجانة : بالفتح ثم التشديد وألف ونون مدينة بالأندلس من أعمال كورة إلبيرة، خربت انتقل أهلها إلى المرية وبينها وبين المرية فرسخان : مراصد الاطلاع : 163/1 وقال ابن الفرضي : «بجانة قرية من عمل الزهراء» تاريخ علماء الأندلس: 376/1 – 377.

جاء في بعض المصادر والمراجع : بجاية ككتاب الوافي بالوفيات للصفدي : 196/5. وطبقات المالكية لمجهول الورقة : 116 ظ ولعل الأمر لا يعدو أن يكون مجرد تصحيف لبجانة.

146) الوافي بالوفيات : 196/5 – وفي تاريخ الإسلام للذهبي: 410 : «ولي خطابه بجانة ثم قضاء إشبيلية».

147) تاريخ القضاء في الأندلس : 349.

148) الصلة : 507/2.

149) نفسه : 663/2 ع 1455.

150) ترتيب المدارك : 23/8 – الصلة : 317/1.

وقد أمكن التعرف على اثنين من قضاة بجانة قبل ابن الحذاء وهما :

– القاضي عمر بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الوافي،(151) توفي وهو قاضي ببلده بجانة سنة 380هـ.(152)

– القاضي أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قند الطليطلي، ولي قضاء بجانة والبيرة، واخترم قبل أقرانه، فقد بظاهر قرطبة يوم وقعة النصارى، بأهلها بعقبة البقر سنة 400هـ.(153)

ثانيا : مرحلة ما بعد دخول البربر قرطبة سنة 403 هـ :

أ – **تطيلة** :(154) يتفق عياض وابن بشكوال، على أن أبا عبد الله بن الحذاء، لحقته فتنة البربر، فخرج من قرطبة واستقر بالثغر الأعلى، وكانت تطيلة أول جهة يتولى قضاءها في هذه المرحلة.(155)

وقد كان على قضائها قبله، محمد بن عيسى ابن البريلي من أهلها وقاضيها(156) (ت400هـ).

ومما حدث بعد هذا التاريخ، وقد يكون على عهد ابن الحذاء نفسه ما ذكره ابن غالب: أنه بعد أربعمائة كانت في مدينة تطيلة، امرأة لها لحية كاملة كلحى الرجال، وكانت تتصرف في الأسفار، فأمر قاضي الناحية

---

151) نفسه : 7/22 وفي الصلة : 2/394 ع 847 : عمر بن محمد بن إبراهيم العامري يعرف بابن الرفا من أهل بجانة وقاضيها يكنى أبا حفص واستقضى ببلده ثم نقل منه إلى قضاء تدمير وتولاه إلى أن توفي...

152) ترتيب المدارك : 7/22.

153) نفسه : 8/25 – 26.

154) تطيلة : مدينة أندلسية شمالي غربي سرقسطة : مراصد الاطلاع : 1/264 وانظر : الحلل السندسية : 2/120.

155) ترتيب المدارك : 8/7 – الصلة : 2/507.

156) الصلة : 2/48.

بحلق لحيتها، وأن تتزيا بزي النساء، ولا تسافر الا مع ذي محرم، بعد أن تأكد القاضي من القوابل أنها امرأة وليست رجلا.(*)

ولا نعرف المدة التي قضاها ابن الحذاء بتطيلة قاضيا، كل ما في الأمر أنها تبتديء من أواخر سنة 403هـ.

ب – **مدينة سالم** :(157) انفرد ابن بشكوال بذكر مدينة سالم، على أنها من الجهات التي استقضي فيها ابن الحذاء بعد تطيلة.(158)

وقد تولى قضاء مدينة سالم قبل ابن الحذاء فيما وقفت عليه، قاضيان هما: أبو عبد الله الحسين بن حي التجيبي الحزقة (336هـ – 401هـ) استقضي بباجة واشكينة، ثم بمدينة سالم، ثم بجيان.(159)

أبو عثمان سعيد بن محسن الغاسل من أهل قرطبة (ت401هـ)، تقلد القضاء بمدينة سالم وغيرها.(160) وكلا الرجلين مات في صدر الفتنة البربرية أواخر عام 401هـ، وهناك قاضيان آخران، لا أعرف أكثر من أنهما كانا على قضاء مدينة سالم، والراجح أنهما كانا بعد أبي عبد الله بن الحذاء وهما :

– خالد بن أحمد بن أبي زيد الرصافي، يكنى أبا زيد، ولي قضاء مدينة سالم، وامتحن بالنهب عند قتل واليها ذي الوزارتين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن باق الكاتب القرطبي سنة 419هـ.(161)

---

*) محمد بن عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار : 133 تحقيق ذ. إحسان عباس.

157) مدينة سالم : مدينة آندلسية، كان يقال لها «الثغر الأوسط» وكان للعرب فيها قلعة شهيرة جعلوها من أهم الثغور في وجه الإسبان. مراصد الاطلاع : 2/684 وانظر : الحلل السندسية : 2/59.

158) الصلة : 2/507.

159) نفسه : 1/141.

160) نفسه : 1/212.

161) التكملة : 1/290 تحقيق العطار.

– أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي قرطبي يعرف بابن القراميد (355 – 432هـ)، ولي القضاء بمدينة سالم، ثم أحكام الشرطة والسوق بقرطبة، وامتحن في مدة المعتمد بالله بيد وزيره حكم بن سعيد.(162)

ج – **سرقسطة** :(163) لم يصرح كل من عياض وابن بشكوال بما يفيد أن ابن الحذاء، تولى قضاء سرقسطة، بل إن الأول قال : «ثم استوطن سرقسطة حتى مات بها،(164) وقال الثاني «ثم صار إلى سرقسطة وتوفي بها»(165) لم يزيدا على ذلك شيئا.

وكلا القولين لا يقطع في المسألة، وعلى غرار ذلك سار أكثر مترجمي ابن الحذاء باستثناء الذهبي الذي قال إنه «ولي قضاء اشبيلية ثم سرقسطة وبها مات»،(166) واختاره كحالة وسزكين،(167) ولا يوجد ما ينفي ذلك، بل الظاهر أن أبا عبد الله بن الحذاء ظل قاضيا إلى أن مات. وممن تولى سرقسطة على عهد ابن الحذاء بنوفورتش، وقد أمكن التعرف على عدد منهم :

1 – أبو المطرف عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله من أهل سرقسطة، ويعرف، بابن فورتش، وينسب إلى ولاء بني أمية (ت386هـ) ولي القضاء بموضعه «سرقسطة» ولم يزل قاضيا إلى أن توفي.(168)

---

162) الصلة : 2/522.

163) سرقسطة : بفتحتين وقاف مضمونة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة. مدينة مشهورة بالأندلس، كان يقال لها الثغر الأعلى، كما تسمى البيضاء تتصل أعمالها بأعمال تطيلة. انظر : مراصد الاطلاع : 2/87 – الحلل السندسية : 2/87 – 92.

164) ترتيب المدارك : 8/7.

165) الصلة : 2/507.

166) سير اعلام النبلاء : 17/444.

167) معجم المؤلفين : 12/99 – تاريخ التراث العربي : 3/177.

168) تاريخ علماء الأندلس : 1/309.

2 – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن فورتش قاضي سرقسطة(169) (381 – 453هـ)، رحل مع أبيه إسماعيل، فسمع بالقيروان من أبي عمران الفاسي سنة 410هـ، وتوفي أبوه منصرفه سنة 412هـ.

وتولى من غيرهم :

3 – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن فرتون من أهل سرقسطة(170) وقاضي الجماعة بها (كان حيا سنة 425هـ).

ثانيا : الشورى :

تعتبر هذه الخطة مما تفردت به بلاد الغرب الإسلامي، والأندلس منها خاصة، عن بقية أقطار العالم الإسلامي على ذلك العهد.

وكان الخليفة هو الذي يعين أهل الشورى، اعتمادا على ترشيح قاضي الجماعة بقرطبة، ويذكر المقري في معرض حديثه عن قرطبة كرسي المملكة في القديم، أن الملوك المروانية كانوا يتواضعون لعلمائها ويقدرونهم، ويأخذون بالصائب من آرائهم، ولا يقدمون وزيرا ولا مشاورا ما لم يكن عالما، وكانوا لا يقدمون أحدا للفتوى، أو لقبول الشهادة حتى يطول اختباره، وتعقد له مجالس المذاكرة، ويكون من أهل اليسار في غالب الأحوال، مخافة أن يدفعه الفقر إلى الطمع فيما في أيدي الناس، فيبيع به حقوق الدين، ثم إذا تحققت فيه كل الشروط المذكورة، من الدين والعلم والغنى، أباحوا له الفتوى والشهادة، وجعلوا علامة لذلك بين الناس، القالس والرداء.(171)

---

169) ترتيب المدارك : 8/95 – الصلة : 2/537.

170) التكملة : 1/385 تحقيق : العطار.

171) نفح الطيب : 3/214 – 216.

ويضيف المقري، بأن أهل قرطبة، كانوا أكثر الناس محافظة على العمل بأصح الأقوال المالكية، إلى درجة أنهم كانوا لا يقبلون الحاكم، إلا إذا كان لا يعدل في الحكم عن مذهب ابن القاسم.(172)

وكان تعيين المشاورين، يتم من قبل ولي الأمر بظهير، وكانت أجرتهم الشهرية على عهد هشام المعتد بالله، كما يقول ابن حيان نقلا عن شاهد عيان تصل إلى خمسة عشر دينارا.(173) وإذا كان الذين ترجموا لابن الحذاء، لم يحددوا زمن توليه الشورى، فإن الدكتور خلاف يخرج عن ذلك فيقول: «وتقلد الفقيه محمد بن يحيى الحذاء (المتوفى سنة 416هـ / 1025م) القضاء في بجانة واشبيلية، ثم عين مشاورا في قرطبة».(174)

والغريب أن يحيل بعد ذلك على الصلة، في ترجمة ابن الحذاء، وهو استنتاج ليس له ما يدعمه من كلام ابن بشكوال، بل لا ينسجم مطلقا مع مسيرة حياة ابن الحذاء.

إن الدكتور خلاف يقول: «هناك من الفقهاء من شغل خطة القضاء في أقاليم الأندلس قبل تولية خطة الشورى بقرطبة»(175) فكأنه رأى ابن الحذاء وهو قاض في جهات مختلفة من الأندلس، لا يمكن أن يكون في الوقت نفسه مشاورا بقرطبة مع أن كلام ابن بشكوال صريح على أن ابن الحذاء «كان مع القضاء في عداد المشاورين بقرطبة».(176)

ثم إن ابن الحذاء، ظل قاضيا قبل الفتنة وبعدها، أما توليه للشورى فإنما كان قبل لحاقه بالثغر الأعلى، ولعله كان منذ عهد قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يبقي بن زرب، كما تقدم في القضاء.(177)

---

172) نفسه: 3/216.

173) ابن بسام: الذخيرة: 3/1/517. وما بعدها.

174) تاريخ القضاء في الأندلس: 349.

175) نفسه.

176) انظر: الصلة: 2/507.

177) انظر: الصفحة قبله.

ثالثا : الوثائق السلطانية :

يبدو من خلال تتبع التراجم، أن هذه الخطة كانت تسند لمن يختاره السلطان من كبار الفقهاء، وغالبا ما يكون من المشاورين أو من القضاة.

وقد حاول هذا البحث، رصد أسماء من تولى هذه الخطة في الفترة محل الدرس، فلم أقع إلا على إسمين اثنين إلى جانب اسم أبي عبد الله بن الحذاء.

* أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الرعيني المعروف بابن المشاط(178) (ت396هـ) قرطبي.

ولي الشورى، والوثائق السلطانية، وقضاء استجة، واشونة وقرمونة، وجمع ذلك له ابن عامر، ثم صرفه وولاه أحكام الشرق وقضاء جيان، ثم قضاء بلنسية وقلده التاريخ.(179)

* أبو عبد الله الحسين بن حي بن عبد الملك بن حي بن عبد الرحمن بن حي التجيبي، من أهل قرطبة يعرف بالحزقة(*) (336 – 401هـ) ولي خطة الوثائق السلطانية في دولة المظفر عبد الملك ابن أبي عامر.(**)

ويبدو أن أبا عبد الله ابن الحذاء، تولى الوثائق السلطانية بعد هذين على عهد المظفر عبد الملك بن أبي عامر، وأنه ظل في هذه الخطة على عهد المظفر، ثم على عهد أخيه عبد الرحمن شنجول، ويستأنس لهذا بما نقله ابن عذاري عن الرقيق، في موضوع مقتل عبد الرحمن بن أبي عامر، وانقراض «الدولة» العامرية كما تقدم.

---

178) ترتيب المدارك : 7/197 – الصلة : 1/307.

179) نفس المصدرين.

*) الصلة : 1/141.

**) نفسه والجزء والصفحة.

2 – **ثقافته وثناء العلماء عليه :**

تنوعت ثقافة أبي عبد الله بن الحذاء، حسب تعدد المشارب التي استقى منها معارفه، والمجالات التي استأثرت باهتمامه، وهكذا يمكن الحديث عنه في كل جانب برز فيه، على النحو التالي:

1) ابن الحذاء المحدث :

أجمع كل مترجميه، على أن الذي غلب عليه أكثر من غيره، هو الحديث وعلومه، يقول ابن عفيف: «كان مميزا للحديث ورجاله(180) (...) وأنه غلب عليه الحديث فبز في علومه أهل زمانه».(181)

ويقول أبو علي الغساني : «إنه ممن عني بالاثار وأتقن حملها وميز طرقها وعللها».(182)

وبعد أن ذكر تنوع معارف الرجل عقب على ذلك بقوله : «إلا أن علم الاثر كان أغلب عليه».(183)

ويقول أبو عبد الله الخولاني : «كان من أهل العناية بالعلم، متقدما في الفهم والنبل، وكان من النقاد، يشبه المتقدمين في حفظهم وسيرهم».(184)

ويصفه الضبي بالمحدث الحافظ،(185) كما يصفه الذهبي بالعلامة المحدث(186) وبالحافظ(187) وكذلك هو عند صاحب النجوم الزاهرة: الحافظ المحدث العلامة.(188)

---

180) ترتيب المدارك : 8/5.

181) نفسه : 8/6.

182) الصلة : 2/506.

183) نفسه : 2/506.

184) ترتيب المدارك : 8/7.

185) بغية الملتمس : 146.

186) سير أعلام النبلاء : 17/444.

187) نفسه : 18/344 في ترجمة ابنه أبي عمر.

188) النجوم الزاهرة : 4/264.

2) ابن الحذاء الفقيه :

يشير القاضي عياض إلى أن ابن الحذاء، بقي بمصر والقيروان مستكثرا من مشايخه متفقها عندهم في الحديث والمذهب،(189) ويتجلى فعلا من خلال تراجم شيوخه هناك، أنه سمع من عدد من شيوخ المالكية بمصر والقيروان، كأبي القاسم الجوهري، والنعالي، وابن أبي زيد القيرواني وغيرهم.

ويقول أبو علي الغساني : إنه «كان حافظا للفقه بصيرا «بالأحكام»(...) تفقه مع القاضي أبي بكر بن زرب «في الرأي والأحكام وعقد الوثائق»(190) (...) وعلى الأصيلي(191) ويصفه أكثر مترجميه بالفقيه إلى جانب المحدث ويقول ابن عفيف: «إنه كان بصيرا بالوثائق(192) ويقول البغدادي إنه كان عالما بالفقه(193) ويصفه الصفدي بالمالكي وكذلك الذهبي في السير، ويقول: إنه كان بصيرا بالفقه.(194)

ويصفه صاحب شجرة النور الزكية، بالإمام الفقيه المشاور،(195) ومعلوم أنه كان قاضيا ومشاورا وصاحب الوثائق السلطانية.

ويذهب بالنثيا إلى أنه : «إذا استثنينا بضعة فقهاء مالكيين من طبقة ابن الحذاء محمد بن يحيى بن أحمد، وبضعة مؤرخين من طراز ابن الفرضي (...) فإن عصر المنصور لا يمتاز، بأي شخصية من الطراز الأول في ميدان العلوم والفنون».(196)

---

189) ترتيب المدارك : 8/6.

190) الصلة : 2/506.

191) نفسه : 2/506.

192) ترتيب المدارك : 8/6.

193) هدية العارفين : 2/63.

194) الوافي بالوفيات : 2/63.

195) سير أعلام النبلاء : 17/444.

196) انخيل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي : 12 – 13.

3) ابن الحذاء الأديب :

وصفه عدد من مترجميه بالأديب فقال ابن عفيف : «كان أبو عبد الله (...) عالما يقظا متفننا في الاداب (...) مرسلا بليغا، وكان خطيبا مجيدا».(197)

وتتكرر مثل هذه العبارات عند ابن فرحون(198) وغيره. ويقول ياقوت: «إنه كان خطيبا بليغا عارفا بفنون الأدب بارعا بها».(199)

ويصفه صاحب شجرة النور الزكية بالأديب الخطيب البليغ،(200) ويقول الزركلي: «إنه كان من العلماء بالأدب».(201)

ويصفه سزكين بالأديب،(202) وكحالة بالأديب الخطيب.(203)

ولابن الحذاء كما سيأتي في آثاره، كتاب في الخطب والخطباء، نقل عنه عياض أكثر من مرة في ترتيب الدارك.

4) ابن الحذاء المعبر للرؤيا :

اشتهر أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن الحذاء بكونه معبرا للرؤيا، موفقا في ذلك.

يقول ابن عفيف : «كان أبو عبد الله (...) معبرا من أبصر الناس بذلك، له فيها نوادر مشهورة(204) ويقول عنه ابنه أبو عمر ابن الحذاء: «كان لأبي علم بالفقه والحديث والعبارة للرؤيا»(205) ويقول أيضا: «ما حدثت عندنا

---

197) ترتيب المدارك : 6/8.

198) الديباج : 272.

199) معجم الأدباء : 108/19.

200) شجرة النور الزكية : 112.

201) الاعلام : 136/7.

202) تاريخ التراث العربي : 77/3.

203) معجم المؤلفين : 99/12.

204) ترتيب المدارك : 6/8.

205) الصلة : 506/2.

حادثة، إلا وقد أنذر بها أبي حسبما دلت عليها الرؤيا، فنجدها كما قال»(206) ويقول ياقوت: «كانت له معرفة تامة بعلم التعبير».(207)

وله كتاب في ذلك سماه «البشرى في تعبير الرؤيا» نقل عنه عياض في ترتيب المدارك، كما سيأتي في محله.

– وفاته :

توفي أبو عبد الله ابن الحذاء، كما نقل عن ابنه أبي عمر، بسرقسطة يوم السبت، قبل طلوع الشمس لأربع خلون من شهر رمضان سنة (416هـ – 1025م) وهو ابن سبعين سنة.(208)

ودفن بباب القبلة، على مقربة من قبر حنش بن عبد الله الصنعاني(209) أحد التابعين الذين صح دخولهم الأندلس.(210)

وكان أبو عبد الله ابن الحذاء، قد عهد، أن يدخل في أكفانه كتابه المعروف «الانباه على أسماء الله» فلما مات نثر ورقه وجعل بين القميص والأكفان،(211) ولعله استوحى الفكرة، من فعل المنصور بن أبي عامر، الذي أوصى أن ينثر على جسده بعد موته، ما كان قد تجمع لديه من الغبار المنفوض من ثيابه عقب غزواته.(212)

---

206) ترتيب المدارك : 8/7.

207) معجم الأدباء : 19/108.

208) انظر : ترتيب المدارك : 8/8 – الصلة : 2/505 – الوافي بالوفيات : 5/196 – سير أعلام النبلاء: 17/444. – النجوم الزاهرة: 4/264 – مرآة الجنان : 3/29 – شذرات الذهب: 3/206 – هدية العارفين : 2/63 – شجرة النور الزكية : 112 وغير ذلك.

209) الصلة : 2/507.

210) تاريخ علماء الأندلس : 1/151 وفيه قال ابن القاضي : قال لنا أبو محمد الثغري : رأيت قبر حنش بسرقسطة، وقبره بها عند باب اليهود معروف إلى اليوم».

211) الصلة : 2/507.

212) المعجب : 61.

ويبدو أنه لم يسبق ابن الحذاء أحد إلى دفن كتاب له معه، كما يستفاد من قول أبي جعفر القصري (ت322هـ): «لو سبقني أحد لدفن كتبه، أمرتهم أن يدفنوني مع «المعجزات» – كتاب له – حتى ألقى بها رسول الله ﷺ.(213)

ونقل عياض : إن أبا عبد الله ابن الحذاء، توفي سنة 410هـ، وهو ما اقتصر عليه الضبي، وياقوت، وابن فرحون، وصاحب طبقات المالكية،(214) ووهم المرحوم محمد عابد الفاسي، فقال «إنه توفي سنة 347هـ».(215)

213) ترتيب المدارك : 5/139. وانتقد الذهبي ابن الحذاء فقال: «ولم يصب في دفن كتابه معه» (تاريخ الإسلام 416 – ص 411).

214) انظر : ترتيب المدارك : 8/8 – بغية الملتمس : 146 – معجم الأدباء : 19/108 – الديباج : 273 طبقات المالكية : الورقة 116 ظ.

215) فهرس مخطوطات خزانة القرويين : 1/186.

الفصل الثاني

شيوخه ومروياته

ذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك، أن عدد شيوخ أبي عبد الله بن الحذاء، ستون شيخا.(1)

وعلى الرغم من أن المصادر، التي ترجمت ابن الحذاء، لم تسعف بالتعرف على أسماء كل هؤلاء الشيوخ، فإن هذا البحث استطاع – بحمد الله – الوقوف على أسماء اثنين وأربعين منهم، غير من لم يتم التأكد من أخذه عنهم، وبذلك يكون هذا البحث، قد اقترب من الرقم الذي ذكر عياض، الذي لم يسم هو نفسه منهم في ترجمة أبي عبد الله بن الحذاء سوى خمسة وعشرين شيخا.

وقد بذلت جهدا كبيرا، من أجل التحقق، من أسماء من تم العثور عليهم، من هؤلاء الشيوخ، مع التأكد من أخذ أبي عبد الله بن الحذاء عنهم، وتصحيح ما أصاب أسماء بعضهم من تحريف أو تصحيف.

وإذا كان المترجم، قد طلب العلم ابتداء من 361هـ، فإن مدة الطلب قد استمرت إلى حوالي 373هـ، وانقسمت إلى مرحلتين: أندلسية ومشرقية كما سيأتي.

ويلاحظ أن شيوخ ابن الحذاء يغلب عليهم الجانب الحديثي بالدرجة الأولى، يليه الجانب الفقهي في المقام الثاني، مع الإشارة إلى أن 18 شيخا من هؤلاء الشيوخ يجمعون بين الحديث والفقه، واللافت للانتباه، أن أكثر هؤلاء الثمانية عشر من رجال الغرب الإسلامي، ومنهم في الوقت ذاته، أكثر القضاة من شيوخ ابن الحذاء، الشيء الذي يدعم ما ذهب إليه هذا البحث من أن المرحلة الثالثة من مراحل تطور علم الرجال بالغرب الإسلامي، عرفت تصالحا بين مدرستي الحديث والفقه، بعد سيادة كل مدرسة منهما على حدة، في مرحلة من المرحلتين السابقتين.

1) ترتيب المدارك : 8/7.

وبعد الحديث والفقه، من الجوانب التي غلبت على شيوخ ابن الحذاء، تأتي الدراسات القرآنية في المرتبة الثالثة، ومعها في هذا المستوى، اللغة العربية وما يتعلق بها، ثم التاريخ وما إليه، ثم معارف واهتمامات أخرى، من شعر وكلام وحساب وغير ذلك.

المبحث الأول : شيوخه بالأندلس :

لا أعلم – الآن – إن كان أبو عبد الله بن الحذاء قد طلب العلم في غير قرطبة، قبل رحلته إلى المشرق على الأقل، ومعنى ذلك أن دراسته الأولى كانت كلها بقرطبة، ثم إن شيوخه بالأندلس منهم من أخذ عنه قبل رحلته إلى المشرق، وهم أكثر شيوخه، ومنهم من أخذ عنه، أو واصل الأخذ عنه، بعد عودته من رحلته المذكورة.

قال عياض : «وكان ابن زرب قد استخصه من صغره (...) وتفقه عنده، ولقي غيره من شيوخ الأندلسيين كأبي زكرياء بن برطال وابن السليم، ومحمد بن أبي دليم، والأنطاكي، وابن عون الله، والقلعي، والزبيدي وابن النعمان، وابن عائذ، وابن أبي عيسى الليثي وغيرهم (...) وورد الأندلس، فلازم الأصيلي وارتفعت طبقته في العلم».(2)

وقال ابن بشكوال : «روى بقرطبة، عن أبي عمر أحمد بن ثابت التغلبي، وأبي عيسى الليثي وأبي بكر بن القوطية، وأبي جعفر ابن عون الله، وأبي عبد الله ابن مفرج، وأبي بكر الزبيدي، وأبي عبد الله ابن الخراز، وخطاب بن أبي مسلمة، وأبي محمد الباجي، وأبي محمد الأصيلي وغيرهم (...) وكانت له خاصة بالقاضي أبي بكر بن زرب، تبناه وهو ابن بضع عشر سنة (...) ولزم أبا محمد الأصيلي، واختص به وانتفع بصحبته».(3)

---

2) ترتيب المدارك : 8/ 7.

3) الصلة : 2/505 – 506.

فهذه أسماء سبعة عشر شيخا من شيوخ ابن الحذاء، اشترك في ذكرها عياض وابن بشكوال، وهناك أسماء أخرى ذكرها غيرهما وهذا معجمهم جميعا، مرتبين حسب وفياتهم.

1) أبو حفص عمر بن عبد الملك بن سليمان الخولاني،(4) قرطبي (ت356هـ).

ورد ذكره عند ابن عطية وابن خير في فهرستيهما(5) سمع بالأندلس من محمد بن عبد الملك ابن أيمن، وقاسم بن أصبغ وغيرهما. ورحل فسمع بمكة من أبي سعيد بن الأعرابي وغيره، ودخل العراق، فسمع من جماعة من أهل الحديث بها.

وسمع بالبصرة من أبي بكر بن داسة : السنن لأبي داود وغير ذلك وسمع بمصر من غير واحد، وقدم الأندلس، فحدث وسمع منه الناس كثيرا، وكان له حظ من العربية والشعر والغريب وقد حدد كل من ابن عطية وابن خير، بعض التواريخ المتعلقة بقراءة أبي حفص الخولاني المسند لأبي داود، برواية أبي بكر بن داسة – أكمل الروايات كما نقلا ذلك – ثم ذكرا سنديهما إلى أبي داود، ومن رجال هذا السند أبو عبد الله بن الحذاء.(6)

2) أبو عمر أحمد بن نابت التغلبي(7) من أهل قرطبة (274 – 360هـ) ذكره ابن بشكوال والذهبي وابن فرحون.(8)

وقد جاء في أكثر المصادر والمراجع، باسم أحمد بن ثابت بالثاء المثلثة، وبذلك ترجمه ابن الفرضي في تاريخه. والصواب، أنه أحمد بن

---

4) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 2/368.

5) ابن عطية الأندلسي : فهرسة ابن عطية : 130. دار الغرب الإسلامي – بيروت – ط 2 : 1983 – فهرسة ابن خير : 107.

6) نفس المصدرين.

7) من مصادر وترجمته : تاريخ ابن الفرضي : 1/58 ع 148 – جذوة المقتبس : 1/229 ع251.

8) الصلة : 1/505 – سير أعلام النبلاء : 17/444.

نابت بالنون، وبذلك ذكره الحافظ عبد الغني بن سعيد،(9) كما ترجمه الحميدي باسم أحمد بن نابت، وقال: إنه التغلبي بالغين، تصحيحا لما جاء في بعض المظان، من أنه الثعلبي بالثاء والعين.

والجدير بالذكر، أن ابن الفرضي، ترجم والد أحمد هذا فقال إنه «نابت بن أحمد بن زبيد بن عكف التغلبي».(10)

سمع أحمد بن نابت التغلبي، من عبيد الله بن يحيى الليثي، وسعيد بن عثمان الأعناقي، ومحمد ابن عمر بن لبابة وغيرهم.

قريء عليه الموطأ عن عبيد الله بن يحيى الليثي عن أبيه.(11)

3) أبو عبد الله محمد بن بطال التميمي(12) من أهل لورقة (ت366هـ) ذكره ياقوت وابن فرحون.(13)

رحل إلى المشرق رحلتين، الأولى سنة 328هـ، والثانية سنة 346هـ، سمع في الأولى من ابن الأعرابي بمكة وغيره، وبمصر من أحمد بن مسعود الزبيري، وأبي القاسم العلاف، وابن أبي الأصبغ الإمام، وابن أبي الحديد وغيرهم.

وسمع بتنيس، من عثمان بن محمد السمرقندي وغيره، وروى كتاب ابن المواز عن ابن أبي مطر بالاسكندرية. حدث بقرطبة وسمع منه الناس.(14)

---

9) عبد الغني بن سعيد : المؤتلف والمختلف : 49 تحقيق : د. محمد زينهم محمد عزت دار الأمين – القاهرة – ط 1 : 1414هـ = 1994م.

10) تاريخ ابن الفرضي : 2/154 ع 1494.

11) نفسه : 1/58.

12) من مصادر ترجمته : تاريخ ابن الفرضي : 2/78 ع 1317.

13) معجم الأدباء : 19/108 – الديباج المذهب : 272.

14) تاريخ علماء الأندلسي لابن الفرضي : 2/78.

4) أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية(15) (ت367هـ)، من أهل قرطبة، أصله من إشبيلية، ذكره ابن بشكوال والذهبي.(16)

سمع بإشبيلية من حسن بن عبد الله الزبيدي، وعلي بن أبي شيبة، وسيد أبيه الزاهد وغيرهم، وسمع بقرطبة من محمد بن عمر بن لبابة، وعمر بن حفص بن أبي تمام، وأحمد بن خالد، ومحمد ابن عبد الملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ وغيرهم.

كان عالما بالنحو، حافظا للغة، حافظا لأخبار الأندلس، وكانت كتب اللغة أكثر ما يقرأ عليه، ولم تكن له معرفة بالحديث والفقه،(17) سمع منه الكامل للمبرد، وكان يرويه عن سعيد بن جابر.(18)

5) أبو بكر محمد بن إسحاق ابن السليم - بفتح السين - قاضي الجماعة بقرطبة (ت302 - 367هـ) قرطبي.(19) ويقال: إن اسم جده «سليم» بغير تعريف،(20) ذكره عياض وابن فرحون وصاحب طبقات المالكية.(21)

رحل إلى المشرق سنة 332هـ، وبعد عودته أقبل على الزهد والتعليم، ثم ولي القضاء بقرطبة سنة 356هـ، بعد وفاة منذر بن سعيد البلوطي،(22)

---

15) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 2/78 - جذوة المقتبس : 1/128. طبقات المالكية الورقة : 82 ظ.

16) الصلة : 2/505 - سير أعلام النبلاء : 17/444.

17) تاريخ علماء الأندلس : 2/79.

18) نفسه.

19) من مصادر ترجمته : قضاة قرطبة : 120 - تاريخ علماء الأندلس : 2/79. - جذوة المقتبس : 1/81 - طبقات المالكية لمجهول : الورقة 110 ع 259.

20) المؤتلف والمختلف : 105 - جذوة المقتبس : 1/81.

21) ترتيب المدارك : 8/6 - الديباج : 272 - طبقات المالكية : الورقة 116 ظ.

22) قضاة قرطبة : 120.

حدث وسمع منه الناس كثيرا وكان عالما بالحديث لغويا نحويا خطيبا بليغا.(23)

6) أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى ثلاثة قرطبي(24) (ت367هـ) ذكره(25) عياض وابن بشكوال والذهبي.

عمر إلى أن كان آخر من حدث عن عبيد الله بن يحيى عم أبيه، وانفرد بالرواية عنه.(26) قال ابن عفيف : سمعنا منه الموطأ في أزيد من خمسمائة تلميذ،(27) وهم أبو الحسن الدراقطني بالرحلة إلى الأندلس للسماع منه.(30)

7) أبو القسام أحمد بن محمد بن يوسف المعافري قرطبي يعرف بالقسيطلي(31) (ت368 / أو 372هـ) ذكره عياض.(32) كان له إلمام بعلوم كثيرة من فقه وحديث وعربية ولغة، رحل وأدخل الأندلس علما جما،(33) حدث وسمع منه الناس.(34)

---

23) تاريخ علماء الأندلس : 2/80.

24) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 2/189 – 190 ع 1597 – جذوة المقتبس : 2/600 ع 895 – ترتيب المدارك : 6/108 – بغية الملتمس : 488.

25) ترتيب المدارك : 8/6 – الصلة : 2/505 – سير أعلام النبلاء : 17/444. – العبر : 3/122.

26) ترتيب المدارك : 6/108.

27) نفسه.

28) نفسه.

29) نفسه.

30) تاريخ علماء الأندلس : 2/119 – ترتيب المدارك : 6/108.

31) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 1/62 ع 166 – ترتيب المدارك : 7/11.

32) ترتيب المدارك : 7/11.

33) تاريخ علماء الأندلس : 1/62.

34) نفسه.

8) أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز قرطبي(35) (ت369هـ) ذكره(36) ابن بشكوال والضبي.

كان عالما بالنحو فصيحا بليغا ثقة مامونا، حدث بكتاب الرسالة للشافعي.(37)

9) أبو المغيرة خطاب من مسلمة ابن بترى بضم الباء وتسكين التاء وراء مكسورة في آخره – من أهل قرمونة، سكن قرطبة(38) (294 – 372هـ) ذكره(39) عياض وابن بشكوال.

رحل إلى المشرق سنة 332هـ، صحبة أبي بكر ابن السليم، فسمع بمكة من ابن الأعرابي، وبمصر من أحمد بن مسعود الزيدي الخولاني، وأحمد بن بهزاد المصري وغيرهم.(40) كان فقيها بصيرا بالنحو والعربية، سمع منه الناس كثيرا.

10) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم قرطبي(41) (288 – 372هـ) ذكره عياض.(42)

عرف بالاستقامة والزهد من صغره، وكان ثقة مأمونا، وأبى الاسماع إلى أن توفي أصحابه، واحتاج الناس إليه، فأجاب إلى ذلك مدة ثلاثة أعوام، قريء عليه خلالها علم كثير.

---

35) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 82/2 ع 1325 – جذوة المقتبس : 160/1 – 161 ع 166.

36) الصلة : 506/2 – بغية الملتمس : 146.

37) جذوة المقتبس : 161/1.

38) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 158/1 – 159 ع 404 – ترتيب المدارك : 13/7.

39) ترتيب المدارك : 13/7 – الصلة : 506/2.

40) تاريخ علماء الأندلس : 158/1 ترتيب المدارك.

41) له ترجمة في : تاريخ علماء الأندلس : 85/2 – ترتيب المدارك : 150/6.

42) ترتيب المدارك : 6/8.

11) أبو زكرياء يحيى بن مالك بن عائذ من أهل طرطوشة(43) (300 – 375هـ) ذكره عياض.(44)

رحل إلى المشرق سنة 347هـ، سمع ببغداد من سبعمائة رجل ونيف، وجمع من العلم ما لم يجمعه أحد قبله ممن رحلوا إلى المشرق، وبقي هناك حوالي اثنتين وعشرين سنة، وكتب في طبقات المحدثين، ولزم أبا الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني.

عاد إلى الأندلس سنة 369هـ، سمع منه الناس على اختلاف أعمارهم وأقدارهم. كان يملي ويحدث بجامع قرطبة.

12) أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشير من أهل انطاكية(45) (299 – 377هـ) ذكره عياض وابن فرحون.(46)

قدم الأندلس في ربيع الثاني سنة 352هـ : فقر به الحكم المستنصر، وأحاطه الناس بما يليق به من التقدير والاحترام، كما كان رأسا في القراءات، إما ما فيها مع المعرفة الدقيقة بالعربية، والحساب، مع نصيب من الفقه على مذهب الشافعي، قرأ عليه جماعة.

13) أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم بن النعمان القرشي الفهري القروي(47) (ت378هـ) ذكره عياض.(48)

---

43) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 2/191 – جذوة المقتبس : 2/605 – تذكرة الحفاظ : 3/1003.

44) ترتيب المدارك : 8/6.

45) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 1/361 – غاية النهاية لابن الجزري: 1/564 – نفح الطيب : 3/144.

46) ترتيب المدارك : 8/6. – الديباج : 272.

47) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 2/115 – غاية النهاية : لابن الجزري : 2/132.

48) ترتيب المدارك : 8/6.

قدم إلى الأندلس سنة 357هـ، أقرأ الناس بالأندلس زمنا، وكان اعتماده على كتاب السبعة لابن مجاهد، وكان حسن الصوت ذا حفظ للحروف، ولم يكن عنده شيء من الحديث، ضعيف الخط.

14) أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن شريعة اللخمي المعروف بابن الباجي،(49) إشبيلي (291 – 378هـ) أصله من باجة القيروان. ذكره ابن بشكوال.(50)

قال ابن الفرضي : «كان ضابطا لروايته، ثقة صدوقا حافظا للحديث بصيرا بمعانيه، لم ألق فيمن لقيته من شيوخ الأندلس من أفضله عليه في الضبط».

ونقل عن إسماعيل ابن إسحاق : «لم يكن بالأندلس بعد عبد الملك بن حبيب مثل أبي محمد الباجي».

ووصفه الحميدي بأنه محدث مكثر جليل، وقال الذهبي : الحافظ الحجة العلامة محدث الأندلس».

استقدم إلى قرطبة سنة 368هـ فأقام بها يحدث الناس إلى سنة 370هـ ثم انصرف إلى موضعه، روى الناس عنه كثيرا وحدث نحوا من خمسين سنة.

15) أبو جعفر أحمد بن عون الله بن حدير بن تبع بن تبيع البزاز قرطبي(51) (300 – 378هـ).

ذكره عياض وابن بشكوال وياقوت وابن فرحون والذهبي وغيرهم،(52) سمع من أهل قرطبة كمحمد بن عبد الله بن دليم

---

49) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 1/281 – جذوة المقتبس : 1/390. – ترتيب المدارك : 7/34 – تذكرة الحفاظ: 3/1004.

50) الصلة : 1/506.

51) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 1/67.

52) ترتيب المدارك : 8/6 – الصلة : 2/505 – معجم الأدباء: 19/108 – الديباج : 272 – سير أعلام النبلاء : 7/444.

وقاسم بن أصبغ، ثم رحل فسمع بمكة من ابن الأعرابي، وأبي الحسن العجيفي، وابن فراس وغيرهم، وسمع بـاطرابلس الشام من خيثمة ابن سليمان حيدرة الأطرابلسي، وسمع بدمشق من الأدرعي أبي يعقوب، وسمع بمصر من أحمد بن سلمة الضحاك، وسعيد بن السكن وغيرهما.

قال ابن الفرضي في حقه : كان شيخا صالحا، صدوقا، صارما في السنة متشددا على أهل البدع، وكان لهجا بهذا النوع، صبورا على الأذى فيه، كتب عنه الناس قديما وحديثا».(53)

16) أبو بكر محمد بن حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي،(54) إشبيلي، سكن قرطبة فنال بها جاها عظيما ورياسة (ت379هـ) ذكره عياض وابن بشكوال.(55)

إمام في اللغة العربية، سمع من قاسم بن أصبغ وسعيد بن فحلون، وأحمد بن سعيد بن حزم، وقيد اللغة والأشعار عن أبي علي القالي، استأدبه به الحكم المستنصر بالله لولي عهده هشام.

ألف في النحو كتابا سماه «الواضح» واختصر كتاب «العين» للخليل. وألف «طبقات النحويين واللغويين»، و«لحن العامة»، وغير ذلك وكان شاعرا مكثرا.

روى عنه غير واحد منهم ابنه أبو الوليد محمد، وقرىء عليه بعض كتب اللغة وبعض ما ألفه.

---

53) تاريخ علماء الأندلس : 1/68.

54) من مصادر ترجمته / تاريخ علماء الأندلس : 2/92 جذوة المقتبس : 1/85.

55) ترتيب المدارك : 8/6 – الصلة : 2/506.

17) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن يحيى بن مفرج(56) مولى عبد الرحمن بن الحكم قرطبي (315 – 380هـ). ذكره ابن بشكوال والضبي ومخلوف.(57)

سمع ببلده من قاسم بن أصبغ، ومن محمد بن عبد الله بن أبي دليم، وأحمد بن عبادة الرعيني، ومحمد بن محمد بن عبد السلام الخشني وأمثالهم.

رحل إلى المشرق سنة 337هـ، وقدم الأندلس سنة 345هـ، بعد أن روى عن عدد كبير من شيوخ المشرق والمغرب، كأبي سعيد ابن الأعرابي، وابن فراس، والعجيفي، وأبي سعيد الحسين ابن محمد النجيرمي، وأبي الحسن بن بهزاد الفارسي، وأحمد بن سلمة بن الضحاك الهلالي، وخيثمة بن سليمان الاطرابلسي وغيرهم، روى عن ابن مفرج بمصر، أبو سعيد بن يونس.

كانت له مكانة وخاصة من الحكم المستنصر بالله، واستقضاه على استجة ثم على رية.

قال عنه ابن الفرضي : كان حافظا للحديث، عالما به، بصيرا بالرجال، صحيح النقل، جيد الكتاب على كثرة ما جمع.(58)

وله تصانيف في فقه الحديث، وفي فقه التابعين، منها فقه الحسن البصري، وفقه الزهري وغير ذلك.

وجمع مسند حديث قاسم بن أصبغ للحكم المستنصر بالله.

---

56) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 2/93 – جذوة المقتبس : 1/76 – تذكرة الحفاظ 3/1007.

57) الصلة : 2/506 – بغية الملتمس : 146 شجرة النور الزكية : 112.

58) تاريخ علماء الأندلس : 2/95.

18) أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب(59) (317 - 381هـ) قاضي الجماعة بقرطبة، ذكره عياض وابن بشكوال وياقوت وابن فرحون.(60)

سمع من قاسم بن أصبغ، ومحمد بن عبد الله بن أبي دليم ونظرائهما، وتفقه عند أبي بكر اللؤلؤى، وأبي إبراهيم.

كان أحفظ أهل زمانه للمسائل على مذهب مالك وأصحابه، حتى كان محمد بن إسحاق بن السليم يقول له: يا أبا بكر : لو رآك عبد الرحمن بن القاسم لعجب منك.

له كتاب في الفقه سماه «الخصال» وله رد على محمد بن مسرة، حدث به وقريء عليه مرارا.

19 - أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري القلعي(61) ذكره عياض وابن فرحون.(62)

رحل إلى المشرق سنة 335هـ، سمع ببغداد من أبي علي الصواف، وأبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان، وسمع بالشام من أبي العقب الدمشقي وبمصر من عبد الله بن جعفر بن الورد، والحسن بن رشيق، وأبي بكر بن أبي طنة وغيرهم، وروى عنه هو أبو سعيد يونس.

وعندما عاد إلى الأندلس لزم العبادة والجهاد، واستقضاه الحكم المستنصر بالله ببلده ثم استعفاه من القضاء فأعفاه.

قال عنه ابن الفرضي : كان فقيها فاضلا دينا ورعا صليبا في الحق، لا يخاف في الله لومة لائم، ما كنا نشبهه إلا بسفيان الثوري في زمانه،

---

59) له ترجمة في : تاريخ علماء الأندلس : 2/96 - جذوة المقتبس : 1/162 ترتيب المدارك : 7/114 - تذكرة الحفاظ : 3/995.

60) ترتيب المدارك : 8/6 - الصلة : 2/506 - معجم الأدباء: 19/108 - الديباج : 272.

61) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 1/285 - جذوة المقتبس : 1/395 - ترتيب المدارك : 7/24 - سير أعلام النبلاء : 6/444.

62) ترتيب المدارك : 8/6 - الديباج : 272.

وأنكر على بعض أسباب السلطان في ناحيته، فسعي به فعهد بإسكانه قرطبة».(63)

ويبدو أن ابن الحذاء، إنما أخذ عنه في هذه الفترة بعد أن عاد من رحلته، ولم يلبث القلعي أن عاد من قرطبة إلى بلده أواخر عام 376هـ، وكانت الرحلة إليه من جميع نواحي الثغر.

20 – أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي(64) (324 – 392) ذكره عياض وابن بشكوال والذهبي.(65)

قدم قرطبة سنة 342هـ، فسمع بها من أحمد بن سعيد بن حزم، ومحمد بن معاوية القرشي وأبي بكر اللؤلؤي وغيرهم، وسمع بوادي الحجارة من وهب بن مسرة، ثم رحل إلى المشرق أول سنة 351هـ.

لقي بمصر أبا الطاهر البغدادي، وابن رشيق، وحمزة الكناني الحافظ، وأبا إسحاق بن شعبان، وغيرهم، وحج سنة 353, فلقي بمكة أبا زيد المروزي، سمع منه صحيح البخاري، وأبا بكر الأجري، وبالمدينة قاضيها أبا مروان المالكي، ودخل العراق، فسمع من أبي بكر الشافعي، وأبي علي الصواف، وأبي بكر الأبهري وغيرهم.

تدبج مع الدارقطني، وكتب عنه ابن أبي زيد القيرواني، عن شيوخه الأندلسيين، وبه تفقه أبو عمران الفاسي وغيره، وروى عنه المهلب بن أبي صفرة، وابن حزم الظاهري، ولازمه ابن الحذاء بعد عودته من المشرق وكان يقول: «لم ألق مثله في علمه بالحديث ومعانيه وعلله ورجاله.

63) تاريخ علماء الأندلس : 1/285.

64) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 1/290 – جذوة المقتبس : 1/400 – ترتيب المدارك : 7/135 – معجم البلدان : 1/278 – تذكرة الحفاظ : 3/1024. سير أعلام النبلاء: 6/560.

65) ترتيب المدارك : 8/7 – الصلة : 2/560 – سير أعلام النبلاء : 7/444.

له مؤلفات منها، كتاب الدلائل على أمهات المسائل، وهي في اختلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة، ونوادر حديثه، والانتصار ورسالة المواعد المنتجزة، ورسالة الرد على ما استجل عن رسول الله ﷺ، ورسالة الرد على ما شذ فيه الأندلسيون.

21 – أبو عبد الله محمد بن يحيى بن زكرياء بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال(66) قرطبي (299 – 394هـ).

ذكره عياض وصاحب طبقات المالكية،(67) سمع ببلده من أحمد بن خالد وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن عيسى بن رفاعة وغيرهم.

رحل إلى المشرق سنة 341هـ، سمع بمكة من ابن فراس وغيره، وسمع بمصر من أحمد بن جامع السكري، وحمزة بن محمد الكناني، وأبي المفسر، وأبي علي بن السكن، والحسن بن رشيق، وعبد الكريم بن أحمد بن شعيب النسائي وغيرهم.

رحل إلى الشام، وسمع فيها ببيت المقدس، وبالرملة ثم عاد إلى الأندلس، فولي قضاء رية ثم جيان، وأحكام الشرطة ثم قضاء الجماعة بقرطبة والصلاة.

حدث بصحيح البخاري، عن أبي علي بن السكن، سمعه منه الشباب والشيوخ والكهول.

المبحث الثاني : شيوخه بالمشرق :

تنقل أبو عبد الله ابن الحذاء في رحلته إلى المشرق، بين القيروان ومكة والمدينة، ومصر، ولقي في هذه البلاد، عددا من الشيوخ، فيما يلي أسماء من أخذ عنهم منهم بالمشرق، مباشرة أو من كاتبه منهم.

---

66) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 2/107 – طبقات المالكية : الورقة 85.

67) ترتيب المدارك : 6/8 – طبقات المالكية : الورقة 116 ظ.

أ – القيروان :

تقول المصادر : إن أبا عبد الله بن الحذاء، لقي في أول رحلته نحو المشرق، أبا محمد بن أبي زيد القيرواني، وتفقه معه، حمل عنه تواليفه»(68) ولم تذكر هذه المصادر، من شيوخ ابن الحذاء بالقيروان غيره وهذه ترجمته باختصار:

1) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني(69) (310 – 386هـ) لقب بمالك الصغير.

أخذ عن كبار علماء عصره في بلده، ورحل إلى المشرق، فحج وسمع من ابن الأعرابي وغيره وأجازه ابن شعبان القرظي والأبهري وسواهما.

أخذ عن الجالطي رفيق ابن الحذاء في رحلته، كتاب الزبيدي في الرد على ابن مسرة.(70)

له مؤلفات كثيرة تجاوز الثلاثين كتابا من أشهرها «الرسالة» ومنها كتاب النوادر والزيادات، و«كتاب النهي عن الجدال»، ومختصره للمدونة وغير ذلك.(71)

ب – مصر :

يقول عياض عمن لقي أبو عبد الله بن الحذاء من الشيوخ بمصر : «ولقي بمصر النعالي، والجوهري، والذهلي الكبير، فتفقه عندهم وسمع منهم، ومن عبد الغني، وابن ماهان وأبي القاسم هشام بن محمد بن أبي

---

68) انظر : ترتيب المدارك : 8/6 – الصلة : 506/2.

69) من مصادر ترجمته : ترتيب المدارك : 215/6 – الديباج : 136 طبقات المالكية لمجهول : الورقة 89 ظ ع 206.

70) الصلة : 490/2.

71) سير أعلام النبلاء : 11/17 – تاريخ التراث العربي : 166/3 – 173.

خليفة، رواية الطحاوي، وابن المهندس، والادفوي، وابن غلبون، وابن حسون السامري، وابن رشيق وغيرهم».(72)

وجاء في الطبعة اللبنانية بتحقيق الدكتور أحمد بكير محمود، مكان ابن رشيق، ابن رشدين.(73)

ويذكر ابن بشكوال في الصلة، أسماء أخرى لم يذكرها عياض، فيقول: «ولقي بمصر أبا القاسم الحسين بن عبد الله العثماني، وأبا على الحسن بن علي المطرز (...) ولقي بدمياط أبا بكر محمد بن يحيى الدمياطي، فسمع منه».(74)

وأورد صاحب شجرة النور الزكية، اسم شيخ آخر من شيوخ ابن الحذاء بمصر هو «ابن شعبان»(75) ولم أقف على ذكره عند غيره.

وعلى هذا يكون شيوخ ابن الحذاء بمصر، ما بين 15 و16 شيخا، هم كالآتي مرتبين حسب تواريخ وفياتهم - قدر الإمكان :

1 - أبو الطاهر الذهلي(76) (279 - 367هـ) :

هو أبو الطاهر محمد بن محمد بن عبد الله بن نصر الذهلي، من بيت علم ومكانة ببغداد سمع من كبار علماء عصره، كبشر بن موسى، وأبي أحمد بن عبدوس، وموسى بن هارون، وأبى بكر الفريابي، وجعفر بن يحيى القطان، وأبي إسحاق الراجي وغيرهم.

سمع منه الدارقطني، وعبد الغني بن سعيد، وأبو القاسم الجوهري، وابن أبي زيد القيرواني وغيرهم.

---

72) ترتيب المدارك : 6/8 الطبعة المغربية.

73) نفسه : 4/734 الطبعة اللبنانية.

74) الصلة ك 2/505.

75) شجرة النور الزكية : 112.

76) من مصادر ترجمته : ترتيب المدارك : 5/266 - 268.

انتخب له الدارقطني وعبد الغني بن سعيد، أجزاء من حديثه،(77) تولى القضاء بواسط وبغداد ودمشق، ثم ولي قضاء مصر سنة 348هـ كان فقيها مالكيا جليلا، ومحدثا كبيرا، وثقة ثبتا كثير السماع.

ذكره القاضي عياض فيمن لقيه أبو عبد الله بن الحذاء من الشيوخ بمصر،(78) والظاهر أن ابن الحذاء لم يلقه، وإنما روى عنه بالمكاتبة، كما تشهد لذلك رواياته عنه في التعريف(79) كانت وفاته بمصر.

2 – ابن شعبان : هكذا ذكره صاحب شجرة النور الزكية، وقال: إن ابن الحذاء لقيه بمصر(80) وابن شعبان في هذه المرحلة رجلان:

* أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المصري(81) شيخ المالكية بمصر في زمانه، يعرف بابن القرظي (ت355هـ) وتاريخ وفاته هذا، يبعد أن يكون ابن الحذاء قد لقيه، ويبقى مع ذلك احتمال روايته عنه بالإجازة.

* أبو علي الحسن بن علي بن شعبان (ت369هـ) يروي عن أحمد بن مروان، وأسامة بن علي وابن الأعرابي وابن المنذر، روى عنه أبو القاسم الجوهري كثيرا في مسند الموطأ(82) لقيه عدد من الأندلسيين بمصر منهم: أبو المطرف عبد الرحمن بن تمام (ت379هـ) سمع منه(83) وأخذ عنه كذلك محمد بن عمروس (ت400هـ)، رحل إلى المشرق، كان ببغداد سنة 369هـ(84)

---

77) انظر : تاريخ التراث العربي : 3/164.

78) ترتيب المدارك : 8/6.

79) انظر : التعريف لابن الحذاء : الورقة 2 و/32 ظ / 42 وإلخ.

80) شجرة النور الزكية : 112.

81) من مصادر ترجمته : ترتيب المدارك : 5/275.

82) انظر : مسند الموطأ للجوهري.

83) تاريخ علماء الأندلس : 1/308.

84) الصلة : 2/487 – 488.

وأجاز لعبد الله بن سعيد بن حبرون أبو محمد (ت403هـ) رحل إلى المشرق.(85)

ولقيه بمصر عبد الرحمن بن مروان القنازعي (ت413هـ)، رحل إلى المشرق سنة 367هـ،(86) وروى عنه أحمد بن عيسى السبائي أبو الأصبغ، رحل إلى المشرق سنة 367هـ، كان حيا سنة 419هـ).(87)

وفي لقاء ابن الحذاء بابن شعبان هذا نظر، لأن الراجح أنه رحل سنة 370هـ أو قبلها بقليل، ويبدو أن القريب أن تكون العلاقة بين الرجلين قائمة على المكاتبة أو الإجازة والله أعلم.

3 – أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري المصري(88) (283 – 370هـ) مسند مصر، سمع من أحمد بن حماد زغبة، ومحمد بن عثمان بن سعيد السراج، ومحمد بن زريق بن جامع المديني وأبي عبد الرحمن النسائي وغيرهم.

حدث عنه الدارقطني، وعبد الغني بن سعيد، وأبو القاسم الجوهري وغيرهم.(89)

وقد سبقت الإشارة إلى أن القاضي عياض قال : إن ابن الحذاء لقي ابن رشيق بمصر – حسب الطبعة المغربية – في حين جاء في الطبعة اللبنانية

---

85) نفسه : 1/259.

86) نفسه : 2/322.

87) نفسه : 2/435.

88) من مصادر ترجمته : تذكرة الحفاظ : 959 – شذرات الذهب : 3/71 – تاريخ التراث العربي : 1/406 – وهناك ابن رشيق آخر (ت376هـ)، وفيات المصريين: 27 ع 25, وآخر (ت378هـ) نفسه : 28 ع 37.

89) وممن كتب إليه ابن رشيق من أهل الأندلس : أبو المطرف عبد الرحمن ابن فطيس (الصلة: 1/309).

مكان ابن رشيق ابن رشدين، وهذا يبعث على افتراض عدة احتمالات أهما اثنان :

1 – أن يكون الصواب مع إحدى الطبعتين، خصوصا وأنه جاءت فيهما أخطاء، في أسماء عدد من شيوخ ابن الحذاء.

2 – أن يكون الصواب مع الطبعتين، لكن سقط من الأولى ابن رشدين، وسقط من الثانية ابن رشيق، وقد وقع فعلا سقوط اسم تلميذين، من تلاميذ ابن الحذاء، من الطبعة المغربية.

ولما كانت كل الاحتمالات واردة، فمن الصعب ترجيح احتمال على احتمال، ويبقى الأنسب ذكر الرجلين معا، حتى ترجح كفة أحدهما أو تصح أستاذتيهما لابن الحذاء كليهما.

4 – أبو القاسم الحسين بن عبد الله القرشي العثماني المصري(90) (ت373هـ) يروي عن محمد بت النفاح الباهلي، وعلي بن أحمد بن سليمان علان(91) وإبراهيم بن محمد(92) ومسلم بن عبد الله بن طاهر السيني،(93) ومحمد بن أسامة،(94) وعبد الله بن حامد بن جعفر وعبد الله بن محمد القاضي(95) وأبي جعفر الطحاوي وغيرهم.(96)

سمع منه من كبار علماء مصر، أبو القاسم الجوهري، وعبد الغني بن سعيد وغيرهما، وروى عنه بمصر من أهل المغرب، أبو محمد بن الوليد بن سعد الأنصاري الأندلسي، وأبو عبد الله محمد بن خلف ابن السولة

---

90) من مصادر ترجمته : تاريخ الإسلام للذهبي : 18/538.

91) التعريف : الورقة : 21 و – تاريخ الإسلام : 18/538.

92) غوامض الأسماء المبهمة : 1/242 – 243.

93) نفسه : 1/327.

94) نفسه : 343 – 360.

95) التمهيد : 1/70.

96) التعريف : الورقة 5 ظ.

الأندلسي، أخذ عنه كتابه «معجم الصحابة» وأبو القاسم الحضرمي، وخلف بن قاسم بن سهل ابن الدباغ وغيرهم.

ووهم البغدادي في إيضاح المكنون فقال : «حسين بن عبد الله القرشي الأندلسي كان حيا بمصر سنة 400هـ».(97)

وتبعه على ذلك عمر كحالة، في معجم المؤلفين، وكاتب بحث الصحابة في مجلة البصائر.(98)

ومصدر هذا الوهم، ما جاء في الصلة في ترجمة أبي عبد الله محمد بن خلف المعروف بابن السولة «رحل إلى المشرق ولقي بمصر الحسين بن عبد الله القرشي، وأخذ عنه معجم الصحابة له في ثلاثين جزءا (...) ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وتوفي في جمادى الأولى عام أربعمائة».(99)

وجاء في الترجمة كذلك، أن ابن السولة لقي بمصر الحسن بن رشيق، وهذا الأخير توفي كما تقدم سنة 370 مما يقرب من زمن وجود ابن السولة في مصر. وقد أكثر ابن الحذاء من الرواية عن العثماني في التعريف كما سيأتي في محله.

5 – أبو علي الحسن بن على بن داود بن سليمان بن خلف المطرز المصري الأصبحي(100) (290 – 375هـ) وفي تاريخ بغداد أنه ولد سنة 285هـ.

روى عن الحارث بن مسكين، وأبي بشر الدولابي والعباس بن محمد بن العباس البصري ومحمد بن عباس اليردعي وآخرين.(101)

---

97) إيضاح المكنون /2/509.

98) معجم المؤلفين : 4/24 – مجلة البصائر : 7 ص 60 – 61.

99) الصلة : 2/486 ع 1051.

100) من مصادر ترجمته : تاريخ بغداد : 7/388 – المنتظم لابن الجوزي: 7/127. العقد الثمين للفاسي: 4/156 – 157 – تاريخ الإسلام للذهبي: 18/570.

101) العقد الثمين : 4/156.

قدم بغداد وحدث بها، عن محمد بن محمد بن بدر الباهلي، وأبي غسان القلزمي، وعبد الكريم بن إبراهيم بن حبان المرادي وغيرهم.(102)

روى عنه أبو بكر البرقاني، وأبو العلاء الواسطي، وأحمد بن عبد الله المحاملي، ومحمد بن عمر بن بكير المقرئ، كما روى عنه أبو القاسم الجوهري، والدارقطني وانتخب عليه، وعبد الغني بن سعيد وانتقى عليه، وأبو عبد الله الحاكم وآخرون،(103) ومن تلاميذه الأندلسيين، أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون الأنصاري القنازعي، سمع منه بمصر، وحدث عنه أن حمزة الكناني قال له سنة 348: سيمر بك سنة 369هـ إن عشت والله ترى في الجامع بمصر، لله ولا لرسوله من سنة، قال المطرف: فمات من كان بها، ومنع بقيتهم من الجلوس في الجامع الا من كان على مذهب الشيعة،(104) توفي بمكة(105) وروى عنه ابن الحذاء في التعريف.(106)

6 – أبو القاسم هشام بن محمد بن أبي خليفة الرعيني راوية الطحاوي(107) (ت376هـ) ذكره في شيوخ ابن الحذاء عياض وابن بشكوال.(108)

---

102) تاريخ بغداد : 7/388.

103) نفسه : 7/388 – العقد الثمين : 4/156.

104) ترتيب المدارك : 7/291 – 292.

105) تاريخ بغداد : 7/389.

106) التعريف : الورقة 3و، 48و.

107) من مصادر ترجمته : وفيات المصريين لأبي إسحاق الحبال : 26 ع 22 تحقيق : محمود الحداد طبعة دار العاصمة الرياض : 1408هـ.

108) ترتيب المدارك : 8/6 – الصلة : 2/506.

يروي عن الطحاوي، وعن أبي بشر الدولابي وغيرهما(109) روى عنه أبو القاسم الجوهري والحافظ عبد الغني بن سعيد،(110) لقيه بمصر أبو المطرف القنازعي الأندلسي (ت413هـ) وكانت رحلته إلى المشرق سنة 367هـ،(111) كما لقيه بها أبو عبد الله بن الحذاء وسمع منه، روى عنه كتاب بيان مشكل حديث رسول اللهﷺ واستخراج الأحكام التي فيه / ونفي التضاد عنه لأبي جعفر أحمد الطحاوي(112) وروى عنه كذلك كتاب الأشربة للطحاوي.(113)

7 – النعالي :(114) قال عياض : «هو محمد بن سليمان كما سماه القاضي أبو عبد الله بن الحذاء»(115) (ت380هـ).

وقال أبو إسحاق الشيرازي : محمد بن إسماعيل»،(116) وسماه أبو محمد بن الوليد : محمد بن بكر بن الفضيل، وكذا قال عبد الغني بن سعيد الحافظ،(117) وبالأول قال ابن فرحون(118) والسيوطي(119) ومخلوف.(120)

---

109) انظر : مسند الموطأ لأبي القاسم عبد الرحمن الجوهري : 99, ح 38 / 100 ح 39, 40 وغير ذلك (تحقيق : لطفي بن محمد الصغير / طه بن علي بوستريح دار الغرب الإسلامي – بيروت ط 1: 1997م).

110) انظر : كتاب المتوارين للحافظ عبد الغني بن سعيد : 60.

111) الصلة : 2/322 – 324.

112) فهرسة ابن خير : 200.

113) نفسه : 262.

114) من مصادر ترجمته : طبقات الشيرازي : 155 ترتيب المدارك : 6/202 – الدباج : 2/211. – طبقات المالكية لمجهول / الورقة : 83و – ظ – شجرة النور الزكية : 193.

115) ترتيب المدارك : 6/,,202.

116) طبقات الشيرازي : 155.

117) ترتيب المدارك : 6/202 – 203.

118) الديباج : 2/211. تحقيق الأحمدي أبو النور.

119) حسن المحاضرة : 1/451.

120) شجرة النور الزكية : 193.

نسب إلى عمل النعال، ويعرف أيضا بالصراري، قال عبد الغني : نسب إلى النعال الصرار. أخذ عن أبي إسحاق بن شعبان وغيره، روى عنه عبد الغني بن سعيد، وأبو عبد الله بن الحذاء وغيرهما، وإليه كانت الرحلة والإمامة بمصر.

كما جالسه القابسي وعظم شأنه وأثنى عليه وحكى عنه، وقال : كانت حلقته في الجامع تدور على سبعة عشر عمودا، لكثرة من يحضرها، وكان مباينا لبني عبيد الشيعة.

قال ابن الحذاء : كان فقيه عصره، وكان التكلم عنده بمصر في العلم والمسائل (...) توفي في 380هـ وكان أبوه أبو القاسم ممن حدث بمصر أيضا عن المقدام بن داود حدث عنه عبد الغني وغيره.(121)

8 - أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي الجوهري(122) (ت381هـ) وقال بن الحذاء : توفي فيما أحسب سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (385هـ).(123)

سمع من أبي إسحاق بن شعبان، وأبى علي الحسن بن شعبان وأبي القاسم العثماني، والحسن بن رشيق وأبي الطاهر الذهلي وأبي علي المطرز وابن أبي مطر وأبي السمرقندي الحذاء.

روى عنه من المصريين ابنه وغيره، ومن الأندلسيين : خلف الجعفري وأبو محمد ابن الوليد وأبو عبد الله ابن الحذاء وأبو عمر الطلمنكي وغيرهم.

قال أبو عبد الله بن الحذاء : «كان فقيها ورعا منقضبا خيرا من جلة الفقهاء» وقال أبو عمر الطلمنكي: «وكان لزم بيته لا يخرج منه». قال الباجي لا بأس به.

---

121) ترتيب المدارك : 6/202 - 203.

122) من مصادر ترجمته : ترتيب المدارك : 6/204 - سير أعلام النبلاء : 16/436 - * العبر : 3/117 - الديباج : 148 - شذرات الذهب : 3/101 - شجرة النور الزكية : 93.

123) ترتيب المدارك : 6/204.

وقال القاضي عياض : «فقيه كثير الحديث عن الشيوخ بالفسطاط، وكبار فقهاء الماكية وشيوخ السنة.

ألف كتاب «مسند الموطأ»، وكتاب «مسند ماليس في الموطأ».(124)

9 – أبو بكر محمد بن يحيى بن عمار الدمياطي(125) (ت384هـ)
محدث ثقة سمع من محمد بن زيان، سمع منه كتاب «الليث»، وسمع من أبي بكر بن المنذر كتاب «الإشراف» وسمع من أبي عبيد بن حربوية ومحمد بن إبراهيم الديبلي روى عنه أبو عبد الله ابن الحذاء وأبو عمر الطلمنكي، ويحيى بن علي بن الطحان وغيرهم.(126)

10 – أبو بكر أحمد بن محمد بن إسماعيل البناء ابن المهندس(127) (295 – 385هـ) محدث مصر ذكره عياض وابن بشكوال.(128)

سمع أبا بشر الدولابي، وأبا القاسم البغوي لقيه بمكة، ومحمد بن زيان، وأبا عبيد بن حربوية، وعلي بن قديد، وداود بن إبراهيم، ومحمد بن محمد النفاح، ووهم من قال إنه سمع من النسائي.

روى عنه عبد الغني بن سعيد الحافظ، ويحيى بن الحسين العفاص، وعبد الله بن مسكين وعبد الرحمن بن مظفر الكحال وغيرهم.

وروى عنه من الأندلسيين، أبو عبد الله بن الحذاء وأحمد بن عبد الله ابن الباجي وأبو الوليد بن الفرضي وغيرهم(129) سمع منه ابن الحذاء المسند.

---

124) نفسه.

125) من مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء : 16/504.

126) سير أعلام النبلاء : 16/504 وانظر : الصلة : 2/462.

127) من مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء : 16/504. تذكرة الحفاظ : 3/989 شذرات الذهب : 3/113.

128) ترتيب المدارك : 6/8 -- الصلة : 2/506.

129) الصلة : (1/12، 252) (2/506).

11 – أبو أحمد عبد الله بن الحسين بن حسون السامري البغدادي(130) (295 – 386هـ) المقريء اللغوي، نزيل مصر، مسند القراء في زمانه.

أخذ القراءة عن أبي بكر بن مجاهد، وأبي بكر بن مقسم، ومحمد بن حمدون الحذاء، وأحمد بن سهل الانسابي، وأبي الحسن بن شذبود.

قرأ عليه أبو عبد الله محمد ابن النعمان القرشي وغيره. قال الداني: «مشهور ضابط ثقة مامون غير أن أيامه طالت، فاختل حفظه ولحقه الوهم، وقل من ضبط عنه، ممن قرأ عليه في آخر أيامه.

قال ابن الجزري : «وهذا هو الإنصاف في ترجمته».(131) ذكره عياض.(132)

12 – أبو العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الرحمن بن ماهان الفارسي البغدادي ثم المصري(133) (ت387هـ).

ذكره عياض وابن بشكوال.(134)

حدث بمصر عن أبي بكر أحمد بن محمد بن يحيى الأشقر الفقيه عن القلانسي صاحب مسلم بن الحجاج، وله فوت ثلاثة أجزاء من أجزاء الصحيح رواها عن الجلودي سمع إسماعيل الصفار، وأبا بكر العباداني وعثمان بن السماك وأبا الفوارس ابن السدي، وأبا حامد أحمد بن الحسن النيسابوري وأبا أحمد الجلودي.

---

130) من مصادر ترجمته : غاية النهاية : 415/1, شذرات الذهب : 119/13, الاعلام للزركلي : 208/4 – سزكين : 105/1.

131) غاية النهاية : 415/1.

132) ترتيب المدارك : 6/8.

133) من مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء : 535/16 – تاريخ الإسلام للذهبي : 160/19 – العبر للذهبي : 39/3 – شذرات الذهب : 371/1.

134) ترتيب المدارك : 6/8 – الصلة : 506/2.

حدث عنه علي بن بشرى الليثي، وعلي بن القاسم الخياط، والمطهر بن محمد الأصبهاني ومن الأندلسيين محمد بن يحيى ابن الحذاء، وأحمد بن فتح بن الرسان وأبو بكر يحيى بن محمد الأشعري وغيرهم.(135)

وثقة الدارقطني، وقد كتب إلى أهل مصر، ليكتبوا عن ابن ماهان كتاب مسلم، ووصفه بالثقة والتمييز.

13 – أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الأذفوي المصري،(136) المقرىء المفسر (304 – 388هـ) وأذفو بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وفاء، بلدة بالقرب من أسوان، ذكره عياض وابن بشكوال(137) كان خشابا ينجر الخشب، ويعيش من ذلك.

لزم أبا جعفر النحاس، وروى عنه كتبه، أتقن رواية ورش على أبي غانم المظفر بن أحمد قال الداني : «انفرد بالإمامة في دهره، في قراءة نافع رواية ورش»(138) وقال الذهبي: «برع في علوم القرآن وكان سيد أهل عصره بمصر»(139) وقال ابن الجزري: «أستاذ نحوي مقريء مفسر ثقة».(140)

روى عنه القراءة ابنه أبو القاسم أحمد الأذفوي، ومحمد بن الحسين بن النعمان، والحسن بن سليمان.

---

135) سير أعلام النبلاء : 536/16 – وانظر : تاريخ علماء الأندلس : 193/2 – 194.

136) من مصادر ترجمته : الوافي بالوفيات : 171/4 – غاية النهاية : 198/2 – طبقات المفسرين للسيوطي : 97 – شذرات الذهب : 130/3.

137) ترتيب المدارك : 6/8 وفيه الاذفولي – الصلة : 506/2.

138) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء : 198/2. عني بنشره : ج برجستراس مكتبة الخالخي مصر : 1351هـ / 1932م.

139) نفسه : 199/2.

140) نفسه : 198/2.

له كتاب في تفسير القرآن سماه «الاستغناء في علوم القرآن» في مائة وعشرين مجلدا. قال بن الجزري: «موجود بالقاهرة، وقد استغرق في تأليفه اثنتي عشرة سنة».

وقال الذهبي : «منه نسخة بمصر، بوقف القاضي الفاضل عبد الرحيم.(141)

14 – أبو الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون الحلبي نزيل مصر(142) (ت389هـ) ذكره في شيوخ ابن الحذاء : عياض وابن بشكوال.(143)

قال أبو عمرو الداني : «كان حافظا للقراءة ضابطا، ذا عفاف ونسك وفضل وحسن تصنيف».(144)

وقال الذهبي : «المقريء الشافعي، صاحب الكتب في القراءات، قرأ على جماعة كثيرة، وروى الحديث، وكان ثقة محققا بعيد الصيت».(145)

روى القراءة عرضا وسماعا، عن أبي إسحاق الأنطاكي، وأبي إسحاق الشامي وغيرهما، من الشيوخ الكبار.

ألف كتاب الإرشاد في معرفة مذاهب القراء السبعة وغيره من الكتب في القراءات.(146)

من تلاميذه ابنه أبو الحسن طاهر وأحمد بن علي الربعي وأبو العباس أحمد بن علي تاج الأمة المصري.

---

141) نفسه : 2/199 – طبقات المفسرين للسيوطي : 98.

142) من مصادر ترجمته : تذكرة الحفاظ : 3/1021 – غاية النهاية : 1/470. شذرات الذهب : 3/131.

143) ترتيب المدارك : 8/6 – الصلة : 2/506.

144) غاية النهاية : 1/470.

145) العبر في أخبار من غبر : 3/44.

146) شجرة النور الزكية : 477.

ومن الأندلسيين : ابن الفرضي، وأبو عبد الله بن الحذاء، وأبو عمر الطلمنكي، ومكي بن أبي طالب وغيرهم.

15 – أبو محمد عبد الغني بن سعيد بن علي(147) بن سعيد بن بشر بن مروان الأزدي المصري الحافظ (ت409هـ) ذكره عياض وابن بشكوال(148) سمع من عثمان بن محمد السمرقندي، ومن أحمد بن إبراهيم بن عطية ومن أحمد بن بهزاد السرافي الذي سمع منه في سنة 342هـ.

ومن أبرز شيوخه الدارقطني، وأبو القاسم العثماني.

يقال : «إنه كان حجة وهو في سن مبكرة، ولم يكن محدثا فحسب، بل كان عالما بالأنساب نقادة للحديث.

وصفه الذهبي : بالحافظ الإمام المتقن النسابة (...) المصري مفيد تلك الناحية(149) وقال البرقاني: «ما رأيت بعد الدراقطني أحفظ من عبد الغني المصري» قال الدارقطني بعد قدومه من مصر: «ما رأيت في طول طريقي أحدا إلا شابا بمصر، يقال له: عبد الغني، كأنه شعلة نار، وجعل يفخم أمره ويرفع ذكره».

روى عنه : محمد بن علي الصوري، وأبو علي الأهوازي، وأبو إسحاق النعماني الحبال وغيرهم.(150)

ومن الأندلسيين ابن الفرضي وابن الحذاء وغيرهما(151) وقد روى عنه ابن الحذاء في التعريف كثيرا.(152)

---

147) من مصادر ترجمته ك تذكرة الحفاظ : 3/1047 – وفيات الأعيان : 1/384 شذرات الذهب : 3/188 – تاريخ التراث العربي لسزكين : 1/459.

148) ترتيب المدارك : 8/6 الصلة : 2/506 – انظر معجم الأدباء : 19/108. – الديباج : 272.

149) تذكرة الحفاظ : 3/1047.

150) انظر : مقدمة محقق المتوارين للحافظ عبد الغني بن سعيد : 13 – 15.

151) انظر : تاريخ علماء الأندلس : 1/354 – الصلة : 2/506.

152) التعريف : الورقة 3 ظ / 6 و / 10 و / وغيرها.

16 – ابن رشدين : جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض طبعة بيروت تحقيق د. أحمد بكير محمود، أن من شيوخ أبي عبد الله ابن الحذاء، ابن رشدين.(153)

ولعله عبد الرحمن بن رشدين،(154) روى عنه سلمة بن سعيد ابن سلمة الأنصاري، من أهل استجة (327 – 406هـ) سكن قرطبة.

أقام بالمشرق ثلاثا وعشرين سنة، لقي الدارقطني وأخذ عنه، وأبا بكر الاجري وسمع منه بعض مصنفاته، أجاز له أيضا حمزة الكناني، والحسن بن رشيق، والحسن بن شعبان، وابن رشدين وغيرهم.(155)

وسمع من ابن رشدين هذا بمصر من الأندلسيين أيضا، أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة الأنصاري (ت376هـ).(156)

ونقل ابن بشكوال عن ابن رشدين في مسنده، فقال في حديثه عن أبي السنابل: «وذكر بن رشدين في مسنده قال «اسمه عبد الله».(157)

ج – مكة :

قال عياض : «وحج، فسمع من أبي إسحاق الدينوري، وغير واحد»(158) وقال ابن بشكوال : «ولقي بمكة أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الدينوري، وأبا عبد الله البلخي راوية العقيلي وأبا يعقوب بن يوسف بن أحمد الصيدلاني».(159)

---

153) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض : 4/734 – تحقيق : د.أحمد بكير محمود – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت لبنان.

154) انظر : تاريخ علماء الأندلس : 1/66 – سير أعلام النبلاء: 17 / 66.

155) الصلة : 1/224.

156) تاريخ علماء الأندلس : 1/66.

157) غوامض الأسماء المبهمة : 1/169.

158) ترتيب المدارك : 8/6.

159) الصلة : 2 / 506.

1 – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم البلخي : ولد بمكة وكان حيا سنة 373هـ(160) قرأ على محمد بن هارون صاحب اليزين، وسمع العقيلي وكان راويته والدبيلي، قرأ عليه عبد الباقي بن الحسن.(161)

روى عنه من الأندلسيين، عيسى السبائى أبو الأصبغ رحل سنة 367هـ،(162) وسمع منه بمكة علي بن موسى بن زياد اللخمي الشذوني، توفي بعد 370هـ(163) ويحيى بن محمد. الأشعري (ت390هـ)، سمع منه كتاب الضعفاء والمتروكين للعقيلي،(164) وأبو بكر محمد بن يحيى بن وهب بن عبد المهيمن (ت384هـ) رحل إلى المشرق، فسمع بمكة من أبي عبد الله البلخي وغيره من شيوخها.(165)

لقيه أبو عبد الله ابن الحذاء بمكة(166) وروى عنه كتاب الضعفاء والمتروكين لأبي جعفر العقيلي.(167)

2 – الدينوري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد الدينوري،(168) كان حيا سنة 378هـ، ذكره عياض وابن بشكوال.(169)

نزل مكة ولزمها، حدث عن أبي بكر بن الجهم وإبراهيم بن حماد وأبي بكر بن داود وعبد الله ابن وهب الدينوري، وابن صاعد وأبي الحسن النهاوندي والبغوي.

---

160) من مصادر ترجمته : تاريخ الإسلام للذهبي : 18/ 547.

161) نفسه.

162) الصلة : 2/435.

163) تاريخ علماء الأندلس : 1 / 359.

164) نفسه : 2 / 194.

165) نفسه : 2/100.

166) الصلة : 2/506.

167) فهرسة ابن خير : 210.

168) من مصادر ترجمته : ترتيب المدارك : 6/180.

169) ترتيب المدارك : 6/180. – 8/7 – الصلة : 2/506.

حدث عنه أبو ذر الهروي، وأبو عبد الله ابن الحذاء، وعبدوس بن محمد، وأبو بكر الصقلي وأبو عمر بن سعدى ومحرر العابد وأبو بكر الخولاني وغيرهم.

كان فقيها مالكيا مبرزا، وكان عنده حديث.

قال أبو عبد الله ابن الحذاء : لقيته بمكة سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وتركته حيا وقد نيف على الثمانين سنة، وكان فقيها ورعا منقبضا خيرا من جلة العلماء.(170) وذكره أبو ذر في معجمه وقال: ثقة.(171)

وممن لقيه من الأندلسيين غير من ذكر، عبد الرحمن بن إبراهيم بن غون الله بن حذير رحل سنة 378هـ.(172) وعلى هذا اعتمدت في تأخر حياته إلى هذا التاريخ، وكان عياض قد اعتمد قول ابن الحذاء في أنه كان حيا سنة 372هـ.

3 – ابن الدخيل : أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن يوسف بن الدخيل الشيباني الصيدلاني المكي(173) (ت388هـ) ذكره ابن بشكوال.(174)

سمع محمد بن عمرو العقيلي، وعبد لله بن أبي رجاء، وعبد الرحمن ابن عبد الله المقرئ وإسحاق بن أحمد الحلبي، وعلي بن محمد بن أبي فراد الكوفي، وأبا التريك ابن الحسين الطرابلسي، وأبا سعيد بن الأعرابي، ومحمد ابن علي السامري صاحب الزيادي وآخرين من القادمين إلى الحج.(175)

---

170) ترتيب المدارك : 180/6.

171) نفسه.

172) الصلة : 332/2.

173) من مصادر ترجمته : العقد الثمين : 482/7 – تذكرة الحفاظ : 8020/3 سير أعلام النبلاء : 495/16.

174) الصلة : 506/2.

175) تاريخ الإسلام للذهبي : 178/19.

روى عن أبي جعفر العقيلي كتابه «في الضعفاء»(176) روى عنه أبو عبد الله بن أحمد القزويني.(177)

ومن الأندلسيين : علي بن موسى بن زياد اللخمي (ت370هـ) سمع منه بمكة، وإبراهيم بن حارث الأنطي المقري (ت391هـ) كانت رحلته إلى المشرق سنة 380هـ، ويحيى بن محمد الأشعري (ت390هـ) أبو الوليد بن الفرضي (ت403هـ) رحل إلي المشرق سنة 382هـ ومحمد بن إسحاق بن مسرة (ت389هـ) رحل مع ابن الفرضي وأحمد بن محمد بن عيسى البلوي ابن الميراثي (ت428هـ).

وكتب ابن الدخيل من مكة إلى أبي المطرف ابن فطيس (ت402هـ) وعبد الرحمن بن يوسف بن نصر الرفا، وإلى أبي عمر ابن عبد البر النمري(178) (ت463هـ).

د – المدينة النبوية :

1) الكحال :

قال ابن بشكوال . «ولقي بالمدينة أبا عبد الله الحسين بن الحسن الكحال».(179)

ولم أقف له على ذكر في غير ترجمة أبي عبد الله بن الحذاء، مما يبعث على احتمال حدوث تحريف في الاسم، ويقويه انفراد ابن الحذاء بالأخذ عنه، وعدم ورود اسمه في تراجم الراحلين من الأندلسيين إلى الحجاز الداخلين إلى المدينة النبوية ؟

---

176) نفسه : سير أعلام النبلاء : 237/15.

177) العقد الثمين : 482/7.

178) انظر : تاريخ علماء الأندلس : (29/1, 359) (104/2, 134, 194) التمهيد : 92/4 – الصلة : 43/1, 251, 309, 320.

179) الصلة ك 506/2.

ومعلوم أن عددا من الأندلسيين الراحلين إلى المشرق، سمعوا بالمدينة في هذه الفترة، من قاضيها أبي الحسين يحيى بن محمد الحسيني الحنفي، ومن أبي علي الحسن بن محمد المقري وأبي محمد الزيدي وغيرهم،(180) وأبي مروان محمد بن مروان المروان قاضي المدينة،(181) وأبي الحسن يحيى بن الحسين المطلبي لقيه بالمدينة الطلمنكي.(182)

شيوخ يحتمل أخذ ابن الحذاء عنهم :

* أبو الوليد هاشم بن يحيى بن حجاج البطليوسي(183) (ت385هـ) سمع بقرطبة من محمد بن عبد الملك بن أيمن، وقاسم بن أصبغ، وابن أبي دليم وسواهما.

وفي عام 338هـ رحل إلى المشرق فسمع بمكة وببيت المقدس وبمصر وبغزة وأطرابلس والقيروان عن عدد من كبار العلماء كأبي سعيد بن الأعرابي وأبي بكر الدينوري، وحمزة الكناني وابن السكن، وأبي موسى عبد الكريم بن أحمد بن شعيب وغيرهم.

وعندما عاد إلى الأندلس استقر بحاضرة بطليوس بلده، لكنه سرعان ما وشي به إلى السلطان «ربما إلى المنصور بن أبي عامر» فاستدعاه إلى قرطبة وأسكنه بها.

وعن هذه الفترة يقول ابن الفرضي : «فقرا الناس عليه كثيرا، وسمعنا نحن منه قديما قبل المحنة وبعدها وكان لا بأس به في ضبطه».(184)

---

180) انظر : الصلة : 21/1.
181) تاريخ علماء الأندلس : 63/1، 162، 163.
182) الصلة : 44/1.
183) من مصادر ترجمته : تاريخ علماء الأندلس : 169/2.
184) نفسه : 170/2.

وقال ابن الحذاء عن هاشم بن يحيى البطليوسي هذا: «ما رأيت أتم ورعا منه»(185) وهي عبارة، تشبه عبارات أخرى، قالها ابن الحذاء في حق بعض شيوخه، مما سيأتي في موضعه مما يرجح، أستاذية البطليوسي لابن الحذاء.

* أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافري القروي القابسي(186) (324 – 403هـ) ولد بالقيروان، وهو فقيه مالكي مبرز، ومن رجال التربية الإسلامية الرواد، مع سعة الرواية والعلم بالحديث وعلله ورجاله.

رحل إلى المشرق وسمع من جلة العلماء هناك وروى صحيح البخاري برواية الفربري، وكان الحافظ الأصيلي هو الذي ضبط له سماعه عن المروزي بمكة، لأن القابسي كان كفيفا لا يرى شيئا.

من شيوخه بافريقية : «أبو العباس الأبياني، وأبو الحسن بن مسرور الدباغ وأبو عبد الله بن مسرور العسال وأبو محمد بن مسرور الحجاج، وأبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي وغيرهم.

وأخذ في رحلته إلى المشرق عن حمزة الكناني وأبي زيد محمد المروزي وأبي الحسن بن حبونة النيسابوري، ومحمد بن أحمد الجرجاني، وأبي الحسن بن أبي هلال وغيرهم.

وذكر له عياض عددا من التلاميذ منهم أبو عمران الفاسي وأبو القاسم اللبيدي وأبو عمرو الداني وأبو القاسم الطرابلسي، والمهلب بن أبي صفرة وغيرهم.

وتذكر المصادر أن من زملاء أبي عبد الله بن الحذاء في رحلته إلى المشرق محمد بن القاسم الجالطي (ت403هـ) وأحمد بن محمد السبتي

---

185) أعمال الاعلام لابن الخطيب : 56.

186) من مصادر ترجمته : ترتيب المدارك : 7/92 – تذكرة الحفاظ للذهبي : 3/1079 – طبقات المالكية لمجهول : الورقة : 114 ظ شذرات الذهب : 3/168 – معجم المؤلفين : 7/194.

(ت429هـ)، وتضيف أن هذا الأخير «سمع بالمشرق من أبي محمد بن أبي زيد والداودي وابن خيران وعطية بن سعيد وغيرهم».(187)

أما الأول فتذكر أنه «أخذ بالقيروان عن أبي محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي».(188)

وإذا كانت هذه المصادر لم تذكر عن علاقة السبتي بابن الحذاء أكثر من أنه حج معه، فإنها بالنسبة للجالطي قالت : إنه صحب ابن الحذاء في السماع بالمشرق».

ومن ثم فلا أقل من احتمال أخذهما معا عن القابسي، الذي أخذ عنه أكثر الراحلين إلى المشرق من أهل المغرب والأندلس.

* أبو محمد عبد الله بن عمر الحافظ :

جاء في التعريف لابن الحذاء وهو يتحدث عن السعدين اللذين بعثهما رسول الله ﷺ يوم خيبر : «وقد قيل : وهو سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، قد جاء ذلك في حديث غير هذا، وكذلك قال لنا الفقيه أبو محمد الحافظ عبد الله بن عمر».

لم أهتد إلى من اسمه أبو محمد عبد الله بن عمر، ممن يمكن أن يكون شيخا لأبي عبد الله بن الحذاء.

لكن عندي فيه احتمالان : إما أن يكون الصواب عبد الله بن إبراهيم، وعندئذ فهو الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي، ويعضد ذلك علامة التضبيب فوق عمر في النسخة «أ» أو أن الأمر يتعلق بشخص آخر لم أوفق إلى معرفته، ويبقى الأمل في تحقيق ذلك مستقبلا، عندما تتوفر لدي معلومات جديدة من شأنها أن ترفع اللبس في هذا الباب.

---

187) الصلة.

188) نفسه : 2/490 وانظر : ترتيب المدارك 7/205.

* الجارود أو ابن الجارود : قال ابن الحذاء في التعريف في ترجمة يزيد ابن رومان(189) «قال لنا أبو القاسم، يزيد بن رومان يكنى أبا روح توفي سنة ثلاثين ومائة وقال لنا الجارود كنيته أبو روح وقاله ابن معين» وقد بحثت عن رجل بهذا الاسم، يمكن أن يكون أستاذا لابن الحذاء، فلم أجد أقرب من الحافظ أبي محمد بن أحمد بن محمد الجارودي الهروي توفي سنة 413هـ عن سن عالية، فلعله هو، والله أعلم.(190)

المبحث الثالث :

مرويات أبي عبد الله بن الحذاء
وما حمل إلى الأندلس من علم

يهدف هذا المبحث إلى تقصي الكتب التي رواها ابن الحذاء بالأندلس، أو تلك التي حملها إلى المغرب من المشرق، مع ذكر أسانيده إلى أصحابها.

ودليل هذا العمل مجموعة من المصادر من أهمها :

1 – كتاب التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء لابن الحذاء نفسه.

2 – الألقاب لأبي علي الجياني.

3 – فهرسة ابن عطية.

4 – الغنية للقاضي عياض.

5 – ترتيب المدارك لعياض.

6 – مشارق الأنوار له أيضا.

7 – فهرسة ابن خير الإشبيلي.

---

189) الترجمة رقم 597 من كتاب التعريف.

190) انظر سير أعلام النبلاء : 17/384.

8 – غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال.

9 – وغيرها من المصادر والمراجع.

مع الإشارة إلى أن البحث، لم يقتصر على الكتب وحدها، بل أضاف إلى ذلك، كل ما أمكن العثور عليه من مرويات أبي عبد الله ابن الحذاء.

وأعتذر مسبقا عما قد يفوتني من مرويات ابن الحذاء فيما رجعت إليه من مظان.

أ – علوم القرآن :

1 – كتاب أحكام القرآن لابن بكير:

رواه أبو عبد الله بن الحذاء، عن أبي إسحاق الدينوري، عن أبي محمد بن أحمد بن الجهم، عن ابن بكير.

ورواه كذلك عن أبي محمد القلعي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد المالكي البصري، عن ابن بكير.

قال أبو عمر بن الحذاء : «قال لنا أبي قال لنا أبو إسحاق الدينوري : اسم ابن بكير أحمد بن محمد بن بكير، وقال أبو محمد القلعي : اسمه محمد بن أحمد بن بكير».(191)

ب – علوم الحديث وما يتصل بها :

2 – موطأ مالك بن أنس (ت179هـ).

يروي أبو عبد الله بن الحذاء الموطأ، بعدة روايات ذكر منها في كتاب «التعريف» روايات ابن القاسم، يحيى بن يحيى الليثي، معن بن موسى القزاز، القعنبي، ابن بكير، ابن المبارك الصوري، ابن وهب وغيرهم.

---

191) فهرسة ابن خير : 53.

192) أبو عمر بن الصلاح : صيانة صحيح مسلم : 103.

وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلا، في الباب الثالث من هذا القسم.

3 – صحيح مسلم بت الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ) رواية أبي مجمد أحمد بن علي بن الحسين بن المغيرة بن عبد الرحمن القلانسي.

تأخر دخول الصحيحين إلى الأندلس، فلم يدخلا إلا في القرن الرابع الهجري، وقد دخل صحيح مسلم، بواسطة بعض العلماء، من أبرزهم أبو عبد الله ابن الحذاء.

يقول ابن الصلاح : هذا الكتاب – يعني صحيح مسلم – مع شهرته التامة، صارت روايته بإسناد متصل بمسلم، مقصورة على أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان، غير أنه يروى في بلاد المغرب مع ذلك، عن أبي أحمد القلانسي عن مسلم».

ثم يقول بعد ذلك : «وأما القلانسي، فهو أبو محمد أحمد بن علي بن الحسين بن المغيرة بن عبد الرحمن القلانسي، وقعت بروايته عن مسلم عند المغاربة ولم أجد له ذكرا عند غيرهم.

دخلت روايته إليهم من مصر، على يدي من رحل منهم إلى جهة المشرق، كأبي عبد الله محمد ابن يحيى الحذاء التميمي القرطبي وغيره».(192)

حدث أبو عبد الله بن الحذاء بصحيح مسلم، قال : حدثنا أبو العلاء عبد الوهاب بن عيسى بن ماهان، عن أبي بكر أحمد بن محمد بن يحيى الأشقر، قال: حدثنا أبو محمد بن علي بن الحسين القلانسي، عن مسلم حاشا ثلاثة أجزاء من آخر الديوان، أولها حديث عائشة في الأفك الحديث الطويل، فإن أبا العلاء يروي ذلك عن أبي أحمد الجلودي عن إبراهيم بن سفيان عن مسلم».(193)

---

193) فهرسة ابن عطية : 85 وانظر : الغنية لعياض : 36.

وفي فهرسة ابن عطية قال : «سمعت أبا عمر بن الحذاء يقول : سمعت أبي يقول : أخبرني : ثقات من أهل مصر أن أبا الحسن الدارقطني، كتب إلى أهل مصر، أن اكتبوا عن أبي العلاء بن ماهان كتاب مسلم الصحيح ووصف أبا العلاء بالثقة والتمييز.(194)

وقد تتبع القاضي عياض في مشارق الأنوار، رواية أبي عبد الله بن الحذاء مع غيرها من الروايات.(195)

4 – سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ).

رواه أبو عبد الله بن الحذاء عن أبي حفص الخولاني عن أبي سعيد بن الأعرابي، وأبي بكر بن داسة،(196) قال ابن خير: قال أبو علي : رواية أبي بكر بن داسة أكمل الروايات كلها، وأضاف – ابن خير – قائلا: «واصلي من كتاب أبي داود، كتاب أبي حفص عمر بن عبد الملك بن سليمان الخولاني، وكان قد قرأه على أبي سعيد ابن الأعرابي بمكة، سنة تسع وثلاثين وسنة 340هـ وقابله بأصل ابن الأعرابي، ثم رحل إلى العراق، بهذا الكتاب فسمعه يقرأ بالبصرة على أبي بكر محمد بن داسة سنة 341 وهو يمسك كتابه، وقيد فيه بخطه، وقد أجازه لي محمد بن عتاب عن أبي محمد عبد الله بن ربيع يعرف بابن بنوش، وأبي عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء عن أبيه، كلاهما عن أبي حفص عمر بن عبد الملك الخولاني القاضي المعروف بابن الرفا، من ولد أبي مسلم الخولاني، عن أبي سعيد ابن الأعرابي، وأبي بكر بن داسة، عن أبي داود»(197) ومثل ذلك قال ابن عطية في فهرسته.(198)

---

194) فهرسة ابن عطية : 130 – انظر فهرسة ابن خير : 102.

195) انظر مشارق الأنوار : 2/125 (على سبيل المثال).

196) فهرسة ابن خير : 106.

197) نفسه.

198) فهرسة ابن عطية : 81 – 82.

وقد كانت عناية القرطبيين بسنن أبي داود كبيرة، حتى فضله بعضهم على صحيح البخاري.

قال أبو عمر بن عبد البر : سمعت محمد بن إبراهيم بن سعيد الحافظ، يقول : خير كتاب ألف في السنن، كتاب أبي داود السجستاني، وهو أول من صنف في المسند.(199)

ولعل مثل هذا القول أثار، مثل أبي محمد بن يربوع، فقال : إن قولهم سنن أبي داود أحسن من البخاري، يعني للمتفقهين أصحاب المسائل، الذين لا يراعون سقيما ولا صحيحا، وإن لم يقصد هذا، فمثل هذا الكلام هذيان، ثم أضاف : وهؤلاء القرطبيون، لم يدخل عندهم من أول ما دخل إلا كتاب أبي داود، فالتموا به، وأما الكتب الصحاح فلم تدخل عندهم إلا بآخرة، وكانوا بمعزل عن معرفة الصحيح لأنه قد ضرب بينهم وبين الصناعة باسداد، فهم على بعد شديد من السداد.(200)

والواقع أن عناية العلماء بسنن أبي داود، كانت عظيمة جدا، وفي ذلك يقول الإمام الخطابي البستي (ت384هـ)، إن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف، لم يصنف في علم الدين كتاب مثله (...) وعليه معول أهل العراق، وأهل مصر وبلاد المغرب، وكثير سن مدن أقطار الأرض» وقال أيضا : «لم يصنف في علم الحديث، مثل سنن أبي داود، وهو أحسن وضعا وأكثر فقها من الصحيحين».(201)

199) فهرسة ابن خير : 107.

200) نفسه : 107.

201) الخطابي : معالم السنن : (شرح سنن أبي داود) : 6/1 تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط 1 : 1411هـ – 1991م. وانظر : ثلاث رسائل في علم مصطلح الحديث : 9, 10, 79.

5 – مصنف عبد الرزاق بن همام (ت211هـ).

حدث به أبو عبد الله ابن الحذاء، عن أبي عبد الله بن محمد بن يحيى بن مفرج قال: نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد أعرابي، قال: نا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق، حاشا كتاب الوصايا منه وهو خمسة أجزاء، فرواها ابن مفرج عن أبي محمد عبد الأعلى ابن محمد بن الحسن بن عبد الله علي بن إبراهيم ابن عبد الله البوسي قاضي صنعاء عن الدبري عن عبد الرزاق.

وأما كتاب البيوع وكتاب أهل الكتابين، فرواهما ابن مفرج عن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي المطرز قال : نا أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن هشام الطوسي عن محمد بن علي النجار عن عبد الرزاق.(202)

6 – منتقى حديث خيثمة الأطرابلسي.

قال القاضي أبو محمد بن عطية الأندلسي عن شيخه أبى علي الغساني : «وناولني منتقى حديث خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي : أخبرني به عن أبي عمر أحمد بن محمد بن يحيى بن الحذاء، عن أبيه، عن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج عن خيثمة.

واصلي الذي ناولني فيه هو بخط القاضي ابن مفرج المذكور.(203)

7 – كتاب شرح غريب الحديث لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت285هـ).

حدث به أبو عبد الله بن الحذاء قال: حدثنا به أبو يعقوب يوسف بن أحمد بن الدخيل الشيباني، قال: نا : محمد بن إسحاق المقرئ عن أبي إسحاق الحربي مؤلفه رحمه الله.(204)

---

202) فهرسة ابن خير : 128.

203) فهرسة ابن عطية : 88.

204) فهرسة ابن خير : 194 – والكتاب مطبوع باسم «غريب الحديث» بتحقيق د. سليمان بن إبراهيم العابر – دار المديني – جدة – السعودية ط : 1405هـ = 1985م.

8 – «كتاب بيان مشكل حديث رسول الله ﷺ، واستخراج الأحكام التي فيه ونفي التضاد عنه»(205) لأبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي الطحاوي (ت321هـ).

9 – كتاب شرح معاني الآثار للطحاوي أيضا، عشرون جزءا.(206)

حدث بهما أبو عبد الله بن الحذاء قال : نا بهما أبو القاسم هشام بن محمد بن أبي خليفة عن أبي جعفر الطحاوي مؤلفهما.(207)

10 – كتاب الضعفاء والمتروكين(208) لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي (ت322هـ).

رواه ابن الحذاء عن محمد بن أحمد بن إبراهيم البلخي عن أبي جعفر العقيلي مؤلفه (عشرون جزءا).(209)

11 – كتاب الضعفاء والمنسوبين إلى البدعة من المحدثين والعلل(210) لأبي يحيى زكرياء بن يحيى الساجي الفقيه البصري (ت307هـ) رواه ابن الحذاء عن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج عن أبي يعقوب إسحاق بن محمد بن حمدان التستري المؤدب عن أبي يحيى الساجي مؤلفه.(211)

---

205) فهرسة ابن خير : 200.

206) نفسه.

207) نفسه.

208) فهرسة ابن خير : 210 – والكتاب مطبوع انظر دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة : 1/198 – 199 ع 812 – 813 / وانظر : تاريخ التراث العربي : 1/351.

209) فهرسة ابن خير : 210 وانظر لسان الميزان لابن حجر : 2/179.

210) فهرسة ابن خير : 210 ويبدو أنه كتاب واحد.

211) نفسه.

12 – كتاب الأسماء والكنى لابن الجارود(212) (عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري (ت307هـ) ستة عشر جزءا.(213)

رواه ابن الحذاء عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مفرج عن أبي الحسن محمد ابن حيريل العجيفي عن أبي محمد عبد الله بن علي الجارود مؤلفه.(214)

13 – كتاب الأشربة للطحاوي (ت321هـ) رواه ابن الحذاء عن هشام بن محمد بن أبي خليفة عن أبي جعفر الطحاوي.(215)

14 – كتاب «الصحابة» لأبي القاسم الحسين عبد الله العثماني (ت373هـ).

قال أبو عبد الله بن الحذاء، قال لنا أبو القاسم الحسين بن عبد الله العثماني رحمه الله : البهزي (...) اسمه زيد بن كعب، ذكره في الصحابة من تأليفه.(216)

ولابن الحذاء في التعريف نقول كثيرة عن العثماني ستأتي في محلها من النص المحقق.

ج – الزهد والرقائق وما يتصل بذلك :

15 – كتاب الزهد للحارث بن أسد المحاسبي(217) (ت243هـ).

رواه أبو عبد الله بن الحذاء عن أبي جعفر أحمد بن عون الله بن جدير قال : نا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله المديني بمصر في شهر

---

212) نفسه : 213.

213) نفسه.

214) نفسه.

215) نفسه : 262.

216) غوامض الأسماء المبهمة : 874/2 وغيرها من الصفحات.

217) فهرسة ابن خير : 271.

ربيع الآخر سنة 344, قال : نا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله بن ميمون بن بكر الخواص قال : سمعت الحارث بن أسد المحاسبي يقول.(218)

16 – كتاب الغيبة للمحاسبي.(219)

17 – كتاب التنبيه له.(220)

18 – كتاب التوهم والأهوال له.(221)

حدث أبو عبد الله ابن الحذاء بهذه الكتب الثلاثة للطحاوي عن القاضي أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن مفرج قال : نا أبو بكر محمد بن أحمد المفيد البغدادي، قال : نا أبو بكر العباس أحمد بن محمد بن مسرور عن الحارث بن أسد المحاسبي.(222)

د – ومن كتب اللغات والشروحات وما يتصل بذلك من نوعه.

19 – كتاب الأفعال(223) لأبي بكر محمد بن عمر ابن القوطية (ت367هـ) رواه أبو عبد الله بن الحذاء عن مؤلفه فيما يبدو والله أعلم.(224)

---

218) نفسه : 271 – 272 (ولعله هو كتاب المسائل في الزهد مخط انظر تاريخ التراث العربي لسزكين : 117/4.

219) فهرسة ابن خير : 272.

220) فهرسة ابن خير : 272 (ذكره سزكين باسم كتاب التنبيه على أعمال القلوب في الدلالة على الوحدانية (مخط) تاريخ التراث العربي: 116/4.

221) فهرسة ابن خير : 272 (ذكره سزكين باسم كتاب التوهم (مخط) تاريخ التراث العربي : 116/4.

222) فهرسة ابن خير : 272.

223) فهرسة ابن خير : 355.

224) نفسه والصفحة لكن جاء على لسان ابن خير حدثني به شيخنا أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث رحمه الله عن القاضي أبي عمر أحمد بن الحذاء عن أبي بكر بن القوطية، وأبو عمر ابن الحذاء ولد سنة 380هـ وابن القوطية توفي سنة 367 فلعله سقط: «عن أبيه» والله أعلم.

الفصل الثالث

تلامذته وآثاره

المبحث الأول :

تلاميذ ابن الحذاء ومدرسته :

على الرغم من الوظائف الرسمية، التي تولاها أبو عبد الله بن الحذاء، كالقضاء والشورى والوثائق السلطانية، فإنه كان إلى جانب ذلك يشتغل بالتدريس، ونشر العلم في كل مكان حل به.

وكانت قرطبة، المركز الأول الذي ساهم ابن الحذاء في تنشيط الدرس به، وكثير من تلاميذه الذين توفوا قبل فتنة قرطبة أو في غمرتها، يرجح أنهم إنما أخذوا عنه بها، كأبي الأصبغ الأخفش، والصاحبين أبي جعفر وأبي إسحاق بالإضافة إلى أكثر تلامذته القرطبيين كأبي عبد الله الخولاني، وأبي بكر المهلبي، وابن الحصار، وابن سميق، وأبي عمر بن عبد البر النمري، وحاتم بن محمد الطرابلسي، وأبي محمد بن الحذاء، وأخيه أبي عمر الذي بدأ التلقي على أبيه وغيره سنة 393هـ.

وإلى جانب قرطبة حدث أبو عبد الله بمدينة سالم،(1) وروي عنه بسرقسطة(2) ولا يعلم – الآن – هل درس ببلنسية وبجانة وتطيلة، وكل مكان تولى قضاءه أم لا ؟ والأقرب أنه درس بها، ويرجح ذلك أن تلاميذه، كان منهم القرطبي، والبجاني، والإشبيلي، والبلنسي، والتطيلي والسرقسطي، وغير ذلك، كما سيأتي في تراجمهم.

أما المواد التي تولى ابن الحذاء تدريسها، فيأتي في مقدمتها الحديث، خصوصا صحيح الإمام مسلم، الذي يعد أبو عبد الله أشهر من أدخله إلى الأندلس،(3) وقد كان يسمعه منه بقرطبة ولده أبو عمر بن الحذاء سنة 395هـ، وسمعه منه آخرون، منهم أبو حفص ابن واجب من أهل بلنسية.(4)

---

1) الصلة 2/507.

2) انظر التكملة : 1/19. تحقيق العطار، الذيل والتكملة : 1/525.

3) انظر صيانة صحيح مسلم : 103.

4) فهرسة ابن خير : 102 – الصلة : 2/403.

كما قرئت على أبي عبد الله ابن الحذاء، كتبه، كفهرسته، وكتاب التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء، وكتاب البشرى في تأويل الرؤيا وسائر مؤلفاته كما سيأتي مفصلا في محله.

ويستفاد من خلال تراجم تلاميذ ابن الحذاء، التي وقف عليها هذا البحث، أن الغالب عليهم الحديث وعلومه، بل إن بعضهم بلغ القمة في ذلك كأبي عمر بن عبد البر حافظ زمانه، يليه في ذلك أبو عمر بن الحذاء الذي عرف باتساع الرواية وعلو الإسناد، وهو بحق سر أبيه وعلى يده استمرت المدرسة الحذائية كما سيأتي، ومن هذه الطبقة الصاحبان والخولاني والطرابلسي وغيرهم.

ويلاحظ أن هؤلاء المحدثين، برز بعضهم في الفقه كأبي عمر بن عبد البر وأبي عمر بن الحذاء، وتولى القضاء منهم أبو محمد بن الحذاء وأخوه أبو عمر وابن واجب والحجري وابن الحصار.

واهتم بعض تلاميذ ابن الحذاء بالقراءات كالطرابلسي والرعيني، وبالنحو كأبي الأصبغ عبد العزيز بن أحمد اليحصبي النحوي المعروف بالأخفش.

وكان من بين هؤلاء التلاميذ شعراء كالأخفش المذكور والمهلبي وابن عبد البر وأبي عمر بن الحذاء والحجري والطرابلسي.

وهكذا يتجلى أن أبا عبد الله ابن الحذاء، ساهم في إغناء الحركة العلمية بالأندلس، على ذلك العهد، وفق ما يتطلبه الظرف، كما استطاع في الوقت ذاته، تأسيس مدرسة واضحة المعالم، متميزة البصمات، مدرسة تجمع بين القرآن والحديث والفقه والأدب.

وتجسد استمرار هذه المدرسة بشكل واضح في أبي عمر بن الحذاء، ثم في تلامذته، وتلامذتهم، الذين رووا جميعا عن أبي عمر بن الحذاء عن أبيه.

وتقدم أن جل مرويات ابن الحذاء، التي وقف عليها هذا البحث، هي من طريق أبي عمر، وقد كانت الرواية عنه مما يعتز به.

قال ابن الأبار في التكملة، وهو يترجم أحمد بن مبارك القطان : «وقرأت أنا بخطه قال لي أبو بكر بن مفوز رحمه الله، كان عمي طاهر، قد استجاز لي ولنفسه أبا عمر بن الحذاء، فكان في نفسي من تلك الإجازة شيء – لحال صغر ابن مفوز – قال فلما لقيت الشيخ أبا علي هو الغساني، سألته عن ذلك ؟ فقال لي : «عول عليها واعتقدها ففعلت، فكان أبو بكر على نقده وعلمه بهذه الصناعة وتحريه في ما يشبه هذا الحديث، يحفل كثيرا بتلك الإجازة، ويقول : «نا أبو عمر بن الحذاء في ما كتب به إلي مع عمي، وفي كتابه إلي».(5)

وكان أبو عمر بن الحذاء، من كبار علماء عصره ومشاهيرهم، قال عنه الذهبي: «الإمام المحدث الصدوق المتقن، مكثر عن والده الحافظ أبي عبد الله ابن الحذاء (...) انتهى إليه علو الإسناد مع ابن عبد البر».(6)

ومن أبرز تلامذة أبي عمر بن الحذاء الذين رووا عنه عن أبيه :

أبو علي حسن بن محمد بن أحمد الغساني الجياني (427 – 498)، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن موسى الجهني القرطبي المعروف بالبياني (452 – 525هـ)، عبد الرحمن بن محمد بن عتاب بن محسن القرطبي (433 – 531هـ)، أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث القرطبي (447 – 532هـ).

ولا تقف المدرسة الحذائية عند هذا الحد، بل تنتقل بعد هذا الجيل إلى الجيل الذي تلاه، ويمثله عدد من كبار العلماء، الذين تلقوا على أبي علي الغساني، وابن مغيث وابن عتاب وأقرانهم، أذكر منهم : ابن عطية (ت542هـ) والقاضي عياض (544هـ) وابن خير الإشبيلي (ت575هـ) وابن بشكوال (ت578هـ) كما سبق بيان ذلك في مرويات أبي عبد الله بن الحذاء.

---

5) التكملة : 1/32 تحقيق العطار.

6) سير أعلام النبلاء : 18/344.

تلاميذه :

1 – أبو الأصبغ الأخفش(7) (توفي نحو 400هـ).

هو عبد العزيز بن أحمد اليحصبي الأديب، قرطبي يكنى أبا الأصبغ ويعرف بالأخفش، وهو سابع الأخفشين كما قال السيوطي.(8)

شارك أبا عبد الله بن الحذاء في بعض شيوخه، كأبي عبد الله بن مفرج، وأبي زكرياء بن عائذ وأبي عبد الله بن الخراز وغيرهم.(9)

وسمع من القاضي أبي عبد الله بن الحذاء، وأبي الوليد بن الفرضي.(10)

حدث عنه أبو عبد الله الخولاني،(11) وروى عنه أبو عمر يوسف ابن عبد البر، وذكر أنه سمع منه سنة 389هـ فقال:(12) «أنشدني أبو الأصبغ عبد العزيز بن أحمد النحوي الأخفش سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، فقال: أنشدني أبو العاصي غالب بن أمية بن غالب،(13) وقد جلس على نهر قرطبة ناظرا إلى القصر على البديهة.

يا قصركم ألفت من ملك

دارت عليهم دوائر الفلك(14)

وأسند عنه مكي بن أبي طالب، إلى أبي بكر العابد قوله : هذه الأعمار رؤوس أموال يعطيها الله لعباده فيتجرون فيها، فمن رابح وخاسر، وأنا قد

---

7) من مصادر ترجمته : جذوة المقتبس : 2/455 – الصلة : 2/368 – بغية الملتمس : 384 – بغية الوعاة : 2/98 وكلهم ما عدا ابن بشكوال قالوا : النحوي بدل اليحصبي.

8) بغية الوعاة : 2/98.

9) الصلة : 2/368.

10) نفسه.

11) نفسه.

12) جذوة المقتبس : (2/455) وانظر أيضا : 2/516.

13) انظر ترجمته في الجذوة : 2/516 ع750.

14) نفسه : 2/516 – 517.

أعطيت منها رأس مال كبير، فليت شعري أرابح أنا أم خاسر ؟ والله ما اتكا لي إلا على سعة رحمة الله العفو الغفور.

قال : وقال لنا أبو الأصبغ : وقد قلت في هذا الكلام موزونا :

أرى عمر الأنام كرأس مال
سعوا فيه لربح أو خسارة
فمنهم من يروح بغير ربح
ومنهم من له فضل التجارة(15)

ذكر تلمذته لابن الحذاء ابن بشكوال.(16)

2 – ابن ميمون(17) (353 – 400هـ).

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبيدة الأموي المعروف بابن ميمون(18) طليطلي. اقترن اسمه بابن شنظير صاحبه وزميله في الطلب فعرفا بالصاحبين.

روى أولا بطليطلة، عن عدد من علمائها والوافدين عليها، ثم سمع بقرطبة مع صاحبه بن شنظير من عدد من علمائها، كابن عون الله وابن مفرج وأبي عبد الله بن أبي دليم، وأبي الحسن الأنطاكي وخلف بن القاسم وغيرهم ولعله في هذه المرحلة أخذ عن أبي عبد الله بن الحذاء.

ورحل ابن ميمون إلى المشرق ستة 380هـ، رفقة صاحبه ابن شنظير فحجا وسمعا بمكة من أبي يعقوب يوسف أحمد ابن الدخيل الصيدلاني، وأبي الحسن علي بن عبد الله بن جهضم وأبي الطاهر محمد بن جبريل العجيفي وغيرهم.

---

15) الصلة : 2/368 – 369.
16) الصلة : 2/368.
17) من مصادر ترجمته : الصلة : 1/20.
18) نفسه.

وسمع بالمدينة النبوية، وبمصر من أبي بكر بن إسماعيل المهندس، وأبي القاسم الجوهري وأبي العلاء بن ماهان، والحافظ عبد الغني بن سعيد، وأبي الطيب بن ميمون وغيرهم، كما سمع بالقيروان، من أبي محمد بن أبي زيد الفقيه، وأبي جعفر الداودي وغيرهم، ذكر تلمذته لابن الحذاء ابن بشكوال.(19)

3 – ابن شنظير (352 – 402هـ).

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين بن شنظير الأموي(20) طليطلي، صاحب أبي جعفر بن ميمون المذكور قبله.

كانا كفرسي رهان في العناية الكاملة بالعلم والبحث على الرواية والتقييد، سمعا معا بطليطلة على من أدركاه من علمائها، ورحلا معا إلى قرطبة، فأخذا عن أهلها ومشيختها، وسمعا بسائر بلاد الأندلس، ثم رحلا إلى المشرق، وسمعا بها على جماعة من محدثيها، تقدم ذكر بعضهم في ترجمة صاحبه ابن ميمون.

وكانا لا يفترقان وكان السماع عليهما معا، وإجازتهما بخطيهما لمن سألهما ذلك معا. كان يغلب عليه الحديث والتمييز له، والمعرفة بطرقه والرواية والتقييد ذكر تلمذته لابن الحذاء ابن بشكوال.(21)

4 – ابن الحصار (364 – 422هـ).

هو عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية، يكنى أبا المطرف ويعرف بابن الحصار،(22) قاضي الجماعة بقرطبة.

---

19) الصلة : 2/507.

20) من مصادر ترجمته : الصلة : (1/89 ع 198) (1/91 ع 201).

21) الصلة : 2/507.

22) من مصادر ترجمته : ترتيب المدارك : 8/10 – 11 – الصلة : 2/326.

ترجم ابن الفرضي والده في تاريخه فقال : أحمد بن سعيد بن محمد ابن بشر بن الحصار ولم يذكر ابن غرسية، وقال : «إنه كان كثير السماع مشهورا بطلب الحديث، وكان يعقد الشروط ويفتي، وسمع الناس منه كثيرا لكنه لم يكن ضابطا لما كتب(23) (ت392هـ).

روى عبد الرحمن بن الحصار عن أبيه، وصحب أبا عمر الأشبيلي وتفقه عنده، كما أخذ عن أبي محمد الأصيلي، وروى عنه أبو عبد الله بن عتاب قرأ عليه الموطأ ذكر عياض تلمذته لابن الحذاء.(24)

5 – ابن فورتش(25) (ت437هـ).

أبو مروان عبد الملك بن إسماعيل بن محمد بن فورتش سرقسطي، روى سماعا عن أبي عبد الله بن الحذاء، وأبي عمر الطلمكني، وأبي عمرو بن الصيرفي. وهو سليل بيت علم ونباهة، ذكر ابن عبد الملك المراكشي أنه من تلامذة ابن الحذاء.(26)

6 – ابن خضر (ت443هـ).

موسى بن قاسم من خضر(27) طليطلي استشهد في غزاة فحص، روى عن القاضي أبي عبد الله بن الحذاء، وأبي محمد ابن ذنين، وأبي محمد ابن عباس وغيرهم.

كان الغالب عليه قراءة الاثار، ذكره ابن بشكوال.(28)

---

23) تاريخ علماء الأندلس : 1/73 – 74.

24) ترتيب المدارك : 4/734 – الطبعة اللبنانية.

25) من مصادر ترجمته : الذيل والتكملة : 4/13.

26) الذيل والتكملة : 4/13.

27) من مصادر ترجمته : الصلة : 2/609.

28) الصلة : 2/609.

7 – الخولاني :(29) (ت448هـ) :

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن غلبون الخولاني، قرطبي سكن إشبيلية.

روى عن أبيه، وأبي عبد الله بن زمنين، وأحمد بن قاسم التاهرتي، وأبي عبد الله بن الحذاء، وأبي الوليد بن الفرضي وأبي عمر الطلمنكي، وأبي المطرف بن فطيس، وأبي المطرف القنازعي، وصاعد البغدادي وغيرهم.

كانت له عناية فائقة بتقييد الحديث وجمعه وروايته ونقله. ذكره ابن بشكوال.(30)

8 – المهلبي(31) (توفي نحو 450هـ).

أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن حسن بن إسحاق بن عبد الله بن إسحاق بن مهلب بن جعفر، من أهل قرطبة وأصله من شذوته.

روى عن أبي عبد الله بن الحذاء، وأبي القاسم خلف بن غيث، وأبي عبد الله الربي، وأبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد المصري، وعن أبي الوليد بن الفرضي، سمع منه كثيرا واختص به.

وسمع من ابن عبد البر، وأخذ عن ابن حزم وهما من أصحابه، كان شديد العناية بالرواية ضابطا مقيدا كاتبا بليغا، ذا حظوة ومكانة عند ملوك الأندلس في عصره، ذكره ابن الأبار وابن عبد الملك.(32)

---

29) من مصادر ترجمته : الصلة : 2/535.

30) الصلة : 2/507.

31) من مصادر ترجمته : جذوة المقتبس : 1/83 – بغية الملتمس: 61 – التكملة : 1/390 – الذيل والتكملة : 6/37.

32) التكملة : 1/390 – الذيل التكملة : 6/37.

9 – ابن سميق(33) (372 – 451هـ).

أبو عمر أحمد بن يحيى بن أحمد بن سميق من أهل قرطبة، سكن طليطلة وأصلهم من دمشق.

روى بقرطبة عن جماعة منهم، أبو عبد الله بن الحذاء، وأبو المطرف بن فطيس، وابن أبي زمنين، والقنازعي، وابن الرسان، وأبي القاسم الوهراني وغيرهم، وبطليطلة من أبي محمد الشنتجيالي، وأبي المطرف بن أبي جوشن، وحكم بن منذر وسواهم.

وخرج في الفتنة من قرطبة، وقصد طليطلة فسكنها، وولاه أبو عمر بن الحذاء قاضيها أحكام القضاء بطلبيرة، فكان في مستوى المسؤولية.

كان معتنيا بالحديث وكتبه وسماعه وروايته وجمعه، مع المشاركة في عدة علوم، ذكره بن بشكوال.(34)

10 – ابن نذير(35) (ت459هـ).

أبو جعفر أحمد بن وهب بن نذير الفهري الشنتمري، روى عن أبي عبد الله بن الحذاء لقيه بسرقسطة، وأبي عبد الرحمن بن محمد بن عباس الخطيب بطليطلة، وأبي مفرج عبدوس بن محمد وغيرهم، روى عنه ابنه أبو مروان عبد الملك، كان معتنيا بالرواية وسماع العلم، ذكره ابن الأبار، وابن عبد الملك وغيرهما.(36)

---

33) من مصادر ترجمته : الصلة : 1/56 – العبر : 3/225 – أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور 3/107.

34) الصلة : 2/507.

35) من مصادر ترجمته : التكملة : 1/19 – الذيل والتكملة : 1/525 – أعلام المغرب العربي : 3/111.

36) التكملة : 1/19 – الذيل والتكملة : 1/525.

11 – ابن عبد البر(37) (368 – 463هـ).

أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، روى بقرطبة عن أبي القاسم خلف بن القاسم ابن الدباغ، وعبد الوارث بن سفيان وأبي محمد بن أسد وأبي عمر الباجي وأبي زكرياء يحيى الأشعري وأحمد بن فتح الرسان وأبي المطرف القنازعي، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي الوليد بن الفرضي لزمه وأخذ عنه علما كثيرا من علم الرجال والحديث، وتفقه عند أبي عمر بن المكوي(38) وكتب إليه من أهل المشرق أبو الفتح بن سبخت، وعبد الغني بن سعيد الحافظ، وأبو ذر الهروي، وأبو محمد بن النحاس المصري، وأحمد بن نصر الداودي وغيرهم.

قال عنه أبو الوليد الباجي – ولم تكن العلاقة بينهما على أحسن ما يرام – : «لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر بن عبد البر في الحديث».(39)

من مشاهير الآخذين عنه، أبو العباس الدلال، وأبو محمد بن حزم الظاهري، وأبو عبد الله الحميدي، وطاهر بن مفوز، وأبو علي الغساني، وأبي بحر سفيان بن العاصي.(40)

خرج من قرطبة، في الفتنة إلى غرب الأندلس مدة، ثم تحول منه إلى شرقه، فتردد بين دانية وبلنسية وشاطبة.(41)

وما ألطف ما وصفه به الفتح بن خاقان في المطمح حين قال عنه : «إمام الأندلس وعالمها، الذي التاحت به معالمها، صحح المتن والسند

---

37) من مصادر ترجمته : جذوة المقتبس : 2/ 367 ع 874 – مطمح الأنفس : 294 – ترتيب المدارك : 8/ 127 – الصلة : 2/ 677 – بغية الملتمس : 489 – الديباج المذهب : 357 – تذكرة الحفاظ للذهبي : 3/ 1128 – طبقات الحفاظ للسيوطي : 432 – طبقات المالكية لمجهول : الورقة 134 ظ – وغير ذلك.

38) ترتيب المدارك : 8/ 127.

39) الصلة : 2/ 677 وانظر ترتيب المدارك : 8/ 129.

40) ترتيب المدارك : 8/ 128.

41) نفسه : 8/ 127 – الصلة : 2/ 679.

وميز المرسل من المسند، وفرق بين الموصول والمقطوع، وكسا الملة منه نور ساطع، حصر الرواة وأحصى الضعفاء منهم والثقات، وجد في تصحيح السقيم، وجدد منه ما كان كالكهف والرقيم، مع معاناة العلل وإرهاف ذلك العلل، والتثقيف للمؤتلف والتنبيه على المختلف...»،(42) ذكره الحميدي وابن بشكوال والضبي وغيرهم.(43)

12 – الحجري(44) (386 – 466هـ).

أبو بكر جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر الحجري طليطلي، روى عن القاضي أبي عبد الله بن الحذاء وأبي محمد عبد الرحمن بن عباس الخطيب، وأبي محمد بن عبد الله بن ذنين، ومحمد بن عمر بن الفخار وغيرهم.

رحل إلى المشرق حاجا سنة 452هـ، فحج ولقي كريمة المروزية، ولقي بمصر أبا عبد الله القضاعي وغيره، وسمع الناس منه هنالك.

كان فقيها مالكيا حافظا، عارفا بالفتوى وعقد الشروط وما يتعلق بها، عالما بالنوازل والمسائل، ذكره ابن بشكوال.(45)

13 – أبو عمر ابن الحذاء(46) (380 – 467هـ).

أحمد بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود التميمي، يعرف بابن الحذاء قرطبي، ولد أبي عبد الله بن الحذاء، وعنه روى أكثر روايته وهو ندبه صغيرا، إلى طلب العلم، والسماع من كبار علماء وقته، فحصل له بذلك سماع عال أدرك به درجة أبيه، وكان

---

42) مطمح الأنفس.

43) جذوة المقتبس : 161/1 – الصلة : 507/2 – بغية الملتمس : 146.

44) من مصادر ترجمته : الصلة : 132/1.

45) الصلة : 132/1.

46) من مصادر ترجمته : جذوة المقتبس – الصلة : 62/1 – بغية الملتمس : 163, 527 – سير أعلام النبلاء : 344/18 – العبر : 264/3 – طبقات المالكية لمجهول : الورقة 117 وع 275 – أعلام المغرب العربي : 326/3.

ابتداء سماعه حوالي سنة 393هـ،(47) وأخذ عن أبيه صحيح مسلم قال: «نا أبي رحمه الله قراءة مني عليه سنة 395هـ...(48)

ومن شيوخه الذين روى عنهم، محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، لقيه بقرطبة سنة 395هـ وعبد الوارث بن سفيان، وقاسم بن محمد ابن علون، وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن أبي يزيد العتكي المصري الصواف، وأبو القاسم الوهراني، وأبو عمر السفاقسي ابن الضابط، ويونس بن مغيث، وسعيد بن نصر، وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني، وأبي الحسن ابن سيدة المرسي، وأبو المطرف، وابن فطيس، وغيرهم.

خرج من قرطبة في الفتنة مع أبيه إلى الثغر الأعلى، فسكن سرقسطة ثم المرية، وولي أحكام القضاء بطليطلة، قبل أبي الوليد ابن وثيق التغلبي (ت449هـ)، ثم ولي قضاء دانية وأعمالها، من إقبال الدولة علي بن مجاهد العامري، بعد صرفه لقاضيها السابق أبي محمد عبد الله بن خميس بن مروان الأنصاري(49) (ت446هـ).

وانصرف في آخر حياته إلى قرطبة، فكان متصرفا بين مدينة اشبيلية، ومدينة قرطبة إلى أن مات.

روى عنه عمر بن سهل اللخمي، ومحمد بن محمد بن أصبغ الأزدي وطاهر بن مفوز المعافري، وأبو عبد الله بن الحداد، وعيسى بن خيرة مولى ابن بردة المقري القرطبي، وأبو علي الغساني الجياني، وهشام الكناني الوقشي أبو الوليد، وعبد العزيز بن عتاب القرطبي، ومحمد بن حيضر ابن مفوز المعافري الشاطبي، ويونس بن محمد بن مغيث، وعبد الرحمن بن محمد بن عتاب وغيرهم، سمع عليه الصحيحان وغيرهما من كتب الحديث، ذكره ابن بشكوال وغيره.

---

47) الصلة : 63/1.

48) فهرسة ابن خير : 102.

49) الصلة : 507/2.

14 – الطرابلسي (378 – 469هـ).

أبو القاسم حاتم بن محمد بن عبد الرحمن بن حاتم التميمي، المعروف بابن الطرابلسي(50) قرطبي، أصله من طرابلس الشام.

روى بقرطبة عن جماعة منهم، أبو المطرف بن فطيس، وأبو حفص ابن نابل، وأبو بكر التجيبي، وأبو عمر الطلمنكي وغيرهم.

رحل إلى المشرق سنة 402هـ، فلازم بالقيروان أبا الحسن القابسي إلى أن توفي، وقد سمع عليه أكثر روايته، ثم رحل إلى مكة، فحج ولقي أبا الحسن أحمد بن إبراهيم العبقسي أحد المسندين الثقات، وأبا سعيد السجزي راوي كتاب مسلم فحمله عنه، وأبا بكر بن عزرة فأخذ عنه وأجازه.

ثم عاد إلى القيروان سنة 404هـ دون أن يكتب عن أحد بمصر، فظل بالقيروان يقابل كتبه وينتسخ سماعاته، من أصول أبي الحسن القابسي، ويستزيد من الشيوخ، فأخذ بها عن أبي عبد الله بن مناس القروي، وأبي جعفر ابن مسمار، وأبي عبد الله بن سفيان المقرئ أخذ عنه كتابه الهادي في القراءات، وجالس بالقيروان أبا عمران الفاسي، وأبا عبد الملك مروان بن علي اليوني، وأبا بكر عبد الرحمن الفقيه.

ثم عاد إلى الأندلس، وقد علا كعبه، باتساع علمه، وكثرة روايته، وسكن طليطلة فترة من الزمن، روى بها عن عبد الرحمن بن عباس الخطيب، وأبي محمد بن ذنين، وأبي مغلس وغيرهم، وسمع ببجانة من أبي القاسم الوهراني، أخذ عنه الكبار والصغار لطول عمره، ذكره عياض وابن بشكوال.(51)

---

50) من مصادر ترجمته : الصلة : 157/1.

51) ترتيب المدارك : 734/4 الطبعة اللبنانية – الصلة : 507/2.

15 – أبو محمد بن الحذاء(52) (كان حيا سنة 436هـ).

أبو محمد عبد الله بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب ابن داود التميمي، يعرف بابن الحذاء قرطبي، ولد أبي عبد الله بن الحذاء، وأخو أبي عمر المذكور قبله، سمع أباه أبا عبد الله.

وخرج في الفتنة من قرطبة مع أبيه، وسكن سرقسطة وولي القضاء، وقف ابن الأبار علي إجازة أبي عمرو السفاقسي ابن الضابط، لأبي محمد هذا ولأخيه أبي عمر وبنيهما، في صفر سنة 436هـ، ذكره ابن الأبار.(53)

16 – الأصبحي(54) (ت476هـ).

أبو حفص عمر بن يونس بن كريب الأصبحي، سكن طليطلة، وأصله من سرقسطة، روى عن الشيخ الصالح على بن موسى بن حزب الله، وأبي عمرو المقرئ وأبي محمد بن يحيى بن محارب، وأجاز له الصاحبان، وسمع من القاضي أبي عبد الله بن الحذاء، وأبي عمر الطلمنكي وأبي بكر بن زهر، والقاضي أبي الحزم خلف بن هاشم العبدري، وغيرهم، ذكره ابن بشكوال.(55)

17 – ابن واجب (ت476هـ).

أبو حفص عمر بن محمد بن واجب بلنسي، وكان صاحب أحكامها، سمع من أبي عبد الله بن الحذاء صحيح مسلم وغيره، روى عن أبي عمر الطلمكني.

---

52) من مصادر ترجمته : التكملة : 2/796 تحقيق العطار.

53) التكملة : 2/796.

54) من مصادر ترجمته : الصلة : 2/402.

55) من مصادر ترجمته : الصلة : 2/403.

قال حفيده أبو الحسن محمد بن واجب بن عمر بن واجب القاضي : إنه توفي قريبا من 470هـ وسنه نحو الستين وقد حج، وقال غيره : «إنه توفي في شعبان سنة 476هـ، ذكره ابن بشكوال.(56)

18 – الرعيني(57) (ولد 381هـ؟).

أبو محمد وضاح بن محمد بن عبد الله بن مطرف بن عباد الرعيني، سرقسطي، سمع من أبي عبد الله بن الحذاء، وأبي عمر الطلمكني، وأبي بكر بن زهر وسواهم.

رحل إلى المشرق سنة 418هـ، فلقي بالقيروان أبا عمران الفاسي وأخذ عنه ولقي بمصر أبا القاسم عبد الجبار بن أحمد الطرسوسي وقرأ عليه القرآن، ذكره ابن بشكوال.(58)

19 – ابن سمعان (؟ – ؟).(59)

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن سمعان من أهل الثغر. يروي عن أبي عبد الله بن الحذاء، وأبي عمر الطلمكني، ومحمد بن أيمن وغيرهم.

أخذ عنه أبو بكر محمد بن محمد بن جماهر وغيره، كان معتنيا بالعلم وروايته، ذكره ابن بشكوال.(60)

20 – الكناني(61) (توفي نحو 480هـ).

أبو الحسن علي بن المنذر بن المنذر بن علي الكناني من أهل مدينة الفرج، روى عن أبيه، وأبي عبد الله بن الحذاء، وأبي عمر الطلمكني

56) الصلة : 2/403.
57) من مصادر ترجمته : الصلة : 2/646.
58) الصلة : 2/646.
59) من مصادر ترجمته : الصلة : 2/544.
60) الصلة : 2/544.
61) من مصادر ترجمته : الصلة : 2/421.

وأبي بكر بن زهر، وأبي محمد الشنتجيالي، وأبي عمر بن عبد البر وغيرهم.

رحل إلى المشرق وحج وروى الحديث، ذكره ابن بشكوال.(62)

المبحث الثاني : آثاره

مؤلفات ابن الحذاء :

1 – كتاب «الاستنباط لمعاني السنن والأحكام من أحاديث الموطأ» وهو شرح لموطأ الإمام مالك يقع في ثمانين جزءا.(63)

ويبدو أنه شرح موسع، سبق به ابن الحذاء، ابن عبد البر، والباجي، وابن العربي وغيرهم، ممن ألفوا بعده في هذا الموضوع.

2 – كتاب «التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من النساء والرجال»، وسيأتي الحديث عنه مستقلا.

3 – كتاب «الانباه في أسماء الله» هكذا ذكره القاضي عياض في الترتيب،(64) وقال ابن بشكوال في الصلة، بدل الانباه «الأنباء» بالهمزة في آخره.(65)

وسماه ياقوت : «كتاب الأنباء بمعاني الأسماء أسماء الله».(66)

وقد تقدم، أن ابن الحذاء، أوصى أن يدخل هذا الكتاب في أكفانه ويدفن معه.(67)

---

62) الصلة : 2/421.

63) ترتيب المدارك : 7/7 – معجم الأدباء : 19/109 – الديباج 273 – شجرة النور الزكية : 2/112 – الإعلام للزركلي : 7/136 – معجم المؤلفين : 12/199.

64) ترتيب المدارك : 7/7 وانظر : الوافي بالوفيات : 5/196 – هدية العارفين : 2/63 – سير أعلام النبلاء : 17/444 إلا أنه قال بدل «علي – عن».

65) الصلة : 2/507 وانظر : الديباج : 253 – بزيادة تعالى في آخره بعد اسم الجلالة.

66) معجم الأدباء : 19/109 وانظر : معجم المؤلفين : 12/99 بزيادة تعالى في آخره.

67) انظر : الصلة : 5/507.

4 – كتاب «الخطب والخطباء»(68) أو «كتاب الخطب وسير الخطباء»(69) ويقع في سفرين.(70)

وقد نقل عنه القاضي عياض في ترتيب المدارك،(71) وسيأتي ضمن ما وقف عليه هذا البحث من نقول عن ابن الحذاء.

5 – كتاب «البشرى في عبارة الرؤيا» هكذا سماه عياض ومن تبعه(72) على ذلك، وهناك من قال بدل «عبارة» تأويل(73) تعبير(74) وهناك من اختصره فقال: كتاب البشرى(75) أو كتاب الرؤيا.(76)

وقد نقل عنه عياض كذلك في ترتيب المدارك،(77) واختلف في طبيعة هذا الكتاب فاعتبره عياض، شرحا لكتاب الكرماني، وقال: إنه في خمسة

---

68) هكذا في ترتيب المدارك : 7/7 – معجم الأدباء : 109/19 – الديباج : 273 – طبقات المالكية 116ظ – شجرة النور الزكية : 112/2 – معجم المؤلفين : 99/12 وفي الوافي بالوفيات للصفدي: 196/5 بتقديم الخطباء على الخطب / وفيه في : 53/1 بتقديم الخطب.

69) الصلة : 507/2 – سير أعلام النبلاء : 444/7 – هدية العارفين: 63/2 – الاعلام للزركلي: 99/12.

70) جل المصادر والمراجع ذكرت ذلك باستثناء ترتيب المدارك وطبقات المالكية وكتب بعض المتأخرين واختلفت العبارة بين : في سفرين / وفي مجلدين.

71) ترتيب المدارك : 283/6 -- 284.

72) نفسه – الدباج : 273 طبقات المالكية : 116 ظ – شجرة النور الزكية : 112/2.

73) الصلة : 507/2 – الوافي بالوفيات : 196/5 – فهرسة ابن خير : 267 – الإعلام للزركلي : 99/12.

74) معجم الأدباء : 109/1 – مرآة الجنان : 29/3 – كشف الظنون : 246/1 – معجم المؤلفين : 9/12.

75) العبر لابن حجر : 123/3 – شذرات الذهب : 206/3.

76) سير اعلام النبلاء : 444/17.

77) ترتيب المدارك : 429/4 تحقيق أحمد بكير.

عشر جزءا،(78) وقال أكثر مترجمي ابن الحذاء، إنه كتاب قائم الذات، ويقع في عشرة أسفار.(79)

6 – «شرح كتاب الكرماني» ذكره كل من صاحب الديباج، وصاحب طبقات المالكية، وقالا، إنه في خمسة عشر جزءا(80) والكرماني هو أبو إسحاق إبراهيم (ق4هـ).(81)

7 – «فهرسة أبي عبد الله بن محمد بن يحيى بن الحذاء» هكذا ذكره كل من عياض في الغنية،(82) وابن خير في فهرسته.(83)

يرويها الأول عن ابن عتاب عن أبي عمر بن الحذاء، عن أبيه مؤلفها(84) ويقول ابن خير الإشبيلي، في معرض حديثه عن المستخرجة من الأسمعة للعتبي: «إن أبا عبد الله محمد بن عمر بن لبابة، رواها عن العتبي إلا الجامع الكبير من المستخرجة، فيقال: إن ابن لبابة لم يروه، ذكر ذلك أبو عبد الله محمد بن يحيى بن الحذاء رحمه الله في فهرسته».(85)

ويقول في مكان آخر : إنه روى تواليف أبي عبد الله ابن الحذاء التميمي رحمه الله، وجميع رواياته عن شيوخه، حدثه بها الشيخان أبو محمد بن عتاب، وأبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث رحمهما الله عن القاضي أحمد بن محمد بن الحذاء عن أبيه رحمهما الله.(86)

---

78) نفسه : 7/7 تحقيق سعيد أعرابي.
79) الصلة : 2/507 – معجم الأدباء : 19/109 / الوافي بالوفيات : 5/196 إلخ.
80) الديباج : 273 – طبقات المالكية لمجهول الورقة 116 ظ.
81) انظر : تاريخ التراث العربي : 4/98. الهامش : 76.
82) الغنية : 229.
83) فهرسة ابن خير : 242.
84) الغنية : 2.
85) فهرسة ابن خير : 242.
86) نفسه : 444.

ويستفاد من كلام ابن خير هذا، أن كتب أبي عبد الله بن الحذاء، كانت من جملة مرويات الشيوخ بالأندلس، في القرن السادس الهجري.

– نقول عن ابن الحذاء :(87)

أ – في ترتيب المدارك للقاضي عياض :

أكثر هذه النقول في تراجم شيوخ أبي عبد الله بن الحذاء، وهي كالآتي مرتبة حسب وفياتهم :

– أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن يحيى الليثي (ت367هـ)، قال محمد بن يحيى : كان أبو عيسى جليل القدر عالي الدرجة في الحديث، حمد الناس أحكامه، وجميع أحواله، وكان من سراة الناس حسن المركب، والملبس، والهيئة والصورة والأخلاق، كريما يطعم الطلبة، إذا تم مجلس مناظرته من ثمار بستانه، وينشطهم للأكل، فإن فضل شيء، دفعه إلى الغرباء، يحملونه إلى منازلهم، وقال لهم : تستعينون به في ادامكم».(88)

– أبو الطاهر محمد بن أحمد الذهلي (ت367هـ) قال القاضي أبو عبد الله الحذاء :(89) كان محدث زمانه وطال عمره(90) (...) قال القاضي أبو عبد الله : وتوفي أبو طاهر سنة سبع وستين وثلاثمائة مولده سنة تسع وتسعين ومائتين».(91)

---

87) في ترتيب المدارك : 6/151 في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي دليم (ت372هـ) أن محمد بن يحيى ابن الحذاء قال: «كل أصحابنا كان له صبوة ما خلاه فإني عرفته صغيرا زاهدا (...كان محمد بن محمد من خيار الناس وعلمائهم» وبالرجوع إلي تاريخ علماء الأندلس: 2/85 – 86 تبين أن الكلام لمحمد بن يحيى بن الخراز، ومن تم لم أورده.

88) ترتيب المدارك : 6/109.

89) نفسه : 5/267 وفيه ابن الحداد.

90) نفسه.

91) نفسه : 5/268.

- أبو عبد الله محمد بن وازع بن محمد الضرير (ت373هـ).

قال ابن الحذاء : «كان فقيها أديبا حلوا، وهو أول من أدخل كتب الأبهري وابن أبي زيد قرطبة».(92)

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدينوري (كان حيا سنة 378هـ).

قال أبو عبد الله بن الحذاء : «لقيته بمكة سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة وتركته حيا، وقد نيف على الثمانين سنة، وكان فقيها ورعا، منقبضا، خيرا، من جلة العلماء».(93)

- أبو بكر محمد بن حسن الزبيدي (ت379هـ).

قال القاضي أبو عبد الله بن الحذاء : «لم ترعيني مثله في علمه وأدبه».(94)

- أبو بكر النعالي (ت380هـ).

قال القاضي عياض : «هو محمد بن سليمان، كما سماه القاضي أبو عبد الله بن الحذاء»(95) قال ابن الحذاء: «كان فقيه عصره، وكان التكلم عنده بمصر في العلم والمسائل، وما رأيت رجلا أتم مروءة منه ولا أعف ولا أكمل ولا أمتع، وكان أسخى الناس، وذكر لي أنه لم يجتمع عنده مال يزكي عليه».(96)

---

92) ترتيب المدارك : 7/165.

93) نفسه : 6/180.

94) نفسه : 7/38 والقول فيه منسوب، إلى أبي عمر بن الحذاء، وجاء فيه كذلك : أن ابن أبي عامر كان يثق بالزبيدي في لقاء الخليفة هشام، وحدث عنه ابنه والقاضي ابن أبي مسلم من أهل بلدنا وأبو عمر بن الحذاء – ونقله ابن فرحون في الديباج : 263 – 264 ولا شك أن الأمر يتعلق بأبي عبد الله بن الحذاء لا ابنه أبي عمر الذي لم يدرك أبا بكر الزبيدي بل ولد بعد موته.

95) ترتيب المدارك : 6/202.

96) نفسه : 6/203.

قال ابن الحذاء : «وتوفي في الثمانين وثلاثمائة، وكان أبوه أبو القاسم، ممن حدث بمصر أيضا عن المقدام بن داود، حدث عنه عبد الغني وغيره».(97)

– أبو محمد عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم بن خلف الثغري القلعي (ت383هـ):

قال ابن الحذاء : «وكان رجلا صالحا فاضلا، زاهدا منقطع القرين وكان بطلا شجاعا(98) قال ابن الحذاء: «يذكر عنه أهل جهته في هذا الباب مقامات مشهورة، منها أن العدو قصد بلدهم في نحو ثلاثمائة آلاف فارس، وكان قائد القلعة شجاعا أيضا، فاجتمعا، فقال له أبو محمد : معنا خمسمائة فارس وأنت تعد بخمسمائة فارس وأنا بخمسمائة، فقد وجب علينا لقاؤهم بنص الكتاب، فأطاعه وبرزوا إليهم فظهروا عليهم، وانهزم العدو، وتحكموا فيهم قتلا وغنيمة بحسن ظن الشيخ.(99)

– أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي الجوهري (ت381هـ).

قال أبو عبد الله محمد بن الحذاء القاضي : «كان فقيها ورعا منقبضا خيرا من جلة الفقهاء».(100)

قال ابن الحذاء : «وتوفي فيما أحسب سنة خمس وثمانين وثلاثمائة».(101)

– أبو الوليد هاشم بن يحيى بن حجاج البطليوسي (ت385هـ).

---

97) نفسه.

98) نفسه : 26/7.

99) نفسه.

100) نفسه : 204/6.

101) نفسه.

قال ابن الحذاء : «ما رأيت أتم ورعا منه»(102)

– أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ).

قال عياض : «واسم أبي زيد عبد الرحمن، كذا قال الأمير ابن ماكولا، والقاضي ابن الحذاء».(103)

– أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت392هـ).

قال ابن الحذاء : «من الجزيرة الخضراء، وكان جده من مسالمة أهل الذمة، ورحل به أبوه إلى أصيلا من بلاد العدوة، فسكنها ونشأ أبو محمد بها، وطلب العلم بالافاق».(104)

قال ابن الحذاء : «وكان أبوه وراقا للحكم»(105) قال ابن الحذاء : «لم ألق مثله في علمه بالحديث ومعانيه وعلله ورجاله».(106)

وإلى جانب هذه النقول، نقل عياض في ترتيب المدارك، عن كتابين لأبي عبد الله بن الحذاء.

* كتاب البشرى في عبارة الرؤيا :

«وذكر القاضي محمد بن يحيى بن أحمد في كتابه المعروف بكتاب البشرى أن إسحاق ابن إبراهيم بن مسرة، رأي قبل موته سنة إحدى وخمسين، أنه مات رحمه الله، وأن الملائكة تتوفاه، فخرجت رؤياه على وجهها رحمه الله وغفر له ولجميعهم بمنه».(107)

* كتاب الخطب والخطباء :

«قال ابن الحذاء في كتاب الخطب والخطباء : كان ابن السليم قد اقتطع من مقاصير النساء بجامع قرطبة، موضعا اتخذه لمصلاه يوم الجمعة يبكر

102) أعمال الاعلام : 56.

103) ترتيب المدارك : 215/6.

104) نفسه : 136/7.

105) نفسه.

106) نفسه : 138/7.

107) ترتيب المدارك : 642/4 الطبعة اللبنانية.

للرواح فيه، فلا يزال فيه بين صلاة وذكر، حتى ينذره المؤذن بالوقت، فيقوم نحو المقصورة.

وحضر مرة جنازة رجل ترك ابنا رجلا، فلما وضع النعش، تقدم الابن فصلى من غير إذن، فلما فرغ من شأن الميت وانفض الناس، أمر القاضي بحمل الولد إلى الحبس، فأقبل يقول: ما ذنبي؟ فقال: جهلك، إذ تقدمت بمحضري، ولم تستأذني ولا رعيت حق الخليفة، إذ الصلاة له، وأنا خليفته، فليس لأحد أن يتقدم إلا بإذننا، فلم تفعل، ولابد من تأديبك، لأرشد بك مثلك من خلفك، فمضوا به إلى السجن، فلما وصل القاضي إلى داره أمر بإطلاقه، وقال: فيما فعلناه أدب له».(108)

ب – «طوق الحمامة في الألفة والألاف» لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم ت456هـ قال ابن حزم : «حدثني صاحبنا أبو بكر محمد بن أحمد بن إسحاق، عن ثقة أخبره، سقط علي اسمه، وأظنه القاضي ابن الحذاء،(109) أن يوسف بن هارون الشاعر المعروف بالرمادي، كان مجتازا عند باب العطارين بقرطبة، وهذا الموضع كان مجتمع النساء، فرأى جاريه أخذت بمجامع قلبه وتخلل حبها جميع أعضائه، فانصرف عن طريق الجامع، وجعل يتبعها وهي ناهضة نحو القنطرة، فحازتها إلى الموضع

---

108) ترتيب المدارك : 4/429. الطبعة اللبنانية.

109) ترجم د. احسان عباس في الهامش، لأبي عبد الله بن الحذاء، ثم عقب على ذلك بقوله : «والنص هنا قد ينطبق عليه وعلى ابنه أحمد ويكنى بأبي عمر – رسائل ابن حزم : 1/120
– والراجح أنه أبو عبد الله ويعضده:

أ – أن أبا بكر محمد بن أحمد بن إسحاق (ت450هـ) من تلاميذ أبي عبد الله بن الحذاء.

ب – أن الشاعر الرمادي الآتي الذكر توفى سنة (403هـ) وخيوط القصة متقدمة عن هذا التاريخ مما يبعد أن يكون ابن الحذاء هنا أبا عمر (380 – 467هـ).

ج – أن الحميدي نقل القصة، عن ابن حزم، عن أبي بكر محمد بن أحمد بن إسحاق عن بعض إخوانه، قال الحميدي: وأظنه أبو الوليد بن الفرضي (جذوة المقتبس : 2/590)، وظن ابن حزم مقدم على ظن الحميدي في هذا الموقف.

المعروف بالربض، فلما صارت بين رياض بني مروان - رحمهم الله - المبنية على قبورهم، في مقبرة الربض خلف النهر، نظرت منه منفردا عن الناس، لا همة له غيرها، فانصرفت إليه، فقالت له : «تمشي ورائي؟ فأخبرها بعظيم بليته بها إلى آخر القصة».(110)

ج - نقول عن «التعريف» لابن الحذاء، وستأتي في الباب الثالث.

110) رسائل ابن حزم : 1/120.

الباب الثالث

كتاب التعريف
بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس
من النساء والرجال لأبي عبد الله بن الحذاء

الفصل الأول

الموطأ ورجاله

المبحث الأول :

الموطأ :

يعتبر كتاب الموطأ لمالك بن أنس (ت179هـ) من أوائل المؤلفات في الحديث والفقه معا، وقد جاء تأليفه تلبية لرغبة نفسية ملحة لدى مالك، ولحاجة سياسية واجتماعية ضاغطة، ازدادت حدتها عقب ما وقع بالعراق، من خلاف بين المسلمين في الأحكام، الشيء الذي جعل المنصور العباسي يبعث إلى مالك قائلا له: «إن الناس، قد اختلفوا بالعراق فضع للناس كتابا تجمعهم عليه».(1)

واختيار العباسيين لمالك بالذات للقيام بهذه المهمة، يرجع إلى عدة اعتبارات من أهمها : أنه عالم المدينة، ومذهبه حجة، بالإضافة إلى ما كان يتمتع به، من تقدير كبير من لدن الجميع. / كان محمد بن الحسن الشيباني (ت189هـ)، إذا حدث بالعراق عن مالك والحجاريين، تمتلىء داره، وإذا حدث عن أهل العراق يقل الناس، لعلمهم بأن علم مالك وأهل المدينة أصح وأثبت.(2)

وكان رأي المنصور، ومن بعده المهدي والرشيد، أن ينشر في كل بلد نسخة من الموطأ، ويسير القضاء فيها في الأحكام على مقتضاه، الأمر الذي كان مالك يأباه.

قال ابن كثير : «وقد طلب المنصور من الإمام مالك، أن يجمع الناس على كتابه، فلم يجبه إلى ذلك، وذلك من تمام علمه، واتصافه بالإنصاف، وقال: إن الناس قد جمعوا واطلعوا على أشياء لم نطلع عليها».(3) / وقد كان الموطأ في أصله يشتمل على عدد كبير من الأحاديث، قيل : إنها عشرة

---

1) الجرح والتعديل : المقدمة : 12/1.

2) مجموع فتاوى ابن تيمية : 324/20 – وانظر : تراث الإنسانية (موطأ مالك لأمين الخولى : المجلد I ص : 265) – مالك : لأبي زهرة : 179.

3) الباعث الحثيث : 30 – 31 وانظر كشف المغطى 27.

الاف، وقيل تسعة الاف، وقيل : أربعة الاف، ولازال يهذبه وينقحه سنة بعد أخرى إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن.(4)

وليس صحيحا ما ذهب إليه بروكلمان ومن سار على نهجه، من أن الموطأ ليس كتاب حديث إنما هو كتاب فقه.(5)

ومع اعتراف الدكتور سزكين، بأن الموطأ كتاب حديث وكتاب فقه، فقد وضعه في الجزء الخاص بالفقه،(6) وكان الأولى به أن يضع مالكا وكتابه في الجزء الخاص بالحديث أيضا. وقد صنع ذلك – فعلا – مع غيره.

من ذلك على – سبيل المثال – عبد الملك بن حبيب، ذكره في الجزء الخاص بالتدوين التاريخي، وفي الجزء الخاص بالفقه. وفي القسم الخاص باللغة.(7)

وهذا يجر إلى الكلام على الصحيح. وموقع الموطأ بين كتب الحديث.

إن الذي لا خلاف فيه، أن الموطأ أصح كتاب بعد كتاب الله، قبل ظهور صحيحي البخاري ومسلم، وعلى هذا يحمل ما قيل عن الموطأ إذ ذاك، كقول ابن المهدي: «لا أعلم من علم الناس بعد القرآن، أصح من موطأ مالك،(8) وقول محمد بن إدريس الشافعي : «ما تحت أديم السماء كتابا أكثر صوابا بعد كتاب الله من موطأ مالك».(9)

---

4) انظر تنوير الحوالك : 1/9 – شرح الزرقاني على الموطأ : 1/2 – 3 – الفكر السامي : 1/336 تاريخ التراث العربي 3/130.

5) تاريخ الأدب العربي لبروكمان : 2/275.

6) تاريخ التراث العربي : المجلد 1 / ج 3 / ص 130.

7) نفسه : (2/248) (3/148) (المجلد 8 / ج 2 ص 483).

8) مسند الموطأ : 102 ونقل ابن نصر الدين القيسي في اتحاف السالك : 47 أنه لجلالة قدر الموطأ كان أهل مصر بعد موت مالك من أصحابه يستسقون بموطئه.

9) مجموع فتاوى ابن تيمية : 20/320 وانظر : مسند الموطأ : 110 – كشف المغطى 36 وما بعدها.

قال ابن تيمية : «وهو كما قال الشافعي رضي الله عنه».(10)

وعلى هذا يقال : إن مالكا أول من ألف في الصحيح، المجرد، ومن ثم فلا تعارض بين القولين، ولا يضير البخاري في شيء أن يكون مالك أول من ألف في الصحيح، مع العلم أن البخاري كان أول ما يستفتح الباب بحديث مالك، وإذا وجد حديثا يؤثر عن مالك، لا يكاد يعدل به إلى غيره.(11) وإلى هذا القول انتهى ابن حجر في النكث.(12)

وكيفما كان الحال، فالذي ذهب إليه الجمهور قديما وحديثا، هو أن الموطأ يأتي من حيث الرتبة بعد صحيحي البخاري ومسلم.

يقول طاش كبري زادة : «إن السلف والخلف، قد أطبقوا قاطبة على أن أصح الكتب بعد كتاب الله، صحيح البخاري ثم صحيح مسلم، ثم الموطأ، ثم بقية الكتب الستة».(13)

ووضع الموطأ في الطبقة الأولى من كتب الحديث مع الصحيحين، هو ما ترتاح إليه النفس، وما أكدته جهود الجهابذة من المحدثين الذين وصلوا كل بلاغات الموطأ ومراسيله ومنقطعاته.(14)

ترتيبه وعدد أحاديثه :

ظل مالك ينقح الموطأ طوال حياته(15) ينظر فيه كل عام إلى أن مات، يدل على هذا مثل قوله : «كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين

---

10) مجموع فتاوى ابن تيمية 320/20 – وقال مرة وهو من أجل الكتب حتى قال الشافعي : «ليس تحت أديم السماء بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك» يعني بذلك ما صنف على طريقته – نفسه 74/18.

11) نفسه 325/20 – وانظر تنوير الحوالك : 8/1.

12) انظر : النكث على كتاب ابن الصلاح : 59 – 61.

13) مفتاح السعادة : 129/2 وانظر الرسالة المستطرفة : 13.

14) انظر : التمهيد : 9/1 – تجريد التمهيد : 10, الإيماء إلى أطراف الموطأ الورقة 274 ظ – 175 وفضل الموطأ : 152, ,,166. ورسالة في وصل البلاغات الأربع في الموطأ، تأليف الحافظ ابن الصلاح تحقيق أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق 1400هـ / 1979م.

15) انظر : ترتيب المدارك : 195/2.

يوما،(16) وقوله: «علم جمعه شيخ في ستين سنة أخذتموه في أربعة أيام»،(17) وغير ذلك.

وقد جاء هذا الكتاب منسجما مع عصره، من حيث ترتيبه، وكانت طريقة المتقدمين، الجمع بين المأثور عن النبيﷺ، والصحابة، والتابعين،(18) مع حرص مالك على إخراج كتاب يكون مرجعا إلى الأحكام، اعتمادا على ما صح لديه.

روي أن مالك أوتي بكتاب ابن الماجشون فنظر فيه ثم قال : «ما أحسن ما عمل، ولو كنت أنا الذي عملت لبدات بالآثار ثم شددت ذلك بالكلام.(19)

إنه يصدر الأبواب بالحديث النبوي ومعه أقوال الصحابة، وعملهم وفتاوى التابعين وعملهم كذلك، ثم يورد غالبا فتاواه وما يراه صوابا، وما يعقب به على المنقول من القول والفعل بعبارات الإعجاب المختلفة.(20)

وبوب الكتاب على أبواب الفقه، فجاء كتابا حديثيا فقهيا، بل كتابا جامعا لما انتهى إلى مالك مما كان يسمى في تلك الفترة «العلم».(21)

وقد بين مالك نفسه منهجه في الموطأ فقال : «فيه حديث رسول اللهﷺ، وقول الصحابة والتابعين ورأيي وقد تكلمت برأيي، وعلى الاجتهاد، وعلى ما أدركت عليه أهل العلم ببلدنا، ولم أخرج من جملتهم إلي غيره».(22)

---

16) التمهيد : 1/78.

17) كشف المغطى : 34.

18) انظر : مجموعة فتاوى ابن تيمية : 18/74.

19) التمهيد : 1/86 وانظر تاريخ التراث العربي : 3/129.

20) انظر : الموطأ : (1/12 ك ا ب 5 ح 23) – (2/552 ك 29 ب 2 ح 9) وغير ذلك.

21) انظر : الفكر السامي : 1/335 – تراث الإنسانية المجلد – 265.

22) ترتيب المدارك 2/73.

أما عدد أحاديث مالك في الموطأ في صورته الأخيرة، فنعتمد فيه الإحصاء الذي قام به صاحب أسانيد الحديث النبوي على رواية يحيى بن يحيى الليثي.

عدد الأحاديث والآثار على الإجمال : (1889) منها :

المرفوعة إلى شخص النبي ﷺ : 557

المرسلة : 136

المنقطعة : 98

الموقوفة : 701

المقطوعة : 397

المجموع : ـــــ = 1889

وبلغ المجموع الكلي للبلاغات : 246 منها

200 قال فيها مالك : بلغني والباقي بلاغات عن غير مالك.

وعدد الأحاديث التي قال فيها مالك بلغني عن أهل العلم :14

" " عن الثقة عنده : 07

" " حديث للزهري فيه عن بعض علمائنا : 01

" " حديث للصلت بن زبيد فيه عن غير واحد : 01

" " حديث لربيعة بن أبي عبد الرحمان عن غير واحد(23) 01

رواياته :

عقد القاضي عياض في ترتيب المدارك، بابا ذكر فيه ما ينيف عن 56 راويا من رواة الموطأ، وختم حديثه عنهم بقوله : «ولا مرية أن رواة الموطأ

---

23) أسانيد الحديث النبوي : 1/253 وانظر تاريخ التراث العربي لسركين : 3/130 – 131 ففيه أن الموطأ يضم في صورته الأخيرة 100 حديث مسند و222 حديث مرسل و613 حديث موقوف و285 رأي التابعين وانظر : تنوير الحوالك 1/9 وفيه عن الأبهري : حملة ما في الموطأ من الاثار عن النبيﷺ وعن الصحابة والتابعين 1720 حديثا، المسند منها 600 المرسل 220 الموقوف 613 ومن قول التابعين : 285.

أكثر من هؤلاء، وإنما ذكرنا من بلغنا نصا سماعه له ومنه، وأخذه له عنه، أو من اتصل إسناده له فيه عنه».(24)

وألف ابن ناصر الدين القيسي (ت840هـ) كتابا في الموضوع سماه: «اتحاف السالك برواة الموطأ عن الإمام مالك» ترجم فيه لتسعة وسبعين راويا.(25)

ومهما يكن عدد الرواة، الذين رووا الموطأ عن مالك، فإن الذي يعنينا هو ما اشتهر من هذه الروايات.

يذكر أبو القاسم الجوهري في مسند الموطأ أنه نظر في الموطأ من اثنتي عشرة رواية، ثم ذكرها كالآتي :

1 – رواية عبد الله بن وهب.

2 – رواية عبد الرحمان بن القاسم.

3 – رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي.

4 – رواية عبد الله بن يوسف التنيسي.

5 – رواية معن بن عيسى.

6 – رواية سعيد بن عفير.

7 – رواية يحيى بن عبد الله بن بكير.

8 – رواية أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري.

9 – رواية مصعب بن عبد الله الزبيري.

10 – رواية محمد بن المبارك الصوري.

11 – رواية سليمان بن برد.

12 – رواية يحيى بن يحيى الأندلسي.(26)

---

24) انظر تنوير الحوالك : 1/10 – 11.

25) انظر : اتحاف السالك : 275.

26) مسند الموطأ : 633.

ونقل السيوطي كلام الجوهري، ثم قال معقبا عليه : «قد وقفت على روايتين سوى ما ذكر الغافقي: إحداهما : رواية سويد بن سعيد، والأخرى رواية محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة».(27)

وبهذا يبلغ مجموع النسخ أربع عشرة نسخة، هي التي أشار إليها محمد فؤاد عبد الباقي في مقدمته للموطأ برواية يحيى بن يحيى الليثي.(28)

وأضاف عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي إلى ما تقدم، روايتين اخريتين هما :

* رواية يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري.
* رواية أبي حذافة السهمي وبذلك يبلغ العدد 16.

وهو ما ذكره عبد الوهاب عبد اللطيف في مقدمته لتحقيق رواية ابن الحسن الشيباني،(29) والموجود اليوم – من هذه الروايات وغيرها :

– قطعة من موطأ علي بن زياد التونسي(30) (ت183هـ).

– الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني(31) (ت189هـ).

– موطأ مالك رواية ابن القاسم (ت191هـ) تلخيص القابسي(32) (ت403هـ).

– رواية عبد الله بن وهب المصري(33) (ت197هـ).

---

27) تنوير الحوالك : 10/1.

28) الموطأ : مقدمة المحقق : ط.

29) موطأ الإمام مالك برواية الشيباني : 16 – 19 وانظر : أحاديث الموطأ للدارقطني 5 (مقدمة المحقق : محمد زاهد الكوثري).

30) مطبوع بتحقيق النيفر.

31) مطبوع بتحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف.

32) مطبوع بتحقيق : محمد بن علوي المالكي.

33) توجد مخطوطة بمكتبتي فيض الله وولي الدين بالا (انظر : أحاديث الموطأ للدارقطني : 5 مقدمة المحقق).

– موطأ مالك رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي(34) (ت220هـ).
– الموطأ رواية يحيى ابن بكير(35) (ت231هـ).
– رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي(36) (ت234هـ).
– رواية سويد بن سعيد الحدثاني(37) (توفي بعد 240هـ).
– رواية أبي مصعب أحمد بن بكر الزهري(38) (ت242هـ).

قال محمد بن زاهد الكوثري : (وأشهر رواياته في هذا العصر رواية محمد بن الحسن بين المشارقة ورواية يحيى الليثي بين المغاربة(39) والرواية المفهومة عند الاطلاق في هذا العصر وقبله، هي رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي.(40)

المبحث الثاني : رجال الموطأ :

يصعب – الآن – الحسم في عدد رجال الموطأ، وذلك لعدم توفرنا على كل روايات الموطأ، ومن ثم فإن المعلومات المتاحة اليوم مؤقتة، قامت على ما هو متداول من روايات الموطأ، وفي مقدمتها رواية يحيى بن يحيى الليثي.

إن رجال مالك في الموطأ أصناف منهم : الصحابة، ومنهم : التابعون ومن هؤلاء شيوخ مالك، ومن الجميع نساء ورجال، منهم المذكور باسمه، أو كنيته، ومنهم المبهم، وهذه إطلالة على كل ذلك بإيجاز:

34) مطبوع بتحقيق غير الحفيظ منصور / وبتحقيق : عبد المجيد التركي أيضا.
35) انظر : تاريخ التراث العربي : 3/133.
36) طبع عدة طبعات من أفضلها تلك التي حققها محمد فؤاد عبد الباقي.
37) مطبوعة بتحقيق : عبد المجيد التركي.
38) مطبوعة بتحقيق : د بشار عواد معروف – محمود محمد خليل.
39) أحاديث الموطأ للدارقطني : (مقدمة المحقق : 5).
40) انظر : تنوير الحوالك : 1/12 – الموطأ برواية يحيى / مقدمة المحقق : 1 / ي).

1) الصحابة : سمى الجوهري في مسند الموطأ، من روى عن النبي ﷺ من الرجال والنساء. فكان عدد الرجال (85) رجالا(41) وعدد النساء (23) امرأة(42) – المجموع : 108.

وتتبع عددهم حديثا، صاحب أسانيد الحديث النبوي، اعتمادا على رواية يحيى بن يحيى الليثي فإذا هم كالآتي :

* الأسماء : (85) رجلا.
* الكنى : (19) رجلا.
* المبهمون : (8) رجال.
* النساء : (31) امرأة – المجموع 143(43)

2) التابعون : سمى الجوهري منهم 48 رجلا.(44)

والجدير بالذكر أن هذه الأسماء، التي قدم الجوهري تتعلق بمن روى عنهم مالك من الصحابة والتابعين في المسند.(45)

3) شيوخ مالك : ومنهم التابعون المذكورون قبله، وهم الذين سماهم الجوهري في مسنده بعد أن ذكرهم في جملة شيوخ مالك وقال : «وعدة رجال مالك الذين روى عنهم في هذا المسند وسماهم خمسة وتسعون رجلا.(46)

وقد تتبع هذا البحث بعض المصنفات الأخرى في الموضوع، فوجد أن عددهم عند ابن عبد البر : 97 حسب رواية يحيى بن يحيى + 2 من غيرها، وترجم ابن خلفون في كتابه أسماء شيوخ مالك ل104 شيخا.

---

41) مسند الموطأ : 640 – 645.

42) نفسه : 645 – 647.

43) أسانيد الحديث النبوي : 2/343 – 351.

44) مسند الموطأ : 647 – 650 – وانظر : تنوير الحوالك : 1/10.

45) مسند الموطأ : 635.

46) مسند الموطأ : 635 ووهم المحقق ولم يتثبت فقال إنهم 75 رجلا مع أن المؤلف ذكرهم بأسمائهم.

ويقدم لنا الدكتور الشرابي، ما حصل عليه من مخرجات الحاسوب بالنسبة لأساتذة مالك فيقول :

«إن الذين روى عنهم مالك وسماهم في موطئه : مائة وواحد وثلاثون رجلا».(47)

يضاف إلى ذلك من قال فيهم : الثقة عنده، أهل العلم، رجل أو رجلان ونحو ذلك، وسيأتي مزيد من البيان لعدة رجال الموطأ، عند الحديث عن التعريف لابن الحذاء.

والملاحظ، أن الغالب على شيوخ مالك، بل ورجاله عموما، أنهم مدنيون، من ذلك على سبيل المثال، ماذكره الجوهري، من أن عدة التابعين الذي روى عنهم مالك وسماهم ثمانية وأربعون رجلا، كلهم من أهل المدينة، إلا ستة رجال:

- أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس المكي من أهل مكة.
- حميد بن أبي حميد الطويل.
- وأيوب السختياني من أهل البصرة.
- عطاء بن عبد الله الخراساني من أهل خراسان.
- عبد الكريم بن مالك الجرزي من أهل الجزيرة.
- إبراهيم بن أبي عبلة من أهل الشام.(48)

ويرجع سبب ذلك إلى ما بينه مالك لسن سأله : لم لم تأخذ عن أهل العراق؟ قال : «رأيتهم يقدمون ههنا فيأخذون عن أناس لا يوثق بهم، فقلت إنهم هكذا في بلادهم يأخذون عمن لا يوثق بهم».(49)

وكانت المدينة النبوية في الأعصار الثلاثة المفضلة، محصنة ضد كل بدعة، بخلاف غيرها من الأمصار الكبار – إذ ذاك، كالشام والعراق

47) أسانيد الحديث النبوي : 310.

48) مسند الموطأ : 649 – 650 وانظر تنوير الحوالك : 10/1.

49) إسعاف المبطأ : 4.

وخراسان، حتى إن عمرو بن عبيد راس المعتزلة، مر بمن كان يناجي سفيان الثورى، ولم يعلم أنه سفيان، فقال لذلك: من هذا؟ فقال هذا سفيان الثوري أو قال : من أهل الكوفة، قال عمرو : لو علمت بذلك لدعوته إلى رأيي، ولكن ظننته من هؤلاء المدنيين الذي يجيئونك من فوق.(50)

قال ابن تيمية : وقد اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصح الأحاديث، أحاديث أهل المدينة، ثم أحاديث أهل البصرة، وأما أحاديث أهل الشام فهي دون ذلك (...) وأما أهل الكوفة فلم يكن الكذب في أهل بلد أكثر منه فيهم (...) ولأجل هذا يذكر عن مالك، وغيره من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يحتجون بعامة أحاديث أهل العراق.(51)

وعلى الرغم من مكانة سفيان الثوري وعلمه، حتى قال ابن المبارك : ما رأيت مثل سفيان،(52) وقال ابن عينية : ما بالعراق أحد يحفظ الحديث الا سفيان،(53) فإنه لم يكن ليقدم على مالك في الحديث.

سئل أحمد بن حنبل – وكان يجل سفيان الثوري – : من أعلم بسنة رسول اللهﷺ: مالك أم سفيان؟ فقال : بل مالك، فقيل له : أيما أعلم باثار أصحاب رسول اللهﷺ مالك أم سفيان؟ فقال: بل مالك، فقيل له: أيما ازهد مالك أم سفيان؟ فقال : هذه لكم.(54)

وقبل ذلك جرت مناظرة بين الشافعي ومحمد بن الحسن، حول أعلم الرجلين بالكتاب والسنة مالك أم أبي حنيفة؟(55) اعترف فيها محمد بن الحسن الشيباني برجحان كفة مالك في ذلك. / ومما يلفت الانتباه في هذا

---

50) مجموع فتاوى ابن تيمية : 20/303.

51) نفسه 20/316.

52) شرح علل الترمذي : 1/452.

53) نفسه 1/453.

54) مجموع فتاوي ابن تيمية 20/329.

55) التمهيد : 1/74 – 75.

الباب ما ذكره السيوطي، عن الخطيب البغدادي، عن أبي بكر بن أبي زيد الزبيري قال : قال الرشيد لمالك : لم نر في كتابك ذكرا لعلي وابن عباس ! فقال : لم يكونا ببلدي ولم ألق رجالهما».(56)

وهذا الكلام أوله بعض الباحثين فقال : إن ذلك يعني أن رواية مالك عنهما قليلة.(57)

لكن هذا التأويل لا ينسجم مع الواقع، إذ أن رواية مالك عنهما ليست بالقليلة، فقد روى عن علي بن أبي طالب في 23 موضعا في الموطأ، وروى عن عبد الله بن عباس في ثمانية وخمسين موضعا،(58) ومن ثم، فإن ما رواه السيوطي، عن الخطيب البغدادي، عن الزبيري يستدعي التحقق من الرواية،(59) فلعل في الأمر شيئا.

ورجال الموطأ ثقات على الجملة، لأن مالكا لم يحمل العلم الا عن أهله،(60) ومن ثم اعتبر أكثر العلماء رواية مالك عن الرجل توثيقا له.

قال ابن عينية : رحم الله مالكا، ما كان أشد انتقاد مالك للرجال(61) «من نحن عند مالك إنماكنا نتبع اثار مالك، وننظر الشيخ ان كان مالك كتب عنه والا تركناه».(62)

وكان يحيى بن معين يوثق الرجل لرواية مالك عنه، كقوله لمن سأله عن مخرمة بن سليمان : «مديني ثقة، روى عنه مالك ابن أنس».(63)

56) تنوير الحوالك : 7/1.

57) فضل الموطأ : 46.

58) انظر : أسانيد الحديث النبوي : 2/64 – 166, 189 – 199.

59) نفسه : 251/1.

60) انظر : مسندا لموطأ : 99 – التمهيد 67/1.

61) مسند الموطأ : 100.

62) تاريخ ابن أبي خيثمة : الورقة 141 ظ – مسند الموطأ : 100.

63) سؤالات ابن الجنيد ليحيى بن معين : 287.

وقال علي بن المديني «لم يكن مالك يحدث الا عن ثقة».(64)

وقال أحمد بن حنبل : «كل من روى عنه مالك فهو ثقة».(65)

وكان مالك نفسه إذا سئل عن رجل قال لمن سأله : «هل رأيته في كتبي ؟» فإن قال : لا. قال له : «لو كان ثقة لرأيته في كتبي».(66)

ولا يلتفت إلى مثل قول أبي الحسن ابن القطان الفاسي (ت628هـ) «أنا أقبل رواية مالك لا رأيه في الأحاديث والرجال»،(67) لمخالفته غيره من العلماء النقاد عصر مالك وبعده، كما تقدم، ولعل ولاءه لآل عبد المومن، وإفراط تشيعه فيهم، أنساه أمانة العلم(68) في عصر حورب فيه مذهب مالك بالمغرب والأندلس، وازدهر مذهب ابن حزم الظاهري، الذي كان يجعل الموطأ في المراتب الأخيرة بين كتب الحديث.(69)

كما أن المتكلم فيهم من رجال الموطأ – على قلتهم – منهم ثقات كثور بن زيد الديلي، وداود بن الحصين.

قال يحيى بن معين : «ثور بن زيد الديلي ثقة يروي عنه مالك ويرضاه»(70) و«داود بن حصين ثقة، وقد روى مالك عن داود بن حصين،(71) «ومثلهما عطاء بن عبد الله الخراساني، ذكره البخاري في

64) ترتيب المدارك : 1/166.

65) نفسه.

66) التمهيد : 1/68.

67) انظر : ندوة الإمام مالك : 1/265 – علم علل الحديث : 2/362 – 363.

68) انظر : الذيل والتكملة : السفر 8 القسم 1 / ص : 171 – 172.

69) انظر المعجب : 400 – 402 – تاريخ قضاة الأندلس : 118 – تدريب الراوي : 1/110.

70) التاريخ لابن معين : 3/200 ع 919.

71) نفسه : 3/194 ع 888.

الضعفاء(72) ونقل عنه الترمذي في العلل : «لا نعلم مالكا حدث عمن يترك حديثه، الا عطاء الخراساني».(73)

وقال ابن أبي خيثمة : رأيت في كتاب علي بن المديني : سألت يحيى بن سعيد عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني؟ قال : ضعيف.(74) لكن هذا غير مسلم، فيحيى بن معين بقول : «وقد روى مالك بن أنس عن عطاء الخراساني، وعطاء ثقة».(75)

وقد أخرج عنه مسلم،(76) وقال أبو حاتم لابأس به صدوق، قيل له : يحتج بحديثه؟ قال : نعم.(77)

وقال عمرو بن علي الفلاس : «عطاء ليس به بأس، روى عنه مالك وغيره.(78)

وقال ابن رجب : وقد بين الترمذي في علله، أن ما ذكره البخاري لا يوافق عليه، وأنه ثقة عند أكثر أهل الحديث.(79)

نعم روى مالك عن رجلين ضعيفين، يقول ابن معين عن الأول : «لم يحدث مالك إلا عن ضعيفين، عبد الكريم، وهو أبو أمية وعن أخر».(80)

ويقول النسائي عن الثاني «لا نعلم مالكا روى عن إنسان ضعيف، مشهور بالضعف، الا عاصم بن عبيد الله، فإنه روى عنه حديثا».(81)

---

72) الضعفاء الصغير : 93.

73) شرح علل الترمذي : 2/877.

74) انظر أسماء شيوخ مالك : 198.

75) التاريخ لابن معين : 3/178 ع 791.

76) أسماء شيوخ مالك : 199.

77) انظر : رجال صحيح مسلم : 2/102 – أسماء شيوخ مالك: 199.

78) انظر : الجرح والتعديل : 3/1/335 – التعريف ابن الحذاء : 3/429.

79) شرح علل الترمذي : 2/877.

80) التاريخ لابن معين : 3/235 ع : 1099.

81) شرح علل الترمذي : 2/876 – وانظر : التعديل والتجريح للباجي : 2/768.

وحتى هذين لم تؤثر رواية مالك عنهما على الموطأ، فعبد الكريم بن أبي المخارق لم يدخل في الكتاب عنه حكما أفرده به، كما عبر ابن عبد البر.(82)

وعاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب : روى عنه مالك أن عمر بن الخطاب رأى رجلا حد شفرة الحديث،(83) وقد قال في حقه العجلي «لا بأس به».

وقال ابن عدي : هو مع ضعفه يكتب حديثه.(84) ومع هذا فإنه لم يكن عند مالك بذاك، يدل على ذلك قوله : «عجبا من شعبة هذا الذي ينتقي الرجال وهو يحدث عن عاصم بن عبيد الله».(85)

وفي مقابل هؤلاء الذين روى عنهم مالك وقد تكلم فيهم غيره، هناك رواة أعرض عنهم مالك ولم يرو عنهم، وتكلم فيهم، مع توثيق غيره لبعضهم منهم :

1 – محمد بن إسحاق بن يسار.

2 – عبد الله بن يزيد بن سمعان.

3 – سعد بن إبراهيم.

4 – عائشة بنت سعد، وفيها نظر كما سيأتي.

و هؤلاء وإن وثقهم بعض العلماء، فإن كلام مالك فيهم له اعتباره.

فابن إسحاق قال فيه مالك : دجال من الدجاجلة، ونحن أخرجناه من المدينة.(86)

قال ابن عبد البر : ربما كان تكذيب مالك لابن إسحاق في تشيعه وما نسب إليه من القول بالقدر.(87)

---

82) التمهيد : 65/20.

83) الموطأ : قطعة منه برواية علي بن زياد : 139 ح 44.

84) انظر ميزان الاعتدال : 353/2.

85) التاريخ لابن معين : 170/3 ع 751.

وقال وهيب : سألت مالكا عنه فاتهمه.(88)

وفي مقابل مثل قول ابن عبد البر وهو يتحدث عن ابن إسحاق : «وأما الصدق والحفظ، فكان صدوقا حافظا، أثنى عليه ابن شهاب، ووثقه شعبة والثوري وابن عينية وجماعة جلة(89) يوجد كلام كثير فيه.

قال ابن معين محمد ابن إسحاق ثقة، ولكنه ليس بحجة(90) «لا تشبث بشيء مما يحدثك به ابن إسحاق، فإن ابن إسحاق ليس هو بقوى في الحديث»...(91)

وقال النسائي : ليس بالقوى، وذكره في الضعفاء والمتروكين.(92)

وقال الدارقطني : لا يحتج به، وقال أبو داود : قدرى معتزلى، وقال سليمان التيمي : كذاب،(93) وكان يحيى ابن سعيد شديد الحمل عليه وكان لا يحدث عنه.

وخرج مسلم حديثه مقرونا بغيره.(94)

وهذا وغيره يرجح موقف مالك منه، ويؤكد أن توثيق مالك حجة، خصوصا من كان من أهل بلده.

وعبد الله ابن زياد بن سمعان : ذكر ابن عبد البر أن أحمد ابن صالح قال : سألت عبد الله ابن وهب عن عبد الله ابن «يزيد» بن سمعان فقال:

---

86) جامع بيان العلم وفضله : 389.

87) نفسه والصفحة.

88) ميزان الاعتدال : 3/468.

89) جامع بيان العلم وفضله : 390.

90) التاريخ لابن معين : 3/225 ع 1447.

91) نفسه 3/247 ع 1158.

92) كتاب الضعفاء والمتروكين : 230.

93) ميزان الاعتدال : 3/468.

94) انظر : رجال صحيح مسلم : 2/162 ع 1401 – شرح علل الترميذي : 1/466.

ثقة، فقلت : إن مالكا يقول فيه : كذاب، فقال : لا يقبل قول بعضهم في بعض.(95)

لكن موقف مالك يعززه غيره فقد قال عنه ابن معين : مدني ضعيف.(96) وذكره البخاري في الضعفاء، وقال : سكتوا عنه(97) وقال النسائي : متروك الحديث.(98)

وقال أحمد ابن حنبل : إنما كان يعرف بالصلاة ولم يكن يعرف بالحديث.(99)

وقال ابن أبي حاتم : امتنع أبو زرعة أن يقرأ علينا حديثه...(100)

أما سعد ابن إبراهيم فقالوا : «ثقة(101) لكن مالكا لم يرو عنه، وذلك لطعنه في نسبه في ما رواه ابن البرقي عن يحيى ابن معين،(102) أو لأنه كان لا يحدث بالمدينة، فلذلك لم يكتب عنه أهلها، ومالك لم يكتب عنه كما قال ابن المديني.(103) وكل مدني لم يحدث عنه مالك ففي حديثه شيى.(104)

وتناول أبو الوليد الباجي ذلك بتوسع فكان مما قال : «وفي الجملة إن قول يحيى بن معين أن مالكا ترك حديثه لطعنه في نسبه على ظاهره، ولو تركه مالك لذلك مع رضا أهل المدينة به، لحدث عنه سائر أهل المدينة،

---

95) جامع بيان العلم وفضله : 390.

96) التاريخ لابن معين : 3/226 ع 1055.

97) الضعفاء الصغير : 67 – التاريخ الصغير : 2/114.

98) كتاب الضعفاء والمتروكين : 202.

99) تهذيب التهذيب : 5/219.

100) نفسه : 5/219.

101) انظر : التاريخ لابن معين 3/206 ع – 951.

102) التعديل والتجريح للباجي : 3/1246.

103) نفسه : 3/1246.

104) انظر : شرح علل الترمذي 1/460.

وقد ترك جميعهم الرواية عنه في قول جماعة أهل الحفظ من أئمة أهل الحديث، وما تقدم ذكره من أن يحيى بن سعيد الأنصاري روى عنه فيسير جدا...».

ورأي الجمهور أولى به والظاهر أن أهل المدينة إنما اتفقوا على ترك الأخذ عنه : إما لأنه قد طعن في نسب مالك طعنا استحق به عندهم معه الترك (...) ويحتمل أن يكونوا اتفقوا على ترك الأخذ عنه لما لم يرضوا حديثه، فعندي أنه ليس بالحافظ، وقد أعرب بما لا يحتمله عند حاله مع قلة حديثه (...) وقد ذكر مالك أنه أدرك بالمدينة جماعة ممن يؤتمن به على عظيم المال، لم يأخذ عن أحد منهم، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، يريد العلم بنقل الرواية، وقد يستعمل يحيى بن معين وابن حنبل وأبو زرعة «الثقة» فيمن هذه صفته وإن كان لا يحتج بحديثه».(105)

هذا ملخص مرافعة أبي الوليد في هذا الباب، وهي قوية دامغة تدعم موقف مالك من الرجل مع إنصافه في الوقت نفسه.

أما عائشة بنت سعد، فقد روى عنها مالك، ففي سؤالات ابن الجنيد قال : قلت ليحيى : بلغني أن أبا قطن حدث فيما قرأ على مالك عن عائشة بنت سعد أن سعدا كان له(106) مركن يتوضأ منه وأهل البيت؟ قال: قد سمعت هذا من أبي قطن وقال ابن حجر: عائشة بنت سعد بن أبي وقاص الزهرية ثقة من الرابعة، عمرت حتى أدركها مالك، ووهم من زعم أن لها رؤية».(107)

ولعل كبر سنها جعل مالكا يشفق عليها.

قال ابن الجنيد : قلت ليحيى بن معين : حدثنا يحيى بن بكير عن أبي وهب عن مالك قال : دخلت على عائشة بنت سعد، فسألتها عن بعض

---

105) التعديل والتجريح : 3/1246.

106) سؤالات ابن الجنيد : 488 ع 882.

107) تقريب التهذيب : 750 ع 8634.

الحديث، فلم أرض أن أخذ عنها لضعفها، فقال يحيى بن معين : عنى ضعف بدنها، عائشة بنت سعد ثقة.(108)

وينسجم مع هذا ما رواه الجوهري في مسند الموطأ بسنده إلى ابن وهب عن مالك قال : دخلت على عائشة بنت سعد فاستضعفتها، فلم آخذ عنها الا قولها : كان لأبي مركن يتوضأ هو وجميع أهله منه».(109)

المبحث الثالث :

التأليف في رجال الموطأ :

حظي موطأ مالك بن أنس، بعناية فائقة من قبل العلماء، وقامت حوله دراسات كثيرة تناولته من جوانب مختلفة، وكان نصيب علماء الغرب الإسلامي من ذلك عظيما.

ومن الجوانب التي اهتم بها العلماء فيما يتعلق بالموطأ، رجاله، وتمثل المؤلفات الأولى في هذا المجال، النماذج الرائدة التي احتذى حذوها من ألف – بعد ذلك – في رجال الكتب الستة وغيرها، كابن عدي الجرجاني القطان (ت365هـ) في «أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه الذين ذكرهم في جامعه الصحيح على حروف المعجم»،(110) وأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت385هـ) في رجال الصحيحين،(111) وأبي نصر الكلاباذي (ت388هـ) في الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، الذين أخرج لهم البخاري من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين إلى شيوخ البخاري(112) وغيرهم.

---

108) سؤالات ابن الجنيد : 148 ع 885.

109) مسند الموطأ : 100.

110) انظر تاريخ التراث العربي : 1/323.

111) نفسه : 1/340 – 341.

112) نفسه : 1/357 – مطبوع بتحقيق عبد الله الليثي.

وبعد، فهذه جملة من أهم المصنفات في رجال الموطأ، مرتبه ترتيبا زمنيا :

1 – «شيوخ مالك»(113) لأبي مروان عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت238هـ).

2 – «رجال الموطأ»(114) لأبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقي (ت249هـ).

3 – «تسمية الرجال المذكورين في الموطأ»(115) ليحيى بن إبراهيم بن مزين الأندلسي (ت259هـ).

4 – «تسمية شيوخ مالك...»(116) لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ).

5 – «شيوخ مالك»(117) لأبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان القرطي المصري (ت355هـ).

6 – «رجال الموطأ»(118) لأبي عبد الله ابن مفرج الأندلسي (ت380هـ).

7 – «التعريف بمن ذكر في الموطأ من الرجال والنساء»(119) لأبي عبد الله محمد بن يحيى بن الحذاء الأندلسي (ت416هـ).

8 – «رجال الموطأ»(120) لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي (ت429هـ).

---

113) ترتيب المدارك : 1/92.

114) نفسه : 4/180 – 181 – فهرسة ابن خير : 93.

115) تاريخ علماء الأندلس : 2/178 – ترتيب المدارك : 4/239 – فهرسة ابن خير : 93.

116) فهرسة ابن خير : 213.

117) ترتيب المدارك : 5/275.

118) ترتيب المدارك : 2/83 – سير أعلام النبلاء : 8/86 – 87.

119) سيأتي الحديث عنه مفصلا.

120) ترتيب المدارك : 8/33 – الصلة : 1.

9 – «تسمية شيوخ مالك»(121) لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت456هـ).

10 – «رجال الموطأ»(122) لهبة الله بن أحمد الأكفاني (ت524هـ).

11 – الدرة الوسطى في السلك المنظوم في رجال الموطأ(123) لمحمد بن إبراهيم الحضرمي (ت609هـ).

12 – «كتاب الاختصار والتقريب في ذكر رجال الموطأ»(124) لعبد الله بن عبد العظيم الزهري (ت630هـ).

13 – «أسماء شيوخ مالك»(125) لمحمد بن إسماعيل بن خلفون الأندلسي (ت636هـ).

14 – «تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة»(126) لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ).

15 – «المشرع المهيأ في ضبط مشكل رجال الموطأ»(127) لأبي عبد الله الراشيدي ابركان (ت868هـ).

16 – «إسعاف المبطا برجال الموطأ»(128) لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) وغير ذلك.(129)

وهذه المصنفات كما هو واضح من عناوينها، منها ما اهتم بشيوخ مالك خصوصا، ومنها ما اهتم برجال مالك في الموطأ عموما، وينفرد

---

121) سير أعلام النبلاء : 18/197.

122) الاعلان بالتوبيخ : 116.

123) التكملة : 2/586 تحقيق : العطار.

124) التكملة : 2/894 تحقيق العطار – صلة الصلة : 3/141.

125) مطبوع، نشر : محمد زينهم محمد عرب.

126) طبع عدة مرات.

127) يوجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط حرف ك (97/1ك) في محفظة ص 1 – ص 38.

128) طبع عدة مرات.

129) انظر : الإعلان بالتوبيخ : 117.

كتاب التعريف لابن الحذاء – كما سيأتي تفصيله – بالاهتمام بكل من ذكر في الموطأ من الرجال والنساء من الرواة وغيرهم.

وإلى جانب هذه المؤلفات التي وضعت أصلا في رجال الموطأ، هناك مؤلفات أخرى اهتمت برجال الموطأ، بشكل بارز، وإن كان موضوعها غير ذلك وهذه بعضها :

1 – مسند الموطأ :(130) لأبي القاسم عبد الرحمان الجوهري (ت381هـ): إن الكتاب يضم تراجم شيوخ مالك الذين أخرج أحاديثهم في الموطأ، وعلى أساس ذلك رتب الجوهري الكتاب ترتيبا معجميا، مبتدءا بمن اسمه محمد، ثم اتبعه بباب الألف، باب التاء، باب الجيم الخ، وختم الكتاب بأصحاب الكنى وبمن قال فيه مالك: عن الثقة، وبالبلاغات، وتتفاوت تراجم شيوخ مالك في كتاب الجوهري من حيث الطول والقصر، حسب مكانة المترجم وشهرته، ففي باب محمد يبدأ بترجمة محمد بن شهاب الزهري، فيذكر اسمه وفضائله ووفاته وسنه التي توفي عنها،(131) بينما اكتفى مثلا في التعريف بشيخ آخر، بقول يحيى بن معين «طلحة بن عبد الملك ثقة، يروي عنه مالك بن أنس».(132)

والكتاب مقسم إلى أربعة أجزاء، ينص المؤلف آخر كل جزء منها، على عدد ما فيه من مسند موطأ مالك وعدة رجاله.

وفي خاتمة الكتاب يذكر عدد روايات الموطأ التي نظر فيها، وأسانيده إليها، وإلى غيرها من مروياته، ثم يذكر عدة رجال مالك الذين روى عنهم وسماهم، والثقة عنده والذي قال فيه : بلغني، وتسمية من روى عن رسول

---

130) ألف عدد كبير من العلماء في مسند الموطأ، انظر قائمة بأسماء جملة منهم مقدمة تحقيق : مسند الموطأ للجوهري : 47 – 50.

131) مسند الموطأ : 120 – 122.

132) نفسه : 395.

اللهﷺ من الرجال والنساء، وتسمية من روى عنهم مالك من التابعين من أهل المدينة، ثم من أهل مكة والبصرة وخراسان والجزيرة والشام.

وبذلك تظهر أهمية الكتاب القصوى، وهو من مصادر ابن الحذاء في التعريف كما سيأتي.

2 – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي (ت463).

3 – «تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد «أو» التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك» لأبي عمر يوسف بن عبد البر أيضا.

والكتابان المذكوران مرتبان على أسماء شيوخ مالك وفق حروف المعجم على الطريقة المغربية(133) ويذكر فيهما عند كل باب، ترجمة الشيخ، مع نوع من التوسع في التمهيد، والاختصار في التجريد، الذي جعله ابن عبد البر كما قال : «مدخلا سهلا إلى كتاب التمهيد قريبا منقادا إلى الحفظ...».

4 – «تاج الحلية وسراج البغية في معرفة أسانيد الموطأ»(134) لأبي محمد بن عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع الأندلسي (ت522هـ).

5 – كتاب الإيماء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ»(135) لأبي العباس أحمد بن طاهر بن علي بن عيسى الداني (ت532هـ).

موضوع الكتاب، هو الإشارة إلى أحاديث مالك في الموطأ، بذكر أطرافها. وما يدل عليها من مشهور ألفاظها ومعانيها، ويذكر أسانيدها مختصرة، وينبه على مواطن ورودها بذكر الكتاب أو ترجمة الباب، مع الإشارة إلى مواضع الخلف منها، ويبين ما أنبهم من أسماء ناقليها،

---

133) تدخل ناشر كتاب تجريد التمهيد لابن عبد البر فرتبه على الطريقة المشرقية وهو تدخل غير سليم.

134) الصلة : 294/1 – تنوير الحوالك : 12/1.

135) يوجد منه نسخة مخطوطة بكوبريلي تحت رقم 253.

ويسند مراسيلها، ويصل مقطوعها ويرفع موقوفها، ويتقصى عللها وما إلى ذلك.

واعتماده في كل ذلك، بالدرجة الأولى – على رواية يحيى وفي هذا السياق يقول : «وأبنيه على رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي القرطبي عنه أقدم ما رواه، مما انفرد به أو شورك فيه ثم اتبع ذلك ماشذ من سائر الروايات الواصلة إلينا، واذكر رواته أو بعض رواته عن مالك».(136)

ثم يصل إلى بيت القصيد الذي يعنينا في هذا المبحث فيقول : «وأرتب الكل على حروف المعجم فيما اشتهر به من أسند الحديث إليه من اسم أو كنية، وأقسمه على خمسة أقسام :

الأول : في الأسماء خاصة.

الثاني : في الكنى والأنساب وسائر الألقاب.

الثالث : في النساء.

الرابع : في الزيادات على رواية يحيى بن يحيى الليثي لسائر رواة الموطأ.

الخامس في المراسيل.

وأرتب المراسيل، على أسماء المرسلين في الموطأ، من التابعين فمن دونهم، وأنسبها إلى من أمكن من رواتها من الصحابة في غير الموطأ...».(137)

ويعطى أبو العباس الداني لتراجم الرجال أهمية كبرى، فيحقق الأسماء ويضبطها كقوله : وعكاشة بضم العين، وأما الكاف فتشدد وتخفف لغتان والعكاش اسم العنكبوت».(138)

وسيأتي في نقله عن ابن الحذاء نموذج أوسع من هذا.

---

136) نفسه : الورقة : 2و.

137) نفسه والورقة.

138) نفسه : الورقة 187و.

6 – أسانيد الحديث النبوي في ضوء نظم المعلومات المعاصرة للدكتور كمال الدين عبد الغني المرسي شرابي.

هذا الكتاب من أحدث المؤلفات، التي اهتمت برجال الموطأ، بشكل يعتمد الوسائل العلمية العصرية المتاحة، في مجال البحث والدراسة.

اختار الدكتور شرابي، كتاب الموطأ للإمام مالك، نموذجا لعمله(139) فقدم رجال الموطأ مستنتجة بالحاسب الآلي، فأبرز أسماء أساتذة مالك في الموطأ، وعقد مقارنات بين ما توصل إليه، وما جاء عند بعض السابقين، كأبي عمر ابن عبد البر، وجلال الدين السيوطي، ثم ذكر أحاديث كل راو، مرتبا ذلك وفق حروف المعجم، وعقد فصلا لموسوعة الأساتذة والتلامذة من الرواة، ورواية الأبناء عن الآباء، وروايات الأقارب وروايات الموالي.

وذكر أصحاب المراسيل في الموطأ، وأحسن الأسانيد فيه، وغير ذلك من المباحث العلمية القيمة،(140) وسيأتي مزيد من الكلام عليه، عند المقارنة بينه وبين التعريف لابن الحذاء.

139) انظر : أسانيد الحديث النبوي : 1/191 وما بعدها.

140) تستغرق هذه القوائم والإحصاءات والفهارس كل الجزء الثاني من الكتاب مع قسم من الجزء الأول.

الفصل الثاني

التعريف بكتاب التعريف لابن الحذاء

المبحث الأول : الكتاب ومحتوياته :

أولا : اسمه :

اسم الكتاب الكامل – كما جاء على الورقة الأولى من النسخة – «ب»: كتاب التعريف بمن ذكر في كتاب موطأ مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي رضي الله عنه من أسماء الرجال والنساء، راويا ومرويا عنه رضي الله عنهم».

وكتب على أول وآخر النسخة «أ» : «رجال الموطأ لابن الحذاء» وجاء في مقدمة الكتاب للمؤلف نفسه : «هذا كتاب عرفت فيه بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس رضي الله عنه، من الرواة وغيرهم من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم. من المعروفين والمجهولين».(1)

وتفاوت المترجمون لابن الحذاء والناقلون عن كتابه، والذاكرون له، في اختصارهم لاسمه، وذلك على النحو التالي :

1 – كتاب التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من النساء والرجال ابن بشكوال(2) ومن تابعه على ذلك.(3)

2 – كتاب التعريف برجال الموطأ : أبو العباس الداني،(4) ثم القاضي عياض(5) ومن سار على منواله(6) وابن خير الإشبيلي.(7)

---

1) التعريف : 1/1 (المقدمة).

2) الصلة : 2/506 – 507 – تاريخ الإسلام للذهبي : وفيات : 411 – 402 / 410 بتقديم الرجال على النساء.

3) انظر الوافي بالوفيات للصفدي : 5 / 196 – هدية العارفين للبغدادي : 2/63 – الإعلام للزركلي : 7/136 وكلهم قدموا الرجال وأخروا النساء خلاف ابن بشكوال.

4) كتاب الإيماء إلى أطراف الموطأ الورقة 223ظ.

5) ترتيب المدارك : 8/7 طبقات المالكية : الورقة 116 ظ.

6) انظر : معجم الأدباء لياقوت 19/109 – الديباج : 273 طبقات المالكية : الورقة 116 ظ – شجرة النور الزكية – 112 الرسالة المستطرفة : 209 – معجم المؤلفين : 12/99.

7) فهرسة ابن خير : 93 وفيه : «كتاب التعريف في رجال الموطأ».

3 – «كتاب التعريف» ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة.(8) وابن الأبار في «معجم أصحاب الصدفي».(9)

4 – رجال الموطأ : القاضي عياض،(10) والذهبي في سير أعلام النبلاء.(11)

وابن حجر(12) والسخاوي(13) والسيوطي،(14) وسماه بروكلمان : الكلام على رجال الموطأ(15) وغيرهم.

والاسم الذي ذكر ابن بشكوال في الصلة، هو المطابق لمحتوى الكتاب، المنسجم مع كلام مؤلفه في المقدمة، ولا مانع من اختصاره فيقال «التعريف» أو رجال الموطأ.

نسبته إلى مؤلفه :

نسبة كتاب «التعريف» إلى ابن الحذاء صحيحة لا ريب فيها، تشهد لذلك عدة أدلة من داخل الكتاب وخارجه، من أهمها :

1 – ما جاء في النسختين : «أ» و«ب» على الورقة الأولى منهما، وعلى الورقة الأخيرة من «أ» من النص على اسم الكتاب ومؤلفه.

2 – تكرار ذكر اسم مؤلفه بمثل عبارة : «قال القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى» في النسخة «ب»، مما يرجع أنه أملاه على تلامذته.

---

8) غوامض الأسماء المبهمة : 2/763.

9) معجم أصحاب القاضي الصدفي : 266.

10) ترتيب المدارك : 2/83.

11) سير أعلام النبلاء : 8/87.

12) تعجيل المنفعة في مواضع كثيرة ستأتي من بعد.

13) الإعلان بالتوبيخ : 116.

14) إسعاف المبطأ : 10.

15) تاريخ الأدب العربي 3/279.

3 – رواية المؤلف عن عدد من شيوخه، الشيء الذي انتبه إليه أحد موظفي الخزانة الحسنية السابقين، فكتب على غلاف النسخة «ج» : «يحتمل أن يكون هذا الكتاب» رجال الموطأ «لمحمد بن يحيى الحذاء، لأنه يروي عن أبي القاسم الجوهري، وابن الحذاء من تلامذته».

4 – نقول كثير من العلماء عنه، كأبي العباس الداني في الإيماء إلى أطراف الموطأ، وابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة، والذهبي في ميزان الاعتدال وابن حجر في تعجيل المنفعة، وتهذيب التهذيب والإصابة، والسيوطي في إسعاف المبطا وغيرهم، مما سيأتي ذكر نماذج مختلفة منه.

5 – ذكر المصادر والمراجع له، ضمن مؤلفات أبي عبد الله محمد بن يحيى ابن الحذاء (ت416هـ) ولم ينسبه أحد لغيره، ووهم الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله فقال : «يوجد بمكتبة جامعة القرويين كتاب : «التعريف برجال الموطا... منسوب إلى ابن الحذاء الأندلسي» يعني أبا بكر محمد بن يحيى بن محمد بن متوكل المتميمي الإشبيلي (ت600هـ) إمام مسجد الموثق بإشبيلية في عهد أبي يعقوب الموحدي.(16)

6 – ذكره ضمن مرويات عدد من العلماء عن شيوخهم، كعبد الصمد بن سعيد الكناني وابن خير وابن بشكوال وغيرهم كما سيأتي بيانه.

تاريخ تأليفه :

ليس لدينا – الآن – ما يحدد زمن تأليف أبي عبد الله بن الحذاء، لكتاب التعريف بشكل دقيق، لكن يوجد عندنا مايقربنا من ذلك.

ان ذكر ابن الحذاء في الكتاب لعدد من شيوخه وترحمه على بعضهم، يقتضي أنه لم يشرع في تأليفه، أو على الأقل لم ينته منه، قبل وفاة آخرهم لحاقا بالرفيق الأعلى.

---

16) الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية : 1/73 – واعاده في معلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى : 126.

والذين ترحم عليهم المؤلف من شيوخه المذكورين في التعريف، ثلاثة شيوخ من أصل إثنا عشر شيخا، وهم أبو القاسم الحسين بن عبد الله العثماني(17) (ت373هـ) – أبو بكر محمد بن سليمان النعالي(18) (ت380هـ) – أبو القاسم عبد الرحمن الجوهري(19) (ت381هـ).

ويمكن أن يضاف إلى هذا ترضيه على أبي محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي(20) (ت392هـ)، ومعنى هذا أن الكتاب يمكن أن يؤلف ما بين (381هـ) تاريخ وفاة الجوهري و(416هـ) تاريخ وفاة أبي عبد الله ابن الحذاء، بل إن المنقول عن ابن الحذاء في وفاة الجوهري قوله : «أحسب أنه توفي سنة 385هـ»،(21) وعليه تصبح المدة التي ألف فيها الكتاب هي ما بين (385هـ) و(416هـ). وقد يكون بعد (385هـ) اعتبارا لترضيه على الأصيلي كما تقدم.

وبالنظر إلى تلامذة ابن الحذاء الذين نعرف أنهم رووا عنه كتاب التعريف، نجد منهم أبا عبد الله الخولاني (ت448هـ)، وهو ممن ليس لدينا ما يفيد أنه أخذ عن أبي عبد الله بن الحذاء في غير قرطبة أو إشبيلية(22) وبذلك نرجع إلى الوراء، لتصبح النهاية قبل 403هـ على أبعد تقدير.

روابة العلماء للتعريف لابن الحذاء :

تفيد المعلومات التي بين أيدينا أن من تلاميذ أبي عبد الله بن الحذاء الذين رووا عنه التعريف :

---

17) التعريف : 462/3.

18) نفسه : 232/2.

19) نفسه : 143/1.

20) نفسه : 4/,,59. ع 759.

21) ترتيب المدارك : 204/6.

22) انظر ترجمته في الصلة : 535/2 ع 1173.

1 – أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن غلبون الخولاني من أهل قرطبة سكن إشبيلية (ت448هـ).

2 – أبو عمر أحمد بن محمد بن يحيى ابن الحذاء التميمي من أهل قرطبة (ت467هـ).

ورواه عن الخولاني : عبد الصمد بن سعيد بن علي الكناني أبو محمد المعروف بالعطار من ساكني مدينة فاس، كان حيا سنة 507هـ. قال ابن الآبار: «قرأت بخطه روايته عن أبي عبد الله الخولاني، وتحديثه عنه بالتعريف لأبي عبد الله بن الحذاء».(23)

ويرويه عن الثاني، أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث القرطبي (447هـ – 532هـ). وعن هذا الأخير يرويه كل من ابن خير الإشبيلي(24) (ت575هـ) وابن بشكوال القرطبي(25) (ت578هـ).

موضوع الكتاب والغاية من تأليفه :

أ – موضوع الكتاب هو التعريف بمن ذكر في موطأ الإمام مالك من الرجال والنساء رواة كانوا أو غيرهم، كما أفصح المؤلف عن ذلك في العنوان وفي المقدمة.

وتعريف ابن الحذاء بهؤلاء جميعا، يمتاز بذكره غالبا الأبواب التي ورد فيها ذكر المترجم في الموطا، وما قال فيه العلماء، بالإضافة إلى اهتمامه بالأسماء والكنى، والألقاب، والمواليد والوفيات، والبلدان، والجرح والتعديل.

ب – أما الغاية من تأليفه، فهي جمع كل ما يمكن جمعه مما يحتاج إليه الباحث عمن ذكروا في الموطأ من الرجال والنساء، مما هو متفرق في

---

23) معجم أصحاب الصدفي : 266.

24) فهرسة ابن خير : 93, 444.

25) غوامض الأسماء المبهمة : 2/763.

غير هذا الكتاب، وفي هذا الصدد يقول المؤلف: «ليكون الكتاب جامعا لكل ما يحتاج إليه من تعريف الرجال والنساء، ويستغنى به عن غيره ولا يستغنى بغيره عنه، إذ رأيت أنه يخصني من نفع هذا الكتاب ما يعم غيري ممن قرأه ونظر فيه إذ هو علم متفرق في الدواوين...(26)

ثانيا : محتوياته :

يذكر القاضي عياض في ترتيب المدارك، أن أبا عبد الله بن الحذاء ألف كتابه «التعريف» في أربعة أسفار،(27) ولا يوجد داخل الكتاب ما يبين حدود هذه الأسفار، لكن جاءت فيه إحالات للمؤلف على الجزء الرابع من الكتاب.

من ذلك قوله في ترجمة معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي : «وقد ذكرنا ابنه في حديث وقع في الموطأ، فيه ذكر ابن معيقيب في الجزء الرابع من هذا الكتاب، في باب من ينسب إلى أبيه أو جده، ولم يذكر اسمه(28) وقال في مكان آخر : «وقد ذكرنا الاختلاف في هذا الحديث في الجزء الرابع من هذا الكتاب في باب البهزي وهو في باب من نسب إلى قبيلة ولم يذكر اسمه.(29)

وقال أيضا : «وقد ذكرت الاختلاف في هذا الحديث، في الجزء الرابع من هذا الكتاب في البهزي، وهو من المعروفين بالقبابل.(30)

وهذه الإحالات كلها تقع فيما سماه المؤلف مرة أخرى «الجزء الأخير»، «وقد ذكرنا في الجزء الأخير من هذا الديوان ما قال فيه مالك عن

---

26) التعريف 1/2 (مقدمة المؤلف).

27) ترتيب المدارك : 7/7 وتكرر ذلك في كتب الأخرين عنه : ابن فرحون في الديباج : 273 صاحب طبقات المالكية : الورقة : 116 ظ – مخلوق في شجرة النور الزكية : 112 – الكتاني في الرسالة المستطرفة : 209.

28) التعريف : 2/224.

29) نفسه : 3/407.

30) نفسه : 3/450.

الثقة عنده»(31) وهذا التقسيم بغض النظر عن مفهوم الجزء عند المؤلف وغيره،(32) مطابق لحجم الكتاب، فهو القسم الرابع منه فعلا، ولا يعكر على هذا قول المؤلف «وحكى سفيان بن عينية (...) وهذا هو الصحيح رواه محمد بن وضاح، عن حامد بن يحيى في الجزء السادس من حديث حامد بن يحيى فاطلبه هناك تجده إن شاء الله(33) لأن هذا القول ليس في الكتاب ما يمكن أن يحال عليه، ومن ثم فلعلها تدل على شيء خارج الكتاب، ويزكي هذا ما تقدم من تطابق الجزء الرابع مع الجزء الأخير.

وقسم أبو عبد الله ابن الحذاء كتابه : «التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من الرجال والنساء» إلى مقدمة وأحد عشر بابا.

1 – المقدمة :

بعد البسملة والتصلية والتسليم. قدم المؤلف كتابه، فذكر أن موضوعه هو التعريف بمن ذكر في الموطأ لمالك من الرجال والنساء من الرواة وغيرهم، من الصحابة والتابعين والخالفين من بعدهم، معروفين ومجهولين.

ثم ذكر أنه بوب الكتاب وفق حروف المعجم، ولم يشر إلى أن هذا الترتيب، سيكون وفق الحروف الهجائية المغربية، كما طبق ذلك عمليا.

ثم أعطى صورة شاملة عن المخطط الذي وضعه لمؤلفه، مبينا أهمية أبوابه المختلفة، التي تجعل الكتاب جامعا لكل ما يحتاج إليه من تعريف الرجال والنساء.

---

31) نفسه : 1/41.

32) انظر مفهوم الجزء عند مكي بن أبي طالب (ت437هـ) في الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : (1/5 مقدمة المؤلف) (1/29 مقدمة المحقق) (محققه : د محيي الدين رمضان – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق : 1394 – 1974م.

33) التعريف : 1/25 – وحامد بن يحيى هو البلخي أبو عبد الله من أهل طرسوس (ت242هـ) يروى عن ابن عينية روى عنه ابن وضاح – انظر أخبار الفقهاء والمحدثين : 124 – الخلاصة : 70.

2 – **أبواب أسماء الرجال** :

يقول في المقدمة عن الكتاب : «وبوبته على حروف المعجم بدأت بكل من أول اسمه ألف، حتى انتهيت إلى أول من اسمه ياء»(34) وقد جعل لكل حرف بابا، للألف باب، وللتاء باب، وهكذا إلى باب الياء باستثناء الغين فليس لها باب لعدم وجود أحد من الرجال أول اسمه غين.

ولم يلتزم المؤلف داخل هذه الأبواب بأي ضابط، ففي باب الألف مثلا، أورد الأسماء على النحو التالي :

إبراهيم، إسماعيل، أمية، أسير، أسعد، أسلم، الأسود، أصحمة، الأحوص، أنيس، أشيم، اسيفع، احيحة.

وكان الترتيب حسب الحروف الهجائية المغربية، يقتضي تقديم الأسماء على الشكل الآتي :

أبان، إبراهيم، أبي، الأحوص، احيدة، أمية، أنس، أنيس، أصحمة، أفلح، أسامة، إسحاق، أسلم، إسماعيل، أسعد، الأسود، أسيد، أسير، اسيفع.

لكنه مع ذلك يراعي أحيانا الطبقات، الصحابة أولا، ثم التابعون وهكذا.

وكما لم يهتم بأوائل الحروف، وثوانيها إلخ... في اسم المترجم، لم يهتم بذلك في أسماء الأباء والأجداد، ولم يكن في ذلك، خارجا عن النظام السائد بالغرب الإسلامي على ذلك العهد، بل هو في ذلك كغيره من معاصريه.

نجد ذلك – مثلا – عند محمد بن حارث الخشني في أخبار الفقهاء والمحدثين، وعند ابن الفرضي في تاريخ علماء الأندلس، والقابسي في تلخيص الموطأ، وابن عبد البر في التمهيد، والباجي في التعديل والتجريح وغيرهم.

---

34) التعريف : 1/1 (المقدمة).

وتستغرق أبواب أسماء الرجال أكثر الكتاب بمعدل ثلاثة أرباع تقريبا.

3 – باب فيمن نسب إلى أبيه أو جده ولم يذكر اسمه :

يورد في هذا الباب، من ذكر في الموطأ منسوبا إلى أبيه أو جده، دون التصريح باسمه «مثل»: «ابن محيرين» و«ابن محيصة».

يقول عن الأول : «هو عبد الله بن محيريز الجمحى...».(35)

ويقول عن الثاني : «هو حرام بن سعد بن محيصة...».(36)

4 – باب فيمن نسب إلى قبيلة، أو لقب، ولم يذكر اسمه :

مثل : «البياضي» نسبة إلى بياضة.(37)

«البهزي» «نسبة إلى بهن».(38)

«المخدجي» نسبة إلى لقب.(39)

5 – باب فيمن شهر بأمه، ولم يذكر اسمه، مثاله :

«ابن أم مكتوم» نسب إلى أمه.(40)

6 – باب فيمن نسب إلى عاهة :

وقد أشار المؤلف إلى هذا في المقدمة بقوله : «وجعلت للمعروفين بالافات والعاهات بابا».(41)

مثاله : «الأعرج».(42)

---

35) التعريف : 3/4 ع 617.
36) نفسه : 6/4 ع 623.
37) نفسه : 10/4 ع 629.
38) نفسه : 10/4 ع 631.
39) نفسه : 10/4 ع 630.
40) نفسه : 15/4 ع 635.
41) نفسه : 1/1 (المقدمة).
42) نفسه : 17/4 ع 638.

7 – باب المشهورين بالكنى، ممن عرف اسمه، وممن لم يعرف اسمه:

والمقصود بالكنى كنى الرجال.

رتب هذا الباب على حروف المعجم، على غرار أبواب أسماء الرجال، وهو لا يطيل في الترجمة – هنا – إذا تعلق الأمر بمن عرف اسمه، بل يكتفي بالإحالة على الباب، الذي ذكر فيه من قبل، بمثل قوله: «قد عرفت به في باب خالد، فاطلبه هناك تجده إن شاء الله».(43)

لكن إذا كان صاحب الكنية قد اشتهر بها، ولم يسبق للمؤلف أن ترجمه في أبواب أسماء الرجال، فعند ذلك، يطيل الحديث عنه، بالقدر الذي يعرف به.

8 – باب لمن قال فيه مالك : عن رجل أو نحو ذلك :

هكذا ذكره في المقدمة، وفصله أكثر في موضعه من الكتاب فقال : «باب من قيل فيه : رجل أو رجلان، أو بعض أصحاب النبيﷺ ونحو هذا».(44)

وطريقته في هذا الباب أن يبدأ بحديث الموطأ الذي ذكر فيه من قال فيه مالك ذلك.

والصيغ الواردة في مجمل هذه الأحاديث هي: عن رجل، أن رجلا أخبرني، رجلان، كان رجلان، حدثني شيخ، أخبرنيه مخبر، أعرابي، مكاتب، مولى، أخ لفلان، ونحو ذلك.

وبعد تقديم الحديث، يورد المؤلف، ما يساعد على معرفة الرجل المبهم، مستعينا بأحاديث أخرى من خارج الموطأ، وبما قاله العلماء في شأنه، وقد يتوقف فيقول: «لم أعرف هذا الرجل، ولعلي أجده إن شاء الله».(45)

---

43) نفسه : 4/19 ع 640.

44) نفسه : 4/45.

45) نفسه : 4/48 ع 718.

9 – **باب من قال فيه مالك** : عن الثقة عنده :

أورد ابن الحذاء في هذا الباب سبعة أحاديث من الموطأ، قال فيها مالك : عن الثقة عنده.(46)

ونقل في هذا الصدد قول أستاذه أبي القاسم الجوهري : «إن مالكا إذا قال عن الثقة عنده، ولم يأت بعده بكير بن عبد الله بن الأشج، فإنه يريد بذلك يزيد بن عبد الله بن الهاد.(47)

ويذكر قول البرقي : يقال إن قول مالك : أخبرني الثقة عن بكير إنما هو مخرمة بن بكير.(48) كما نقل أيضا قول شيخه أبي محمد الأصيلي، في قول مالك عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب : «الثقة عنده اسمه معن بن عيسى القزاز صاحب مالك، ولم يقل سمعه من معن».(49)

10 – **أبواب أسماء النساء** :

رتب أسماء النساء على حروف المعجم على انفراد من أسماء الرجال غير أنه لم يفرق – هنا – بين الأسماء والكنى.

وتبتدئ من أسماء النساء أو كناهن، التي تبدأ بالألف وتنتهي بما أوله الهاء، وليس هناك ما أوله واو وما أوله ياء.

وختم هذه الأبواب بباب : «من لم يسم من النساء وقيل فيه أم فلان، أو جدة فلان أو عمة فلان، أو مولاة فلان، أو أم ولد فلان».(50)

وادخل تحته كذلك : ابنة فلان، ابنة أخ فلان، زوجة فلان.

---

46) نفسه : 4/59.

47) نفسه : 4/59.

48) نفسه : 4/59.

49) نفسه : 4/59.

50) نفسه : 4/105.

وقد انطلق المؤلف في هذا الباب من أحاديث الموطأ، التي وردت فيها هذه المبهمات، فيسمي من توفر لديه ما يفيد اسمها، ويكتفي، فيمن لم يعرف اسمها، بإيراد نص الحديث دون أن يعلق عليه.

11 – باب من نسب إلى شيء من الجرح :

ذكر فيه أسماء من تكلم فيهم العلماء النقاد : بشيء من الجرح، وهذا الباب غير مرتب على حروف المعجم، أو على أي اعتبار آخر ورجاله كلهم، سبق للمؤلف أن عرف بهم في الأبواب السابقة.

مكونات الترجمة في كتاب «التعريف» لابن الحذاء(51)

تتفاوت تراجم ابن الحذاء في كتاب التعريف، من حيث الطول والقصر وفق المعلومات المتوفرة لديه، وهذه أبرز مكونات الترجمة عنده بصفة عامة.

أ – الاسم :

قد لا يذكر المؤلف في الترجمة غير اسم المترجم مثل : «أسلم»(52) و«الآسيفع»،(53) و«أشيم»(54) وغيرهم. أو يذكر اسمه واسم أبيه مثل: «بلال بن رباح»(55) و«طلحة بن عمر»(56) وغيرهما، أو يذكر اسمه

51) يلتقي هذا العمل المتواضع في كثير من هذه المكونات، مع العمل القيم لزميلنا الراحل الدكتور أحمد لبزار رحمه الله في دراسة وتحقيق «التعديل والتجريح» للباجي. مع بعض الاختلاف بين العملين من حيث المضمون والشكل أحيانا.

52) التعريف : 24/1 ع 24.

53) نفسه : 30/1 ع 31.

54) نفسه : 29/1 ع 30.

55) نفسه : 33/1 ع 33.

56) نفسه : 150/1 ع 146.

واسم أبيه وجده، مثل: «إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف»(57) و«إبراهيم بن عبد الله بن حنين»(58) وغيرهما، وقد يطول ذلك إلى أبعد مدى كما في ترجمة أم المومنين صفية بنت حيي بن أخطب بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضر بن الخزرج بن الصريخ بن النومان، إلى أن يصل بها إلى هارون بن عمران (س)(59) بن يصهر بن ناهت بن لاوي بن يعقوب (س) بن إسحاق (س) بن إبراهيم الخليل(60) (س).

ب – **الكنية** :

إلى جانب الاسم يحرص ابن الحذاء: على ذكر الكنية مثل «الحسين بن علي بن أبي طالب (...) يكنى أبا عبد الله»،(61) و«أسلم مولى عمر بن الخطاب (...) يكنى أبا خالد، وقيل كنيته أبو زيد».(62)

وخصص للكنى بابا على حروف المعجم، ليتسنى للباحث في الموطأ عن رجل أو امرأة، لا يعرف اسمهما، أن يجد بغيته في الكنى.

ج – **النسب** :

ومع التعريف بالاسم والكنية يأتي التعريف بالنسب، فيذكر للمترجم نسبا واحدا مثل «إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري»(63) أو

---

57) نفسه : 1/4 ع 1.
58) نفسه : 1/5 ع 3.
59) ترمز (س) إلى «عليه الصلاة والسلام».
60) التعريف : 4/87 ع 807.
61) نفسه : 1/71 ع 68.
62) نفسه : 1/26 ع 25.
63) نفسه : 1/4 ع 1.

نسبين : مثل : «ثابت بن الضحاك بن ثابت الأنصاري الاشهلي»(64) أو أكثر مثل : عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب قرشي عدوي عسقلاني».(65)

وعقد بابا لمن نسب إلى قبيلة أو لقب ولم يذكر اسمه كالبياضي والمخدجي».(66)

ويوضح أحيانا معاني بعض الأسماء والألقاب والأنساب، فيقول على سبيل المثال في ترجمة «أصحمة النجاشي» وقيل: إن أصحمة هو بالعربية عطية، والنجاشي مشتق من النجش، ومنه قيل «للمزايد في ثمن السلعة وهو لا يريد الشراء ليغر غيره ناجش».(67)

ويقول في ترجمة زبيد بن الصلت : «وهم بنو الصلت بن معدي كرب بن ربيعة بن شرحبيل بن معاوية بن حجر الفرد بن الحارث الولادة من كندة.

وقيل له : حجر الفرد والفرد في لغتهم الجراد، وقيل له : الحارث الآعور لكثرة ولده».(68)

ويحقق نسب طلحة بن عمر، فيقول قال البرقي : الأنصاري وقال البخاري : التيمي القرشي وهو أصح، وكذلك قال الزبير بن بكار في كتاب النسب وغيره»،(69) ويقول في ترجمة كيسان أبو سعيد المقبري: إنما قيل له المقبري لأنه يسكن قريبا من المقابر.(70)

---

64) نفسه : 1/47 ع 45.
65) نفسه : 3/381 ع 416.
66) نفسه : 4/10.
67) نفسه 1/28 ع 27.
68) نفسه : 1/139 ع 136.
69) نفسه : 1/150 ع 146.
70) نفسه : 1/163 ع 156.

د – باقي المكونات :

هناك عدة مكونات أخرى للترجمة عند ابن الحذاء في التعريف أهمها ما يلي :

1 – الولاء : مثل : كيسان أبو سعيد المقبري (...) مولى بني ليث(71) كريب مولى ابن عباس،(72) طاووس بن أبي حنيفة (...) يقال إنه مولى بجير بن ريسان الحميري، ويقال: مولى همذان ويقال : مولى الخولان.(73)

2 – الصفة العلمية : فقيه،(74) نسابة...(75)

3 – الصفة الخلقية – بالكسر – : الأعرج، ذو اليدين(76) وقد يصف المترجم بمثل قوله عن طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري : «وكان طلحة قصيرا لطيفا أعمش»(77) وقوله عن أبان بن عثمان بن عفان روي أنه كان به شيء من برص، وأنه كان أصم مفلوجا، وكان يقال بالمدينة : أصابك الله بفالج أبان، وكان أحول.(78)

ويقول في ترجمة الحسن البصري : «كان من أجمل أهل البصرة، حتى سقط عن دابته، فحدث بأنفه ما حدث».(79)

4 – الحرفة : «السمان» أو الزيات.(80)

---

71) نفسه : 1/163.

72) نفسه : 1/164 ع 157.

73) نفسه : 1/153 ع 148.

74) نفسه : 1/105 ع 102.

75) نفسه : 1/57 ع 56.

76) نفسه : 4/17.

77) نفسه : 1/148 ع 143.

78) نفسه : 1/17 ع 17.

79) نفسه : 1/68 ع 67.

80) نفسه : 1/113 ع 108.

5 – المنصب : المؤذن،(81) الخطيب،(82) القاضي(83) أمير المومنين،(84) معلم.(85)

6 – تاريخ الولادة : لم يهتم ابن الحذاء كثيرا، بتواريخ ميلاد من عرف بهم في كتابه، باستثناء حالات قليلة بالقياس إلى حجم الكتاب، ومن ذلك: «الحسن بن علي بن أبي طالب: (...) ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاثة من الهجرة»(86) والحسين بن علي بن أبي طالب: «(...) مولده سنة أربع من الهجرة»(87) وغير ذك.

وقد يذكر أحيانا سن المترجم يوم مات (...) وهو ابن ثمان وسبعين سنة».(88)

7 – تاريخ الوفاة : اهتم المؤلف كثيرا بالوفيات، فيذكر تاريخ الوفاة غالبا وقد يربطها بعهد أو وباء أو غير ذلك، كما يذكر مكانها والخلاف فيها، كقوله في ترجمة أيوب بن أبي تميمة السختياني: «مات بالبصرة في الطاعون سنة اثنتين وثلاثين ومائة، ويقال: سنة تسع وعشرين، ويقال: سنة ثلاثين، وله ثلاث وستون سنة ولم يغسل».(89) ويقول في ترجمة أنس بن مالك : «مات قبل موت الحجاج بسنتين».(90)

---

81) نفسه : 1/59 ع 57.
82) نفسه : 1/46 ع 44.
83) نفسه : 1/56 ع 322.
84) نفسه : 2/365 ع 396.
85) نفسه : 2/368 ع 400.
86) نفسه : 1/67 ع 65.
87) نفسه : 1/71 ع 68.
88) نفسه : 1/36 ع 36/
89) نفسه : 1/13 ع 12.
90) نفسه : 1/16 ع 16.

8 – اسم أمه : يقول في ترجمة الحسن البصري : «يقال إن أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبيﷺ، وكانت أمه ربما غابت فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها، تعلله به إلى أن تجيئ أمه».(91)

9 – أسماء عدد من أقاربه الآخرين : كالأب، والابن، والبنت، والأخ وابنه، والعم، والخال، ونحو ذلك، كقوله في ترجمة إبراهيم بن عقبة: «أخو موسى بن عقبة بن أبي عياش»(92) وقوله في ترجمة أيوب بن موسى ابن عمر...: «جده عمرو بن العاصي المعروف بالأشدق، الذي قتله عبد الملك بن مروان، وإسماعيل بن أمية عمه»(93) إلخ...

10 – الحديث الذي ذكر فيه المترجم بالموطأ : تتكون تراجم التعريف لابن الحذاء من رجال السند (الرواة)، ومن رجال ونساء ذكروا في المتن، ويمتلون فئة أقل من الأولى. وقد حرص المؤلف – غالبا – على أن يذكر حديثا أو كل الأحاديث التي ورد فيها ذكر المترجم.

من النوع الأول جاء في ترجمة الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب : «روى مالك عن صالح بن كيسان عن حسن بن محمد بن علي بن أبي طالب أن على بن أبي طالب باع جملا له يدعى عصيفرا بعشرين بعيرا إلى أجل.(94)

ومن الثاني في ترجمة أصحمة النجاشي : «روى مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول اللهﷺ نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه» الحديث.(95)

---

91) نفسه : 1/69.

92) نفسه : 1/7.

93) نفسه : 1/12.

94) نفسه : 1/68.

95) نفسه : 1/27.

وقد يكتفي بمثل قوله : ولإسحاق بن عبد الله في الموطأ أحاديث كثيرة في المسند»(96) وقوله عن أسيد بن الحضر : «وهو مذكور في الموطأ في حديث التيمم»(97) ويقول عن إبراهيم بن كليب : «وذكرناه وإن كان ليس في إسناد حديث ليعرف».(98)

11 – الجرح والتعديل : ينقل المؤلف – غالبا – أهم ما قيل في الرجال، من تعديل أو تجريح اعتمادا على ما قاله العلماء بذلك كما لك، وابن معين وابن المديني وابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم...

ولا يفوته أحيانا أن يناقش بعض هذه الأقوال، قبل أن ينتهي إلى ما ينصف الرجل، ويضعه في موضعه الصحيح، كقوله في مخرمة بن بكير: «فحسبك بقول مالك عن الثقة عنده تعديلا له»(99) أو قوله في يزيد بن أبي أنيسة الجزري : «روى عنه مالك، واتفق البخاري ومسلم على الإخراج عنه، وهما القدوة».(100)

ومن ذلك أيضا، قوله عن عكرمة مولى ابن عباس : «غمزه مالك بن أنس (...) وأخرج عنه مسلم، قرنه مع طاوس في حديث ضباعة : «حجي واشترطي».

وقد قيل إنه كان يتهم برأي الخوارج والله أعلم، ورحم الله البخاري فإنه لم يحمله على إخراج حديث عكرمة وترك حديث أبي الزبير إلا الاجتهاد ولكل واحد اجتهاده».(101)

---

96) نفسه 15/1.
97) نفسه 20/1.
98) نفسه : 8/1.
99) نفسه : 124/4.
100) نفسه : 124/4.
101) نفسه : 124/4 ع 875.

12 – من روى عن المترجم ومن روى هو عنهم كقوله : روى عنه الزهري يروى عن عثمان بن عفان، وعن أبيه، ودخل على عمر بن الخطاب».(102)

13 – الاختلاف في الاسم : مثل شيبة بن جبير، الذي ورد ذكره في الموطأ، قال ابن الحذاء : «ويقال أيضا جبير بن شيبة وهو أصح، وكذلك قال سفيان بن عينية وغيره» إلخ.(103)

14 – الأسماء المتشابهة والمختلف فيها : من الأول : عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، هما رجلان يحملان إسما واحدا(104) يشير المؤلف إلى ذلك بقوله في ترجمة الثاني «إنه آخر غير الأول، روى عنه مالك» وقد يشبه أن يكون من أولاد عبد الرحمن بن أبي عمرة الأول» «ولا يشبه أن يكون هذا هو الأول».(105)

ومن الأسماء المختلف فيها : يونس بن يوسف، ويوسف بن يونس، هل هما رجلان أم رجل واحد؟ والذي رجحه المؤلف هو أنهما شخصان.(106)

15 – استطرادات قيمة : تظهر بين الفينة والأخرى سعة أفق المؤلف، حين يجره الحديث وهو يترجم علما من أعلام كتابه، إلى استطرادات أدبية أو تاريخية أو غير ذلك مثل نقله خبرا عن المبرد في ترجمة أسلم مولى رسول الله ﷺ.(107) ومنه قوله في ترجمة أم المومنين حفصة: «وتوفيت حفصة عام فتحت افريقية، وكان فتح افريقية الأول سنة سبع وعشرين،

---

102) نفسه : 1/4 ع 1.
103) نفسه : 3/519 ع 568.
104) نفسه : (2/341 ع 364) (2/342 ع 365).
105) نفسه : 2/342.
106) نفسه : (3/560 ع 613) (3/561 ع 614).
107) نفسه : 1/24 ع 24.

وفتح افريقية الثاني سنة خمس وثلاثين، وفتح افريقية الثالث سنة خمس وأربعين.(108)

16 – وإلى جانب ما تقدم، هناك مكونات أخرى عامة وخاصة من أهمها، اهتمامه بالصحابة رضي الله عنهم، بشكل واضح جدا، يذكر زمن إسلامهم والغزوات التي شهدوها ومكانتهم في الإسلام، ويبين ما إذا كان الصحابي من المهاجرين، أو من الأنصار وغير ذلك، كقوله عن أبي ذر الغفاري «أسلم أبو ذر بمكة ولم يشهد بدرا ولا أحدا ولا الخندق «إلخ»،(109) وقوله عن جبير بن مطعم : «مدني له صحبة وهو من المؤلفة قلوبهم، وأسلم عام الفتح بالمدينة وحسن إسلامه».(110)

ويحقق الأمر إذا اختلف في الشخص هل هو صحابي أم تابعي ؟ كقوله : عن الحجاج بن عمرو بن غزية : «قال البخاري له صحبة.

قال محمد : وأدخله مسلم في الطبقة الثالثة من التابعين، غير أنه قال : الحجاج ابن عمرو الأنصاري، لم يقل : ابن غزية وكذلك أدخله في الصحابة لهذا الاسم (...) وقال لنا عبد الغني بن سعيد (...) له صحبة».(111)

ثم أورد حديثا من صحيح مسلم وآخر من مسند أحمد، يدلان على إدراكه رسول الله ﷺ وسماعه منه.(112)

وإلى جانب اهتمامه بالصحابة، ثم التابعين فمن بعدهم، اهتم بتراجم غير المسلمين الوارد ذكرهم في الموطأ، كأبي جهل(113) وعبد الله بن خطل.(114)

---

108) نفسه : 4/70 ع777 وانظر : 2/290 ع 296.

109) نفسه : 1/56 ع 54.

110) نفسه : 1/57 ع 56.

111) نفسه : 1/89 ع86.

112) نفسه : 1/89.

113) نفسه : (3/402 ع444) (4/29 ع659).

114) نفسه : 2/296 ع306.

كما اهتم خصوصا في تراجم النساء وكناهم بذكر الأزواج كقوله : أسماء بنت عميس زوجة أبي بكر الصديق (...) كانت قبل أبي بكر عند جعفر بن أبي طالب (...) ولما مات أبو بكر الصديق تزوج علي بن أبي طالب أسماء بنت عميس بعده».(115) إلخ...

المبحث الثاني :

مصادره وشخصية مؤلفه من خلاله :

1 – مصادره : اعتمد أبو عبد الله بن الحذاء في تأليف كتاب «التعريف» عددا لا يستهان به من المصادر والمراجع، المختلفة المشارب، المتفاوتة الأهمية، منها ما صرح باسمه واسم مؤلفه، ومنها ما يستفاد من ذكر المؤلف له أو بعض النقول عنه، ومنها ما اعتمد فيه الرواية الشفوية عن شيوخه.

ويظهر من خلال استعراض مختلف هذه المصادر، أن الغالب عليها بالدرجة الأولى، الحديث، الرجال، التاريخ، وهو شيء طبيعي في مثل هذا العمل، الذي هو في الوقت ذاته، نتاج عصره، وثمرة ثقافة مؤلفه.

ويلتقي في هذه المصادر المشرق والمغرب، فهناك نقول وروايات عن مغاربة كعبد الملك بن حبيب، وسحنون بن سعيد، وابنه محمد، وابن وضاح، وأحمد بن خالد، وابن السليم، والخراز، وابن مفرج، وابن أبي دليم، والأصيلي، وأحمد بن نصر الداودي، وهناك نقول وروايات عن مشارقة كمالك بن أنس، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي، وابن أبي شيبة، وعبد الرزاق، والليث، وابن معين، وابن المديني، وابن أبي خيثمة، والفلاس، والطحاوي وابن الجارود، والطبري، والزجاج، والقاسم بن سلام والدارقطني، والعثماني، والمطرز، والجوهري، والحاكم النيسابوري، وعبد الغني بن سعيد وغيرهم.

---

115) نفسه : 4/61 ع 760.

وبعد، فهذه قائمة بأسماء مختلف المصادر والمراجع، التي اعتمدها ابن الحذاء في كتاب التعريف.

أولا : مصادر مصرح بأسمائها وأسماء مؤلفيها.

1 – المغازي لمحمد بن إسحاق بن يسار (ت150هـ).

2 – كتاب أنساب قريش للزبير بن بكار (ت156هـ).

3 – الموطأ لمالك بن أنس الأصبحي (ت179هـ) وذلك بعدة روايات نص عليها منها :

* رواية علي بن زياد العبسي التونسي(116) (ت183هـ).
* رواية عبد الرحمن بن القاسم العتقي(117) (ت191هـ).
* رواية عبد الله بن وهب المصري(118) (ت197هـ).
* رواية معن بن عيسى القزاز(119) (ت198هـ).
* رواية أشهب بن عبد العزيز القيسي(120) (ت204هـ).
* رواية محمد بن المبارك بن يعلي الصوري(121) (ت215هـ).
* رواية إسحاق بن عيسى بن نجيح الطباع(122) (ت215هـ).
* رواية عبد الله بن يوسف التنيسي(123) (ت218هـ).
* رواية عبد الله بن مسلمة القعنبي(124) (ت220هـ).

---

116) التعريف : 3/399 ع 440.
117) نفسه : 3/403, 417 وغير ذلك.
118) نفسه : 2/213.
119) نفسه : 3/561.
120) نفسه : 3/416.
121) نفسه : 2/329.
122) نفسه : 2/338.
123) نفسه : 2/317.
124) نفسه : 3/486.

* رواية يحيى بن عبد الله بن بكير(125) (ت231هـ).
* رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي(126) (ت234هـ).
* رواية مصعب بن عبد الله بن الزبير(127) (ت236هـ).
* أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري(128) (ت242هـ) وغير ذلك.

وينص أحيانا على ما في رواياته عن رواة الموطأ كقوله : «روايتي في موطأ ابن القاسم...»،(129) «روايتي أنا في موطأ ابن بكير...»،(130) وجدت في روايتي عن شيوخي عن عبد الله بن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى عن مالك».(131)

4 – الناسخ والمنسوخ في الكتاب العزيز لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ).

5 – المسند لأبي بكر بن أبي شيبة (ت235هـ).

6 – المدونة رواية سحنون بن سعيد (ت240هـ).

7 – المسند لأحمد بن حنبل (ت241هـ).

8 – رجال الموطأ لأبي عبد الله بن البرقي (ت249هـ).

9 – الصحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ).

10 – التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل البخاري.

11 – الضعفاء لمحمد بن إسماعيل البخاري.

12 – تفسير الموطأ لمحمد بن سحنون (ت256هـ).

13 – التاريخ لأحمد بن صالح الكوفي العجلي (ت261هـ).

---

125) نفسه : (360/2) (5/4).
126) نفسه :
127) نفسه : 329/2.
128) نفسه : 329/2.
129) نفسه : 76/1.
130) نفسه : 360/2.
131) نفسه : 370/2.

14 – الصحيح لمسلم بن الحجاج (ت261هـ).

15 – الطبقات لمسلم بن الحجاج.

16 – سنن أبي داود السجستاني (ت275هـ).

17 – الكامل لمحمد بن يزيد المبرد (ت286هـ).

18 – سنن النسائي لأحمد بن شعيب (ت303هـ).

19 – كتاب الأسماء والكنى لعبد الله بن علي بن الجارود (ت307هـ).

20 – كتاب أحكام القرآن لإسماعيل بن إسحاق القاضي (ت309هـ).

21 – كتاب الطبري لمحمد بن جرير الطبري (ت311هـ).

22 – كتاب معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج (ت311هـ).

23 – مسند الموطأ لأحمد بن خالد الأندلسي (ت322هـ).

24 – مسند الموطأ لأبي القاسم الجوهري (ت381هـ).

25 – كتاب المدخل لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري(132) (ت405هـ).

ثانيا : مصادر لم يسمها واكتفى بذكر مؤلفيها أو النقل عنها :

1 – المغازي لمحمد بن عمر الواقدي(133) (ت207هـ).

2 – المصنف : لعبد الرزاق بن همام(134) (ت211هـ).

3 – التاريخ : رواية الدوري عن يحيى بن معين(135) (ت234هـ).

4 – المصنف الكبير : لأبي بكر بن أبي شيبة(136) (ت235هـ).

---

132) انظر فهرس الكتب الواردة في التعريف آخر الكتاب.

133) التعريف : 3/378 و415 وغير ذلك.

134) نفسه : 1/89، 153.

135) نفسه : 3/398.

136) نفسه : 1/26.

5 – نسب قريش : لأبي عبد الله المصعب بن عبد الله الزبيري(137) (ت236هـ).

6 – الواضحة : لعبد الملك بن حبيب الأندلسي(138) (ت279هـ).

7 – تاريخ رواة الحديث : لأبي بكر بن أبي خيثمة(139) (ت402هـ).

8 – «النامي» شرح الموطأ : لأحمد بن نصر الداودي(140) (ت402هـ).

9 – المؤتلف والمختلف : لعبد الغني بن سعيد الأزدي(141) (ت409هـ).

وتدخل تحت هذا الصنف أعمال : علي بن المديني(142) وعمرو بن علي الفلاس(143) وأبي بكر البزار، وأبي عبيدة معمر بن المثنى وغيرهم.

ثالثا : مصادر قامت على الرواية عن الشيوخ.

1 – أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلي البغدادي القاضي(144) (ت367هـ).

2 – أبو بكر محمد بن إسحاق بن السليم الأندلسي قاضي الجماعة(145) (ت367هـ).

3 – أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد العزيز الخراز الأندلسي(146) (ت372هـ).

---

137) انظر : التعريف : 4/440.

138) نفسه : 2/274.

139) نفسه : 1/107.

140) نفسه : 1/42.

141) نفسه : 3/546.

142) نفسه : 3/429، 467.

143) نفسه : 3/428.

144) نفسه : 4/11.

145) نفسه : 1/98.

146) نفسه : 4/4، 65.

4 – أبو عبد الله محمد بن أبي دليم الأندلسي(147) (ت372هـ).

5 – أبو القاسم الحسين بن عبد الله العثماني القرشي المصري(148) (ت373هـ) له كتاب في الصحابة وآخر في غريب الموطأ.

6 – أبو علي الحسن ابن المطرز المصري(149) (ت375هـ).

7 – أبو القاسم هشام بن محمد بن أبي خليفة الرعيني المصري(150) (ت376هـ).

8 – أبو بكر محمد بن سليمان الفقيه النعالي المصري(151) (ت380هـ).

9 – أبو عبد الله محمد بن مفرج الأندلسي(152) (ت380) من مؤلفاته «رجال الموطأ».

10 – أبو القاسم عبد الرحمن الجوهري الغافقي المصري(153) (ت381هـ) من مصنفاته مسند الموطأ، وقد تقدم ذكره.

11 – أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي المغربي(154) (ت392هـ).

12 – أبو محمد عبد الغني بن سعيد الأزدي المصري(155) (ت409هـ) من مؤلفاته : المؤتلف والمختلف وقد تقدم ذكره و«الغوامض والمبهمات» وغير ذلك.

---

147) نفسه : 4/112.

148) نفسه : 4/12.

149) نفسه : (1/14) (3/497).

150) نفسه : 4/11.

151) نفسه : 2/232.

152) نفسه : 2/348.

153) وهم الزميل الأستاذ محمد شرحبيلي – في كتابه يحيى بن يحيى الليثي وروايته للموطأ : ص : 84 الهامش رقم 56 – عندما قال في معرض حديثه عن أبي القاسم الجوهري : روى عنه من المصريين ابنه (...) وابن الحذاء وأبو عمر الطلمنكي مع أنهما من مشاهير الأندلسيين :

154) التعريف : 4/43.

155) نفسه : 1/129.

2 – شخصية أبي عبد الله بن الحذاء من خلال التعريف :

تظهر شخصية أبي عبد الله بن الحذاء، من خلال كتاب التعريف واضحة قوية، منذ الاطلالة الأولى عليه، بل تتجلى من العنوان نفسه، وقديما قيل: «اختيار المرء قطعة من عقله».

إن ابن الحذاء خطا – منذ وقت مبكر – بالتأليف في رجال الموطأ خطوة جريئة، حين وسع الدائرة، فلم يقتصر على الرجال بمعنى الرواة فحسب، بل عرف بكل من ذكر في موطأ مالك من الرجال والنساء.

وقد جند كل طاقاته لخدمة هذا الكتاب، مغترفا من معارفه المتنوعة، التي تلقاها عن شيوخه بالمغرب والمشرق، والكتب التي تمكن من الوقوف عليها، في كل البلاد التي زارها، وهو لا يقنع بالوصف وسرد المعلومات، بل كثيرا ما يتدخل ليناقش فيزكي ويوهم، بأسلوب علمي دقيق،(156) ويطول بنا الأمر، لو أردنا تتبع كل الجزئيات، التي ناقشها وأبدى رأيه فيها وحسبنا هنا أن نقدم بعض الأمثلة :

1 – اطلاعه على مختلف روايات الموطأ :

يظهر ابن الحذاء من خلال «التعريف» واسع الاطلاع على مختلف روايات الموطأ، كما تفصح عن ذلك نقوله عن رواته الكثر، كما يصرح هو نفسه بذلك، بمثل قوله : «والذي رواه الرواة كلهم عن مالك».(157)

أو قوله : «هكذا هو هذا الحديث في جميع الموطآت عن مالك».(158)

وهذا الاطلاع أعطاه القدرة على المقارنة والمناقشة، عند تعارض الروايات، مثل تعقيبه على قول أحمد بن خالد : إن يحيى بن يحيى قال:

156) انظر : مكونات الترجمة في كتاب التعريف. في المبحث السابق قبله.

157) التعريف : 133/1.

158) نفسه : 390/3.

«إن أبا البداح بن عاصم بن عدي»(159) فأخطأ فيه، بقوله: «قال محمد: وجدته أنا في روايتي عن يحيى بن يحيى كما روى غيره، فالله أعلم».(160)

مثال آخر: قال أحمد بن خالد: ورواه ابن القاسم عن مالك فقال: عن قطن بن وهب عن عويمر بن الأجدع وهو خطأ.

قال محمد: ووجدته أنا في روايتي عن ابن القاسم، كما رواه سائر أصحاب مالك (...) وأظن الرواية، التي ذكر أحمد بن خالد، هي رواية سحنون عن ابن القاسم.(161)

وكثيرا ما يؤكد ما يراه صوابا ويرفض غيره، كقوله: هكذا رواه جل أصحاب مالك، وهذا أصل إسناده، وغير ذلك وهم من الرواة(162) (...) وهو الصحيح وغيره غلط والله أعلم(163) (...) «وقد تابع مالكا على روايته في هذا الحديث جماعة من الاثبات وهو الصحيح(164) وفي ترجمة عبد المجيد بن سهيل الزهري، بعد أن أشار إلى أن ابن بكير، وابن نافع، ويحيى بن يحيى الأندلسي، قالوا عن مالك: عبد الحميد قال: ووجدت في روايتي عن شيوخي عن عبد الله بن يحيى عن أبيه يحيى بن يحيى عن مالك عن عبد المجيد، وكذلك في روايتي عن ابن بكير عن مالك: عبد المجيد، وهو الصحيح، وكذلك يقول جماعة أهل النسب».(165)

---

159) يشير إلى حديث الموطأ: 1/408 ك 20 ب 72 ح218 «إن أبا البداح بن عاصم بن عدي أخبره عن أبيه عن النبيﷺ في الحج، أنه رخص لرعاة الإبل».

160) التعريف: 3/409 وانظر الموطأ برواية ابن القاسم تلخيص القبسي: 341 ع314.

161) التعريف: 3/467 وانظر الموطأ برواية ابن القاسم تلخيص القابسي: 417 ح406.

162) التعريف: 1/6.

163) نفسه: 1/6.

164) نفسه: 1/6.

165) نفسه: 2/370.

ثانيا : روايته عن شيوخه وأهميتها :

تمتاز روايات ابن الحذاء عن شيوخه بعدة امتيازات من أهمها :

– احتفاظها بمعلومات ربما ضاعت أصول بعضها، ككتاب الصحابة لأبي القاسم الحسين بن عبد الله العثماني المصري (ت373هـ) الشيء الذي جعل كتاب التعريف لابن الحذاء معتمد من جاء بعده في ذلك.(166)

– ما تفيده من دخول بعض الكتب المشرقية إلى الأندلس في هذه الحقبة من الزمن في حياة مؤلفيها كمسند الموطأ للجوهري، والمؤتلف والمختلف لعبد الغني بن سعيد. وغير ذلك.

– ما تضيفه من معلومات عن أسانيد ابن الحذاء، التي تتكامل مع ما تجمع لدينا منها، خلال الحديث عن مروياته في الباب الثاني من هذا القسم.(167)

وكثيرا ما أظهر ابن الحذاء حرصه على الاستفادة من شيوخه، وعن مدى تشبثه بما يرويه عنهم، والإشادة بذلك، مما يفهم من مثل قوله: «وقال لنا أبو محمد عبد الغني بن سعيد، وأبو عبد الله بن مفرج وغيرهما من أصحاب الحديث، ممن لقيناه من أهل الحفظ والاتقان...».(168) وقوله: «وهكذا فسره لنا من لقيناه من أهل العلم».(169)

ثالثا : تحقيقاته في الأسانيد والرجال :

ما من ترجمة – تقريبا – في التعريف، إلا ويجد الباحث بل القارئ العادي، أبا عبد الله بن الحذاء حاضرا، حضور الرقيب الذي يزكي ما يراه صوابا، وينتقد أو يصحح ما يراه غير ذلك.

---

166) انظر مثلا غوامض الأسماء المبهمة وتعجيل المنفعة ففيهما كثير من النقول عن ابن الحذاء.

167) راجع ما تقدم من هذه الدراسة : ص : 255.

168) التعريف : 2/348.

169) نفسه : 2/372.

في أول ترجمة في الكتاب ينقل عن الطبري قوله : إن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف «لم يسمع من عمر بن الخطاب من أولاد عبد الرحمن بن عوف غيره».(170)

فلا يترك ابن الحذاء الفرصة تمر، دون أن يشير إلى أن هناك حديثا يدل على سماعه من عمر وإدراكه له، مما يزكي قول الطبري، ويحيلنا في ذلك على باب آخر، ذكر فيه الحديث.(171)

وقال في ترجمة أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد :

«وقال ابن مهدي، عن سفيان عن أبي إسحاق أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد، عن النبيﷺ»(...) وقال البخاري : أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد سمع ابن عمر...(172)

«....» قال محمد : هذا يدل على أنه لم يدرك النبيﷺ وأن الذي ذكره ابن مهدي عن سفيان مرسل والله أعلم...».(173)

وبعد أن ذكر حديث الموطأ : روى مالك عن ثور بن زيد الديلي عن عبد الله بن عباس، أن رسول اللهﷺ، ذكر رمضان فقال : لا تصوموا حتى تروا الهلال «...» قال : «قال محمد : لم يسمع ثور بن زيد من ابن عباس، لأن ابن عباس توفي سنة ثمان وستين، وتوفي ثور بن زيد سنة خمس وثلاثين ومائة، ولم يصل عمره، وإنما رواية ثور عن عكرمة عن ابن عباس».(174)

وفي ترجمة : عبد الله بن الأرقم يقول إنه ابن «عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة» ثم ينتقد قول أبي القاسم الجوهري : «إنه ابن هاشم

---

170) نفسه : 4/1.

171) نفسه : (4/1) (126/1).

172) نفسه : 11/1 – 12.

173) التعريف : 11/1 – 12.

174) نفسه : 48/1.

بن عبد مناف» بأن ذلك وهم «وما أحسب أبا القاسم أخذه إلا من قول البرقي».(175)

وفي ترجمة حميدة ابنة عبيد بن رفاعة، يذكر أن يحيى بن يحيى الليثي قال في روايته عن مالك: حميدة ابنة أبي عبيدة بن فروة، ثم يعقب على ذلك بقوله : «في الأنصار رجل يسمى عبيدة بن رفاعة بن رافع الأنصاري، روي عنه حديث عن النبيﷺ، وأظنه والد حميدة هذه والله أعلم، وإسناد هذا الحديث كلهم من الأنصار، وأظن أن يحيى بن يحيى صحفه، فجعل الاسم كنية والله أعلم»(176) ويقول في معرض التعريف بابن لعبد الله بن سفيان الثقفي : «قال محمد بن وضاح : بشر بن عاصم، وهو ابن عبد الله بن سفيان الثقفي (...) قال البخاري : سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي له صحبة، وله ابنان : عاصم وعبد الله، ولعاصم ابن يقال له : بشر روى عن أبيه عاصم.

قال محمد : وهذا خلاف ما قاله محمد بن وضاح، قال : إن عاصما هو ابن عبد الله بن سفيان، وقال البخاري : إن عاصما هو أخو عبد الله والبخاري، أقعد وأعرف بهذا».(177)

وينقل المؤلف في ترجمة أسلم أبي رافع مولى رسول اللهﷺ، عن المبرد خبرا ثم يقول : والحكاية مشهورة، وهي أخبار لا يوثق بها، والصحيح ما ذكرناه قبل في هذا الباب وذكرنا ما قال المبرد ليعرف.(178)

(175) نفسه : 2/284 – 285.
(176) نفسه : 4/74.
(177) نفسه : 4/4 – 5 ع 621.
(178) نفسه : 1/24 – 25 ع 24.

رابعا : اعترافاته بالخطإ والنسيان والقصور أحيانا :

كما تظهر شخصية ابن الحذاء في الكتاب، في مواطن القوة والتألق، تظهر في مواطن الضعف والعجز عن امتلاك الحقيقة كاملة، وهو شيء إيجابي يدل على الإخلاص في العمل، ومدى المعاناة التي كابدها مدة تأليفه لهذا الكتاب.

وهذه جملة من النماذج الصريحة في هذا الباب :

* يقول في ترجمة صيفي مولى أبي أيوب الأنصاري : مدني، هكذا وجدته في كتابي في تاريخ البخاري الكبير، ورأيته في كتاب بعض أصحابنا : صيفي مولى لابن أفلح كما ذكر مالك، وهو الصحيح(179) إنه لم يتورع عن تخطئة نسخته من التاريخ الكبير للبخاري، عندما تعارضت مع الصواب، الذي رآه في نسخة بعض أصحابه.

* ويقول في باب الياء من الكنى : «أبو يونس مولى عائشة» «قال محمد : قال لي عبد الله بن إبراهيم الفقيه : أبو يونس لا يعرف اسمه.

قال محمد : كنت رأيت اسمه في بعض التواريخ، قبل أن أجمع هذا الكتاب، ثم بحثت عنه، فلم أجده».(180)

إنه شعور طالما تعرض له العلماء، حين تمر بهم معلومات، قد يحتاجون إليها في يوم من الأيام، فلا يسجلونها في كتاب أو جذاذة أو قرص - بالنسبة لعصرنا - مقتصرين على الذاكرة وحدها، التي لا تبقى فيها مع طول المدة سوى ظلال باهتة لا تكفي للإمساك بخيوط الحقيقة بصورة واضحة.

ولا ييأس ابن الحذاء من العثور، مستقبلا على بعض المعلومات، التي تكمل بعض النقص في تراجمه، فيقول على سبيل المثال : «لم أجد لعبد الله

---

179) نفسه : 2/267.

180) نفسه : 4/43 - 44 ع713.

بن سفيان ابنا يعرف اسمه، غير ما قاله ابن وضاح، ولعلي أن أجده إن شاء الله».(181)

ويقول كذلك : «لم يدخله البخاري ولا وجدت له تعريفا، ولعل الله أن يسهله إن شاء الله»(182) و«لم أعرف هذا الرجل ولعلي أجده إن شاء الله».(183)

ويكتفي أحيانا في معرفة الرجل برواية مالك عنه فيقول : «وهو من الشيوخ الذين أكتفي في معرفتهم برواية مالك رحمه الله عنهم».(184)

3 – مآخذ على ابن الحذاء في التعريف :

كل عمل بشري مهما بلغ من الإتقان، قلما يسلم من الخطأ والنسيان، إلا أن يعصمه الله من ذلك.

وكتاب التعريف لابن الحذاء عمل مبارك نافع، وما فاته أو وقع فيه من أوهام ضئيل، لا يؤثر على قيمته، ويرجع في مجمله إلى :

1 – رجال ونساء من شرطه لم يذكرهم وهم في الموطأ منهم :

* ابن المتوكل(185) إبراهيم بن الحارث التيمي.(186)

* مولى لقريش، يقال له ابن مرسي، يروي عن عمر بن الخطاب.(187)

* فاطمة بنت المنذر بن الزبير الأسدية : تروي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق.(188)

---

181) نفسه : (4/5 ع621).

182) نفسه : 56/1 ع 55 (جندب مولى عبد الله بن عياش المخزومي).

183) نفسه : 48/4 ع 718.

184) نفسه : 342/2 ع 365.

185) الموطأ 788/2 ك 39 ب 1 ح 3 وانظر: 58/4 ع 748.

186) نفسه : 501/2 ك 26 ب 2 ح 5.

187) نفسه : 516/2 ك 27 ب 10 ح 8.

188) نفسه : 60/1 ك 28 ح 103 وغير ذلك.

* رجل من أهل اليمن.(189)

* رجال من كبراء قوم سهل بن أبي خيثمة.(190)

2 – أخطاء في ترتيب الأسماء والكنى وغير ذلك، وبيان ذلك :

أ – عدم احترام الترتيب المعجمي، وما يقتضي من تقديم وتأخير وذلك على المستويات التالية : لم ينظر إلى ثواني الحروف في الأسماء والكنى والألقاب وغيرها، ولم يضع في الاعتبار أسماء الآباء والأجداد، من ذلك – مثلا – تأخير إسحاق في باب الألف من أسماء الرجال وتقديم إسماعيل وأمية وأيوب، ومن ذلك تأخير زيد بن ثابت عن زيد بن حارثة وزيد بن سهل، بل قدم في أبواب أسماء النساء حرف النون على الميم...

ب – لم يسر في ترتيب أسماء النساء، على النسق الذي سار عليه في ترتيب أسماء الرجال من الفصل بين الأسماء والكنى، ومثاله من حرف الباء : «بسرة بنت صفوان وبعدها» أم بجيد بنت يزيد».

ج – لا يلتزم أحيانا بإيراد الأسماء والكنى المتشابهة متتابعة من الأول : عائشة بنت أبي بكر الصديق ثم عاتكة بنت زيد، فأم عطية، وعمرة بنت عبد الرحمن، وعمرة بنت سعيد، ثم يعود إلى عائشة من جديد فيذكر عائشة بنت قدامة بن مظعون، وعائشة بنت طلحة ثم عمرة بنت حزم...

ومن الثاني : أبو بكر الصديق ثم أبو بشر الأنصاري، أبو بردة ثم أبو بكر بن عبد الرحمن، أبو بكر بن سليمان إلخ...

3 – وضعه أسماء وكنى في غير مواضعها من ذلك :

– أبو النضر السلمى جاء في باب من نسب إلى أبيه وجده ولم يذكر اسمه، وحقه أن يأتي في الكنى.

---

189) نفسه : 1/386 ك 20 ب 52 ح 126.

190) نفسه : 2/877 ك 44 ب 1 ح 1.

– مسجد بني زريق، ذكره ضمن أسماء الرجال، مع أنه من الأماكن، وكان يمكن باعتبار آخر أن يذكر في الأبناء.

4 – كان الأولى به أن يذكر بعد خطبة الكتاب، نبذة عن مالك بن أنس وانتقاده الرجال، وانتقائه لهم، وقيمة الموطأ، وما إلى ذلك مما من شأنه، أن يمهد للتعريف بمن ذكر فيه من الرجال والنساء، وهو الشيء الذي جعلنا نهتم في الفصل الأول من هذا الباب بالموطأ ورجاله كما تقدم.

المبحث الثالث :

التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من الرجال والنساء في كتب من جاء بعد ابن الحذاء :

يجد الباحث في عدد من أمهات كتب الرجال، التي ألفت بعد كتاب التعريف لابن الحذاء نقولا عنه، يمكن تتبع أكثرها – اليوم – بواسطة نظم المعلومات المعاصرة، وهذه جملة منها نسوقها على سبيل التمثيل لا الحصر :

1) **كتاب الإيماء إلى أطراف أحاديث الموطأ** : «لأبي العباس أحمد بن طاهر الداني (ت532هـ) نقل عن التعريف لابن الحذاء في مرسل الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير، فقال مصححا قراءة ابن وضاح» الزبير «في الإسمين بالفتح : إن ذلك في» والد عبد الرحمن لا خلاف فيه أنه كذلك، وأما الزبير بن عبد الرحمن راوي الحديث، فهو عند يحيى بضم الزاي، وهكذا قيده ابنه عبد الله، وكذلك هو في رواية ابن بكير عن مالك، وهو قول البخاري وصوبه الدارقطني وغيره.

وقال محمد بن يحيى الحذاء في «كتاب التعريف برجال الموطأ» : الزبير بن عبد الرحمن بن الزبير الأول – يعني بالذكر – بضم الزاي والثاني

بالفتح هكذا رويناه، وهكذا قاله لي عبد الغني بن سعيد، وقال لي: هكذا قال لي علي بن عمر الدارقطني، وهكذا نقله البخاري في التاريخ...

قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه : «وزعم أبو عمر بن عبد البر أنهما معا بفتح الزاي، تابع ابن وضاح في ذلك، وغير رواية يحيى بن يحيى، على طريق الإصلاح بزعمهما، ولم يأتيا بشيء».(191)

2) **غوامض الأسماء المبهمة لابن بشكوال** : (ت578هـ).

روى أبو القاسم بن بشكوال في كتابه هذا، عن أبي الحسن بن مغيث عن أبي عمر أحمد بن محمد ابن الحذاء عن أبيه أبي عبد الله ابن الحذاء، روايات كثيرة تتعلق بموضوع الكتاب،(192) ومنها ما هو في التعريف، وقد تمت الإشارة إليه في مواضع وروده من الكتاب، ومنها ما ليس فيه.

وتكفي الإشارة هنا إلى أن ابن بشكوال لم يصرح بكتاب ابن الحذاء في «غوامض الأسماء المبهمة» الأمرة وحيدة هي : «فاختة بنت زهير بن الحارث، أو زينب بنت زهير بن الحارث» «وقيل إسمها زينب بنت زهير بن الحارث ذكر ذلك أبو عبد الله محمد بن يحيى بن الحذاء – رحمه الله – في كتاب «التعريف» له، أخبرني به أبو الحسن بن مغيث، عن أبي عمر بن محمد بن يحيى عن أبيه».(193)

3) **ميزان الاعتدال ينقد الرجال لشمس الدين الذهبي** : (ت748هـ)

ينقل الحافظ الذهبي عن أبي عبد الله بن الحذاء في التعريف – ويسميه رجال الموطأ – في عدة تراجم منها.

---

191) الإيماء إلى أطراف أحاديث الموطأ : الورقة : 223 ظ وانظر التعريف لابن الحذاء : 1/129 ع 124.

192) انظر : غوامض الأسماء المبهمة : (1/78، 280، 327) (2/677، 685، 723).

193) نفسه : 2/763 ع 271.

أ – سالم أبو الغيث، مولى ابن مطيع، قال أبو عبد الله بن الحذاء في رجال الموطأ : قال ابن معين : لا أعرف اسمه، وليس بثقة، وقال مرة أخرى هو ثقة».(194)

ب – «عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثقة، وقد ذكره ابن الحذاء الأندلسي في رجال الموطأ، في باب من نسب إلى شيء من الجرح، فقال : كان صاحب الشيعة، فأوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس «قلت : ما هذا بحمد الله جرح، والله أعلم».(195)

4) **شرح الفية العراقي المسماة «التبصرة والتذكرة» لعبد الرحيم العراقي** : (ت806هـ).

من نقوله عن التعريف لابن الحذاء : «رزيق بن حكيم الإيلي، والي أيلة لعمر بن عبد العزيز، وذكر ابن الحذاء، أنه كان حاكما بالمدينة».(196)

5) **تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني** (ت852هـ).

من نقوله عن التعريف : «عمرو بن سعد بن معاذ الاشهلي (...) وحكى ابن الحذاء عن رواية يحيى بن يحيى الليثي عن مالك عن يزيد عن ابن عمرو بن سعد بن معاذ، وقال البخاري : إن مالكا قال : عمرو بن سعد بن معاذ».(197)

6) **الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني** : من نقوله عن التعريف :

أ – «الأحوص بن عبد بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (...) قال ابن الحذاء : الأقوى أن القصة في الأحوص، وهو ابن عبد، ويحتمل أن يكون

---

194) ميزان الاعتدال : 2/114 ع 3065.

195) نفسه : 2/483 ع 4533.

196) التبصرة والتذكرة : 3/171.

197) تهذيب التهذيب : 8/105 – 106.

لولده عبد الله بن الأحوص، ولم يسم في رواية ابن عيينة عن الزهري».(198)

ب – «محجن بن أبي محجن الديلي (...) ويقال : إن محجنا المذكور كان في سرية زيد بن حارثة إلى حسمى، في جمادى الأولى سنة ست من الهجرة، وجزم بذلك ابن الحذاء في رجال الموطأ».(199)

7) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة لابن حجر العسقلاني كذلك :

في هذا الكتاب نقول كثيرة عن التعريف لابن الحذاء، سيأتي الحديث عنها في هذا الفصل بتوسع.

8) إسعاف المبطا برجال الموطأ لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) :

ينقل عن ابن الحذاء في ترجمة جميل بن عبد الرحمن المؤذن : «ذكره ابن الحذاء في رجال الموطأ فقال : سمع سعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز روى عنه مالك، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ذكره ابن حجر في كتابه وأغفله الحسيني».(200)

وستأتي مقارنة بين «الإسعاف» و«التعريف» آخر هذا الفصل.

9) «**فتح الباقي على الفية العراقي» لزكرياء الأنصاري** : (ت925هـ)

من نقوله عن التعريف : «وكذا بضم رزيق بتقديم الراء ابن حكيم أبو حكيم بالضم أيضا الآيلي، والي أيلة لعمر بن عبد العزيز.

198) الإصابة : 1/34 ع 52.

199) نفسه : 5/780 ع 7745.

200) إسعاف المبطأ : 10.

وذكر ابن الحذاء، أنه كان حاكما بالمدينة، له ذكر في الحدود من الموطأ».(201)

10) «**موطأ مالك بشرح الزرقاني**» **لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي الزرقاني** : (ت1211هـ).

نقل كثيرا عن ابن الحذاء في التعريف، مما سبقت الإشارة إلى بعضه في التحقيق، من ذلك على سبيل المثال :

أ – «محجن بن أبي محجن الديلي صحابي قليل الحديث (...) يقال : «إنه كان في سرية زيد بن حارثة إلى حسمى في جمادى الأولى سنة ست، وبذلك جزم ابن الحذاء».(202)

ب – «عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمته». قال ابن الحذاء : هي عمرة بنت حزم عمة جد عبد الله بن أبي بكر، وقيل لها : عمته مجازا، وتعقبه الحافظ، لأن عمرة صحابية قديمة روى عنها جابر الصحابي،(203) فرواية عبد الله عنها منقطعة، لأنه لم يدركها، فالأظهر أن المراد عمته الحقيقية، وهي أم عمرو وأم كلثوم انتهى.

والأصل الحمل على الحقيقة، وعلى مدعي العمة المجازية، بيان الرواية التي فيها دعواه، خصوصا ما لزم عليها من انقطاع السند والأصل خلافه».(204)

ج – «ابن قهد» بالقاف المفتوحة ضبطه ابن الحذاء، وجوز أنه قيس بن قهد الصحابي.

201) التبصرة والتذكرة : 3/171.
202) شرح الزرقاني على الموطأ : 1/273.
203) انظر : الاستيعاب : 4/1887 ع 4039.
204) شرح الزرقاني على الموطأ : 3/56.

قال في التبصرة وفيه : ولعل وجهه قوله (رجل من أهل اليمن) فإن قيسا الصحابي من الأنصار، فيبعد أن يقال فيه ذلك، وإن كان أصل الأنصار من اليمن».(205)

وهذه النقول وغيرها تحتاج إلى عمل مستقل، تستعمل فيه نظم المعلومات المعاصرة، لجمعه أولا، ثم مناقشته بالشكل الذي يغني الدراسات الحديثية ثانيا، وحتى ذلك الحين نقدم هنا نموذجا كاملا من كتاب في الموضوع هو كتاب تعجيل المنفعة لابن حجر، وأمثلة على صدى الكتاب في أعمال ابن عبد البر.

أولا : **كتاب التعريف لابن الحذاء في تعجيل المنفعة لابن حجر :**

رجع الحافظ ابن حجر العسقلاني، كثيرا إلى كتاب التعريف لابن الحذاء، وذلك في ما يزيد على عشرين مرة، تتبعتها كلها وأشرت إليها في النص المحقق.

ونقف – هنا – بإيجاز على كيفية تعامل صاحب تعجيل المنفعة، مع كتاب رجال الموطأ لابن الحذاء كما يسميه، ناقلا وناقدا.

إن عدد التراجم التي صرح فيها ابن حجر بالنقل عن ابن الحذاء، اثنتان وعشرون ترجمة (22 ترجمة)، كما نقل عنه في تراجم أخرى دون أن يحيل عليه، وهو في تعامله مع التعريف لابن الحذاء، يكتفي أحيانا بالإشارة إلى ذكره في الكتاب المذكور، دون تعقيب عليه، وذلك مثل :

– (الأسود) أبو نهشل الأنصاري (...) ذكره ابن الحذاء في رجال الموطأ (...) قال : ولا أعرف له ذكرا غير هذا».(206)

وكان المنتظر من ابن حجر، في القرن التاسع الهجري، أن يضيف شيئا إلى ما ذكره ابن الحذاء في القرن الخامس الهجري، لكنه في كثير من

205) نفسه : 3/228 – 229.

206) تعجيل المنفعة : 49 ع 58.

مثل هذه الحالة لا يزيد على مثل هذه العبارة : «قلت ولم يذكره الحسيني، أو أغفله الحسيني،(207) كما في هذا المثال : – (ذفيف) المدني مولى ابن عباس (...) ذكره الحذاء في رجال الموطأ، وهو بوزن «عظيم» ولم يذكره الحسيني.(208)

ويسير ابن حجر أحيانا في الاتجاه الموافق لابن الحذاء، مضيفا ما يعضد مذهبه :

– (ك) عمر بن عبد الرحمن بن عطية أبو دلاف المزني (...) ومن الرواة عن مالك، من لم يقل في روايته : عن أبيه. قال ابن الحذاء والصواب ثباته.

قلت : «وروى عنه أيضا عبيد الله العمري و(...) وذكره البخاري ولم يذكر فيه جرحا».(209)

– (ك) محمد بن عمارة غير منسوب : روى مالك عنه عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عثمان خبرا في الشفعة.

قال القاضي أبو عبد الله بن الحذاء : هو عندي محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم (...) فإنه يروي عن ابن أبي بكر، ولا أعرف في رجال مالك محمد بن عمارة غيره.

قلت : «ويحتمل أن يكون الذي جده خزيمه بن ثابت المذكور قبل هذا».(210)

– (ك) الوليد بن عبد الله بن صياد المدني (...) لم يترجم ابن عبد البر للوليد هذا، الذي روى عنه مالك، وأما ابن الحذاء فقال في رجال الموطأ : هو عمارة، يعني الذي مضى ذكره، قال : ولم يقع في تاريخ البخاري.

---

207) نفسه : (149 ع 290) (131 ع 248) وغير ذلك.

208) نفسه : 149 ع 290.

209) نفسه : 330 ع 770.

210) نفسه : 421 ع 962.

قلت : «ولا في كتاب ابن أبي حاتم...».(211)

لكن ابن حجر لا يتأخر عن إبداء رأيه، إذا خالف رأي ابن الحذاء، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

– (ك) خالد بن عقبة بن أبي معيط الأموي (...) ذكره أبو عبد الله بن الحذاء في رجال الموطأ، ولم يذكر له رواية (...) قال ابن الحذاء : شهد خالد هذا جنازة الحسن بن علي رضي الله عنهما، لم يشهدها من بني أمية غيره.

قلت : «وفيه نظر، لأنه جاء أن الذي صلى عليه، هو سعيد بن العاصي الأموي أمير المدينة، قدمه الحسين بن علي لكونه الأمير».(212)

وما قاله ابن الحذاء، ذكره قبله صاحب نسب قريش،(213) ولا تعارض بينه وبين ما قاله ابن حجر، وقال ابن عبد البر في ترجمة الحسن بن علي بن أبي طالب : «...فلم يشهده يومئذ من بني أمية إلا سعيد بن العاصي، وكان يومئذ أميرا على المدينة، فقدمه الحسين للصلاة عليه، وقال: هي السنة، وخالد بن الوليد بن عقبة ناشد بني أمية، أن يخلوه يشاهد الجنازة، فتركوه فشهد دفنه في المقبرة»،(214)

– (ك – فع – زبيد) بالتصغير ابن الصلت (...) وقال ابن الحذاء : هو قاضي المدينة في زمن هشام بن عبد الملك، كذا قال، وهو بعيد وأظن قاضي المدينة، ولده الصلت بن زبيد بن الصلت.(215)

---

211) نفسه : 489 ع 1152.

212) نفسه : 135 – 136 ع 264.

213) انظر : نسب قريش : 141.

214) الاستيعاب : 392/1 ع 555.

215) تعجيل المنفعة : 174 ع 350.

والذي في التعريف لابن الحذاء لا يتعارض مع هذا «زبيد بن الصلت (...) قال أبو بكر: هو كندي قاضي المدينة في زمان هشام بن عبد الملك».(216)

«الصلت بن زبيد (...) وولي الصلت بن زبيد قضاء المدينة».(217)

ونقله عنه ابن حجر نفسه في ترجمة الصلت.(218)

– (العاص بن هشام بن المغيرة (...) قال ابن الحذاء: العاص هذا هو أخو الحارث بن هشام جد أبي بكر، وهو أخو أبي جهل بن هشام.

قلت: وغفل رحمه الله عن كونه قتل ببدر، فكيف يموت في زمن عثمان؟ والذي يرفع هذا الأشكال أن تكون المحاكمة في الإرث المذكور، تأخرت من زمان بدر إلى خلافة عثمان، ومن يقتل يوم بدر كافرا لا يتحاكم إلى عثمان في خلافته إلخ.(219)

وتعقب الزرقاني ابن حجر فقال: كذا قال الحفاظ في تعجيل المنفعة وسهوه ظاهر، فإنه لم يتخاصم في إرث العاصي، وإنما ذكر في الخبر، لبيان أنه خلف شقيقين وواحد لأم أخرى، والذي تخاصم إلى عثمان، إنما هو ابن العاصي، وابن ابنه الذي مات أبوه قبل ذلك، وقد كان ورث شقيقه ماله وولاء مواليه لموته بلا ولد، فاختصما في ولاء مواليه دون إرثه، ولا ذكر لميراث العاصي أصلا، فلا إشكال».(220)

– (ك) يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة (...).

قال ابن الحذاء: وهو من الشيوخ المقلين الذين أجتزي من معرفتهم برواية مالك عنهم.

---

216) التعريف: 1/139 ع 136.

217) نفسه: 2/268 ع 275.

218) تعجيل المنفعة: 174.

219) نفسه: 245 – 243 ع 498.

220) شرح الزرقاني على الموطأ: 4/99.

قلت : وهو كلام فارغ، وإنما يقال ذلك، فيمن لم يعرف شخصه، ولا نسبه ولا حاله ولا بلده، وانفرد عنه واحد، وهو بخلاف ذلك كله والله المستعان.(221)

والملاحظ أن ترجمة ابن الحذاء ليزيد بن طلحة أوفى من ترجمة ابن حجر وأغنى، بل هي المحور الذي دارت حوله ترجمة هذا الأخير، وسبق أن نقل ابن حجر مثل هذا القول لابن الحذاء دون أن يعقب عليه.(222)

قال التهانوي في «قواعد في علوم الحديث» : «رواية مالك وحده عن الراوي ترفع الجهالة عنه، وفي «تعجيل المنفعة» في ترجمة (عبد الله بن أبي حبيبة المدني) قال ابن الحذاء : هو من الرجال الذين اكتفى في معرفتهم برواية مالك عنهم.

وفيه أن رواية مالك وحده عن أحد ترفع الجهالة عنه، مثل مالك، شعبة وغيره من الحفاظ النقاد.(223)

ونقل ابن حجر – فيما يظهر – عن التعريف لابن الحذاء في ثلاثة مواضع على الأقل، دون أن يشير إلى ذلك.

– (ك) قتادة المدلجي : قال أبو القاسم العثماني : يقال إن له صحبة ولم يثبت حديثه، هكذا قال ابن حجر في التعجيل،(224) وقال ابن الحذاء في التعريف :

قال لنا أبو القاسم العثماني رحمه الله : هذا هو قتادة المدلجي. يقال : «إن له صحبة ولم يثبت حديثه».(225)

---

221) تعجيل المنفعة : 502 – 503 ع 1183.

222) نفسه : 255 ع 532.

223) قواعد في علوم الحديث : 357.

224) تعجيل المنفعة : 380 ع 878.

225) التعريف : 3/462 ع 508.

– (ك) محمد بن بجيد الأنصاري (...) وبذلك جزم ابن البرقي، فيما حكاه أبو القاسم الجوهري في مسند الموطأ».(226)

وجاء في التعريف : قال البرقي : هو محمد بن بجيد، وكذلك قال لنا أبو القاسم».(227)

والملاحظ أن قول البرقي هذا لم يرد في مسند الموطأ، للجوهري، وإنما ورد في التعريف لابن الحذاء، وكل ما قاله الجوهري هو أنه : محمد بن بجيد الأنصاري.(228)

– (ك) يوسف بن يونس بن حماس : وهذه الترجمة، مأخوذة بكاملها من التعريف لابن الحذاء مع بعض التقديم والتأخير اليسير.(229)

ثانيا – ابن عبد البر النمري وكتاب التعريف لابن الحذاء : على الرغم من أن ابن عبد البر النمري (ت463هـ) لم يصرح باسم شيخه أبي عبد الله بن الحذاء، ولا باسم كتابه، فيما وقفت عليه في التمهيد، والتجريد، والاستذكار، والاستيعاب، إلا أنه يبدو في عدد من التراجم، إما متأثرا بشيخه متبنيا لرأيه، أو متصديا له منتقدا لمذهبه، وهذه بعض النماذج من كتابي التمهيد والاستيعاب يستأنس بها لذلك.

1 – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد :

جاء في التعريف لابن الحذاء في ترجمة أبي النضر السلمي : «...ومالك بن أنس، قد قيل : إنه يكنى أبا النضر، وهو أيضا، أنس بن مالك بن النضر، فهو أبو النضر، وهو ابن النضر، وأبو بكر محمد بن عمرو بن حزم، قد روى عن أنس بن مالك، فيشبه أن يكون هذا الحديث حديث أنس بن مالك».(230)

226) تعجيل المنفعة : 408 ع 928.
227) التعريف : 1/194 ع 196.
228) انظر مسند الموطأ : 329.
229) تعجيل المنفعة : 510 ع 1207 وقارنه بما في التعريف: 3/561 ع 614.
230) التعريف : 3/4 ع 616.

وتصدى لهذا ابن عبد البر في التمهيد، بما يشبه التعريض بأبي عبد الله بن الحذاء : «أبو النضر هذا مجهول في الصحابة والتابعين (...) وقال بعض المتأخرين فيه : إنه أنس بن مالك بن النضر، ونسب إلى جده، وهذا جهل، لأن أنس بن مالك، ليس بسلمي من بني سلمة، وإنما هو من بني عدي بن النجار، وزعم قائل هذا أن أنس بن مالك، يكنى أبا النضر، وهذا مما لا يعلم، ولا يعرف، وكنية أنس بن مالك أبو حمزة بالإجماع».(231)

والحقيقة أن ما قاله ابن عبد البر هو الصواب، وأن ابن الحذاء لم يكن موفقا في استنتاجاته، لكنه في الوقت ذاته لم يحسم في ذلك بل قال : «وهذا على التوهم لا على الحقيقة والله أعلم»(232) مما كان يستحق معه التخفيف في الحكم عليه، بأخف مما حكم عليه تلميذه ابن عبد البر، وقول هذا الأخير إنه لا يعلم أن أنس بن مالك يكنى أبا النضر ولا يعرف، فيه نظر، فقد قال ابن الحذاء في ترجمة أنس ابن مالك يكنى أبا حمزة ويقال أيضا أبو النضر (التعريف ع 16).

وهذا غير بعيد خصوصا وأن من أبناء أنس بن مالك النضر (انظر : إسعاف المبطأ : 7).

2 – الاستيعاب في معرفة الأصحاب :

أ – قال ابن الحذاء في التعريف في ترجمة عبد الله بن بحينة : (...)(233) وهو عبد الله بن مالك بن سعيد بن القشب، وهو سعيد بن يزيد بن عامر بن غنم بن دهمان بن مسهب بن فهم بن غانم.

---

(231) التمهيد : 87/13.

(232) التعريف : 3/4 – وتكرر في ترجمة أنس في التعريف ع16 : أنه قيل يكنى أبا النضر وفي إسعاف المبطأ 7 : روى عنه أولاده موسى والنضر وأبو بكر إلخ.

(233) التعريف : 291/2 ع 297.

قال ابن عبد البر في الاستيعاب : «أبوه مالك بن القشب الأزدي»(234) «وقال أيضا في ترجمة والده : «هو مالك بن القشب الأزدي من الأزد والد عبد الله بن مالك بن بحينة لم أجد أحدا منهم يزيد في نسب مالك هذا شيئا».(235)

وقال في ترجمة سعيد بن القشب الأزدي : إنه حليف لبني أمية(236) وهذا يدل على أن ابن عبد البر لم يضبط الأمر في هذه التراجم، وعلى الرغم من أن ابن عبد البر، لم يصرح بالرجوع إلى التعريف لابن الحذاء في هذه الترجمة إلا أن اتفاقهما في العبارة، يرجح ذلك، يقول ابن الحذاء: «ويقال : مالك بن بحينة، وعبد الله أصح، وكان ابن بحينة قد نزل ريم، وهي من المدينة على رأس ثلاثين ميلا، وتوفى بها في خلافة معاوية بموضع يدعى كرزا، وكان ناسكا فاضلا صائم الدهر».(237)

ويقول ابن عبد البر : «وقد قيل في أبيه مالك بن بحينة، وهو وهم وغلط(...) وكان عبد الله بن بحينة ناسكا فاضلا صائم الدهر، وكان ينزل بطن ريم على ثلاثين ميلا من المدينة، مات في عمل مروان الآخر على المدينة أيام معاوية».(238)

ب - قال ابن الحذاء في ترجمة مليكة بنت خارجة بن زيد : «وقيل : إن اسمها حبيبة وهو أصح(239) «وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : حبيبة ويقال مليكة والصواب حبيبة بنت خارجة».(240)

234) الاستيعاب : 3/881.
235) نفسه : 3/1348.
236) نفسه : 2/626.
237) التعريف : 2/291 ع 297.
238) الاستيعاب : 3/871.
239) التعريف : 4/86 ع 805.
240) الاستيعاب : 4/1807 ع 3287 ونسب في أسد الغابة التصويب إلى ابن عبد البر.

ج – قال ابن الحذاء في ترجمة حمزة بن عبد المطلب : «(...) وحشي على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة، وكان يوم قتل ابن تسع وخمسين سنة، وكان أسن من رسول الله ﷺ، بأربع سنين، ودفن هو وابن أخته، عبد الله بن جحش في قبر واحد».(241)

وقال ابن عبد البر : «قتله وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن عدى على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة، وكان يوم قتل ابن تسع وخمسين سنة، ودفن هو وابن أخته عبد الله بن حجش في قبر واحد»(242) ان العبارة واحدة.

قيمة الكتاب :

يستمد هذا الكتاب قيمته من عدة جوانب : من موضوعه ومؤلفه، وزمن تأليفه، وقد تقدم الحديث عن ذلك في مناسبات شتى، كما سبقت الإشارة إلى أهم المآخذ على المؤلف. ويقي أن نبرز قيمة الكتاب، من خلال مقارنته بكتابين في الموضوع زيادة على ما تقدم.

أولا : إسعاف المبطأ برجال الموطأ :

يقول السيوطي مؤلفه : «هذا تأليف لطيف في تراجم الرواة المذكورين في موطأ الإمام مالك رضي الله عنه مهذب محرر، يفوق الكتب المؤلفة في ذلك لمن تبصر، سميته إسعاف المبطأ برجال الموطأ».(243)

ويتعقبه الدكتور كمال الدين شرابي فيقول : «ولست أدري على أي أساس يعتمد السيوطي في تفوق كتابه هذا، على الكتب المؤلفة في هذا الفن.(244)

---

241) التعريف : 1/95 ع 62.

242) الاستيعاب : 1/369.

243) إسعاف المبطأ : المقدمة (ص : 2).

244) أسانيد الحديث النبوي : 2/315.

إن هذا التساؤل معقول، خصوصا وأن السيوطي مسبوق إلى التأليف في هذا الموضوع منذ القرن الثالث إلى القرن العاشر، الذي عاش في أوائله، ولو كان أول من ألف في رجال الموطأ لما أنكر عليه أحد ادعاءه هذا.

لقد عدت إلى هذا الكتاب فوجدته صغير الحجم قليل التراجم، قصير النفس في الحديث عن الرجال، وبدأت أحصي المترجمين فيه فإذا هم جميعا : 384 راويا كالآتي.

أسماء الرجال من الرواة : 286 / كناهم : 44 / الأبناء : 05 المبهمات 14 المجموع = 349.

أسماء النساء : 22 / كناهن : 8 / المبهمات : 5 – المجموع = 35.

المجموع الكلي : 349 + 35 = 384.

وهذا العدد لا يزيد على نصف رجال الموطأ، إلا بيسير.

يقول الدكتور شرابي : «إنه سقط من تراجم رواة الإسعاف، مائة واثنان وستون رجلا، ومن النساء إحدى وثلاثون، ومن الأبناء ستة، ومن الكنى ستة عشر، ومن المبهمات أحد وعشرون».(245)

ونترك المقارنة بين إسعاف المبطأ والتعريف إلى أن نذكر الكتاب الثاني.

ثانيا : أسانيد الحديث النبوي في ضوء نظم المعلومات المعاصرة للدكتور كمال الدين عبد الغني شرابي. إن المقارنة بين كتاب ألف في القرن الرابع، وكتاب حديث، استخدم الحاسب الألي، لاستخراج قوائم رجال الموطأ، ضرب من المخاطرة، التي تتطلب كثيرا من الحيطة والحذر، لكن ارتياد ابن الحذاء لكل ما خطر على بال شرابي، ثم تفرده بما لم يخطر على باله، شجعنا على عقد هذه المقارنة.

---

245) أسانيد الحديث النبوي : 2/315.

يقدم شرابي قائمة رواة الموطأ(246) فإذا هم جميعا : 629 وهو رقم غير دقيق إذ عد منهم النبيﷺ،(247) وكرر أسماء كعبد الرحمن بن عبد القاري(248) وذكر يحيى بن يحيى الليثي ضمن رجال مالك،(249) وفاته فيمن قال عنه مالك الثقة عنده، حديث واحد(250) ولم يذكر سلمة بن عوف(251) وقال : أبو رجل من بني ضمرة(252) وإنما هو رجل من بني ضمرة وفاتته أسماء كعبد الله بن الفضل الهاشمي.(253)

الاستدراكات التي استدركها على ابن حجر في تهذيب التهذيب، وتعجيل المنفعة، فيما يتعلق برجال الموطأ، والنقد الذي وجهه للسيوطي في إسعاف المبطأ، والشعور بالنقص في هذا الموضوع كل ذلك كان سيتخلى عنه صاحب أسانيد الحديث النبوي لو قدر له أن يقف على كتاب التعريف لابن الحذاء وهذه بعض الحقائق والأرقام، التي تبين ميزة كتاب التعريف، بالمقارنة بكتابي إسعاف المبطأ، وأسانيد الحديث النبوي.

1 – إن كتاب التعريف لابن الحذاء جامع لكل من ذكر في موطأ مالك من الرجال والنساء من الرواة وغيرهم، مع بعض الهفوات التي لم يسلم منها، حتى مستعمل الحاسوب، كما سبقت الإشارة إلى ذلك أن مجموع الرجال والنساء الذين عرف بهم ابن الحذاء في التعريف : حوالي 890 رجلا وامرأة.

---

246) نفسه : 1/263 – 298.

247) نفسه : 1/273 ع 74.

248) نفسه 1 / (283 ع 300) (284 ع 317).

249) نفسه : 1/297 ع 615.

250) الموطأ : 2/520 ك 27 ب 13 ح 14 وانظر أسانيد الحديث النبوي : 1/244.

251) انظر التعريف 3/499.

252) أسانيد الحديث النبوي : (1/271) (2/21) وانظر التعريف : 4/47 ع 718.

253) انظر الموطأ (2/524 ك 28 ب 2 ح 4) (2/572 ك 29 ب 16 ح 41) وانظر أسانيد الحديث النبوي : 2/183 فقد فاته في أحاديث كل راو.

أسماء الرجال : 617 / كناهم : 75 / من نسب إلى أبيه وجده ولم يذكر اسمه : 13 / من شهر بأمه ولم يذكر اسمه : 3 / رجل أو رجلان ونحو ذلك : 39 – من قال فيه مالك عن الثقة عنده : 7 – من نسب إلى شيء من الجرح 29 – من نسب إلى قبيلة أو لقب 6 – من نسب إلى عاهة : 2 أسماء النساء وكناهن : 99.

إن مجموع ذلك كله : 890 ترجمة، وهو بهذا يفوق عدد المذكورين في الإسعاف ب : 406 ترجمة، ويفوق ما في أسانيد الحديث النبوي ب261 ترجمة على الأقل.

هذا من حيث العدد، أما من حيث التناول، فلا مجال للمقارنة بين تراجم الإسعاف المختصرة جدا، وبين تراجم ابن الحذاء الموسعة – غالبا –.

أما بالنسبة لأسانيد الحديث النبوي، فهناك تكامل بينه وبين «التعريف» لابن الحذاء من حيث الاهتمام بعدة أمور منها :

1 – رجال مالك الذين روى عنهم مالك في الموطأ.

2 – مواطن ذكرهم في الموطأ.

3 – ذكر الشيوخ الذين روى عنهم الراوي، والتلامذة الذين رووا عنه ويزيد عليه التعريف بأمور منها :

1 – اعتماده على كثير من روايات الموطأ، في حين اقتصر شرابي على رواية يحيى بن يحيى الليثي ومن ثم نجد – مثلا – أم بكرة الأسلمية، التي وردت في رواية الشيباني، غير مذكورة في أسانيد الحديث النبوي عند شرابي.

2 – يزيد كتاب «التعريف» على أسانيد الحديث النبوي، باهتمامه بالجرح والتعديل، وقد عقد ابن الحذاء في آخر كتابه بابا لمن نسب إلى شيء من الجرح، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وهناك مزايا أخرى لكتاب التعريف لابن الحذاء، ذكرنا جملة منها في مواطن مختلفة من هذه الدراسة، فأغنى ذلك عن إعادتها.

الفصل الثالث

وصف النسخ المخطوطة

ومنهج التحقيق

المبحث الأول : وصف النسخ المعتمدة في التحقيق :

اعتمدت في تحقيق نص هذا الكتاب على ثلاث نسخ هي :

أولا : مخطوطة خزانة القرويين بفاس، مسجلة تحت رقم 993، وكانت من قبل مسجلة تحت رقم 118 كما أخبرني بذلك – كتابة – الأستاذ محمد ابن عبد العزيز الدباغ، محافظ الخزانة المذكورة.

ولم يشر الراحل محمد العابد الفاسي، في فهرس مخطوطات خزانة القرويين، إلى هذه النسخة، تحت أي رقم من الرقمين السابقين، وذكرها الدكتور فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي(1) لكن بشكل يوحي بأن الأمر يتعلق بنسختين : 118، 993 بالإضافة إلى النسخة 179 الآتية الذكر.

وكيفما كان الحال،(2) فقد رمزت لهذه النسخة بحرف «أ».

عدد أوراقها : 147.

معدل أسطرها : 23.

عارية عن اسم الناسخ، وتاريخ النسخ، والنسخة تامة، خطها جميل، إلا أن أطرافها أصيبت بكثير من التنقيع والخروق.

أولها : «قال القاضي أبو عبد الله محمد بن يحى بن الحذاء رضي الله عنه ورحمه : هذا كتاب عرفت فيه من ذكر في موطأ مالك بن أنس رحمه الله من [ ] والرواة وغيرهم من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم من المعروفين والمجهولين وبوبته على حروف المعجم».

آخرها : [........] عبد الله بن قسيط [........] عند أهل العلم [........] عنه مالك [........].

تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

---

1) تاريخ التراث العربي : 3/139، 177.

2) اقتصر ذ. محمد المنوني على ذكر النسختين 179، 993 (انظر : مجلة دار الحديث الحسنية العدد 3 ص : 78).

وقع اضطراب في ترتيب هذه النسخة، فجاءت تتمة ترجمة أبي الزناد عبد الله بن ذكوان رقم 327 بعد ترجمة عبد الله بن سهل رقم 332.

مقدار سطرين ونصف ساقط من الترجمة 302.

مقدار سطرين ساقط من الترجمة 200.

وقد وقع التنبيه على ذلك في مواطنه من النص.

كتب على وجه أول ورقة منها بعض الأبيات الشعرية يظهر منها :

(............) كم من أمور شداد فرج الله

(............) الهم منفرج أبشر بخير فإن الفاتح الله

(............) واصبر فإن الصبر شيء عجيب

(............) نصر من الله وفتح قريب

ثم كتب نص التحبيس على النحو التالي :

«بسم الله الرحمن الرحيم... صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وصحبه، [........] بخط يده، عبد الله سبحانه، الراجي رحمة ربه ومغفرته أحمد [........] المومنين بن مولانا [........] المومنين الحسني، الله له، ولطف به وبجميع المسلمين [........].

مولانا الإمام، كهف الإسلام، ظل الله في الأنام، كافل أمة النبي عليه السلام، مولانا الإمام، صاحب الفتوحات المتسقة النظام، امام أهل الأرض، ومالك امرة المومنين [........] أحمد المنصور بالله أمير المومنين بن موالينا الخلفاء الراشدين الأئمة الهداة المهديين [........] دولتهم وأنار جهات البسيطة بأنوار [........] جميع هذا المجلد لابن الحذاء [........] أول ورقة منه على كل من يقرأ فيه من طلبة العلم، وغيرهم، بخزانتهم الشريفة (........) على جامع القرويين من فاس حرسها الله، وشرطوا أيدهم الله في ذلك أن لا يخرج عن حرم الخزانة (........) مخالفة هذا الشرط (........) فمن بدل أو غير أو خالف هذا الشرط (........) تحبيسا مؤبدا ووقفا مخلدا لا يتعقبه فسخ و(........) فحكمه نسخ (........) أجزل الثواب بدار النعيم، والله

تعالى يجعله من أعمالهم الصالحة (.........) الله يد قيم الخزانة على جوز (.........) وكتب خط يده الكريمة بصحة ذلك (.........)».

وعن هذه الخزانة التي أسسها أحمد المنصور، يقول المقري في روضة الآس : «ومن آثاره نصره الله، الخزانة العليا التي صنعت بإزاء المحراب عن يساره بجامع القرويين عمره الله بذكره، تركتهم مشتغلين بسقفها، وحبس عليها نصره الله من غرائب الكتب ما لم يسمع بمثله قط، وقد شهد نصره الله بتحبيس الكتب وحيزت كما يجب أبقاه الله، وشمس إيالته لا تحتجب».(3)

وبآخر هذه النسخة كتب بخط غير خط الناسخ ما صورته حسب الإمكان : (.........) سور القرآن : الفاتحة، من قرأها حج واستجيب له، البقرة (.........) آل عمران (.........) ولدا صالحا ويوهب (.........) (.........) بركة من قبل الأنعام والاعراف (.........) الانفال (.........) حلال، براءة ترجى بها التوبة (.........) يونس (.........) من ضيق إلى سعة (.........) هود هدى ودين (.........) بشارة وخير وغنى وفرج من ضيق (.........) أمن من خوف (.........) إبراهيم الحجر وعلى وفرج (.........) الرزق وصحة البدن.

سورة بني إسرائيل : ولد عاق ثم يصلح حاله ويعود بارا (.........) (.........) مريم كذب عليه وسورة طه غفله وسهو ثم (.........) من ذلك والانتباه، الأنبياء نصر على العدو والحج حج وعود (.........).

(.........) بقليل تعش غنيا فمن يبغي الكثير سوى الفقير
(.........) بماء وملح لمن طلب النجاة له كثير

وقبله على الورقة 146 وبعد انتهاء الكتاب.

(...) من كاتب سيفنى ويبقى أثر عن ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

---

3) أحمد بن محمد المقري : روضه الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس : 22 المطبعة الملكية الرباط. ط: 2 (1403هـ ت 1983م).

وطرر هذه النسخة ضاعت مع الأطراف المتآكلة، فلم يعد يظهر منها شيء، من ذلك على سبيل المثال، الترجمة 51 فيها علامة إلحاق لكن لا يظهر في الهامش شيء.

وهذه النسخة أقرب النسخ الثلاث المعتمدة إلى الأصل، من حيث الملامح العامة للكتاب، من عناوين وأسماء وما إلى ذلك، مما يمكن معه تحقيق الكتاب اعتمادا على هذه النسخة، لو تعذر وجود غيرها، وما سيبقى من بياض نتيجة الانطماس والخروق لا يؤثر كثيرا، بخلاف النسختين الاخريتين فلا يمكن إخراج الكتاب كاملا اعتمادا على إحداهما.

ثم إن هذه النسخة، كتبت بعناية فائقة، والساقط منها قليل، وكذلك الشأن بالنسبة للأخطاء الإملائية والنحوية والمعرفية.

ثم إن في تحبيس السلطان السعدي، أحمد المنصور الذهبي لها، وكتابته على أول ورقة منها بخط يده بصحة ذلك، ما يدل على قيمة النسخة وصحتها.

وعلى فرض تأخر هذه النسخة من حيث الزمن، بالنسبة للنسخة «ب» فإن ذلك لا يضر للاعتبارات المذكورة، يقول الدكتور مصطفى جواد رحمه الله: «إذا تعارضت نسختان : إحداهما قديمة كثيرة التصحيف والنقصان، فالاعتماد يكون على الحديثة، وهي التي تنشر، لأن حداثة الوسيلة، لا ضرر منها مع ضمان سلامة الغاية...».(4)

ثانيا : مخطوطة خزانة القرويين بفاس :

مسجلة تحت رقم 179، رمزت لها بحرف «ب»(5) كتبت بخط أندلسي متلاش جدا، وقد أشار إلى هذه النسخة، محمد بن الحسين العراقي الحسيني

---

4) أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص : إعداد وتعليق : عبد الوهاب محمد علي – مجلة المورد (العراقية) المجلد : 6 العدد 1 الصفحة : 120.

5) اعتمدت في الرمز للنسخ الحروف الأبجدية، باعتبار هذه النسخ فئات، لتشابهها الكبير، وإن تفاوتت في التمام والنقصان.

مصحح «التبصرة وفتح الباقي» فقال: «وبخزانة القرويين منه – أي كتاب التعريف لابن الحذاء – نسخة عتيقة أصابها تلاش».(6)

ووصف النسخة محافظ خزانة القرويين الراحل محمد العابد الفاسي فقال: «جزء واحد بخط أندلسي متلاش جدا، ضاعت أطراف أوراقه، ويجب استدراكه بنسخ أو تصوير(7) «وقال الأستاذ محمد المنوني رحمه الله : خ.ق 179 في سفر متلاش»(8) ووضعه أحد الباحثين المعاصرين في بيبليوغرافيا بحثه فقال : «ابن الحذاء : محمد بن يحيى ت347,(9) تقييد مبتور، وفيه معلومات جيدة، في موضوعات فقهية وتاريخية مخطوطة، خزانة القرويين رقم 179».(10)

بل إن الأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ محافظ خزانة القرويين، جعل تحقيق هذا الكتاب اعتمادا على نسختي القرويين معا، أمرا صعبا وعن ذلك يقول: «هذا وإني بعد الاطلاع على النسختين الموجودتين بخزانة القرويين، تبين لي أنهما معا، لا يكفيان، في إخراج النص كاملا، نظرا لما أصيبت به الأطراف، من بتر، ولما أصيبت به الأوراق من تنقيع وخروق، ومع ذلك، فإن الهمة القوية قادرة على الاستفادة قدر الإمكان مما هو موجود».(11)

---

6) التبصرة والتذكرة لعبد الرحيم بن الحسين العراقي : 171/3 تحقيق : محمد بن الحسين العراقي الحسيني – المطبعة الجديدة بطالعة فاس (1357 هـ ت 1935م).

7) فهرس مخطوطات القرويين : 186/1.

8) مجلة دار الحديث الحسنية العدد 3 الصفحة 78.

9) توفي ابن الحذاء سنة 416هـ وولد سنة 347هـ.

10) هاشم العلوي القاسمي : مجتمع المغرب الأقصى (حتى منتصف القرن 4 الرابع الهجري) 496/2 – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – مطبعة فضالة – المغرب : 1415 هـ ت 1995.

11) من رسالة كتب بها إلى الأستاذ الدباغ محافظ خزانة القرويين بفاس، بتاريخ : 6 محرم 1416 – 5 يونيو 1995م.

وهذا صحيح ينطبق بالدرجة الأولى على النسخة : 179 إذ أن أطرافها أصيبت بكثير من التنقيع والخروق، كما أن الجزء غير المقروء من كل ورقة من أوراقها، يعدل أحيانا جهة كاملة من ورقة من النسخة 993, الشيء الذي يتعذر معه فعلا، تحقيق الكتاب اعتمادا عليها بمفردها.

عدد أوراقها : 42.

مسطرتها : 13.

مقياسها : 29/23.

تاريخ النسخ : 674هـ.

عارية عن اسم الناسخ.

ووهم بروكلمان فقال : الكلام على رجال الموطأ للقاضي ابن الحذاء أتمه سنة 674هـ = 1275م مكتبة القرويين بفاس: 528».(12)

كما وهم الدكتور فؤاد سزكين في تاريخ النسخ فقال إنه كان سنة 646هـ وتكرر ذلك لديه.(13)

أولها : بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على النبي الكريم وعلى آله وسلم، أفضل الصلاة والتسلم.

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد ابن الحذاء رضي الله عنه : هذا كتاب عرفت فيه، بمن ذكر في الموطأ لمالك بن أنس رضي الله عنه من الرجال والنساء من الرواة وغيرهم من الصحابة والتابعين والخالفين بعدهم من المعروفين والمجهولين، وبوبته على حروف المعجم.

أخرها : «يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي المزني، قال البرقي : لم يكن عند أهل العلم بالحديث بالقوي.

12) تاريخ الأدب العربي : 3/279.

13) تاريخ التراث العربي : 3/139, 177.

نجز والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيئين، على آله وسلم تسليما، وذلك عند صلاة عصر يوم الجمعة من شهر رجب الفرد سنة أربع وسبعين وستمائة».

كتب على وجه الورقة الأولى من هذه النسخة، اسم الكتاب واسم المؤلف بخط مغاير على النحو التالي : كتاب التعريف بمن ذكر في كتاب موطأ بن أنس بن مالك ابن أبي عامر الأصبحي رضي الله عنه، من أسماء الرجال والنساء راويا ومرويا عنه رضي الله عنهم.

تأليف الشيخ الفقيه القاضي المحدث الراوية الثقة الحاج الصالح أبي عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذاء رضوان الله عليه، وعلى جميع العلماء، ونفع بهم، بمنه ويمنه، لا رب غيره، ولا إله إلا هو له الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير. وكتب تحتها: عرف الداني في طبقاته بالدارقطني على بن عمر البغدادي إلى تمام أربعة سطر.

ثم كتب تحت ذلك : حبس على خزانة شرقي جامع القرويين شرفه الله فمن بدل أو غير فالله حسيبه. وفي طرر هذه النسخة كتبت بعض الإضافات التي أضافها الناسخ – فيما يبدو – أو بعض الكلمات أو الجمل الساقطة من المتن وهذه جملة من الإضافات المقروءة.

الورقة 1 ظ طرة الترجمة : 2.

وأم الدرداء امراتان [ ] لأبي الدرداء صاحب رسول اللهﷺ: الكبرى منهما صحابية ماتت، وتزوج أم الدرداء الصغرى المذكورة هنا، وهي تابعية [.....] أبو الدرداء من الصحابة.

وبطرة الترجمة : 705 :

«منسوب إلى مدينة دينور».

وبطرة الترجمة : 797 :

«قال الأصمعي : الفريعة هي البضعة التي تكون بين الجنب والكتف مع الدراع...».

وغير ذلك مما تتعذر قراءته.

ووقع في هذه النسخة تقديم وتأخير لبعض التراجم على النحو التالي:

- تأخير باب الطاء إلى ما بعد الصاد، وهو شيء لا ينسجم مع أي ترتيب معجمي.

- افتتاح باب حرف الميم من أسماء النساء بمليكة جدة أنس بن مالك، ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المومنين، ثم مليكة بنت خارجة

- وفي أ: ميمونة ثم مليكة بنت خارجة فمليكة جدة أنس بن مالك. وهو الأنسب.

ثالثا : نسخة الخزانة الحسنية بالرباط :

«لم ترقم بعد» ورقمها بالخزانة الزيدانية الذي تحمله إلى تاريخ تصوير هذه النسخة هو 12828.

رمزت إليها بحرف «ج».

كتبت بخط مغربي جميل.

عدد أوراقها : 131.

معدل كلماتها في كل سطر : 14.

معدل أسطرها : 22.

عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

وهي ناقصة الأول، ناقصة الأخير.

أولها : وأمه من ولد سعد القرظ، وكان جميل يؤذن معهم وأمه منهم. روى مالك عن جميل بن عبد الرحمن المؤذن أنه كان يحضر عمر بن عبد العزيز إذ كان عاملا على المدينة فذكر القصة.

آخرها : «روى مالك عن ابن شهاب عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حتمة، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ ركع ركعتين من إحدى صلاتي النهار،

الظهر أو العصر فسلم من اثنتين، فقال له ذو الشمالين، رجل من بني زهرة بن كلاب، فذكر الحديث، ولم أجد لأبي بكر بن سليمان».

وليس لهذه النسخة عنوان، إلا ما كتبه أحد موظفي الخزانة السابقين على ظهر الملف الذي وضعت فيه المخطوطة : «يحتمل أن يكون هذا الكتاب «رجال الموطأ» لمحمد بن يحيى الحذاء، لأنه يروي عن أبي القاسم الجوهري، وابن الحذاء من تلامذته».

وهذه النسخة وإن لم تكن كاملة، فإنها مع ذلك أكثر وضوحا وسلامة من النسختين الآخرتين، وأثرها واضح في إتمام نقص معظم هذا الكتاب، وهي قريبة جدا من النسخة «أ» كما سيأتي.

ونظرا للإهمال الذي تعرضت له هذه النسخة، قبل وصولها إلى الخزانة الحسنية، سقطت منها بالإضافة إلى أول وآخر النسخة بعض الأوراق كالآتي :

سقطت ورقة كاملة ما بين الورقتين 38, 39 من آخر ترجمة مغيث ع : 224 إلى تتمة ترجمة محمود بن لبيد ع 230 : وبها من الأسماء أيضا : المسيب بن حزن – المهاجر بن قنفذ معمر بن عبد الله بن نضله – المطلب بن أبي وداعة – المطلب بن عبد الله».

سقط نحو ورقتين من النسخة بعد الورقة 129, من آخر ترجمة البهزي ع 631 إلى أول ترجمة أبي إدريس الخولاني ع 643, وبينهما الصنابحي، ابن خيبري، الزهري، ابن أم مكتوم، ابن بحينة، ابن أكيمة، الأعرج، ذو اليدين، أبو أيوب الأنصاري، أبو أمامة سهل بن حنيف، أبو أمامة بن ثعلبة».

وسقط باعتبار النسخ مقدار سطر من التراجم : 80, 407, 606, ونحو خمسة أسطر من الترجمة : 350, وسطرين من الترجمة: 549.

رابعا : علمت في آخر لحظة، بعد الانتهاء من طبع هذا العمل المتواضع، أن هناك نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بإحدى الخزائن

المصرية، وسأعمل بحول الله على الحصول على صورة منها، ثم أراجع على ضوئها الطبعة القادمة إن شاء الله.

ملاحظات عامة :

يظهر من خلال القراءة المقارنة بين النسخ الثلاث المذكورة، أن الفرق بينها في المتن ضئيل، فهي تتضامن ولا تتعارض، وما بينها من فروق أكثره من فعل النساخ، وأحيانا - قليلة من أصول النسخ، وفيما يلي نماذج من ذلك.

1) يوجد تشابه كبير بين النسختين، أ، ج، ومن أبرز مظاهره، أنه حين يكون المتكلم هو المؤلف يقول : «قال محمد» في الغالب وقال مرة : في «أ» قال القاضي أبو عبد الله، الترجمة 7 بل إن النسختين تتطابقان، حتى في كتابة بعض الكلمات من ذلك أن اسم مالك كتب في النسختين بدون ألف «ملك» وعندما كتب بالألف في الترجمة 544 اتفقت في ذلك النسختان.

ولعل سبب ذلك، انتساخهما من مخطوطة المؤلف، مباشرة أو بواسطة(14) أو أن إحداهما أصل للأخرى وعلى العكس من ذلك نجد في النسخة «ب» : قال القاضي أبو عبد الله أو قال محمد بن يحيى القاضي، أو قال لنا القاضي، أو حدثنا القاضي أبو عبد الله، وجاء مرة: «قال القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد رضي الله عنه قراءة علينا» وأخرى - على غير العادة - قال محمد، وأخرى : أبو محمد خطأ - وهذا يفيد أن المخطوطة انتسخت من نسخة من نسخ أحد التلاميذ المباشرين للمؤلف قراءة عليهم. أو من نسخة انتسخت منها.(15)

2) جاء في أول النسخة «أ» قال القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن الحذاء رضي الله عنه ورحمه».

---

14) انظر : مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لفرانتز روزنتال : 63.

15) نفسه والصفحة.

وجاء في أول النسخة «ب» قال القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذاء رضي الله عنه».

ومثل هذه العبارات، لها دلالتها التي ينبغي أن توضع في الاعتبار،(16) والظاهر هنا أن النسخة «أ» انتسخت من نسخة أصلية كتبت في حياة المؤلف من قبله أو من غيره، ثم أضيف إليها الترضي والترحم. وقد تكون زيادة الترحم من الناسخ. أما النسخة «ب» فانتسخت من نسخة أحد طلاب المؤلف مباشرة أو بواسطة، ولعل الترضي كان فيها، ولم يضف له الترحم ثم إن هناك ملحظا هاما، وهو أنه في الوقت الذي يكون فيه الترحم في النسختين «أ» «ج» يكون الترضي في «ب» بشكل مطرد تقريبا، وهذه بعض الأمثلة لذلك :

– الترجمة : 173 : محمد بن المنكدر (ت130هـ) (...) وهم ثلاثة إخوة : محمد وأبو بكر وعمر رحمه الله («أ» «ج»).

وهم ثلاثة إخوة محمد وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم («ب»).

– الترجمة : 800 : أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق («أ»).

– الترجمة : 800 : أم كلثوم ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه («ب»).

– الترجمة : 878 : (....).

وزيد بن اسلم رحمه الله («أ»).

وزيد بن اسلم رضي الله عنه («ب»).

– الترجمة 880 : لعبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب («أ»).

– الترجمة 880 : لعبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه («ب»).

– الترجمة : 881 الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب «أ».

---

16) نفسه : 58.

– الترجمة : 881 الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه «ب».

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن «رضي الله عنه» في النسخة «ب» تقوم مقام رحمه الله.

3) ترجع أهم الاختلافات بين النسخ الثلاث إلى :

أ – التقديم والتأخير في الكلمات والعبارات مثل : «من أهل الفقه والفضل «أ» / «من أهل الفضل والفقه» «ج» «يقال : إنه وجد رأس أبي حذيفة عند رجل سالم» «أ».

«يقال : إنه وجد رأس سالم عند رجل أبي حذيفة» «أ».

ب – التصحيف والتحريف(17) ومن أمثلة ذلك :(18)

اخواله «أ»	اخوانه «ب»	الترجمة 31
رحل «أ»	دخل «ج»	الترجمة 573
الثقفي «أ»	التعنبي «ج»	الترجمة 423
الزهري	البهزي «ج»	الترجمة 490
المهري	النهدي «ج»	الترجمة 505
أدركه «ج»	اردكه «أ»	الترجمة 505
النقيع «أ» «ب»	البقيع «ج»	الترجمة 578
همام «أ»	هشام «ب» «ج»	الترجمة 614
ابن قهد «أ»	ابن فهد «ج»	الترجمة 627

17) لم يفرق كثير من العلماء بين التصحيف والتحريف، وفرق بينهما ابن حجر فقال : «إن كانت المخالفة بتغيير حرف أو حروف مع بقاء صورة الخط في السياق، فإن كان ذلك بالنسبة إلى النقط فالمصحف، وإن كان بالنسبة إلى الشكل فالمحرف» شرح نخبة الفكر. وانظر تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون : 64 وما بعدها.

18) التحريف أو التصحيف في هذه النماذج في الكلمة الثانية.

قيل «ج»	قتل «أ»	الترجمة 646
القس «أ» «ج»	اليمن «ب»	الترجمة 149
الصواري «أ»	السواري «ج»	الترجمة 297

وغير ذلك

ج – استعمال كلمة أو عبارة تقوم مقام الأخرى.

النبي	«أ»	الرسول	«ج»	ع 526
ﷺ	«أ»	عليه السلام	«ج»	ع 60
حدثنا	«أ»	نا	«ب»	ع 03
والأصح	«»	والصحيح	«»	ع 22
رحمهم الله	«أ»«ج»	رضي الله عنهم	«»	ع 173

وغير ذلك.

د – استعمال كلمة أو عبارة مخالفة أو أوسع معنى من الأخرى، ورواه ابن وهب أ ورواه أكثر أصحاب مالك ب ع50.

4) تلتقي في كثير من الأحيان هذه النسخ مجتمعة في الخطأ الواحد مثل : الهلالي بدل الهذلي ع243 وهذا ما يجعلنا في النهاية نعتبر هذه النسخ متضامنة متكاملة.

المبحث الثاني :

خطة العمل في التحقيق :

أول ما قمت به قبل الشروع في تحقيق كتاب «التعريف» لابن الحذاء، جمع نسخه، التي استطعت الحصول عليها، ثم شرعت في قراءة النص وكتابته، جاعلا في الاعتبار الأمور التالية :

1) المقابلة بين النسخ المعتمدة في هذا العمل، والتي تتكامل لحسن الحظ، بل هي فئات متشابهة.

2) وضع خط مائل، عند بداية ونهاية كل لوحه، والرمز إلى وجهها بحرف (و)، وإلى ظهرها بحرف (ظ)، وذلك وفق أوراق النسخة «أ».

3) إتمام أماكن البتر والخرم والطمس الموجودة في النسخة «أ» من النسختين «ب» «ج» مع وضع الزيادة بين عضادتين [.]، والإشارة إلى ذلك في الهوامش بعبارة : من : ب، ج أو من : ب، أو من : ج.

4) حصر ما لم تسعف النسخ أو المصادر بإتمامه بين عضادتين، وتركه فارغا، مع الإشارة في الهوامش، إلى مقدار النقص تقريبا.

5) مراعاة تطور الخط العربي – اليوم – عما كان عليه زمان كتابة النسخ المعتمدة في هذا العمل، وذلك كسقوط الألف في كثير من الأسماء، مثل : إسحق، حرث، خلد، ملك، معوية، سليمن وغيرها.

ومن ذلك عدم تنقيط الياء آخر الكلمات، للتفريق بينها وبين الألف المقصورة مثل علي وعلى، وكذلك عدم وضع الهمزة الواقعة في الأخير مثل: حرف الها.

6) وضع الآيات القرآنية بين قوسين كبيرين مزهرين ()، والأحاديث النبوية بين قوسين صغيرين «.».

7) شكل الأسماء التي يخشى تصحيفها، وتجدر الإشارة – هنا – إلى أن النسخة «أ» قد اهتمت بهذا الأمر كثيرا مما يؤكد أنها كتبت بعناية فائقة.

8) وضع أرقام متسلسلة للتراجم، من أول الكتاب إلى نهايته، دون تفريق بين أبواب الكتاب في ذلك، وتبعا لهذا آثرت الإحالة في الهوامش على أرقام التراجم، بدل الأجزاء والصفحات.

9) عدم الفصل في الهوامش، بين ما يتصل بالمقابلة بين النسخ، وما يتعلق بالتخريج والتوضيح وما إلى ذلك.

10) تخريج الآيات القرآنية في الهوامش، مع الاقتصار على ذكر : اسم السورة ورقم الآية : (الإخلاص : 1).

11) تخريج الأحاديث النبوية في الهوامش، وذلك بذكر المصدر والجزء والصفحة، ثم الكتاب والباب والحديث.

12) الإشارة في الهوامش، إلى بعض مصادر كل مترجم في كتاب التعريف، مع ذكر وفاته، قدر الإمكان.

13) التعريف في الهوامش ببعض الاعلام المذكورين في الكتاب – عرضا – كبعض شيوخ المؤلف وغيرهم.

14) ترتيب المصادر والمراجع، في الهوامش، وفق الترتيب الزمني غالبا.

15) التركيز في مصادر التحقيق، على ما صنف في القرون الهجرية الخمسة الأولى، ثم على المصنفات التي نقلت عن «التعريف» لابن الحذاء، أو ألفت في موضوعه.

16) ما قلت فيه في الهوامش : «لم أقف عليه» لا يعني عدم وجوده، وإنما يعني عدم اهتدائي إلى مصدره – الآن –.

17) تذييل هذا المبحث، بست صور من نسخ الكتاب، بمعدل صورتين لكل نسخة، الأولى من بدايته، والثانية من نهايته.

18) تقسيم الكتاب إلى أربعة أجزاء، ليست من وضع المؤلف، لعدم توفرنا على ما يفيد حدود كل جزء عنده، والغاية من هذا، تسهيل عملية جمع الصفحات في مجموعات متناسقة.

19) ترقيم فهرس مواضيع كل جزء، بالحروف الأبجدية على غرار مقدمة المؤلف.

20) إلحاق الكتاب بعدد من الفهارس هي :

– فهرس آيات القرآن الكريم.

– فهرس الأحاديث النبوية القولية.

– فهرس الاشعار.

– فهرس الكتب.

- فهرس الاعلام المترجمين في النص المحقق.
- فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة والتحقيق.
- فهرس المواضيع.

وتجدر الإشارة، إلى أنني انسجاما مع ترتيب ابن الحذاء لكتاب «التعريف» وفق حروف الهجاء المغربية، وضعت الفهارس المذكورة على نفس المنوال.

21) وفي الختام، فقد عملت كل ما في وسعي، من أجل إخراج هذا الكتاب في حلة تليق به، وتيسر التعامل معه، وفق المنهج العلمي المعتمد في تحقيق النصوص، والذي يجعل للنص حرمة لا يجوز انتهاكها، ويحرص في الوقت ذاته على إكمال نقصه، وإيضاح مبهمه، وغير ذلك من الخدمات التي تيسر الاستفادة منه.

نسأل الله عز وجل، أن يتقبل منا عملنا خالصا لوجهه، وأن يرزقنا التوفيق والعون والسداد.

﴿وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين﴾.

صور الأوراق من النسخ الثلاث المخطوطة

قال الفقيه أبو عبد الله محمد ابن يحيى بن الحذاء رضي الله عنه ورحمه

هذا الكتاب جمعت فيه من ذكر في موطأ مالك بن أنس رحمه الله من
رجال [illegible] من الصحابة والتابعين [illegible] من [illegible]
حروف [illegible] من أول اسمه [illegible] من اسمه [illegible] وجعلته
أيضا على حروف المعجم على المراد من [illegible]
[illegible] أيضا الكنى من وجدت له [illegible]
قدر [illegible] أبواب الكنى ومن جرى مجراه وجعلت أيضا للنساء [illegible] بابا
للنساء [illegible] بأسمائهن [illegible] وللنساء [illegible] بالكنى [illegible]
[illegible] فيه مالك [illegible] بابا [illegible]
وجعلت في آخر الكتاب بابا يشتمل على أسماء من نسب من الحروف
[illegible] المختار [illegible] من تعريف الرجال والنساء ويستغني به
ويستغني [illegible] أنه يحصي من [illegible] من الكتب [illegible]
[illegible] فيه [illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] بجمعته في هذا الكتاب ليكون [illegible] على [illegible]
أسأل حسن العون وتصحيح [illegible] وأن يجعله علما نافعا ومنجيا

باب [illegible] من اسمه ا

إبراهيم [illegible] يكنى أبا إسحاق [illegible]
في سنة [illegible] وتسعين ومائة [illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صدقة بن يسار ... قال ... معين ...

... عيينة انه كان ...

... وقد اتى البخاري ومسلم على اخراج عنه

عبد الله بن محمد بن علي بن ابي طالب

... عبد الله بن ... محمد بن علي ...

... ومسلم على اخراج عنه

٢ الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب

... وقد اتفق البخاري ومسلم على اخراج عنه ...

... الرحمن بن ...

... البخاري ...

... بن عبد الله بن ...

قال القاضي ... رضي الله عنه

... من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم ... من الرجال والنساء ... وجعلت اسم كل ... على حروف المعجم ...

... فصل في ابواب الكنى ...

... اسماء الرجال ... المعروفين ...

... ليكون الكتاب ...

... باب الألف ... من اسمه إبراهيم

... إبراهيم بن أبي عبلة ...

... إبراهيم بن عبد الله بن حنين ...

... رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

... حرملة ...

... زيد بن أسلم ...

... صدقة بن يسار ...

... جعفر ... محمد بن علي ...

... الحسن ... محمد بن علي ...

... عبد الرحمن ...

... عبد الله ...

... فقد اتفق البخاري ومسلم على الإخراج عنه ...

تم الجزء والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين ... وسلم تسليما

... يوم الجمعة من شهر رجب ...

النسخة ج (7)

باسعد ويقال ابو سعيد واخوه محيصة بن مسعود لهما صحبة وشهد
حويصة اسن من محيصة وكان اسلامه بعد اسلام اخيه محيصة وشهد
احدا والخندق والمشاهد وبقي الى اخر الزمان روى عنهما محمد بن سهل
بن ابي حثمة وحرام بن سعد بن محيصة. روى مالك عن يحيى بن سعيد عن
بشير بن يسار انه اخبره ان عبد الله بن سهل الانصاري ومحيصة بن مسعود
خرجا الى خيبر فتفرقا في حوائجهما فقتل عبد الله بن سهل فقدم محيصة فاتى
هو واخوه حويصة وعبد الرحمن بن سهل الى النبي صلى الله عليه فذهب عبد
الرحمن ليتكلم لمكانه من اخيه كبر كبر فتكلم محيصة وحويصة فذكرا شأن
عبد الله بن سهل فذكر حديث القسامة. ومن اسمه حمران: حمران
مولى عثمان يكنى ابا زيد كان من سبي عين التمر حين افتتحها خالد بن الوليد
في اول خلافة عمر وقيل في خلافة ابي بكر وهو رجل من النمر بن قاسط
وقال ابن معين هو حمران بن ابي وقال غيره من اهل النسب انما هو شيء يشهون
به وهو من النمر بن قاسط لا شك في ذلك اهل العلم بالنسب الا ان عثمان
اشتراه فاعتقه. وقال البخاري حمران بن ابان مولى عثمان قرشي اموي مدني
سمع منه عروة بن الزبير وعطاء بن يزيد روايته عن عثمان وسمع منه ابو
سلمة وجامع بن شداد ومعاذ بن عبد الرحمن والحسن والوليد ابو بشر ومعبد
الجهني وممن روى عنه ولم يذكرهما عطاء بن يسار وابن المنكدر وزيد بن اسلم
وبكير ومطلب بن حنطب وابن ابي الحارث وعبد الملك بن ابي عمير وعثمان بن [illegible]
ما هنا انتهى قول البخاري. وقيل انه وجد مختونا فنفى وكان يهوديا اسمه
طويد وقيل طويه فاشتراه عثمان ثم اعتقه وكان يكتب بين يديه ثم غضب
عليه فاخرجه الى البصرة فكان عينا له بها ولما قتل مصعب وثب حمران
فاخذ البصرة ونزل الكلاء حتى قدم بشر بن عبد الله القسري فعزله [illegible]

ولم اجزه [illegible] بن ابي مسلم [illegible]

قدم الحجاج البصرة اتاه واخذ منه مائة الف درهم فكتب الى عبد
الملك بن مروان يشكوه فكتب عبد الملك ان حمران اخو من مضى وعم من
بقي فاحسن مجاورته ورد عليه ماله. [illegible]
ولده في العرب. روى مالك عن هشام بن عروة عن ابيه عن حمران مولى عثمان
ان عثمان بن عفان جلس على المقاعد فجاء المؤذن فاذنه بصلاة العصر فدعا
بماء فتوضأ فذكر الحديث. وقال بعض [illegible] في هذا الحديث قال [illegible]
ان عثمان كانت كنيته حمران ويقال ان [illegible] ومن اسمه حفص
حفص: حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب يروي عن ابي سعيد الخدري
وابي هريرة وابن عمر [illegible] من بني عدي بن
كعب. روى عنه خبيب بن عبد الرحمن والقاسم وسالم ويحيى بن [illegible] هو
جد عبيد الله بن عمر بن حفص [illegible] روى مالك عن
خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن ابي هريرة او عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
ومنبري على حوضي. ومن اسمه الحجاج: الحجاج بن عمرو بن غزية
بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الانصاري روى
عنه ضمرة بن سعيد المازني يعد في اهل المدينة. قال البخاري له صحبة. قال [illegible]
[illegible] ادخله مسلم في الطبقة الثانية من التابعين [illegible] انه قال الحجاج بن عمرو
الانصاري لم يقل ابن غزية وكذلك ادخله في الصحابة [illegible] الاسم. وقال
البخاري له صحبة وكذلك قال البرقي وغيره. وقال لنا عبد الغني بن سعيد [illegible]
الحجاج بن عمرو بن غزية له صحبة. وروى الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد
الرحمن بن هرمز الاعرج عن كثير بن العباس عن الحجاج بن عمرو المازني قال
كان رسول الله يتهجد بعد رقده وكان يستن قبل ان يتهجد وروى عبد الرزاق

364

[illegible] ۞ ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام [illegible]
عنهم روايته عن ابي هريرة وقد روى عن عائشة [illegible] وعن [illegible]
حدث عنه [illegible] وحكى [illegible] بن عيسى [illegible]
كان اسمه ابو بكر وكنيته ابو عبد الرحمن وقال [illegible]
بن حنبل ابو بكر بن عبد الرحمن اسمه كنيته وكان يقال له راهب [illegible]
راهب قريش لعبادته وكثرة صلاته واستصغر يوم الجمل فرده [illegible]
الرحيم [illegible] توفي سنة اربع وتسعين
بالمدينة وهي سنة الفقهاء وقد قيل ان اسمه محمد ذكره [illegible]
[illegible] بن ابي سعيد عن عمرو بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام [illegible]
الحديث عن ابي بكر بن عبد الرحمن هكذا [illegible] ان اسمه عمرو [illegible]
التوهم كما ترى وقد قيل ان اسمه [illegible] في كتاب المدخل [illegible]
[illegible] والله اعلم وله اخ يسمى المغيرة قليل الحديث [illegible]
المدينة ۞ ابو بكر بن سليمان بن ابي حثمة بن حذيفة بن غانم قرشي عدوي
روى عنه ابن شهاب [illegible] عن ابي هريرة وسعيد بن زيد [illegible] وروى عنه ابنه
اسماعيل [illegible] واسم ابيه سليمان الشفاء بنت عبد الله [illegible]
[illegible] بن كعب . روى مالك عن ابن شهاب عن ابي بكر بن سليمان بن ابي حثمة ان
عمر بن الخطاب فقد سليمان بن ابي حثمة في صلاة الصبح وان عمر بن الخطاب
غدا الى السوق ومسكن سليمان بين المسجد والسوق فمر على الشفاء ام سليمان
فقال لها لم ار سليمان في الصبح فذكر الحديث . وروى مالك عن ابن شهاب عن
ابي بكر بن سليمان بن ابي حثمة قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
ركع ركعتين من احدى صلاتي النهار الظهر او العصر فسلم من اثنتين فقال له ذو
الشمالين رجل من بني زهرة بن كلاب [illegible] الحديث [illegible] لابي بكر بن سليمان [illegible]

365